

الكليم موسى بن عمران



الشيخ علي حسن غلوم

الشيخ
علي حسن غلوم

الكليم
موسى بن عمران

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م

من مطبوعات

مسجد سيد هاشم بهبهاني - الكويت

Email: alwalaa66@yahoo.com

الشيخ
علي حسن غلوم

الكليم

موسى بن عمران
من التّيه
إلى الوفاة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧	• المقدمة بقلم المؤلف
٢٥	١. من التوحيد إلى الشرك
٢٧	موضوعات هذا الفصل
٢٧	اجعل لنا إلهاً
٣١	ذات أنواط
٣٦	هل للقصة أثر في التوراة؟
٣٨	رأي الدكتور ريجان
٤٥	الاحتفال بالخروج والنجاة
٤٧	مريم بنت عمران تحتفل
٤٩	نبوة المرأة
٦١	نتائج الفصل وخلاصته
٦٣	٢. أحداث في محطات السفر
٦٥	موضوعات هذا الفصل
٦٦	المغادرة إلى برية شور
٦٧	الوصول إلى مارة
٧٠	بنو إسرائيل في إيليم
٧٢	في برية سين

٨٣	 المنّ في الأساطير الحاخامية
٨٥	 موردان مختلفان
٨٦	 طيور مشوية
٨٨	 تفجير الماء من الصخرة
٩٦	 غزوة العماليق
١٠٥	 زيارة مفاجئة
١٠٨	 نتائج الفصل وخلاصته
١٠٩	 ٣. رسالة الميثاق الإلهي
١١١	 موضوعات هذا الفصل
١١٢	 الاستقرار قُبالة الطور
١١٢	 لقاء الله
١١٥	 اللقاء الثاني
١١٦	 الوصايا العشر
١١٧	 المثاني والتثنية
١٢١	 الميثاق كما جاء في القرآن
١٢٥	 التأكيد على التوحيد
١٢٧	 رفع الطور
١٣٧	 نتائج الفصل وخلاصته
١٣٩	 ٤. البيت المقدّس وتابوت العهد
١٤١	 موضوعات هذا الفصل
١٤٢	 اللقاء الثالث
١٤٣	 الأمر بتأسيس بيت العبادة
١٤٤	 تابوت (صندوق) العهد

المائدة والمنارة (الشمعدانة)	١٤٧
المسكن والمذبح	١٤٩
ثياب رُعاة البيت المقدس	١٥١
تعاليم تنصيب هارون وذريته	١٥٦
الطهارة والطيب	١٥٦
نتائج الفصل و خلاصته	١٦٠
٥. ألواح الشريعة	١٦٣
موضوعات هذا الفصل	١٦٥
الوصف القرآني للألواح	١٦٥
الوصف التوراتي للألواح	١٧٠
الألواح في روايات المسلمين	١٧٥
نتائج الفصل و خلاصته	١٨٢
٦. العجل الذهبي	١٨٥
موضوعات هذا الفصل	١٨٧
تأخر النبي موسى	١٨٨
السردية التوراتية للحدث	١٩٤
بين الاقتراح والتنفيذ	١٩٦
اتهام هارون بصناعة العجل	١٩٨
صُنع العجل من أقراط الذهب	١٩٩
كيفية صناعة العجل الذهبي	٢٠١
إعلان ألوهية العجل الذهبي	٢٠٢
بناء المذبح قبالة العجل	٢٠٨
الاحتفال بالعجل الذهبي	٢٠٨

- ٢٠٩ الغضب الإلهي
- ٢١٤ إجراءات النبي موسى
- ٢٢٠ تأويلات متباينة
- ٢٢٤ تحديد هوية السامري
- ٢٣٢ العجل والسامري في التراث الإسلامي
- ٢٣٥ القبول الجزئي للتوبة
- ٢٣٩ خيمة الاجتماع
- ٢٤٢ موسى في محضر الله
- ٢٤٣ نتائج الفصل وخلاصته
- ٢٤٥ ٧. رؤية الله والتجسيم
- ٢٤٧ موضوعات هذا الفصل
- ٢٤٨ موارد الرؤية والتجسيم
- ٢٤٩ طلب الرؤية في القرآن
- ٢٤٩ الرأي الأول
- ٢٥٣ الرأي الثاني
- ٢٥٨ الرأي الثالث
- ٢٦٥ الترجيح بين الآراء
- ٢٦٧ التجلي الإلهي
- ٢٦٩ رؤية الله في التراث الإسلامي
- ٢٨٠ تطاير الجبال
- ٢٨٢ المشهد في التوراة
- ٢٩١ من التأويل المسيحي للمشهد
- ٢٩٢ من التأويل اليهودي للمشهد

٣٠٢	المعتقد اليهودي حول التجسيم
٣٠٥	بين التجسيم اليهودي والتراث الإسلامي
٣١١	نتائج الفصل و خلاصته
٣١٣	٨. وعدٌ ووعد
٣١٥	موضوعات هذا الفصل
٣١٦	الألواح البديلة
٣١٨	شروط النصر
٣٢٦	الوعد بالنصر
٣٢٨	موسى المبرقع
٣٣٥	تشريعات تفصيلية
٣٣٥	وعود بالعطايا الإلهية
٣٣٦	تهديدات مرعبة
٣٣٩	نهاية سفر اللاويين
٣٤٠	نتائج الفصل و خلاصته
٣٤١	٩. ادخلوا الأرض المقدسة
٣٤٣	موضوعات هذا الفصل
٣٤٤	إحصاء المقاتلين
٣٤٧	توزيع الرايات
٣٤٨	إجراء وقائي
٣٥٣	التحرك بإشارة إلهية
٣٥٤	برية فاران
٣٥٧	تجدد الشكوى والتذمر
٣٥٨	اشتقنا للبصل

٣٦٥		خلاف أُسري وعقوبة إلهية
٣٦٩		هل واجه نبينا إثارة مماثلة؟
٣٧٥		جمع المعلومات عن أرض كنعان
٣٧٩		الانقسام في الموقف
٣٨٣		تضرّع وجرمان
٣٨٦		محاولة يائسة
٣٨٨		القصة في القرآن
٣٩٥		قصة عوج بن عنق
٤٠٠		العمالقة في التوراة
٤٠٥		الحق التاريخي بالأرض
٤١٤		نتائج الفصل وخلاصته

١٠. قارون

٤١٧		موضوعات هذا الفصل
٤١٩		تحديد المقطع الزمني
٤٢٠		قصة قارون في القرآن
٤٢٣		قصة قورح في التوراة
٤٢٧		اتحاد الشخصيتين
٤٣٩		أسطورة تلمودية
٤٤٠		استمرار التمرد
٤٤٢		الاتهام بالزنا
٤٤٦		قارون في التفاسير
٤٤٨		نتائج الفصل وخلاصته
٤٥٣		

٤٥٥	١١. البقرة الصفراء
٤٥٧	موضوعات هذا الفصل
٤٥٨	القصة في القرآن
٤٦٤	القصة في التوراة
٤٦٦	في المشناه
٤٦٨	صفراء أم حمراء؟
٤٧٢	الارتباط بخطيئة القتل
٤٧٥	اضربوه ببعضها
٤٨٢	ترابط مدهش
٤٨٨	سبت البقرة الحمراء
٤٩٤	البقرة الصفراء في التفاسير
٤٩٩	نتائج الفصل وخلاصته
٥٠١	١٢. أحداث متفرقة
٥٠٣	موضوعات هذا الفصل
٥٠٤	وفاة مريم
٥٠٥	تذمر جديد
٥٠٧	مراسلة ملك أدوم
٥٠٩	وفاة النبي هارون
٥١٣	غزوة ملك عراد
٥١٤	نَحْشَتَان، الحية النحاسية
٥٢١	حربان وانتصاران
٥٢٢	مع بالاق وبلعام
٥٢٧	قصة بلعام في الكتاب المقدس

٥٢٩	 نهاية بلعام
٥٣٣	 روايات وأخبار متضاربة
٥٤٣	 نتائج الفصل وخلاصته
٥٤٥	١٣. الوصية والوفاة
٥٤٧	 موضوعات هذا الفصل
٥٤٨	 وصايا سفر التثنية
٥٤٩	 تعيين الوصي يشوع
٥٥٢	 تدوين التوراة
٥٥٤	 أنشودة روحانية
٥٥٥	 دعاء وتوديع
٥٥٦	 الوفاة
٥٥٨	 الوفاة في مصادر المسلمين
٥٦١	 موضع قبره
٥٨٨	 نتائج الفصل وخلاصته
٥٩١	• مصادر ومراجع الكتاب
٥٩٣	 المصادر والمراجع العربية
٦٠٠	 المصادر والمراجع الأجنبية
٦٠٠	 مواقع الإنترنت
٦٠٣	• صدر للمؤلف

المقدمة

بقلم المؤلف

بقلم المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

انتهيت في الجزء الثاني من سيرة الكليم موسى بن عمران «عليه السلام» عند حدث خروج بني إسرائيل من مصر وعبورهم البحر الذي انشق لهم بينما غرق فيه فرعون وجنوده، ليصل بذلك بنو إسرائيل إلى برّ الأمان.

ويتكفل هذا الجزء بتناول الأحداث التي أعقبت هذا المشهد والتي تدور حول ما جرى لموسى وبني إسرائيل في محطات الهجرة من حين دخول شبه جزيرة سيناء إلى الوصول إلى مشارف الأرض المباركة.. أرض كنعان.. فلسطين، وهي رحلة دامت أربعين سنة، مات فيها جيل لم يستطع أن يتحمل مسؤولية الدخول إلى تلك الأرض ليكون حاملاً لواء توحيد الله «سبحانه وتعالى»، فأبدله الله بجيل آخر تتحمل المسؤولية من بعد وفاة النبي موسى، وتحقق المطلوب منه بقيادة يوشع بن نون.

ويأتي هذا الجزء في ثلاثة عشر فصلاً:

الفصل الأول: يتعرّض بالبيان والتحليل لأوّل مشهد عرضه القرآن الكريم -بعد العبور- والذي تضمّن طلب بني إسرائيل من موسى أن يتخذ لهم إلهاً مجسّداً، ومقارنة ذلك بما اعتبرته التوراة أوّل مشهد من مشاهد هذه المرحلة من الهجرة والذي تضمّن شكر الله والثناء عليه والاحتفال بهذه المناسبة العظيمة.

الفصل الثاني: يستعرض المحطّات التي حلّ فيها بنو إسرائيل في شبه جزيرة سيناء إلى أن حظّوا عند جبل الطور، ومحاولة تحديد مواقعها الجغرافية، وسرد مختصر لأهم الأحداث التي شهدتها، ومن بينها إنزال المنّ والسلوى، وتفجير الماء من الصخرة، وغزوة العماليق.

الفصل الثالث: هذا الفصل خاص بوصول الركب إلى جبل الطور، وتجدد لقاء النبي موسى بالله، وتلقّيه الوصايا العشر، ومقارنتها بما جاء في القرآن الكريم. كما يتضمّن هذا الفصل مناقشة مسألة رفع الطور على بني إسرائيل والتي لم يرد ذكرها في ترجمات التوراة الحاضرة، وإثبات صحة ما جاء في القرآن الكريم من خلال ما كتبه رجال الدين اليهود في شروحهم على التوراة وفي التلمود ومصادر أخرى عديدة.

الفصل الرابع: يختصّ ببيان ما جاء حول الأمر بتأسيس البيت المقدّس قبالة جبل الطور مؤقتاً، وتعيين رعاته وماهيّة مهامّهم، ومحتوياته، مع وصف لتأبوت العهد.

الفصل الخامس: يتحدّث هذا الفصل عن ألواح الشريعة، بين الوصف القرآني والتوراتي، ما عددها؟ ما مصدرها؟ ما مضمونها؟ من كتب نصّها؟ وسائر خصوصياتها التي تم أسطرتها في مرويات اليهود والمسلمين.

الفصل السادس: يناقش هذا الفصل السبب وراء اتخاذ بني إسرائيل العجل في غياب النبي موسى، مع تسليط الضوء على الفروقات الواردة بين السرديتين التوراتية والقرآنية حول مجريات الأحداث من حين ذهاب موسى للقاء الله إلى حين عودته بعد أربعين ليلة، والإجراءات التي اتخذها بالتسلسل. كما يتضمن هذا الفصل ردّ شبهة وقوع القرآن الكريم في خطأ تاريخي بإلقاء تبعة صناعة العجل على السامري.

الفصل السابع: يختصّ بعرض ومناقشة آراء المفسرين المسلمين حول طلب النبي موسى رؤية الله كما جاء في القرآن الكريم، مع الإتيان ببعض النماذج مما نُقِلَ في التراث الإسلامي الروائي حول مسألة رؤية الله في الدنيا والآخرة وفي المنامات، وما استتبع ذلك من وصف للذات العلية، وأثر عقيدة التجسيم عند القدماء من أحبار اليهود على ما جاء في التراث الإسلامي في هذا الإطار، وعلى آراء بعض المذاهب الإسلامية القائلة بالتجسيم وتشبيه الذات الإلهية المقدّسة بالإنسان.

الفصل الثامن: يستعرض عدة موضوعات متفرّقة، من بينها توضيح ما يخصّ الألواح البديلة بعد أن حطّم النبي موسى نسختها الأولى، والوعد الإلهي لبني إسرائيل بالنصر على أعدائهم بصورة مشروطة، وسبب ارتداء النبي موسى البرقع بعد لقاء الله.

الفصل التاسع: بعد انتهاء أحداث السنة الأولى من بعد عبور البحر، يبدأ هذا الفصل باستعراض أحداث السنة الثانية منه، وأولها الإعداد للحرب القادمة في أرض كنعان، بتشكيل الكتائب المقاتلة بحسب عدد أسباط بني إسرائيل، وتعيين قادتها وألويتها. ثم شكوى بني إسرائيل من اقتصار طعامهم على المنّ، وقصة زواج النبي موسى بالمرأة الكوشية، وما لاقاه بسبب ذلك من أذى، وأوجه التشابه بين معاناة نبينا محمد ومعاناة النبي موسى من الناحية الاجتماعية. كما يستعرض هذا الفصل

تكليف اثني عشر رجلاً من بني إسرائيل بجمع المعلومات عن أرض كنعان، وما جرى لهم بعد عودتهم، وحكم الله الصادر بحق بني إسرائيل بالتيه أربعين سنة، ومصدر أسطورة عوج بن عنق في مرويّات المسلمين.

الفصل العاشر: هذا الفصل يناقش أوجه الشبه والاختلاف بين شخصيّتي قارون في القرآن الكريم وقورح في التوراة والتراث الكتابي. كما يحكي قصة التمرد الذي قاده قورح ضد النبي موسى، وكيف انتهى.

الفصل الحادي عشر: يختصّ بقصة البقرة الصفراء، وكيف نثبت خطأ ما في التوراة الحاضرة حول تحديد لونها. كما يتحدّث هذا الفصل عن الغاية من تشريع سبت البقرة، وعلاقة ذلك بإعادة بناء الهيكل الثالث في القدس، وسرّ وصف القرآن الكريم قلوب بني إسرائيل بأنها كالْحجارة بعد الانتهاء من سرده لقصة البقرة.

الفصل الثاني عشر: يتناول هذا الفصل حدّثي وفاة مريم وهارون ابني عمران، وما ادّعته التوراة من غضب الله على موسى بسبب الخطأ الذي وقع فيه عند تنفيذه إحدى الآيات المعجزة. كما ويتحدّث الفصل عن حروب بني إسرائيل في طريقهم لدخول الأردن وصولاً إلى شمال البحر الميت، وحكاية تعلّقهم بالحياة النحاسية (نحشتان) التي تحوّلت إلى معبود يُتقرَّب إليه طلباً للشفاء والسلامة.

الفصل الأخير: يسدل هذا الفصل الستار على سيرة الكليم ضمن عرض بعض أحداث السنة الأربعين والأخيرة من حياته، حيث يعيّن يوشع وصياً، ويدوّن التوراة، ويستودعها عند تابوت العهد، ثم يُتوفّى غريباً بعيداً عن قومه. كما يناقش هذا الفصل الخلفية الإسرائيلية لادعاء محاولات النبي موسى الهروب من الموت.

ويمتاز هذا الجزء -كسابقه- بعرض وتفسير ومحاولة تأويل آيات عديدة عرّضت هذا المقطع من سيرة النبي موسى وبني إسرائيل، مما جعل البحث ثرياً بالمادّة القرآنية، علاوة على ما التزمْتُ به في الجزئين الأول والثاني من منهج المقارنة بين السردية القرآنية وأخبار ومرويات المسلمين من جهة، وبين ما جاء في خصوص التوراة ثم في التراث الكتابي المدرashi والتلمودي من جهة أخرى، واعتماد أسلوب التحليل والتحقيق للوصول إلى أقرب النتائج وأكثرها مقبولة بحسب الأدلة والشواهد والقرائن الظرفية واللفظية.

ولم يغب عن هذا الجزء أيضاً العمل على البحث في الموروث اليهودي -على تنوّعه- عن مصادر وجذور الروايات الإسرائيلية التي غزّت كتب التفسير والحديث والتاريخ والتراث الإسلامي حول هذا المقطع من سيرة الكليم موسى بن عمران «عليه السلام»، كما ووقّفتني الله «تعالى» لإثبات صحّة القرآن الكريم في وصفه البقرة بالصفراء، مقارنةً بما جاء في التوراة التي وصفتها باللون الأحمر، مستعيناً بعدة مصادر كتابية قديمة وحديثة، ولعلّ بحثي بهذا الخصوص هو الأوّل من نوعه، ولم يسبقني إليه أحد من حيث تنوع مصادر الأدلة وتعدّدها.

كما ومنّ عليّ الله «تعالى» بتأكيد صحة ما جاء في كتابه المجيد حول نتق ورفع الطور فوق بني إسرائيل، وهي المفردة التي غابت عن التوراة، ودُكرت فيها بوصف آخر، مستعيناً بتصريحات واعترافات عددٍ من رجال الدين اليهودي بهذا الخصوص، وصولاً إلى اعتراف بعضهم بوقوع خطأ في التوراة الحاضرة.

ولا تقتصر النتائج الفريدة التي توصّلت إليها في كتابي هذا على النقاط السابقة، إذ

قدّمت فيه عدة استخلاصات مهمّة تخصّ الدراسات الإسرائيلية، بما في ذلك مناقشة وتخطيط ادّعاء اليهود اليوم حول حقّهم التاريخي والشرعي في أرض فلسطين، على الرغم من إقرارنا -وفقاً للنص القرآني- بأن الله قد كتبها لبني إسرائيل إذ قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾^(١)، إلا أن ذلك العطاء كان مشروطاً، ولم يكن لهم خاصّة وبلحاظ قومي كما يدّعون، بل كان لهم بعنوان أنهم أتباع الرسل وحمة التوحيد، فلما تخلّوا عن ذلك، أبدلهم بقوم آخرين.

ومع الانتهاء من هذا الجزء، أأمل أن يوفّقني الله «تعالى» لكتابة مختصر حول سيرة الكليم «عليه السلام»، يكون بمثابة خلاصة لما جاء في الأجزاء الثلاثة.

أخيراً، ننبّه إلى أنّ في بداية كل فصل نقاط حول ما سيتم تناوله وبحته فيه، كما وفي نهاية الفصل خلاصة للنتائج التي تمّ التوصل إليها.

أسأل الله «سبحانه وتعالى» أن يتقبّل هذا العمل بأحسن القبول، وأن يغفر لي زلاتي وأخطائي وقصوري في ما قدّمت، إنه سميع مجيب، وأكرّر شكري لكل من ساهم في تكامل هذا الجزء من سيرة الكليم موسى بن عمران خلال عرضه في محاضرات شهر رمضان لسنة ١٤٤٦ هـ، وكان نتاجه هذا الكتاب.

علي حسن غلوم علي

الكويت - ١٤٤٦ هـ / ٢٠٢٥ م

من التوحيد إلى الشرك

من التوحيد إلى الشرك

• موضوعات هذا الفصل:

- طلب بني إسرائيل من موسى -بعد عبور البحر- أن يجعل لهم إلهاً... أين تمّ ذلك؟ ومتى؟ ومن هم القوم الذين التقوا بهم؟ وهل تحدثت التوراة عن هذا المشهد؟
- أول حدث وقع -بحسب التوراة الحاضرة- هو الاحتفال بالنجاة، فما تفاصيل هذا الاحتفال؟ وما دور مريم أخت النبيين موسى وهارون في إقامته؟
- مناقشة وصف التوراة لمريم بأنها كانت نبيّة، وعرض لبعض آراء أهل الاختصاص من اليهود والنصارى والمسلمين حول اتخاذ الله النساء نبيّات.

• اجعل لنا إلهاً !

توقّفنا في الجزء الثاني من سيرة النبي موسى «عليه السلام» عند استعراض أحداث وتفاصيل الخروج من مصر، ثم النجاة من ملاحقة فرعون وجنوده الذين غرقوا في

البحر، بينما عبر من خلاله بنو إسرائيل بعد أن انفلق لهم بأمر الله «سبحانه»... فماذا جرى بعد ذلك؟

أول حدث تعرّض له القرآن الكريم -بحسب ظاهر السياق- هو طلب بني إسرائيل أن يتخذ لهم موسى «عليه السلام» إلهاً مجسماً أسوةً بحال القوم المشركين الذين كانوا مستقرّين في مكان ما من شبه جزيرة سيناء، وذلك بعد عبور البحر: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّءٌ مِمَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾^(١).

عَكَفَ عَلَى الشَّيْءِ: أَقَامَ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ مُوَظِّبًا لَا يَصْرِفُ عَنْهُ وَجْهَهُ. وَتَبَرَّه تَثْنِيًا: أَي كَسَرَهُ وَأَهْلَكَهُ. وَهَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّءٌ مِمَّا هُمْ فِيهِ أَي مُكَسَّرٌ مُهْلَكٌ.

كان من المفترض ببني إسرائيل -بعد كما الآيات التي عاينوها بأنفسهم- أن لا يحيدوا عن توحيد الله، وأن لا يتخذوا من الأصنام أو الأوثان^(٢) إلهاً، إلا أنهم كانوا متشبّعين بعقائد وطقوس قدماء المصريين في اتخاذ الأصنام والأوثان والآلهة المصوّرة في هيئة عجل، وقط، وتمساح، أو مزيج من الصورة البشرية والحيوانية وغيرها مما تُظهره آثارهم في هذا العصر. [انظر اللوحة ١]

ومما يدلّ على ذلك، قوله «تعالى» في وصف مشاعرهم وأمانيتهم: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ

١. سورة الأعراف: ١٣٨-١٤٠.

٢. قيل إن الفرق بينهما يتمثل في كون الوثن هو ما صُنع من الحجارة، والصنم ما صُنع من مواد أخرى كالخشب أو الذهب أو الفضة أو غيرها، وقيل بل إن الفرق يتمثل في أن الصنم ما كان له صورة، كشكل إنسان أو حيوان، أما الوثن فهو ما لا صورة له، كما لو كان قطعة حجر مكعبة.



اللوحة رقم ١ : نماذج من آلهة المصريين القدماء كما في جاء كتاب الموتى

الْعِجْلَ يَكْفُرِهِمْ ﴿٣٩﴾^(١)، وكذلك تفاعلهم مع ما عرضه عليهم السامري حين غاب عنهم موسى «عليه السلام»، فاتخذوا عجلاً صنعوه من حليهم: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾﴾^(٢).

علاوة على ذلك، فقد عُهد من بني إسرائيل ميلهم إلى الماديات بقدر يفوق اهتمامهم ورعايتهم للجوانب الروحية والغيبية، وهذا ما انعكس لاحقاً على عودتهم لاتخاذ الأوثان، وللشرك بالله، في أكثر من مقطع زمني من تاريخهم، كما يحكي عنهم التنخ (العهد القديم)، وانعكس كذلك على تلاعب أحبارهم أحياناً في التشريعات السماوية وتحريفها من أجل تحقيق مكاسب مادية، وبطرق ملتوية، بدليل قوله «تعالى»: ﴿قَوْلٌ

١. سورة البقرة: ٣٩.

٢. سورة البقرة: ٥١.

لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
 قَوْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾^(١). ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
 مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بدينارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا
 دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى
 اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٨١﴾
 إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَّا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
 وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨٢﴾^(٢).

وأكد هذه الفكرة العلامة الطباطبائي في تفسيره حيث قال: (غير أن بني إسرائيل
 - كما يُستفاد من قصصهم - كانوا قوماً ماديين حسيين يجرون في حياتهم على أصالة
 الحس، ولا يعتنون بما وراء الحس إلا اعتناءً تشريفياً من غير أصالة ولا حقيقة،
 وقد مكثوا تحت إسارة القبط سنين متطاوله، وهم يعبدون الأوثان، فتأثرت من ذلك
 أرواحهم، وإن كانت العصبية القومية تحفظ لهم دين آبائهم بوجه. ولذلك كان جلُّهم
 لا يتصورون من الله «سبحانه» إلا أنه جسم من الأجسام، بل جوهر ألوهي يشاكل
 الإنسان كما هو الظاهر المستفاد من التوراة الدائرة اليوم، وكلما كان موسى يُقرب الحق
 من أذهانهم حوِّله إلى أشكال وتمثيل يتوهمون له «تعالى». لهذه العلة لما شاهدوا في
 مسيرهم قوما يعكفون على أصنام لهم، استحسنوا مثل ذلك لأنفسهم، فسألوا موسى
 «عليه السلام» أن يجعل لهم إلهاً كما لهم آلهة يعكفون عليها)^(٣).

١. سورة البقرة: ٧٩.

٢. سورة آل عمران: ٧٥-٧٧.

٣. الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ٤٨، ص ٢٣٤.

وأما الطريقة التي عالج بها النبي موسى «عليه السلام» هذا الخلل وفق ما جاء في الآيات الشريفة، فكانت كالتالي:

١. لامهم على جهلهم بمقام الله ربهم مع وضوح أن طريق الوثنية والتجسيم والتشبيه طريق باطل هالك: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبِاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ (١).

٢. عرّف لهم ربّهم بالصفة، وأنه لا يُصوّر في هيئة صنم أو وثن، ولا يُحدّ بمثال، وكل ما يخالف ذلك لن يكون هو الله ربهم الحقيقي الذي لا إله سواه: ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١٤٠) (٢).

قال العلامة الطباطبائي: (فكأنّهم قالوا: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. فقال: كيف ألتمس لكم رباً مصنوعاً وهو غير الله ربكم؟ وإذا كان غيره، فعبادته متبرّة باطلة. فقالوا: فكيف نعبد ولا نراه، ولا سبيل لنا إلى ما لا نشاهده؟ فقال: اعبدوه بما تعرفونه من صفته، فإنّه فضلكم على سائر الأمم بآياته الباهرة، ودينه الحق، وإنجائكم من فرعون وعمله، فالآية - كما ترى - ألطف بيان وأوجز برهان يجلي عن الحق الصريح للأذهان الضعيفة التعقّل) (٣).

• ذات أنواط:

جاء في كتب التفسير والحديث والسيرة النبوية - وفي أجواء التعرّض لهذا المشهد

١. سورة الأعراف: ١٣٨-١٣٩.

٢. سورة الأعراف: ١٤٠.

٣. الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ٤٨، ص ٢٣٤.

من سيرة النبي موسى بياناً أو تفسيراً- أن بعض المسلمين اقترحوا على النبي محمد «صلى الله عليه وآله» أن يتخذ لهم شجرةً يقدّسونها ويتوسّلون إليها لقضاء حوائجهم، أسوةً بالمشرّكين، ومن ذلك ما رواه الطبري في تفسيره: (عن الزُّهري: أن أبا واقد الليثي^(١)) قال: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قَبْلَ حُنَيْنٍ، فمررنا بِسَدْرَةٍ، قلت: يا نبي الله، اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط! وكان الكفار ينوطون سلاحهم بِسَدْرَةٍ يعكفون حولها، فقال النبي «صلى الله عليه وسلم»: الله أكبر! هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، إنكم ستركبون سنن الذين من قبلكم^(٢).

في لسان العرب لابن منظور: (ناط الشيء يَنُوطُه نَوَاطًا: عَلَّقَهُ.... وذاتُ أنواطٍ: شجرة كانت تُعبد في الجاهلية... قال ابن الأثير: هي اسم سَمُرَةٍ بعينها كانت للمشرّكين، يَنُوطون بها سلاحهم، أي يعلّقونه بها، ويَعْكُفون حولها^(٣)).

أي أن ذات أنواط الخاصة بالمشرّكين كانت من شجر السمر، بينما الشجرة التي اقترح أبو واقد الليثي اتخاذها مثيلاً لشجرة المشرّكين فكانت من شجر السدر. [انظر اللوحتين ٢-٣].

وحول تقديس الأشجار من قبل العرب الجاهليين، وبعض التفاصيل الخاصة بذات

١. في سير أعلام النبلاء للذهبي: (أَبُو وَقْدٍ اللَّيْثِيُّ صاحب النبي «صلى الله عليه وسلم»، سَمَاهُ البخاري وغيره: الحارث بن عوف. وقال البخاري وأبو أحمد الحاكم: شهد بدرًا. وعن سنان بن أبي سنان الدؤلي: أن أبا واقد الليثي أسلم يوم الفتح) ولعل هذا أوفق بطلبه أن يتخذ النبي شجرة كذات أنواط، وقيل هما شخصيتان، أحدهما بدري والآخر أسلم يوم الفتح.

٢. الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ح ١١٧٦٤.

٣. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٤٢٠.



اللوحة رقم ٢ : شجر السدر وثمره (النبق)



اللوحة رقم ٣ : شجرة من أشجار السَّمر

أنواط، قال الدكتور جواد علي: (ومن مظاهر الشرك المتجلي في التعبد للأُمُور الطبيعية الملموسة، عبادة الشجر، وهي عبادة شائعة معروفة عند الساميين. وقد أشار ابن الكلبي إلى نخلة نجران وهي نخلة عظيمة كان أهل البلد يتعبّدون لها، [لها عيد في كل سنة. فإذا كان ذلك العيد علّقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي للنساء، فخرجوا إليها يوماً وعكفوا عليها يوماً]. ومنها العُزَى، وذات أنواط. يحدثنا أهل الأخبار عن ذات أنواط، فيقولون: ذات أنواط: شجرة خضراء عظيمة، كانت الجاهلية تأتيها كل سنة تعظيماً لها، فتعلّق عليها أسلحتها وتذبح عندها، وكانت قريبة من مكة. وذكر أنهم كانوا إذا حَجَّوا، يعلّقون أرديتهم عليها، ويدخلون الحرم بغير أردية، تعظيماً للبيت، ولذلك سُمّيت ذات أنواط. وقد روي أن بعض الناس قال: [يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط]. ونستطيع أن نقول إن آثار عبادة الشجر لا تزال باقية عند الناس. تظهر في امتناع بعضهم وفي تهيبهم من قطع الشجر؛ لاعتقادهم أنهم إن فعلوا ذلك أُصيبوا بنازلة تنزل بهم وبمكروه سيحيق بهم. ولذلك تركوا بعض الشجر كالسدر فلم يتعرّضوا له بسوء^(١).

وملاحظتي على كلامه أن ترك قطع بعض الشجر لا ينطلق - أحياناً - من باب التقديس والعبادة، بل تخوّفاً من أن تكون مسكونة بالجن - كما يعتقدون - فيؤدّي قطعها بحسب هذا المعتقد إلى إزعاج الجن وإغضابهم، ولربما تصدر عنهم بعض ردود الأفعال المؤذية.

وقد انتقلت هذه القداسة الموهومة لشجرة السدر إلى ثقافة المسلمين، ومن خلال بعض المرويات، وإلى درجة ظن البعض تحريم قطعها مطلقاً، وهو ما ينعكس في السؤال برقم (٤٥٦٧١) الموجه إلى موقع (الإسلام سؤال وجواب) تحت إشراف الشيخ محمد

١. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١١، ص ٦٠.

صالح المنجد: (هل قطع شجرة السدر حرام؟ علماً بأنني أنا الذي زرعتها، ولكن الآن لا أريدها في ذاك المكان، فهل يجوز لي أن أقطعها؟) وجاء الجواب كالتالي:

(ورد النهي عن قطع شجر السدر في أحاديث فيها كلام من حيث إسنادها، وصحّحها بعض أهل العلم، والصحيح في النهي -بعد ثبوته- أنه خاص بأمرين: قطع الشجر الذي يُتَّخَذُ لِلظِّلِّ، أو قطع شجر السدر في حدود الحرم، وأما ما عداهما مما يزرعه الإنسان في بيته أو بستانه فلا حرج عليه من قطعه. قال ابن القيم - تحت فصل [كليات في الموضوعات]: [ومن هذا: أحاديث مدح العزوبة، كلها باطلة، ومن ذلك: أحاديث النهي عن قطع السدر، قال العقيلي: لا يصح في قطع السدر شيء، وقال أحمد: ليس فيه حديث صحيح] [المنار المنيف: ص ١١٧، ١١٨]، لكن الشيخ الألباني حسن بعض أحاديث النهي، ومنها:

أ. عن عائشة «رضي الله عنها» قالت: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: إن الذين يقطعون السدر يُصَبَّون في النار على رؤوسهم صَبًّا. رواه البيهقي [١٤٠/٦]. وحسنه الشيخ الألباني في [صحيح الجامع: ١٦٩٦].

ب. عن معاوية بن حيدة عن النبي «صلى الله عليه وسلم» قال: [قاطع السدر يُصَوَّبُ الله رأسه في النار]. [رواه البيهقي: ١٤١/٦]، وحسنه الشيخ الألباني في [السلسلة الصحيحة: ٦١٥]. وقال تحت الحديث السابق: [تأوله أبو داود بقوله: «هذا الحديث مختصر، يعني: مَنْ قطع سِدْرَةً في فلاة يستظل بها ابنُ السبيل والبهائم، عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها، صَوَّبَ الله رأسه في النار». وذهب الطحاوي إلى أنه منسوخ، واحتج بأن عروة بن الزبير -وهو أحد رواة الحديث- قد ورد عنه أنه قطع السدر.

قلت: وأولى من ذلك كله عندي أن الحديث محمول على قطع سدر الحرم، كما أفادته زيادة الطبراني في حديث عبد الله بن حبشي، والزيادة هي «يعني: من سدر الحرم»، وبذلك يزول الإشكال، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات...[.

والخلاصة: أن أحاديث النهي عن قطع السدر إما أحاديث ضعيفة لا تصح، وإما أنها حسنة، وتُحمَل على أحد معنيين:

الأول: قطع السدر الذي يستظل به الناس عبثاً من غير حاجة ولا مصلحة.

الثاني: قطع شجر السدر الذي يكون في الحرم، وعلى هذا لا حرج عليك في قطع هذه الشجرة التي زرعها ما لم تكن زرعها في طريق ليستظل بها الناس^(١).

• هل للقصة أثر في التوراة؟

بعد أن استعرضنا ما جاء في القرآن حول ذلك الطلب الصادر عن بني إسرائيل، والخاص باتخاذ صنم أو وثن، يأتي السؤال حول ما إذا كانت التوراة قد تطرقت لهذا الحدث؟ وإن كانت الإجابة مثبتة، فما هي التفاصيل التي قدّمته بهذا الخصوص، كما هي طريقتنا في عقد المقارنات بين السرديتين القرآنية والتوراتية لسيرة النبي موسى «عليه السلام»، لاسيما بلحاظ أن القرآن الكريم ذكر الحدث بصورة مجملة جداً.

سياق سرد الآيات القرآنية للأحداث واستعمال الفاء الدالة على الترتيب في المعنى، حيث يكون المعطوف بها لاحقاً، متصلاً، بلا مهلة، كل ذلك يؤيد أن هذا الحدث قد وقع بعد عبور البحر بفترة وجيزة.

1. <https://islamqa.info/ar/answers/45671>

نعم قد تُستعمل الفاء مع الدلالة على التراخي، كقوله «تعالى»: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ (١)، حيث أن تحوّل النبات إلى غثاء لا يكون فورياً وبلا مهلة. وفي هذه الحالة يكون استعمال الفاء مع تقدير متصل قبله، أو بحمل الفاء على معنى (ثم)، لأنهما يدلّان على الترتيب.

فإذا قلنا بأن الفاء هنا دالة على الفورية، فلن نجد في التوراة الحاضرة حدثاً من هذا القبيل. أما إذا قلنا بأن الفاء هنا للتراخي كأن تكون بمعنى (ثم)، فسنجد مورداً في التوراة يتحدث عن وقوع بني إسرائيل في خطيئة الشّرك بالله، وذلك في السنة الأربعين من الخروج، وقبل وفاة النبي موسى بزمان قليل. ففي سفر العدد من التوراة: (١) وَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي شِطِّيمَ، وَابْتَدَأَ الشَّعْبُ يَزْنُونَ مَعَ بَنَاتِ مُوآبَ. ٢ فَدَعَوْنَ الشَّعْبَ إِلَى ذَبَائِح آلِهَتِهِنَّ، فَأَكَلَ الشَّعْبُ وَسَجَدُوا لِآلِهَتِهِنَّ. ٣ وَتَعَلَّقَ إِسْرَائِيلُ بِبَعْلِ فُغُورَ (٢) فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ. ٤ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «خُذْ جَمِيعَ رُؤُوسِ الشَّعْبِ وَعَلِّقْهُمْ لِلرَّبِّ مُقَابِلَ الشَّمْسِ» (٣)، فَيَزْتَدِّ حُمُؤُ غَضَبِ الرَّبِّ عَنِ إِسْرَائِيلَ» (٤).

وشطّيم -بحسب قاموس الكتاب المقدس- كانت تقع في سهول موآب، شرقي الأردن مقابل مدينة أريحا الفلسطينية. وسنتناول هذه القصة بالتفصيل عند عرض أحداث تلك السنة من سيرة النبي موسى بإذن الله «تعالى».

ومن المستبعد أن يكون هذا الحدث هو الذي أشار إليه القرآن، لأن الفارق بينهما

١. سورة الأعلى: ٤-٥.

٢. فغور اسم جبل في الأردن، وهذا إله منسوب لهذا الجبل.

٣. أي يُقتلون ثم يعلّقون.

٤. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ٢٥، ١-٤.

واضح، ففي الآيات القرآنية أنهم طلبوا من موسى «عليه السلام» أن يتخذ لهم إلهاً مجسماً، وأما في السردية التوراتية فقد أقبلوا بأنفسهم على أمرين: الزنا، والسجود لآلهة أولئك القوم، ومن هذا نستنتج أن ما تتحدث عنه الآيات القرآنية مورد آخر وسابق على هذا الحدث المذكور في التوراة.

ومما يؤيد القرب الزمني للحدث ما روي من أن رأس الجالوت^(١) قال لأمير المؤمنين علي «عليه السلام» مستشكلاً على وقوع الحروب بين المسلمين على عهده: (لم تلبثوا بعد نبيكم إلا ثلاثين سنة حتى ضرب بعضكم وجه بعض بالسيف، فقال «عليه السلام»: وأنتم لم تحف أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾^(٢)).

وما دام الأمر كذلك، فلن يتيسر لنا تحديد موقع الحدث جغرافياً، ومن هم المشركون الذين التقوا بهم، وما هي أسماء الآلهة التي كانوا يعبدونها، وما هي صورتها، وغير ذلك من التفاصيل.

• رأي الدكتور ريجان:

إلا أن للخبير الأثري المصري د. عبد الرحيم ريجان مدير عام البحوث والدراسات الأثرية والنشر العلمي بسيناء ووجه بحرى رأياً آخر، حيث قام بتحديد الموقع، وطبيعة المكان، وذلك وفق تصوّره لمجريات الأحداث ومسار رحلة النبي موسى «عليه السلام» بعد العبور.

١. لقب رأس الجالية اليهودية في العراق آنئذ.

٢. ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٣٢٤.

قال: (اختلفت الآراء حول تحديد محطات طريق خروج بني إسرائيل في سيناء، ولكن هناك بعض الشواهد الباقية حتى الآن تتفق مع ما ذكر في القرآن الكريم والعهد القديم، ومنها منطقة عيون موسى ٣٥ كم جنوب شرق السويس، والمنطقة الآن بها أربع عيون واضحة، قطر أحد هذه العيون ٤ م، ولقد اختفت بقية العيون نتيجة تراكم الرمال، وتحتاج إلى رفع هذه الرمال للوصول لمستوى الصخر لاكتشاف بقية العيون الاثني عشر التي تفجرت لنبي الله موسى وبني إسرائيل. وأثبتت الدراسات الحديثة التي قام بها فيليب مايرسون أن المنطقة من السويس حتى عيون موسى منطقة قاحلة جداً وجافة، مما يؤكد أن بني إسرائيل استبد بهم العطش بعد مرورهم كل هذه المنطقة، حتى تفجرت لهم العيون، وكان عددها ١٢ عيناً بعدد أسباط بني إسرائيل، ولقد وصف الرحالة الذين زاروا سيناء في القرن ١٨، ١٩ م هذه العيون، ومنهم ريتشارد بوكوك. والمحطة الثانية هي منطقة معبد سراييت الخادم ١٣٨ كم جنوب شرق السويس الذي مرّ عليها بنو إسرائيل طبقاً لنص القرآن في سورة الأعراف آية ١٣٨، وهي المنطقة الوحيدة التي تقع في طريقهم من عيون موسى بها تماثيل، حيث طلب بنو إسرائيل من نبي الله موسى أن يجعل لهم إلهاً من هذه التماثيل. وكلمة سراييت مفردها سربوت، وتعني عند أهل سيناء الصخرة الكبيرة القائمة بذاتها، أما الخادم فلأن هناك أعمدة بالمعبد تشبه الخدم السود البشرة، ولهذا سمي معبد سراييت الخادم، وكانت كل حملة تتجه لسيناء لتعدين الفيروز ينقشون أخبار الحملة على هذه الصخور المنفصلة بالمعبد)^(١).

وقال في مقال نُشر عن دراساته في هذا النطاق: (المنطقة الوحيدة التي تحوي معبداً مصرياً قديماً بجنوب سيناء يحوي تماثيل هي منطقة سراييت الخادم وهو جبل صغير

١. ريجان: سيناء ملتقى الأديان والحضارات، ص ١٤٤-١٤٥.

مستطيل الشكل مسطح الرأس يقع على بعد ٢٥ كم قرب ميناء أبو زنيمة على خليج السويس... كل حملة كانت تتجه لسيناء لتعدين الفيروز منذ الأسرة الثالثة وحتى الأسرة العشرين تنقش أخبارها على هذه الصخرة الكبيرة القائمة بذاتها الموجودة بالمعبد، ويقع المعبد على قمة الجبل، وطوله ٨٠ م وعرضه ٣٥ م، وقد كُرس لعبادة حتحور التي أُطلق عليها في النصوص المصرية القديمة [نبت مفكات] أي سيدة الفيروز. كما يضم المعبد قاعة لعبادة [سوبد] الذي أُطلق عليه [نبت سشمت]، أي رب سيناء. وبالمعبد هيكلان محفوران في الصخر أحدهما خاص بالمعبودة حتحور، وأقيم في عهد الملك سنفرو، والآخر خاص بالمعبود سوبد، ومدخل المعبد تكتنفه لوحتان إحداهما من عصر رمسيس الثاني والأخرى من عصر الملك ست نخت، أول ملوك أسرة ٢٠. وبلي المدخل صَرْحٌ شُيِّد في عصر تحتمس الثالث يؤدي لمجموعة من الأبنية المتعاقبة. وتقيم بالمعبد من وقت لآخر مجموعة خاصة لتعدين الفيروز من سرايت الحادم ومن منطقة المغارة القريبة منه، وما زالت بها أماكن استخراج عروق الفيروز حتى الآن، ولم يتعرضوا لبني إسرائيل بأيّ أذى، ربما لعدم معرفتهم بقصة خروجهم واعتقادهم أنهم مجرد مجموعة من أهل المنطقة ولم يحاول أحد منهم التحرش بالآخر^(١). [انظر إلى اللوحات من ٤-١١].

تعليق: كنا قد تحدّثنا في الجزء الثاني من الكتاب عن احتمالات الموقع الذي عبر منه بنو إسرائيل وغرق فيه فرعون وجنوده، وسواء أكان عند مدينة السويس أو غيرها، فإن التوراة تتحدث عن أن النبي موسى «عليه السلام» قصد جبل الطور بعد العبور من البحر، أي قصد جنوب سيناء، وهناك كان اللقاء المجدّد مع الله «سبحانه»،

1. <https://www.alarabiya.net/arab-and-world/egypt/2017/03/21>



اللوحة رقم ٤ : موقع عيون موسى بالنسبة إلى بررعمسيس ومدينة السويس



اللوحة رقم ٥ : موقع عيون موسى بالنسبة إلى مدينة السويس



اللوحة رقم ٦ : عين -بئر- منسوبة إلى النبي موسى في منطقة عيون موسى



اللوحة رقم ٧ : آثار عين منسوبة إلى النبي موسى في منطقة عيون موسى



اللوحة رقم ٨ : موقع سراييت الخادم بالنسبة إلى جبل الطور وعيون موسى



اللوحة رقم ٩ : موقع معبد سراييت الخادم بين المرتفعات في سيناء



اللوحة رقم ١٠ : من آثار معبد سرابيت الخادم



اللوحة رقم ١١ : الإله حتحور من آثار معبد سرابيت الخادم

فإن قبلنا ذلك، فإنّ إمكانية أن يكون هذا الموقع هو الذي شاهد فيه بنو إسرائيل القوم المشركين أمر مقبول ومحتمل، ولكن ما الدليل على عدم وجود معابد أخرى في تلك المنطقة الجغرافية الواسعة في ذلك الزمان؟ فالدكتور ريجان أرسل كلامه السابق إرسال المسلّمات، ولم يقدّم لنا أيّ دليل مُقنع. كما ولا يصح أن يُدعى أن البحوث والتنقيبات الآثارية هناك قد تمّت بشكل كامل.

ثم إننا لا نعلم هل كان المكان -المشار إليه في القرآن الكريم- معبداً أم مجتمعاً بشرياً كأى مجتمع آخر في ذلك الزمان تُعبد فيه الأصنام أو الأوثان. وعليه، فإننا لا نستطيع أن نتيقّن من أن هذا المعبد هو بالفعل والتأكيد المكان الذي جرت فيه الحادثة التي ذكرها القرآن الكريم.

• الاحتفال بالخروج والنجاة:

إذا استقربنا -من خلال السردية القرآنية- أن أوّل حدث رئيس بعد الخروج من مصر والنجاة من فرعون وجنوده هو الطلب من النبي موسى «عليه السلام» أن يتّخذ لهم إلهاً مجسّداً، فإنّ أول أمر تحدّث عنه التوراة بعد العبور هو إقامة الاحتفالات بهذه المناسبة، إذ يبدأ الإصحاح ١٥ من سفر الخروج بعرض الأحداث التي تلت نجاة بني إسرائيل من فرعون وجنوده، وأولها تسبيح الله «تعالى» والابتهاال إليه شكراً، مع وصف تعظيمي مختصر للأحداث الخاصة بانفلاق البحر وغرق فرعون وجنوده، وأثر انتقال هذا الخبر في الآفاق:

(١) حِينَئِذٍ رَتَمَ مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيلَ هَذِهِ التَّسْبِيحَةَ لِلرَّبِّ وَقَالُوا: «أَرْتَمُ لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ. الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ. ٢ الرَّبُّ قُوَّتِي وَنَشِيدِي، وَقَدْ صَارَ خَلَاصِي.

هَذَا إِلَهِي فَأُجِدُّهُ، إِلَهَ أَبِي فَأَرْقَعُهُ. ٣ الرَّبُّ رَجُلٌ الْحَرْبِ. الرَّبُّ اسْمُهُ. ٤ مَرْكَبَاتُ فِرْعَوْنَ وَجَيْشُهُ أَلْقَاهُمَا فِي الْبَحْرِ، فَغَرِقَ أَفْضَلُ جُنُودِهِ الْمَرْكَبِيَّةِ فِي بَحْرِ سُوفَ، ٥ تُغَطِّيهِمُ اللَّجَجُ. قَدْ هَبَطُوا فِي الْأَعْمَاقِ كَحَجَرٍ. ٦ يَمِينُكَ يَا رَبُّ مُعْتَزَّةٌ بِالْقُدْرَةِ. يَمِينُكَ يَا رَبُّ تُحْطَمُ الْعُدُو. ٧ وَبِكَثْرَةِ عَظَمَتِكَ تَهْدِمُ مَقَاوِمِيكَ. تُرْسِلُ سَخَطَكَ فَيَأْكُلُهُمْ كَالْقَشِّ، ٨ وَبِرِيحِ أَنْفِكَ تَرَاكَمَتِ الْمِيَاهُ. انْتَصَبَتِ الْمَجَارِي كَرَابِيَةٍ. تَجَمَّدَتِ اللَّجَجُ فِي قَلْبِ الْبَحْرِ. ٩ قَالَ الْعَدُو: أَتَبْعُ، أَدْرِكُ، أَقْسَمُ غَنِيمَةً. تَمْتَلِئُ مِنْهُمْ نَفْسِي. أُجَرِّدُ سَيْفِي. تُفْنِيهِمْ يَدِي. ١٠ نَفَخْتَ بِرِيحِكَ فَغَطَّاهُمُ الْبَحْرُ. غَاصُوا كَالرَّصَاصِ فِي مِيَاهِ غَامِرَةٍ. ١١ مَنْ مِثْلُكَ بَيْنَ الْآلِهَةِ يَا رَبُّ؟ مَنْ مِثْلُكَ مُعْتَزًّا فِي الْقَدَاسَةِ، مُحَوِّفًا بِالتَّسَابِيحِ، صَانِعًا عَجَائِبَ؟ ١٢ تَمُدُّ يَمِينَكَ فَتَبْتَلِعُهُمُ الْأَرْضُ. ١٣ تُرْسِدُ بِرَأْفَتِكَ الشَّعْبَ الَّذِي قَدَيْتَهُ. تَهْدِيهِ بِقُوَّتِكَ إِلَى مَسْكَنِ قُدْسِكَ. ١٤ يَسْمَعُ الشُّعُوبُ فَيَرْتَعِدُونَ. تَأْخُذُ الرَّعْدَةُ سَكَّانَ فِلِسْطِينَ. ١٥ حِينَئِذٍ يَنْدَهَشُ أَمْرَاءُ أَدُومَ. أَقْوِيَاءُ مُوَابَ تَأْخُذُهُمُ الرَّجْفَةُ. يَذُوبُ جَمِيعُ سَكَّانِ كَنْعَانَ. ١٦ تَقَعُ عَلَيْهِمُ الْهَيْبَةُ وَالرُّعْبُ. بِعَظَمَةِ ذِرَاعِكَ يَصْمُتُونَ كَالْحَجَرِ حَتَّى يَعْبُرَ شَعْبُكَ يَا رَبُّ. حَتَّى يَعْبُرَ الشَّعْبُ الَّذِي اقْتَنَيْتَهُ. ١٧ تَجِيءُ بِهِمْ وَتَغْرِسُهُمْ فِي جَبَلِ مِيرَاثِكَ، الْمَكَانِ الَّذِي صَنَعْتَهُ يَا رَبُّ لِسَكْنِكَ الْمُقَدَّسِ الَّذِي هَيَّأْتَهُ يَدَاكَ يَا رَبُّ. ١٨ الرَّبُّ يَمْلِكُ إِلَى الدَّهْرِ وَالْأَبَدِ»^(١).

ومن الواضح أن الفرق كبير بين أن يذكر القرآن الكريم أن أول موقف بارز لهم بعد العبور والنجاة هو الميل إلى الشرك، وهو كفر بالتوحيد وكفر بالنعمة، وبين أن تذكر التوراة أن أول موقف بارز لهم بعد العبور والنجاة تمثل في الدعاء والابتهاال شكراً وامتناناً.

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٥، ١٨-١٨.

ولا نستطيع أن نقطع ونجزم بعدم وقوع الدعاء والشكر الابتهاًل بحسب ما جاء في التوراة، فهو أمر ممكن ومنطقي بلحاظ قيادة النبي موسى للركب، ولكن لعل سبب ذكر القرآن لذلك المشهد، لا مشهد الشكر والدعاء، هو إيصال رسالة مفادها أن ذلك الابتهاًل والامتنان والشكر لم يكن صادراً من أعماق وجدانهم وقناعتهم، بل جاء كحالة احتفالية، وأن مكامن الشرك في وجودهم كانت أعمق وأكثر تجذراً من مكامن التوحيد والإيمان الخالص بالله «تعالى»، وهو ما سينعكس في أكثر من موقف قادم وباعتراف التوراة الحاضرة ذاتها، وأن تلك المظاهر والشكليات لا قيمة لها أمام باطنهم المظلم والفساد.

• مريم بنت عمران تحتفل:

ثم تذكر التوراة الحاضرة أن نساء بني إسرائيل أقمن الاحتفالات بهذه المناسبة، والتي اشتملت على الضرب بالدفوف والغناء والرقص، كل ذلك بقيادة مريم أخت النبيين موسى وهارون «عليهما السلام»:

(٢٠) فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ النَّيَّةُ أُخْتُ هَارُونَ الدَّفَّ بِيَدِهَا، وَخَرَجَتْ جَمِيعُ النِّسَاءِ وَرَاءَهَا بِدُفُوفٍ وَرَقِصٍ. ٢١ وَأَجَابَتْهُم مَرْيَمُ: «رَنُّوا لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ. الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ»^(١).

وقد جاء في موسوعة (شالفي/هايمن) للنساء اليهوديات The Shalvi/Hyman Encyclopedia of Jewish Women أن المدراس -شرح نصوص التنخ وتفسيره والتعليق عليه عند اليهود- علّق على وصف مريم بالنبية، بأنها تنبأت حتى قبل ولادة

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٥، ٢٠-٢١.

موسى، عندما كان هارون شقيقها الوحيد، وأنها كانت في الخامسة أو السادسة من عمرها عندما تدخلت لإنقاذ زواج والديها حين أنجبت أمها ولداً ذكراً، فقرّر والدها التخلص منه استجابةً لأمر فرعون، وحيث لم يتسنّ له ذلك، طلقها فراراً من تحمل المسؤولية أمام السلطة الظالمة، فتدخلت مريم وأقنعتة بالعودة عن قراره، فاقنعت وعاد وتزوج بها، وبفضل حكمتها، أرجع سائر الرجال من بني إسرائيل زوجاتهم المطلقات... وقد تناولنا ذلك في الجزء الأول من الكتاب.

ويضيف التراث الحاخامي أنها تنبأت بخصوص حمل والدتها، حيث قالت بأن المولود سيكون ذكراً، وأن هذا الولد سيكون على يديه خلاصُ بني إسرائيل من ظلم فرعون وجنوده، إلا أنه بمجرد أن أُلقي موسى في النهر، اتهمها والدها عمران/عمران بالتنبؤ الكاذب... لذلك، وقفت مريم على مسافة، على ضفة النهر، لتعرف ما إذا كانت نبوءتها ستتحقق فعلاً أم لا.

ويؤكد الحاخامات أن مريم كوفئت على انتظارها على ضفة النهر لفترة قصيرة لمعرفة ما سيحدث لموسى. لقد كانت مكافأتها أعظم من أعمالها عدّة مرات، فعندما أصيبت بمرض جلدي شديد^(١) كانت تحت رعاية التابوت والسكينة -الحضور الإلهي- والكهنة واللاويين وكل إسرائيل، مع سحب المجد، لمدة سبعة أيام حتى شُفيت.

وينسب المدرّاش الفضل في الحكمة الفائقة التي كانت يتمتع بها سبط يهوذا إلى مقام مريم، فهم من ذريتها، كما أن جعل الملك في سبط يهوذا جاء إكراماً لها، ومن هؤلاء الملوك، الملك داود الذي كان من نسلها، ثم إن معسكرات بني إسرائيل في

١. سنتحدث عن هذا الموضوع في الفصل التاسع من هذا الجزء من الكتاب.

البرية أقيمت بإشرافها وإدارتها. ويضيف الحاخامات أن في التوراة دلالة على أن موت مريم أدى إلى ندرة المياه عند بني إسرائيل؛ فقد نسبوا إليها وجود البئر الذي رافق بني إسرائيل خلال تجوالهم في البرية وزودهم بمياه الشرب. ووفقاً للحاخامات، كانت البئر عجيبة تتدفق من نفسها، مثل صخرة مليئة بالثقوب، وتيارات من المياه تتدفق إلى كل خيمة من خيام أسباط بني إسرائيل الاثني عشر. إن أهمية الماء هنا كأهمية المن والسلوى في كونها عطايا الله الرئيسة لبني إسرائيل بعد الخروج والتنقل في البرية^(١).

وسنتحدث في الفصل الثاني عشر من هذا الكتاب عن وفاتها، وعمّا ذكره الحاخامات بهذا الخصوص في تعليقاتهم وتفسيرهم.

• نبوة المرأة:

وحيث نُعتت مريم بالنبية في النص السابق، لذا يستوجب هذا وقفة لفهم المراد من النبوة في التراث الكتابي. فالكتاب المقدس صرح بوجود نساء كنّ نبيّات، وفي التراث اليهودي الحاخامي أنهن سبع نبيّات: سارة زوجة النبي إبراهيم، ومريم أخت هارون وموسى، ودבורة المذكورة في سفر القضاة -الأسباط-، وحنّة أم النبي صموئيل، وأبيجائيل إحدى زوجات النبي داود وهي أم ولده دانيال، وخلدة زوجة شلوم بن تقوة، التي كانت معاصرة للملك يوشيا الذي حكم مملكة يهوذا من سنة ٦٤١ - ٦٠٩ ق.م، والملكة اليهودية إستير زوجة الملك الفارسي خشايارشاه الأول، والذي حكم بين ٤٨٥ - ٤٦٥ ق.م، وأنقذت اليهود في بلاد فارس من الإبادة على يد الملك بوقيعه من وزيره هامان.

1. <https://jwa.org/encyclopedia/article/miriam-midrash-and-aggadah>

وفي المعتقد اليهودي، فإن النبوة وإن كانت تعني في المقام الأول القدرة على رؤية المستقبل، إلا أن النبي هو: (أكثر من مجرد شخص يتمتع بهذه القدرة. النبي هو في الأساس متحدث باسم الله، شخص اختاره الله للتحدث إلى الناس نيابة عن الله ونقل رسالة أو تعليم. كان الأنبياء قدوة في القداسة والعلم والقرب من الله. لقد وضعوا المعايير للمجتمع بأكمله.... يعلم التلمود أن هناك مئات الآلاف من الأنبياء: أي ضعف عدد الأشخاص الذين غادروا مصر، والذي بلغ ٦٠٠ ألف. لكن معظم الأنبياء نقلوا رسائل كانت مخصصة لجيلهم فقط ولم يتم ذكرها في الكتاب المقدس. يحدد الكتاب المقدس ٥٥ نبياً فقط من بني إسرائيل.

ليس بالضرورة أن يكون النبي رجلاً. يسجل الكتاب المقدس قصص سبع نبيات... ويذكر التلمود أن قدرة سارة على رؤية النبوءات كانت متفوقة على قدرة إبراهيم.

وليس بالضرورة أن يكون النبي يهودياً. وقد ذكر التلمود أنبياء من سائر الأمم، وأبرزهم بلعام، الذي وردت قصته في الإصحاح ٢٢ من سفر العدد، وسنتحدث عنه في الفصل الثاني عشر من هذا الكتاب، إلا أنهم لم يكونوا بنفس مكانة أنبياء بني إسرائيل. كما أرسل بعض الأنبياء -مثل يونان [= يونس]- في مهام للتحدث إلى الأمم الأخرى غير بني إسرائيل.

ووفقاً لبعض الآراء، فإن النبوة ليست موهبة تُمنح للناس بشكل عشوائي؛ بل هي تتويج للتطور الروحي والأخلاقي للشخص. عندما يصل الشخص إلى مستوى كافٍ من الإنجاز الروحي والأخلاقي، تأتي السكينة -الروح الإلهية- لتستقر عليه. وعلى نحو مماثل، يفقد الشخص هبة النبوة إذا انحرف عن كماله الروحي والأخلاقي.

كان موسى أعظم الأنبياء. ويقال إن موسى اطلع-بالإضافة إلى كامل التوراة- على كل الكتب التي كُتبت من بعده بمئات السنين. وكانت كل النبوءات اللاحقة مجرد تعبير عما رآه موسى بالفعل. لا يمكن لأي شيء في الأنبياء أو الكتب أن يتعارض مع كتابات موسى، لأن موسى رأى كل شيء مسبقاً.

وفي التلمود، أن كتابات الأنبياء لن تكون ضرورية في العالم الآخر، لأنه في ذلك اليوم، سيكون جميع الناس كاملين عقلياً وروحياً وأخلاقياً، وسيحصل الجميع على موهبة النبوة^(١).

أما «قاموس الكتاب المقدس: دائرة المعارف الكتابية المسيحية» فقد ذكر عدداً أكبر من النبيات عما جاء في النص اليهودي السابق مع بعض الاختلاف أيضاً في الأسماء: (النبيّة، النبيّات: هن الإناث من الأنبياء. وهنّ في الكتاب المقدس مريم أخت موسى وهرون..... ودبورة..... وحنة أم صموئيل..... وخلدة امرأة شلوم..... وحنة بنت فنوئيل..... وبنات فيلبس الأربع..... ولم يذكر الكتاب نبية غيرهن)^(٢).

وحول المراد من النبوة: (وليس بالضرورة أن النبي يقرّر إيمان^(٣))، أو أن يدحض وثنية وشرك.... إنما النبي هو الشخص المختار من الله لكيما يخبر الناس بأقوال الله، وقد يتنبأ بأمور مستقبلية^(٤)).

وأما عند المسلمين، فمسألة نبوة المرأة كانت مطروحة قديماً، وليس متفقاً عليها.

1. <https://www.jewfaq.org/prophets>

2. https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/25_N/N_026.html

٣. هكذا في المصدر، والصحيح (إيماناً).

4. <https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/996.html>

قال ابن حزم الأندلسي تحت عنوان «نبوة النساء»: (هذا فصل لا نعلمه حدث التنازع العظيم فيه إلا عندنا بقرطبة، وفي زماننا، فإن طائفة ذهبت إلى إبطال كون النبوة في النساء جملةً، وبدعت من قال ذلك، وذهبت طائفة إلى القول بأنه قد كانت في النساء نبوة، وذهبت طائفة إلى التوقف في ذلك)^(١).

وكتب الشيخ حسين أنصاريان مقالاً بعنوان «نبوة النساء» استعرض فيه أولاً أدلة القائلين بجواز ذلك، بل ووقوعه، ثم ردّ تلك الأدلة متمسكاً بعدم صحة القول بوجود أية نبية عبر تاريخ الرسالات. فمن بين من عدّدهم كأنصار لهذه المقولة: أبو الحسن الأشعري والقرطبي وابن حزم. وأضاف أنّ الذين يقولون بنبوة النساء متفقون على نبوة السيدة مريم بنت عمران والدة المسيح «عليهما السلام»، لا مريم بنت عمران أخت موسى «عليه السلام»، وأنّ منهم من ينسب النبوة إلى غيرها، من قبيل: حواء، وسارة زوج النبي إبراهيم، وأمّ النبي موسى، وهاجر أم النبي إسماعيل، وآسية بنت مزاحم زوج فرعون.

ويذهب أتباع هذه المقولة إلى ضرورة التمييز بين النبوة والرسالة، فالرسالة لا تكون إلا للرجال، أما النبوة فلا مانع من شمولها للنساء، ولذا لا يصح الاستدلال بقوله «تعالى»: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢) على حصر النبوة في الرجال، لأنها تتحدث عن الرسل لا عن الأنبياء.

١. ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٢.

٢. سورة يوسف: ١٠٩.

وأضافوا إلى ما سبق، أن ليس في نبوة النساء تلك المحذورات التي ذُكرت فيما لو كان من النساء رسول، لأن النبوة قد تكون قاصرة على صاحبها، يعمل بها، ولا يحتاج إلى أن يبلغها إلى الآخرين، كما أن القرآن الكريم أخبر بأن الله «عز وجل» أوحى إلى بعض النساء، فمن ذلك أنه أوحى إلى أم موسى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ١٠٩﴾^(١)، وأرسل جبريل «عليه السلام» إلى والدة السيد المسيح مريم «عليهما السلام» وكلمها: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ١٨ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ١٩﴾^(٢)، وخاطبتها الملائكة قائلة: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ٤٣﴾^(٣).

فأبو الحسن الأشعري -مثلاً- يرى أن كل من جاءه الملك عن الله مُحْكَمٌ، من أمرٍ أو نهيٍّ أو بإعلامٍ، فهو نبي، وقد تحقق في أم موسى ومريم شيءٌ من هذا، كما تحقق في غيرهما أيضاً، فقد تحقق في حواء وسارة وهاجر وآسية بنص القرآن.

واستدل المناصرون للقول بصحة نسبة النبوة إلى المرأة أيضاً باصطفاء الله لمريم على العالمين ﴿... وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ٤٢﴾^(٤)، وبقول النبي «صلى الله عليه وآله»: (كَمَلٌ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ

١. سورة القصص: ٧.

٢. سورة مريم: ١٧-١٩.

٣. سورة آل عمران: ٤٢-٤٣.

٤. سورة آل عمران: ٤٢.

ابنة عمران^(١)، فالذي يبلغ مرتبة الكمال إنما هم الأنبياء، لا سواهم. وقد ردّ الشيخ أنصاريان على أصحاب هذا الرأي بأن الذي ذكروه لا ينهض لإثبات نبوة النساء، والدليل على ذلك أمور:

الأول: أننا لا نسلّم لهم أنّ النبيّ غير مأمور بالتبليغ والتوجيه ومحالطة الناس، والذي اخترناه أن لا فرق بين النبيّ والرسول في هذا، وأنّ الفرق واقع في كون النبي مرسل بتشريع رسولٍ سابق. وإذا كان الأمر كذلك فالمحذورات التي قيلت في إرسال رسول من النساء قائمة في بعث نبي من النساء، وهي محذورات كثيرة تجعل المرأة لا تستطيع القيام بحق النبوة.

الثاني: قد يكون وحي الله إلى هؤلاء النسوة، أم موسى وآسية....، إنّما وقع مناماً، فقد علمنا أنّ من الوحي ما يكون مناماً، وهذا يقع لغير الأنبياء.

الثالث: لا نسلّم لهم قولهم أنّ كلّ مَنْ خاطبته الملائكة فهو نبي، ففي الحديث أنّ الله أرسل ملكاً لرجل يزور أخاً له في الله في قرية أخرى، فسأله عن سبب زيارته له، فلما أخبره أنه يحبّه في الله، أعلمه أنّ الله قد بعثه إليه ليخبره أنه يحبّه. وقصة الأقرع والأبرص والأعمى معروفة، وقد جاء جبريل يُعلّم الصحابة أمر دينهم بسؤال الرسول «صلى الله عليه وآله»، والصحابة يشاهدونه ويسمعونه.

الرابع: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» توقّف في نبوة ذي القرنين مع إخبار القرآن بأنّ الله «تعالى» أوحى إليه: ﴿.... قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تَتَّخِذُ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (٨٦) (٢).

١. صحيح البخاري، ح ٣٤١١.

٢. سورة الكهف: ٨٦.

الخامس: لا حُجّة لهم في النصوص الدالة على اصطفاء الله «تعالى» لمريم، فالله قد صرح بأنه اصطفى غير الأنبياء: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۖ﴾^(١)، واصطفى آل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ومن آلهما من ليس بنبي جزماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۖ﴾^(٢).

السادس: لا يلزم من لفظ الكمال الوارد في الحديث الذي احتجوا به النبوة، لأنه يُطلق لتمام الشيء، وتناهيه في باب، فالمراد بلوغ النساء الكمالات النهائية في جميع الفضائل التي للنساء، وعلى ذلك فالكمال هنا كمال غير الأنبياء.

السابع: ورد في بعض الأحاديث النصّ على أن خديجة من الكمالات، وهذا يبين أن الكمال هنا ليس كمال النبوة.

الثامن: ورد في بعض الأحاديث أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم ابنة عمران، وهذا يُبطل القول بنبوة من عدا مريم، كأم موسى وآسية، لأنّ فاطمة ليست بنبيّة جزماً؛ وقد نصّ الحديث على أنها أفضل من غيرها، فلو كانت أم موسى وآسية نبيّتين لكانتا أفضل من فاطمة.

التاسع: وصُفّ مريم بأنها صديقة في مقام الثناء عليها والإخبار بفضلها، قال «تعالى»: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ....﴾^(٣)، فلو كان هناك وصف أعلى من ذلك لوصفها به، ولم

١. سورة فاطر: ٣٢.

٢. سورة آل عمران: ٣٣.

٣. سورة المائدة: ٧٥.

يأت في نص قرآني ولا في حديث نبوي صحيح إخبار بنبوة واحدة من النساء^(١).

وبرأي أن الأدلة التي قدمها الشيخ أنصاريان لا تنهض بالمطلوب وليست كافية للقطع بعدم إمكانية تكليف المرأة بالنبوة، فإننا وإن كنا نوافقه في عدم ضرورة دلالة الوحي على النبوة، ولا دلالة الاصطفاء على ذلك أيضاً، إلا أن بعض الأدلة التي قدمها يمكن ردّها، فأصل إمكانية التبليغ متصوّر بحق المرأة، ولنفترض -على أسوأ تقدير- اقتصراره على الدائرة النسائية مثلاً بحيث تكون مهمّتها النبويّة محدودة بهذا الإطار، بالإضافة إلى قيامها بحفظ إرث بعض الأنبياء السابقين وإيصاله إلى من يأتي بعدها، فهل من مانع يمنع ذلك؟

وأما مسألة الكمال في حدّ ذاتها فلا يصحّ زجّها في مسألة النبوة، لا سلباً ولا إيجاباً، فقد يمتلك إنسان كمالات يتفوّق بها على نبي من الأنبياء، ولكن بعض الظروف تمنع من نبوّته، ويمكن ضرب مثال العبد العالم الذي أمر الله نبيّه موسى بن عمران بلقائه والاستفادة منه والتعلّم على يديه، وما جرى على يديه من أمور لم يستطع نبي الله موسى فهمها ولا التعامل معها، على الرغم من أنه من أولي العزم، ولا يُعلّم على نحو التأكيد ما إذا كان ذلك العبد العالم نبياً أصلاً.

وقد حاز أئمة أهل البيت «عليهم السلام» على كمالات كثيرة، ومع هذا كان ختم النبوة بمحمد «صلى الله عليه وآله» مانعاً من نبوة أحدهم كما صرح النبي بقوله لعلي: (أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي)^(٢).

1. <http://www.erfan.ir/arabic/33727.html>

٢. صحيح مسلم، ح ٢٤٠٤.

وأما الدليل التاسع الذي جاء به الشيخ أنصارى أن فليس بقوي ولا يصح التمسك به لمنع وجود امرأة في سلسلة الأنبياء، فوصفها بصفة عظيمة ومقام خاص لا يعني انتفاء بقية الصفات عنها، بما في ذلك الصفات التي تفوقها مقاماً، بل إنّ صفة (الصدّيق) من الصفات اللصيقة بالأنبياء كما سيأتي معنا بعد قليل.

وممن تعرّض لهذه المسألة الشيخ حسين الحشن في كتابه «المرأة في النص الديني»، حيث ذكر أنّ هذه القضية من القضايا الإشكالية المطروحة في مقام الحديث عن موقف الدّين من المرأة وأنه لماذا كان اختيار الأنبياء بأجمعهم من الذكور، وأنّ عدم إرسال أو بعثة نبي من بين النساء ليس مردّه إلى نقص ذاتي في المرأة يمنعها من الوصول إلى مرتبة عالية من الكمال الروحي كالتّي يتطلّبها مقام النبوة، كيف وقد حدّثنا القرآن الكريم عن وصول عدد من النساء إلى مقامات روحية عالية ملازمة لمقام النبوة، حيث أوجي إلى بعضهن كما هو الحال في السيدة أم النبي موسى بن عمران، والوحي وإن كان بمعنى الإلهام فإنه مرتبة عظيمة لا يبلغها - في أعلى مستوياتها - إلا الأنبياء والمرسلون حيث قال الله «عز وجل»: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ (١٣)، كما ونجد أن بعضهن قد وصلن إلى درجة كانت الملائكة تنزل لخدمتها وتأتيها برزقها من عند الله «سبحانه وتعالى»، الأمر الذي أثار تعجّب النبي زكريا «عليه السلام»: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٧). (٢).

١. سورة طه: ١٣.

٢. سورة آل عمران: ٣٧.

وهكذا فإن السيدة مريم نفسها قد وصلت إلى درجة الصديقين، قال الله «تعالى»: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَا كُلَّانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(١)، وهذه الدرجة من الدرجات الرفيعة جداً واللصيقة بالنبوة، قال «سبحانه»: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٢) وقال «عز اسمه»: ﴿..... فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٣)، وقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي الحسن موسى بن جعفر «عليه السلام» أنه قال: (إِنَّ فَاطِمَةَ «عليها السلام» صَدِيقَةُ شَهِيدَةٍ)^(٤). لذا يمكن القول أن أهلية المرأة للوصول إلى مقام النبوة محرزة، ولكن ذلك لم يتحقق فعلياً بسبب أن المجتمعات البشرية في الأزمنة الغابرة كانت مجتمعات ذكورية، ولم تكن لتقبل نبوة النساء، والنسوة أنفسهن كن مقتنعات بذلك، فقد حدّثنا القرآن الكريم أن امرأة عمران نذرت ما في بطنها محرراً لله «سبحانه وتعالى»، وكانت تُقدّر أنه سيكون ذكراً، لأن المرأة لا تصلح -في نظر اليهود- لخدمة المعبد والقيام بمهمة الإرشاد الديني، ولهذا فإن هذه المرأة الطاهرة الجليلة لم تستوعب أن ترى مولودها أنثى! فتوجّهت إلى الله توجّهاً لا يخلو من ذهول وتحسّر قائلة: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ۖ وَكَانَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾^(٥)، فكان الأنثى ليست مؤهلة للقيام بالمهام الدينية!

١. سورة المائدة: ٧٥.

٢. سورة مريم: ٤١.

٣. سورة النساء: ٦٩.

٤. الكليني: الكافي، ج ١، ص ٥٨٨.

٥. سورة آل عمران: ٣٦.

وأمام ذهنية ذكورية مستحكمة إلى هذا الحد كان مقتضى الحكمة الإلهية أن تتم مراعاة هذا الأمر، نزعاً للذرائع وإقامة للحجة على العباد.

وأضاف الحشن أنه لو سلّمنا بأن السبب هو في عدم صلاحية النساء لتولي هذه المهمة، فإن هذا ليس نابعاً من قصورها الذاتي عن بلوغ مقام النبوة، ودليلنا على ذلك هو ما أشرنا إليه قبل قليل من وصول بعض النسوة إلى أعلى المقامات والكمالات الروحية الملازمة لمقام النبوة^(١).

وممن أكّد على عدم وجود دليل على اختصاص النبوة بالرجال، العلامة آصف المحسني في كتابه «مشركة بحار الأنوار»^(٢)، مع التنبيه على أن كلامه لا يعني نيل بعضهم مقام النبوة فعلياً، بل نفي المانع من ذلك.

تعليق: يتّضح مما سبق أن النبوة في المفهوم الكتابي يعني أن يهب الله إنساناً ما -رجلاً أو امرأة- القدرة على التنبؤ بالمستقبل أو الاطلاع على بعض الغيبات، واختلفوا في اشتراط أن يمتلك هذا الشخص صفات روحية رفيعة تؤهّله لذلك أم لا. وأما مفهوم النبوة في الإسلام فيتعلّق بمقام خاص يؤتيه الله من يشاء من عباده من خلال مؤهلاتهم ورعاية الله لهم.

ثم لا تلازم بين الوحي والنبوة، أي ليس بالضرورة أن يكون الفرد نبياً كي يوحى إليه، فالمراد من الوحي في القرآن الكريم أشمل من تلقّي رسائل الله عن طريق الملك أو من خلال كلام الله «عز وجل» مباشرة، وقد أوحى لأم موسى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ

١. الحشن: المرأة في النص الديني، قراءة نقدية في روايات ذم المرأة، ص ٧٢-٧٤.

٢. المحسني: مشركة بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٤٠-٢٤١.

وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾^(١)، وليس في البين ادعاء بنبوّتها. كما لا تلازم بين رؤية الملك - ولو كان جبريل - وبين النبوة، وقد رأت سارة زوجة النبي إبراهيم الملائكة الذين تمثّلوا في هيئة بشرية حين وفدوا على زوجها، وسمعت كلامهم، وأجابوها حين سألت مستنكرة: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾^(٢)، كما شاهد أهل بابل الملكين هاروت وماروت، وتعاملوا معهم، وكلموهم، ولم يكونوا أنبياء: ﴿.... وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ....﴾^(٣) ﴿٧٤﴾. وهكذا لا تلازم بين الاصطفاء والنبوة، وقد اصطفى الله طالوت، ولم يكن نبياً: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾^(٤).

ثم إننا لو أخذنا بلعام بن بعور مثلاً لشخصية ذكرت في الكتاب المقدس مرات كثيرة، وعلى الأرجح هي المعنيّة في قول الله «عز وجل»: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ

١. سورة القصص: ٧.

٢. سورة هود: ٧٢-٧٣.

٣. سورة البقرة: ١٠٢.

٤. سورة البقرة: ٢٤٧.

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَانفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾^(١)،
لتبين لنا الفارق بين مفهوم النبوة عند أهل الكتاب والمسلمين، فالرجل -بحسب
الكتاب المقدس- كان نبياً، بمعنى أنه كان يمتلك القدرة على التنبؤ ببعض الأمور
الغيبية، وكان مستجاب الدعوة، مع هذا تعرّض للانحراف والوقوف في المعسكر
المعادي لموسى «عليه السلام» كما سيأتي معنا مفصلاً ضمن عرض سيرته في هذا
الجزء من الكتاب، فهل يلتزم المسلمون بادّعاء نبوته أيضاً لما اتّصف به من القدرة
على التنبؤ واستجابة دعائه بحسب التراث الكتابي؟ لا أعتقد أن أحداً يجرؤ على ادّعاء
ذلك وإن عبّر القرآن بقوله: ﴿...آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا...﴾، فمقام النبوة -في ثقافة المسلمين-
أعلى وأرقى وأخطر من أن يعطى لأحد ثم يُسلب منه لارتكابه الخطايا العظيمة.

ومن هنا، يصحّ وفق التراث الكتابي أن يُطلق على بعض النساء عنوان (النبية)، وأما
في التراث الإسلامي فالادّعاء يحتاج إلى دليل قاطع، أو نص صريح، وهو ما نفقده في
البين، دون أن يعني ذلك أن المرأة لا يمكنها أن تبلغ كمالات ومقامات يعجز عن
بلوغها كثير من الرجال.

• نتائج الفصل وخلاصته:

- أجمل القرآن الكريم وصفه لمشهد طلب بني إسرائيل من موسى -بعد عبور
البحر- أن يجعل لهم إلهاً، ولم تتطرّق التوراة إلى هذا المشهد كي نستعين بها في تحديد
الموقع ومن هم القوم المشار إليهم في الآية، ومتى جرى ذلك على وجه التحديد.
- إذا كان المشهد السابق هو أوّل ما تحدث عنه القرآن عن أحوال بني إسرائيل بعد

عبور البحر والنجاة من فرعون وجنوده، فإنّ التوراة بدأت الفصل الجديد من سيرة النبي موسى وبني إسرائيل بوصف الاحتفال الذي أقيم بالقرب من الشاطئ.

○ تحدثت التوراة عن دور مريم أخت النبيين موسى وهارون في قيادة الاحتفال النسائي، ووصفتها بالنبية، ففي التراث الكتابي النبوة لا تقتصر على الرجال، أما في التراث الإسلامي، فقد وقع الاختلاف بين العلماء في تأييد هذه الفكرة ورفضها، ولكل أدلته.

أحداث في محطات السفر

أحداث في محطات السفر

• موضوعات هذا الفصل:

- عَرَضَ للمحطات التي نزلها بنو إسرائيل إلى أن استقرّوا مؤقتاً عند جبل الطور، ومحاولة تحديد مواقعها الجغرافية، وسرد مختصر لأهم الأحداث التي وقعت فيها.
- شكوى بني إسرائيل المتكررة وتذمرهم من المعاناة بسبب ندرة المياه أو انقطاعها وشحّة الطعام، وغفلتهم عن مغزى الاختبارات الإلهية الرامية لتهيئتهم لدخول الأرض المباركة، ومن ثم فشلهم في تلك الاختبارات المتتالية.
- تطبيق ما جاء ذكره من تلك الأحداث في التوراة مع ما جاء في القرآن الكريم.
- بيان لماهية المنّ والسلوى وكيفية الاستفادة من هاتين المادتين الغذائيّتين وفقاً للشروط التي أُملِيت عليهم من قبل الله.
- عرض لغزوة العماليق، وهي أوّل غزوة يتعرّض لها بنو إسرائيل بعد العبور.

• المغادرة إلى برّية شور:

تحدّث التوراة عن معاناة بني إسرائيل -بعد عبور البحر- في العثور على مصادر للماء العذب في الصحراء والأراضي القاحلة، وكيف تدخلت العناية الإلهية في أكثر من مرّة لإنقاذهم من العطش الشديد.

وستمرّ معنا تسميات لمناطق توصف بالبرّية، وكلها ضمن ما يُعرف اليوم بشبه جزيرة سيناء المحصورة تقريباً بين خليجي العقبة والسويس، وإن كانت إحدى تلك المناطق أخذت -في التوراة- اسم برّية سيناء، إلا أن هذا لا يعني أن سائر المناطق المذكورة كانت خارج هذه المساحة الجغرافية الواقعة إلى الشمال الشرقي من جمهورية مصر العربية حالياً.

وأولى هذه المناطق المذكورة بالاسم في محطات السفر والتنقل لبني إسرائيل بعد عبور البحر هي برّية شور: (٢٢) ثُمَّ ارْتَحَلَ مُوسَى بِإِسْرَائِيلَ مِنْ بَحْرِ سُوفَ وَخَرَجُوا إِلَى بَرِّيَّةِ شُورٍ. فَسَارُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَلَمْ يَجِدُوا مَاءً^(١).

جاء في قاموس الكتاب المقدس: (اسم عبري معناه [سور]. وهو موضع في البرّية جنوب فلسطين أو على الأخص جنوب بئر لحي رئي، وشرق مصر... وهذه كانت تسمّى أحياناً برّية إيثام)^(٢).

ولعل الوصف الأدقّ لموقع هذه البرّية ما جاء في قاموس إيستون للكتاب المقدس (١٨٩٣) Easton's Bible Dictionary من إنَّ شور: (ربّما كانت جزءاً من الصحراء

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٥، ٢٢.

2. https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/13_SH/SH_197.html

العربية، على الحدود الشمالية الشرقية لمصر، مما أعطى اسمها لبرية ممتدة من مصر نحو فلسطين. ربما أُطلق عليها الاسم من الجدار الذي بناه المصريون للدفاع عن حدودهم في الشمال الشرقي من قبائل الصحراء^(١) [انظر اللوحة رقم ١٢].

• الوصول إلى مارة:

في ضمن الصحراء الموصوفة ببرية شور، وصل الرّكب إلى منطقة تحمل اسم (مارّة) وصرّحت التوراة الحاضرة بأنها اكتسبت هذا الاسم من مرورة مياه آبارها، ولذا لم يتسنّ لهم -في الوهلة الأولى- الشرب منها: (٢٣) فَجَاءُوا إِلَى مَارَّةَ، وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْرَبُوا مَاءً مِنْ مَارَّةَ لِأَنَّهُ مُرٌّ. لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «مَارَّةً»^(٢).

وإذا كانوا -بحسب التوراة- ساروا لمدة ٣ أيام، فهذا يعني أنهم قطعوا ١٠٠ كم أو أكثر من حين عبورهم البحر، وقد اختلف في تحديد موضع هذا الماء، ولكن الموارد المذكورة من قبل شراح التوراة والباحثين متقاربة نسبياً، والآراء هي كالتالي:

(١) عين حوارة في وادي الإمارة، وهو ينبوع مالح ومرّ جداً، يقع على بعد ٤٧ ميل جنوب شرق السويس.

(٢) عين نبع، وهي تقع على بعد ١٠ أميال فقط جنوب شرق السويس.

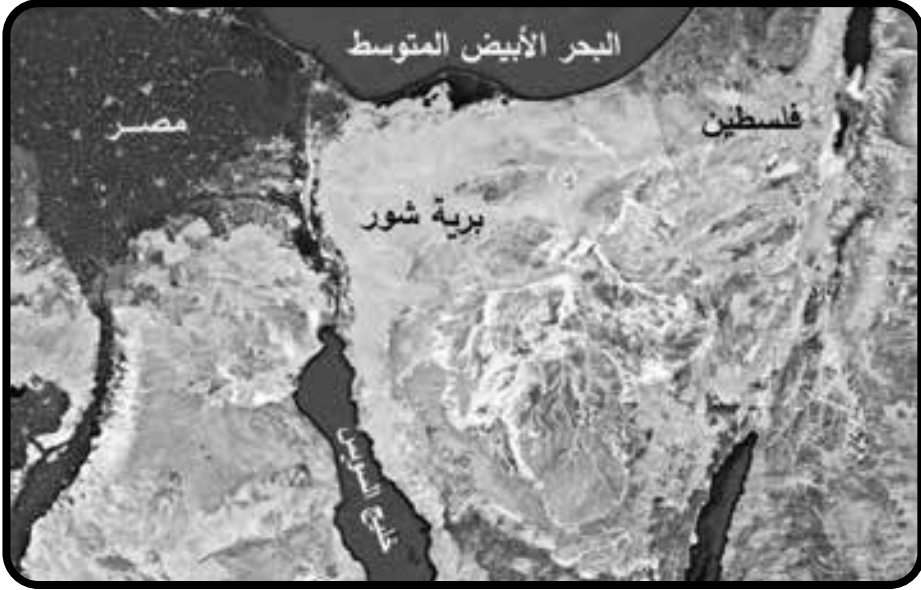
(٣) البحيرة المرة التي تقع شمال السويس.

(٤) جنوب سفح جبل المر -حيث وقعت معركة بين الجيشين المصري والإسرائيلي-

شمال شرقي عيون موسى بحوالي ١١ كيلومتراً. [انظر اللوحتين رقم ١٣-١٤]

1. <https://www.biblestudytools.com/dictionaries/eastons-bible-dictionary/shur.html>

2. https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/13_SH/SH_197.html



اللوحه رقم ١٢ : موضع برية شور بين مصر وفلسطين

انزعج بنو إسرائيل بشكل كبير من هذه المفاجأة، فبعد كل هذا المسير في الصحراء، والعطش الذي أخذ منهم كل مأخذ، وبعد كل الآيات السابقة التي عاينوها في مصر، ومع قيادة نبي الله ورسوله موسى لهذا الركب، إلا أنهم ما زالوا يعانون من فقدان الماء العذب الصالح للشرب... فتذمروا بشدة وارتفعت أصواتهم في وجه نبيهم الكريم: (٢٤) قَائِلِينَ: «مَاذَا نَشْرَبُ؟») شعر النبي موسى بصعوبة الموقف وشدته، فتوجه إلى الله «تعالى» طلباً للخلاص من هذه المعاناة العصبية، وكان له ما أراد: (٢٥) فَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ. فَأَرَاهُ الرَّبُّ شَجَرَةً فَطَرَحَهَا فِي الْمَاءِ فَصَارَ الْمَاءُ عَذْبًا^(١).

ولم توضّح التوراة نوع هذه الشجرة، ولم أجد في تفاسير التوراة ما يبيّن ذلك، وهل هذا الحدث إعجازي محض أم أنّ التحلية تحدث بشكل طبيعي، ولكل من يستعملها في

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٥، ٢٥.



اللوحة رقم ١٣ : المواضع المحتملة لموقع مارة



اللوحة رقم ١٤ : لوحة لزيارة نابليون بونابرت «مياه مارة» في سنة ١٧٩٨م

ذلك الغرض، وكل ما في الوصف أن الله أرشد نبيه إليها ليوظفها في عملية التحلية. ثم بيّنت التوراة أن هذه المعاناة في فقدان الماء تارة، ومرورته تارة أخرى عبارة عن اختبار إلهي لموسى وبني إسرائيل: (٢٥).... هُنَاكَ وَضَعَ لَهُ فَرِيضَةً وَحُكْمًا، وَهُنَاكَ امْتَحَنَهُ. ٢٦ فَقَالَ: «إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ لَصَوْتِ الرَّبِّ إِلَهِكَ، وَتَصْنَعُ الْحَقَّ فِي عَيْنَيْهِ، وَتَصْغِي إِلَى وَصَايَاهُ وَتَحْفَظُ جَمِيعَ فَرَائِضِهِ، فَمَرَضًا مَا -مِمَّا وَضَعْتُهُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ- لَا أَضْعُ عَلَيْكَ. فَإِنِّي أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ»^(١). أما موسى، فقد اجتاز الاختبار بنجاح من أجل إيمانه وصلابته، فوهبه الله -جزاءً على ذلك- السلامة في الصحة والشفاء من الأمراض. وأما بنو إسرائيل فظهر ضعفهم من خلال تدمرهم وعدم -أو ضعف- إيمانهم بوعده الله. وفي هذا المقطع من سفر الخروج، أوصى الله بني إسرائيل -من خلال موسى- أن يسمعوا وصايا الله بعدما رأوا قوته للمرة الثانية بعد آية عبور البحر، وطالبهم بطاعته، فإن أطاعوا فلن يتعرضوا للأمراض التي أصابت المصريين في الضربات العشر، بل وسيشفيهم الله من كل مرض يتعرضون له كما «شفى» الماء المرفسار عذاباً^(٢).

• بنو إسرائيل في إيليم:

إيليم هي المحطة التالية -بعد مارة- في الطريق نحو جبل الطور، وهي موقع غني بالماء، بل كان عدد العيون بعدد أسباط بني إسرائيل، دفعاً للتصارع والنزاع فيما بينهم: (٢٧) ثُمَّ جَاءُوا إِلَى إِيلِيمَ وَهُنَاكَ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنَ مَاءٍ وَسَبْعُونَ نَحْلَةً. فَزَلُّوا هُنَاكَ عِنْدَ الْمَاءِ^(٣).

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٥، ٢٥-٢٦.

2. <https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/exodus/chapter-15.html#25>

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٥، ٢٧.

برأي الدكتور عبد الرحيم ريجان أن «إيليم» هي منطقة عيون موسى الحالية، قال: (هناك ١٢ عين ماء تفجرت لبني إسرائيل حين استبد بهم العطش، بعد قطع مسافة كبيرة من موقع عبورهم عند رأس خليج السويس حتى موقع العيون الحالي، وذلك بعد نفاد كل المياه المحمولة من بداية رحلتهم)^(١)، وقد مرّ معنا في الفصل الأول تحديد موضع عيون موسى التي تحدث عنها الدكتور ريجان، فإن كان بوصفه السابق يشير إلى ما جاء في القرآن الكريم مرتين حيث قال «تعالى»: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۖ﴾^(٢)، وقوله «سبحانه»: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۖ﴾^(٣)، فإن كلامه لن يكون سليماً، فالإصحاح ١٥ من سفر الخروج من التوراة يذكر أن الماء في إيليم كان موجوداً سلفاً بهذا العدد، ولم يتفجر لهم، أما الآيات القرآنية فتذكر أن تفجر الماء وانقسامه إلى عدد الأسباط جاء بصورة إعجازية من خلال الضرب بالعصا.

والصحيح أن نقول أن ما جاء في القرآن الكريم يتوافق مع سياقي معنا لاحقاً وفق وصف رحلة النبي موسى «عليه السلام» بحسب ترتيب النص التوراتي وذلك عند وصول بني إسرائيل منطقة «رَفِيدِيم» وقد بلغ العطش منهم مبلغه، ولم يجدوا ماءً،

1. <https://www.alarabiya.net/arab-and-world/egypt/2017/03/21>

٢. سورة البقرة: ٦٠.

٣. سورة الأعراف: ١٦٠.

فضرب موسى بعصاه، فانفجرت العيون بتلك الصورة المذكورة في القرآن الكريم.

• في بَرِّيَّة سَيْن:

في هذه المحطة، اشتكى بنو إسرائيل -هذه المرة- من الجوع وفقدان ما اعتادوا عليه من الطعام في مصر، لا من العطش، إذ يبدو أنهم حملوا معهم من الماء ما لبى حاجتهم، كما يبدو أن هذه البرِّيَّة لم تكن تعاني من شحّة المياه. وقد حدّد النص التوراتي الموقع الجغرافي لهذه المحطة، واليوم الذي وصلوا فيه.

لقد كانوا يتنقلون في الصحراء منذ ٤٥ يوماً: (١) ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ إِيلِيمَ. وَأَتَى كُلُّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرِّيَّةِ سَيْنَ، الَّتِي بَيْنَ إِيلِيمَ وَسَيْنَاءَ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الثَّانِي بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ٢ فَتَدَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ. ٣ وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: «لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبْعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هَذَا الْقَفْرِ لِكَيْ نُمِيتَا كُلَّ هَذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ» (١).

سيكرر هذا الأسلوب في التذمّر والشكوى والمقارنة بين أوضاعهم في مصر وأوضاعهم الحالية في أكثر من مشهد، وإلى حدّ اتّهام النبيين الكريمين موسى وهارون باتهامات مشينة، وعلى أقلّ تقدير أنها كانت اتهامات لا تليق بهما، وذلك من قبيل تعريض بني إسرائيل للموت عطشاً أو جوعاً، وهما الذين ضحّا من أجل إنقاذهم من نير العبودية والقهر الفرعوني، وتحققت على يد موسى العديد من الآيات الباهرات، بما يستدعي من أي إنسان لديه شيء من الإنصاف أن يترفع عن اتهامهما بذلك.

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٦، ١-٣.

ولكنها اللجاجة والوقاحة التي تصوّرها التوراة مراراً في وصف هذا الشعب ناكر الجميل، ليس مع هذين النبيين فحسب، بل مع الله «سبحانه» أيضاً، حين طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً صنماً أو وثناً يعبدونه ويقربون له القرابين! ولعل هذا من بين موارد الإيذاء التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله «تعالى»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ (١).

تبعاً لهذه الشكوى، تدخلت العناية الإلهية لتخليصهم من مرارة الجوع، وتخفيف الضغط عن النبيين موسى وهارون «عليهما السلام»، ولاختبار مدى رضوخهم -لاحقاً- وخضوعهم لإرادة الله، أم أنهم سيعودون إلى سيرتهم الأولى في التذمر والتشكيك والشكوى والمن؟ (٤) فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هَا أَنَا أُمْطِرُ لَكُمْ خُبْزاً مِنَ السَّمَاءِ. فَيَخْرُجُ الشَّعْبُ وَيَلْتَقِطُونَ حَاجَةً الْيَوْمَ بِيَوْمِهَا. لِكَيْ أُمْتَحِنَهُمْ، أَيْسَلُكُونَ فِي نَامُوسِي أَمْ لَا. هَ وَيَكُونُ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ أَنَّهُمْ يَهَيِّئُونَ مَا يَحْيِيُونَ بِهِ فَيَكُونُ ضِعْفٌ مَّا يَلْتَقِطُونَهُ يَوْمًا فَيَوْمًا» (٢).

الوعد الإلهي المذكور في النص السابق يتلخّص في أن الله «تعالى» سيوفّر لهم مادةً غذائية بديلة عن خبز القمح أو الشعير الذي اعتادوا عليه، دون أن يضطروا إلى الزراعة وانتظار الموسم والحصاد وغير ذلك، بل ستتوفّر لهم هذه المادة بصورة يومية ومن دون بذل جهدٍ منهم سوى الالتقاط فحسب، وحيث أن يوم السبت هو يوم عبادة وراحة لا عمل فيه، لذا فإن الله سيرزقهم في يوم الجمعة نصيباً مضاعفاً من تلك المادة الغذائية بحيث تُغطّي الكمية الموهوبة من الله حاجتهم ليومين متتاليين.

١. سورة الأحزاب: ٦٩.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٦، ٤-٥.

أخبر موسى بني إسرائيل بالوعد الإلهي، وأنه لا ذنب له في معاناتهم، وأن هذه حكمة الله وإرادته، وعليهم أن يتوجهوا إلى الله بالدعاء والطلب، لا أن يتذمروا منه: (٨) وَقَالَ مُوسَى: «ذَلِكَ بِأَنَّ الرَّبَّ يُعْطِيكُمْ فِي الْمَسَاءِ لَحْمًا لِيَتَأْكَلُوا، وَفِي الصَّبَاحِ خُبْزًا لِيَتَشَبَّعُوا، لَأَسْتِمَاعَ الرَّبِّ تَذْمُرَكُمْ الَّذِي تَتَذَمَّرُونَ عَلَيْهِ. وَأَمَّا نَحْنُ فَمَاذَا؟ لَيْسَ عَلَيْنَا تَذْمُرُكُمْ بَلْ عَلَى الرَّبِّ»...^(١). ويلاحظ هنا إضافة مادة غذائية ثانية علاوة على المادة البديلة عن الخبز، وهي اللحم والتي لم يرد ذكرها في النص السابق، فبديل الخبز طعام الصباح، واللحم في المساء. وتحقق الوعد الإلهي، حيث جاءت طيور السمّان^(٢) (السلوى) في المساء، وصارت في متناول أيديهم ليصطادوها بكل سهولة: (١٣) فَكَانَ فِي الْمَسَاءِ أَنَّ السَّلْوى صَعِدَتْ وَغَطَّتِ الْمَحَلَّةَ^(٣). [انظر اللوحة ١٥].

وأما البديل عن دقيق القمح أو الشعير الذي يُصنع منه الخبز فكان المن: (وَفِي الصَّبَاحِ كَانَ سَقِيطُ النَّدى حَوَالِي الْمَحَلَّةِ ١٤ وَلَمَّا ارْتَفَعَ سَقِيطُ النَّدى إِذَا عَلَى وَجْهِ الْبَرِّيَّةِ شَيْءٌ دَقِيقٌ مِثْلُ قُشُورٍ. دَقِيقٌ كَالْجَلِيدِ عَلَى الْأَرْضِ. ١٥ فَلَمَّا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ قَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَنْ هُوَ؟» لَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مَا هُوَ. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي أَعْطَاكُمْ الرَّبُّ لِيَتَأْكَلُوا. ١٦ هَذَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ. لِنَقْطُوا مِنْهُ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أَكْلِهِ. عُمَرًا لِلرَّأْسِ عَلَى عَدَدِ نَفْسِكُمْ تَأْخُذُونَ، كُلُّ وَاحِدٍ لِلَّذِينَ فِي خِيَمَتِهِ»^(٤).

وعن ماهية المن تقول التوراة في نفس السفر: (٣١).... وَهُوَ كَبِزْرِ الْكُزْبَرَةِ، أَبْيَضُ،

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٦، ٨.

٢. طائر السمّان أو السلوى، ومفرداها سلواة Quail هو اسم جماعي لعدة أجناس من الطيور المتوسطة الحجم وتعتبر بوجه عام من رتبة الدجاجيات.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٦، ١٣.

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٦، ١٤-١٦.



اللوحة رقم ١٥ : طائر السمان (السلوى)

وَطَعْمُهُ كَرِقَاقٍ بَعَسَلٍ^(١)، وفي سفر العدد: (٧ ... وَمَنْظَرُهُ كَمَنْظَرِ الْمُقْلِ. ٨ كَانَ الشَّعْبُ يَطُوفُونَ لِيَلْتَقِطُوهُ، ثُمَّ يَطْحَنُونَهُ بِالرَّحَى أَوْ يَدُقُّونَهُ فِي الْهَاوِنِ وَيَطْبُخُونَهُ فِي الْقُدُورِ وَيَعْمَلُونَهُ مَلَأَتِ. وَكَانَ طَعْمُهُ كَطَعْمِ قَطَائِفَ بَزَيَّتِ. ٩ وَمَتَى نَزَلَ النَّدَى عَلَى الْمَحَلَّةِ لَيْلًا كَانَ يَنْزِلُ الْمَنْ مَعَهُ)^(٢). وشرح القمص أنطونيوس فكري في (شرح الكتاب المقدس) العبارات السابقة، قال: (كبزر الكزبرة: كان حبوباً كروية صغيرة لونها يميل للصفرة. والمقل: نوع من الصمغ لونه أيضاً أصفر مشرب بالبياض ورائحته طيبة - غالباً هو اللبان الذكر- ويستعمل كبخور)^(٣). [انظر اللوحين ١٦-١٧].

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٦، ٣١.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١١، ٧-٩.

3. <https://coptic-treasures.com/chapter/numbers-011-antonios-fekry/>

ويرشد النص التوراتي أن اسم هذه المادة (من) نشأ من السؤال بالعبرية حيث قال بنو إسرائيل: (من هو؟) وذلك عندما رأوا هذه المادة لأول مرة في حياتهم: (١٥) فَلَمَّا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ قَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَنْ هُوَ؟» لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مَا هُوَ^(١).

أما وفقاً لعالم المصريات جورج إيبرس (ت ١٨٩٨م)، فإن الاسم مشتق من كلمة (متو) المصرية والتي تعني طعام^(٢).

وفي الموسوعة اليهودية أن حبوب المن كانت تُطحن أو تُسحق حتى تتحول إلى دقيق، ثم يُحضّر الدقيق ويُخبز على هيئة كعكات، وكان طعمها مثل «رقائق العسل» أو «كطعم الزيت الطازج»^(٣).

وقد فسّر البعض ظهور هذه المادة بوجود حشرة (المنّ) القشرية *Trabutina mannipara* التي تتغذى طفيلياً على أشجار الطرفاء (الأثل) *Tamarix gallica*^(٤)، ثم تفرز مادة - كما يفرز النحل العسل بالتغذي على رحيق الأزهار - وهي تشبه الشمع، وتذوب في الشمس، حلوة المذاق وعطرية، ويتم جمعها للاستهلاك البشري، ويمكن العثور عليها في سيناء والعراق. كانت أشجار الطرفاء، وخاصة واسعة الانتشار نسبياً في جميع أنحاء جنوب سيناء، وفي مطلع القرن العشرين، كان العرب في شبه جزيرة

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٦، ١٥.

2. Georg Ebers, *Durch Gosen zum Sinai*, p. 226, Paul Pierret, *Vocabulaire hiéroglyphique*, p. 212.

3. <https://www.jewishencyclopedia.com/articles/10366-manna#:~:text=Being%20a%20heavenly%20food%2C%20the,xi>.

٤. تعتبر الطرفاء من العائلة الأثلوية، شجرة معمرة صغيرة يصل ارتفاعها إلى المترين وتتكون من أغصان خشبية متفرعة وأوراق أبرية لونها أخضر فاتح ولها أزهار قرنفلية وثمار قرنفلية مخروطية الشكل. وتنبت في المناطق العالية الملوحة والسبخات وتزهر مرتين في السنة.



اللوحة رقم ١٦ : (اليمين) بذر الكزبرة - (اليسار) اللبان



اللوحة رقم ١٧ : لوحة تمثل جمع المن من قبل بني إسرائيل

سيناء يبيعون هذه المادة باسم (مَن السما). وفي كردستان، يتم جمع المادة الصمغية وعمل حلوى (مَن السما = الكَز Gazz) وبلغتهم: (گهزو)^(١). [انظر اللوحات ١٨-٢١]

ولكن الذي يجب أن يُلاحظ في النص التوراتي الذي تحدّث عن المن عدة أمور:

(١) المادة التي كانوا يجدونها لم تكن على الأشجار، بل على الأرض والصخور: (إِذَا عَلَى وَجْهِ الْبَرِّيَّةِ شَيْءٌ دَقِيقٌ مِثْلُ قُشُورٍ. دَقِيقٌ كَالْجَلِيدِ عَلَى الْأَرْضِ)^(٢).

(٢) أمر موسى أن يأخذ كلَّ منهم قدر حاجته فقط، ولكنهم لم يلتزموا بذلك، فمنهم من أخذ أكثر من حاجته، ومنهم أخذ أقل من حاجته، ولكن العجيب في الأمر أنه لما كال كلَّ منهم الكمية التي أخذها، وجد أنها بمقدار ما يحتاج إليه فحسب، فمن أخذ أكثر من حاجته تناقصت كميته، ومن أخذ أقل، زادت كميته!

(فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي أَعْطَاكُمُ الرَّبُّ لِتَأْكُلُوا. ١٦ هَذَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ. اِلْتَقِطُوا مِنْهُ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أُكْلِهِ. عُمَرًا^(٣) لِلرَّأْسِ عَلَى عَدَدِ نَفْسِكُمْ تَأْخُذُونَ، كُلُّ وَاحِدٍ لِلَّذِينَ فِي خَيْمَتِهِ». ١٧ فَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ هَكَذَا، وَالتَّقَطُوا بَيْنَ مُكَثَّرٍ وَمَقَلَّلٍ. ١٨ وَلَمَّا كَالُوا بِالْعُمُرِ، لَمْ يُفْضِلِ الْمُكَثَّرُ وَالْمَقَلَّلُ لَمْ يُنْقُصْ. كَانُوا قَدِ اِلْتَقَطُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أُكْلِهِ)^(٤).

(٣) نهاهم النبي موسى عن الاحتفاظ بشيء منها حتى اليوم التالي، فيجب أن يأكل

1. <http://www.bibleorigins.net/mannasinaibodenheimer.html>

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٦، ١٤.

٣. في قاموس الكتاب المقدس أن العُمُر مكبال للحبوب، وكان يعادل عشر الإيفة كما في الآية ٣٦ من الإصحاح ١٦ من سفر الخروج: (وَأَمَّا الْعُمُرُ فَهُوَ عَشْرُ الْإِيْفَةِ) ويعادل نحو لترين وثلاث اللترات.

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٦، ١٥-١٨.



اللوحة رقم ١٨ : شجر الطرفاء (الأثل)



اللوحة رقم ١٩ : حشرة المن القشرية *Trabutina mannipara*



اللوحة رقم ٢٠ : المادة الصمغية التي يفرزها الشجر في كردستان العراق



اللوحة رقم ٢١ : حلوى (منّ السما = الكَزْ Gazz)

كُلُّ مَنْهُمْ الكمية التي حصل عليها في نفس اليوم، وسيعطيهم الله كمية أخرى في اليوم التالي، وهكذا. ولكن بعضهم لم يلتزم بهذا النهي، ولعل منشأ ذلك هو سوء الظن وعدم الثقة بالوعد، فكانت النتيجة أن فسدت الكميات الباقية وتولّد فيها الدود! (١٩) وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْهُ إِلَى الصَّبَاحِ». ٢٠ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا لِمُوسَى، بَلْ أَبْقَى مِنْهُ أَنَاسٌ إِلَى الصَّبَاحِ، فَتَوَلَّدَ فِيهِ دُودٌ وَأَنْتَنَ. فَسَخَطَ عَلَيْهِمْ مُوسَى^(١).

(٤) في اليوم السادس من الأسبوع (يوم الجمعة) كانت كمية كل فرد منهم تتضاعف بشكل محسوب، ودون تدخل منهم، والسبب في ذلك هو حرمة العمل في يوم السبت، بما في ذلك العجن والخبز، ولذا فإنهم بحاجة إلى إعداد كمية مضاعفة يوم الجمعة وإبقاء نصف تلك الكمية إلى اليوم اللاحق ليتغذّوا عليها، ولم تكن تنتن ولا ينشأ فيها الدود على خلاف ما كان حصل في يوم سابق حين خالفوا كلام النبي موسى «عليه السلام»: (٢١) وَكَانُوا يَلْتَقِطُونَهُ صَبَاحًا فَصَبَاحًا كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أَكْلِهِ. وَإِذَا حَمِيَتِ الشَّمْسُ كَانَ يَذُوبُ. ٢٢ ثُمَّ كَانَ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ أَنَّهُمْ التَّقَطُّوا خُبْزًا مُضَاعَفًا، عُمَرَيْنِ لِلوَاحِدِ. فَجَاءَ كُلُّ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ وَأَخْبَرُوا مُوسَى. ٢٣ فَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا مَا قَالَ الرَّبُّ: غَدًا غُطْلَةٌ، سَبَتْ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ. اخْبِرُوا مَا تَخْبِرُونَ وَاطْبُخُوا مَا تَطْبُخُونَ. وَكُلُّ مَا فَضَلَ ضَعُوهُ عِنْدَكُمْ لِيُحْفَظَ إِلَى الْغَدِ». ٢٤ فَوَضَعُوهُ إِلَى الْغَدِ كَمَا أَمَرَ مُوسَى، فَلَمْ يُنْتِنْ وَلَا صَارَ فِيهِ دُودٌ. ٢٥ فَقَالَ مُوسَى: «كُلُّوهُ الْيَوْمَ، لِأَنَّ لِلرَّبِّ الْيَوْمَ سَبْتًا. الْيَوْمَ لَا تَجِدُونَهُ فِي الْحَقْلِ. ٢٦ سِتَّةَ أَيَّامٍ تَلْتَقِطُونَهُ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ، لَا يُوْجَدُ فِيهِ»^(٢).

(٥) مجدداً، خالف بعض بني إسرائيل النهي الصادر عن النبي موسى والخاص بالعمل

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٦، ١٩.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٦، ٢١-٢٦.

والبحث عن المنّ في يوم السبت تمرداً ولسوء ظنهم بالله- فلم يجدوا شيئاً: (٢٧) وَحَدَّثَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ أَنَّ بَعْضَ الشَّعْبِ خَرَجُوا لِيَلْتَقِطُوا فَلَمْ يَجِدُوا. ٢٨ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «إِلَى مَتَى تَأْبُونَ أَنْ تَحْفَظُوا وَصَايَايَ وَشَرَائِعِي؟ ٢٩ أَنْظُرُوا! إِنَّ الرَّبَّ أَعْطَاكُمْ السَّبْتَ. لِذَلِكَ هُوَ يُعْطِيكُمْ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ خُبْزَ يَوْمَيْنِ. اجْلِسُوا كُلُّ وَاحِدٍ فِي مَكَانِهِ. لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ مَكَانِهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ». ٣٠ فَاسْتَرَاحَ الشَّعْبُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ»^(١).

٦) استمرّ نزول المنّ خلال الأربعين عاماً التي قضاها بنو إسرائيل في البرية، ولكن عندما وصلوا إلى الجليل^(٢) في الرابع عشر من نيسان، وبدأوا يأكلون الحبوب المزروعة هناك، توقف المنّ عن الظهور: (٣٥) وَأَكَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْمَنَّ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى جَاءُوا إِلَى أَرْضِ عَامِرَةَ. أَكَلُوا الْمَنَّ حَتَّى جَاءُوا إِلَى طَرَفِ أَرْضِ كَنْعَانَ^(٣).

إنّ صحت النصوص السابقة -ولا مانع من صحتها- فهذا يدلّ حتماً على بُعد غيبي في نشوء هذه المادّة بلحاظ وجودها لا على الأشجار، بل في متناول اليد، وكذلك تغيّر كمّيتها لكل فرد، وفسادها في ليلة، وظهورها كل يوم بكميات دقيقة وغير ذلك مما أشرنا إليه في النقاط السابقة.

٧) ما يستفاد من ظاهر النصوص التوراتية في هذا السّفر وسفر العدد أن الله رزقهم السلوى مع المنّ لفترة من الزمن، ثم استمر المنّ بينما انقطعت عنهم طيور السلوى. وهناك احتمال سنذكره في الفصل التاسع ويتلخّص في وقوع خطأ في تدوين التوراة، إذ لم يتم إنزال السلوى على بني إسرائيل في هذه المرحلة من سفرهم، بل المنّ فحسب،

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٦، ٢٧-٣٠.

٢. منطقة في الأردن تقع على بُعد ٢٠ كم شمال أريحا.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٦، ٣٥.

ثم لما اشتكوا اشتياًقاً إلى اللحم في السنة الثانية من رحلتهم، أنزل الله عليهم السلوى.

• المنّ في الأساطير الحاخامية:

هذا البُعد الإعجازي في ما منّ الله «تعالى» به على بني إسرائيل، شجّع بعض الحاخامات ورجال الدين اليهودي على اختلاق قصص وإفاضة صفاتٍ غريبة على هذه المادة الغذائية، وذكروا تفاصيل لا يُعلم مدرّكها، ومن بين ما جاء في هذا الباب:

(١) المنّ أحد الأشياء العشرة التي خُلقت في أول جمعة من الخلق، عند الغسق.

(٢) المنّ الذي سقط بالقرب من معسكر بني إسرائيل في البرية غطى مساحة تبلغ ألفي ذراع مربعة (١٠٠٠ م مربع).

(٣) عندما ذاب بشروق الشمس بقي على الأرض حتى أربع ساعات.

(٤) سقوط المنّ كان يشكل طبقة ترتفع ٦٠ أو ٥٠ ذراعاً (أكثر من ٢٠ متراً!!!).

(٥) كانت الكمية التي تسقط كل يوم كافية لإطعام الناس لمدة ألفي عام!!!

(٦) كانت كمية المن واضحة للغاية حتى أن جميع ملوك الشرق والغرب كانوا يستطيعون رؤيته من قصورهم!!!

(٧) لكي يكون المنّ نقياً، هبّت ريح شمالية أولاً على الأرض، ثم غسلتها الأمطار. وبعد أن غطت الأرض طبقةً من الندى، سقط المنّ عليها، ثم غطاه الندى.

(٨) سقط المنّ على نحو لم يجد معه الأبرار أي عناء في جمعه، إذ وجدوه عند أبواب خيامهم؛ وكان على أولئك الأقل إيماناً أن يذهبوا إلى أماكن أبعد للحصول عليه؛ أما الأشرار فكان عليهم أن يذهبوا بعيداً عن المخيم لجمعه.

٩) خلقت هذه المادة لبني إسرائيل فقط، ولم يكن بمقدور الوثنيين الحصول على شيء منها، وإن قلّ، فعندما يمدّ أحدهم يده لالتقاطها، كانت تفلت من قبضته، ووفقاً لرأي آخر، فإنّ الوثني إذا تمكّن من التقاطها، وجدها مرّة وغير مستساغة.

١٠) كان ذوبان المنّ يشكّل تيارات تزوّد العديد من الغزلان والحيوانات الأخرى بالشراب، وعندما قتل الوثنيون هذه الحيوانات بعد ذلك، تعرّفوا على طعم المنّ من خلال مذاق لحمها.

١١. مع سقوط المنّ كل صباح، كانت الأحجار الكريمة تتساقط أيضاً من السماء.

١٢. كان المنّ يتكيّف مع ذائقة كل فرد؛ فبالنسبة للبالغين كان طعمه متناسباً مع مذاق أطعمتهم، بينما كان مذاقه -بالنسبة للطفل الرضيع- مثل مذاق حليب الأم.

١٣. بالتمنّي، يمكن للمرء أن يتدوّق في المنّ أيّ شيء مرغوب فيه، سواء كان لحم الدواجن أو الفاكهة أو غير ذلك؛ ولذا فإن القول بأن الناس طحنوها أو دقّوها ثم خبزوها تعبير مجازي فحسب، لأن المقصود هو أن مذاقها كان يُشبه الطعام المصنوع من الدقيق المطحون أو المسحوق أو المخبوز أو المطبوخ.

١٤. كان الأشرار مجبرين على طحنها وإعدادها حتى تصبح صالحة للأكل، وأما الأبرار، فقد كانت الملائكة تطحنها لهم قبل أن تسقط من السماء.

١٥) حيث كان المنّ طعاماً سماوياً، لذا فقد احتوى على مادة مغذية لا يفرز الجسد معها أية فضلات، وهذا ما جعل بني إسرائيل لا يحتاجون إلى التغوّط.

١٦) المنّ هو طعام الصالحين في الحياة الآخرة، ولذا يتم طحن هذه المادة الغذائية في طاحونة موجودة في السماء الثالثة.

• موردان مختلفان:

ينبغي هنا أن ننتبه إلى أن تدمر بني إسرائيل في هذه المحطة المذكورة في الشهر الثاني من السنة الأولى من العبور يختلف عن تدمرهم الآتي في سفر العدد والذي حدث في السنة اللاحقة، حيث كان طعامهم هو المنّ فحسب.

حدّد النصّ في البداية البعد الزمني والجغرافي للحدث: (١١) وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْعَشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ عَنْ مَسْكَنِ الشَّهَادَةِ. ١٢ فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي رِحْلَاتِهِمْ مِنْ بَرِّيَّةِ سِينَاءَ، فَحَلَّتِ السَّحَابَةُ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ.....^(١).

ثم وصف ما جرى: (٤) وَاللَّيْفُ الَّذِي فِي وَسْطِهِمْ اشْتَهَى شَهْوَةً. فَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَيْضًا وَبَكَوْا وَقَالُوا: «مَنْ يُطْعِمُنَا لَحْمًا؟ ٥ قَدْ تَذَكَّرْنَا السَّمَكَ الَّذِي كُنَّا نَأْكُلُهُ فِي مِصْرَ مَجَآنًا، وَالْقِثَّاءَ وَالْبَطِيخَ وَالْكُرَّاثَ وَالْبَصَلَ وَالثُّومَ. ٦ وَالْآنَ قَدْ يَبْسُتْ أَنْفُسُنَا. لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ أَنْ أَعِينَنَا إِلَى هَذَا الْمَنْ!»..... ١٠ فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى الشَّعْبَ يَبْكُونَ بِعَشَائِرِهِمْ، كُلُّ وَاحِدٍ فِي بَابِ خِيَمَتِهِ، وَحَمِي غَضَبُ الرَّبِّ جِدًّا، سَاءَ ذَلِكَ فِي عَيْنَيْ مُوسَى^(٢).

وقد أشار القرآن الكريم في سورة البقرة إلى هذا التدمر -الثاني- في سورة البقرة، وإلى غضب الله «تعالى» عليهم بسبب ذلك: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُوا بِغَضَبِ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٠، ١١-١٢.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١١، ٤-١٠.

يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾^(١). وسنتعرض لهذا المشهد لاحقاً وفق ترتيب الأحداث في التوراة.

• طيور مشوية:

وكما شطحت قصص الحاخامات حول المن، تضمّنت بعض تفاسير ومرويات المسلمين تفاصيل غريبة حول التفضّل الإلهي على بني إسرائيل بإنزال المنّ والسلوى وتفجير ينابيع الماء لهم في الصحراء، ومن ذلك ما جاء في تفسير القمي على سبيل المثال، وفيه: (فإن بني إسرائيل لما عبر بهم موسى البحر نزلوا في مفازة فقالوا: يا موسى، أهلكتنا وقتلتنا وأخرجتنا من العمران إلى مفازة، لا ظلّ ولا شجر ولا ماء، وكانت تجيء بالنهار غمامة تُظلمهم من الشمس، وينزل عليهم بالليل المنّ فيقع على النبات والشجر والحجر فيأكلونه، وبالعشي يأتيهم طائر مشويّ فيقع على موايدهم، فإذا أكلوا وشبعوا طار! وكان مع موسى حجر يضعه في وسط العسكر ثم يضربه بعصاه فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً كما حكى الله، فيذهب كل سبط في رحله....)^(٢).

وقد تبين معنا أن لا التوراة ولا القرآن يتحدثان عن طيور مشوية جاهزة للأكل، ولا عن عودتها إلى الحياة لتطير بعيداً بعد أكلها... ولا أدري كيف يمكن تصوّر أنها تؤكل ثم تعود لتظهر مجدداً لتطير!! وهكذا الأمر بالنسبة إلى تفجير الماء من الحجر بالضرب بالعصا، إذ لا دلالة في الآيتين القرآنيتين اللتين أشرنا إليهما إلى وجود صخرة محددة كانت بمعية موسى يستخدمها لإنباع الماء. نعم، لربما يفهم هذا من نص توراني سيأتي معنا لاحقاً ضمن أحداث السنة الأربعين من التيه: (٩) فَأَخَذَ مُوسَى الْعَصَا مِنْ أَمَامِ الرَّبِّ كَمَا أَمَرَهُ، ١٠ وَجَمَعَ مُوسَى وَهَارُونُ الْجُمْهُورَ أَمَامَ الصَّخْرَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: «اسْمَعُوا

١. سورة البقرة: ٦١.

٢. القمي: تفسير القرآن، ج ١، ص ٤٨.

أَيُّهَا الْمَرَدَّةُ، أَمِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ نُخْرِجُ لَكُمْ مَاءً؟»^(١)، فاستعمال كلمة (الصخرة) مُعْرِفَةٌ قد يعني وجود صخرة محدّدة معروفة كان يستخدمها النبي موسى لهذا الغرض أو لأغراض أخرى، ولكن هذا مجرد احتمال غير أكيد، ولو كانت الصخرة بمعيتها دائماً منذ بداية رحلاته في الصحراء، وكان من المعلوم لديهم أنها منبع الماء بالنسبة إليهم، فلماذا لم يوظفها لإنباغ الماء كلما احتاجوا إليه؟

ويبدو أن مصدر أسطورة الطيور المشوية -مجدّداً ولا غرابة- أحدُ مُسلمة اليهود... وهب بن منبه. ففي قصص الأنبياء، بالإسناد إلى: (وهب بن منبه، عن ابن عباس «رضي الله عنه» قال: قال بنو إسرائيل لموسى «عليه السلام» حين جاز بهم البحر: خبرنا يا موسى، بأيّ قوّة وأيّ عُدة وعلى أيّ حمولة نبليغ الأرض المقدسة ومعك الذرية والنساء والهرمى والزّمنى^(٢)؟ فقال موسى «عليه السلام»: ما أعلم قوماً ورّثه الله من عرض الدنيا ما ورّثكم، ولا أعلم أحداً آتاه منها مثل الذي آتاكم، فمعكم من ذلك ما لا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ «تعالى»، وقال موسى: سيجعل الله لكم مخرجاً، فذكروه وردّوا إليه أموركم، فإنّه أرحم بكم من أنفسكم، قالوا: فادعه يُطعمنا ويسقنا ويكسّنا ويحملنا من الرّجْلة^(٣) ويظلّنا من الحرّ، فأوحى الله «تعالى» إلى موسى: قد أمرت السماء أن يُمطر عليهم المنّ والسلوى، وأمرت الرّيح أن يشوي لهم السلوى، وأمرت الحجارة أن تنفجر، وأمرت الغمام أن تظلّهم، وسخّرت ثيابهم أن تثبت بقدر ما يثبتون، فلما قال لهم موسى ذلك سكتوا^(٤)).

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢٠، ٩-١٠.

٢. الزمّنى: المعاقون.

٣. أي يوفّر لنا أنعاماً نمتطيها بدلاً من السير على الأقدام.

٤. الراوندي: قصص الأنبياء، ص ١٧٢.

• تفجير الماء من الصخرة:

انتقل بنو إسرائيل في رحلتهم الطويلة من برية سين إلى أن وصلوا موضعاً أسمته التوراة (رَفِيدِيم)، وجاء في قاموس الكتاب المقدس أنه اسم عبري معناه (متسعات)^(١). ولا يُمكن الجزم بتحديد موضع رفيديم الذي ستقع فيه آية تفجير الماء من الصخرة، فإن قلنا بأنها هي منطقة عيون موسى، فهي اليوم معلومة، ولكن هذا لا يصح لما يلي:

١. أن عيون موسى هي العيون الخاصة بمنطقة (إيليم)، بينما التي انفجرت بالعصا فإنها تقع في موضع آخر.

٢. أن النص التوراتي لاحقاً سيتحدث عن انفجار الماء بالعصا في حوريب، وحوريب هي ذات المنطقة التي يقع فيها جبل الطور، المسمى جبل الله، وجبل موسى، وهو الموقع الذي بُعث فيه النبي موسى، وسيشهد كلام الله معه مجدداً.

٣. أن هذا أوفق برحلتهم الممتدة قرابة الشهرين إلى أن وصلوا إلى هذا المكان، وهذا لا يناسب أن يكون في موضع عيون موسى بعد عبورهم البحر.

وقد حدّد البعض رفيديم بمنطقة قريبة من ساحل خليج السويس إلى الغرب تماماً من جبل الطور، وهذا ممكن، وأفضل من الاحتمال السابق، ولكنها ما زالت منطقة بعيدة عن جبل الطور، والمنطق -بحسب مضمون القصة التوراتية كما سيأتي معنا- يفرض أن تكون رفيديم قريبة جداً أو مجاورة لحوريب حيث جبل الطور والصخرة التي نبع منها الماء، ولذا قد يكون الاحتمال الثالث أقرب هذه الأقوال للصحة، حيث رفيديم هي ما يُعرف حالياً باسم (وادي رفايد)، والواقع شمال غرب جبل الطور.

١. مجمع الكنائس الشرقية: قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٠٨.

كما أن إلى الشمال الغربي من جبل الطور موضع يُعرَف باسم (حَجَر موسى)، وهو وفقاً للبعض الحجر الذي ضربه النبي موسى بعصاه فانفجر منه الماء. وحالياً يوجد سور من الحجارة على الصخرة الأثرية، ملحق به كنيسة صغيرة، بُنيت بعد ما سرق الإسرائيليون -خلال فترة احتلال سيناء- حجراً مماثلاً كان بجانبه، وعندما حاولوا نقل الحجر الثاني قام رهبان دير سانت كاترين ببناء كنيسة بسور حجري على هذا الحجر خلال الليل لمنع الإسرائيليين من نقله صباحاً، وبالقرب من هذا الحجر صخرة كبيرة منقوش عليها كلمات باللغة السريانية. [انظر اللوحات ٢٢-٢٥]

وفي رَفِيدِيم واجه بنو إسرائيل انعدام الماء مجدداً، فكَرَّرُوا الشكوى والتذمَّر: (١) ثُمَّ ارْتَحَلَ كُلُّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَرِّيَّةِ سِينَ بِحَسَبِ مَرَاجِلِهِمْ عَلَى مُوجِبِ أَمْرِ الرَّبِّ، وَنَزَلُوا فِي رَفِيدِيمَ. وَلَمْ يَكُنْ مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ. ٢ فَخَاصَمَ الشَّعْبُ مُوسَى وَقَالُوا: «أَعْطُونَا مَاءً لِنَشْرَبَ». فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «لِمَاذَا تُخَاصِمُونِي؟ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ الرَّبَّ؟» (١).

فهو «عليه السلام» من جهة غير مسئول عن هذه التحديات التي تواجههم، لأن مسار الرحلة جاء بأمرٍ من الله «تعالى» لا باختيار منه، وقد أخبرهم من قبل أن هذا جزء من الاختبار الإلهي، ومساعدتهم لاكتشاف نقاط الضعف عندهم، ولتقوية عزائمهم وصبرهم، لاسيما وأنهم قد يخوضون مواجهات صعبة في طريق حصولهم على الوعد الإلهي المتمثل في الأرض المباركة، كما أن تذمّرهم المستمر قد يجلب غضب الله، ويعجّل في عقوبتهم.

ولم تُثمر هذه النصيحة عن شيء، بل ازدادوا تذمراً وشكاً: (٣) وَعَطِشَ هُنَاكَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَاءِ، وَتَذَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى وَقَالُوا: «لِمَاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ هُنَاكَ؟»



اللوحة رقم ٢٢ : المواضع المحتملة لرفيديم



اللوحة رقم ٢٣ : جبل الطور وموضع صخرة موسى



اللوحة رقم ٢٤ : لوحة تعبر عن تفجير الماء



اللوحة رقم ٢٥ : لوحة أخرى تعبر عن تفجير الماء

وَأَوْلَادَنَا وَمَوَاشِينَا بِالْعَطِشِ؟» ٤ فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ قَائِلًا: «مَاذَا أَفْعَلُ بِهَذَا الشَّعْبِ؟
بَعْدَ قَلِيلٍ يَرْجُمُونِي»^(١).

من شدة هياج القوم وتذمرهم، توجه موسى بالنداء إلى الله لينقذه من أيديهم، فإن
شدة غيظهم قد تدفعهم إلى أن يرموه بالحجارة.. ما أوقحهم!
وتدخلت اليد الربانية لثني الموقف: (٥ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُرِّقَدَامَ الشَّعْبِ، وَخُذْ
مَعَكَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ. وَعَصَاكَ الَّتِي ضَرَبْتَ بِهَا التَّهْرَ خُذْهَا فِي يَدِكَ وَاذْهَبْ. ٦
هَآ أَنَا أَقِفُ أَمَامَكَ هُنَا عَلَى الصَّخْرَةِ فِي حُورِيبَ، فَتَضْرِبُ الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ
لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ». فَفَعَلَ مُوسَى هَكَذَا أَمَامَ عُيُونِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ)^(٢).

ويضيف النص التوراتي أن هذا الحدث -من خلال تنامي روحية التمرد والجرأة على
الله ورسوله- ترك ذكرى سيئة في تلك البقعة من الصحراء بحيث اشتق لها اسماً يدل
على السقوط مجدداً في الاختبار الإلهي: (٧ وَدَعَا اسْمَ الْمَوْضِعِ «مَسَّةَ وَمَرِيبَةَ» مِنْ أَجْلِ
مُخَاصَمَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمِنْ أَجْلِ تَجْرِيبَتِهِمْ لِلرَّبِّ قَائِلِينَ: «أَفِي وَسْطِنَا الرَّبُّ أَمْ لَا؟»)^(٣).
وإذا رجعنا إلى النص العبري لهذا المقطع من سفر الخروج، فسنجد أن الكلمتين
جاءتا بالصورة التالية:

(١) מָסָה وتُلَفَّظ (مَسَّة) Masa وتعني اختبار.

(٢) מְרִיבָה وتُلَفَّظ (مَرِيبَةَ) Meriva وتعني شجار^(٤). ولعل الكلمة تقابل كلمة

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٧، ٣-٤.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٧، ٥-٦.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٧، ٧.

4. https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/02-Sefr-El-Khoroug/Tafseer-Sefr-El-Khroug__01-Chapter-17.html

(مرء) العربية والتي تعني الجدال والتخاصم بالكلام، كما قال «تعالى»: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا...﴾ (١).

هذا المشهد يتوافق إجمالاً مع ما جاء في سورتي البقرة والأعراف، وليس ما جري في إيليم كما أشرت إلى ذلك مسبقاً، قال «تعالى»: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٢)، وقال «عز اسمه»: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ...﴾ (٣).

يلاحظ أن الآية في سورة البقرة عبّرت عن ظهور الماء بكلمة «انْفَجَرَتْ»، بما يدلّ على الكثرة، بينما عبّرت عن ذلك في سورة الأعراف بكلمة «انْبَجَسَتْ»، أي انبثقت وتدفّقت، وهي تدل على كمية أقل مما دلّت عليه كلمة انفجرت. وقد أشار الدكتور فاضل السامرائي إلى ما في هذا التغيّر في التعبير من دلالات، انطلاقاً من قول المفسرين بأن العيون انفجرت أولاً بالماء الكثير، ثم قلّ الماء بمعاصيهم. وهذا أمرٌ مشاهد، فالعيون والآبار لا تبقى على حالة واحدة، فقد تجفّ العيون والآبار. فذكر الانفجار في موطن، والانبجاس في موطن آخر، وكلا المشهدين حصل بالفعل.

وأما لماذا استعمل كلمة «انْفَجَرَتْ» في سياق الآيات في سورة البقرة؟ فلأن السياق فيها حفل بالثناء والمدح والتفضّل على بني إسرائيل فجاء بالكلمة التي تدلّ على الكثير.

١. سورة الكهف: ٢٢.

٢. سورة البقرة: ٦٠.

٣. سورة الأعراف: ١٦٠.

أما في سورة الأعراف، فقد تم استعمال كلمة ﴿انْبَجَسَتْ﴾ لأن السياق في هذه السورة سياق ذمٍّ لبني إسرائيل، فذكر معها الانبجاس، وهو أقل من الانفجار^(١).

والتفضل الإلهي عليهم بهذا العدد من العيون المتوافق مع عدد الأسباط جاء منعاً لنشوب الصراعات بينهم في هذا الظرف العصيب، وفيه إعانة للنبي موسى على التحكم في الأمور الطارئة وحالات التمرد والشكوى والتذمر المتكررة خلال الرحلة في هذه المنطقة الصحراوية، ويدلّ على ذلك قوله «تعالى»: ﴿... قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ...﴾ والذي تكرر في السورتين.

وقد تفنّن بعض قدماء المفسّرين في بيات تفاصيل هذا الحجر وكيفية نبع الماء منه بهذه الصورة العجيبة، ومن ذلك:

١. قال الشعالي: (فأمره الله «تعالى» بضرب الحجر آية منه، وكان الحجر من جبل الطور على قدر رأس الشاة، يلتقى في كسر جُوالق^(٢)، ويُرحل به، فإذا نزلوا وُضع في وسط محلّتهم، وضربه موسى. وذكر أنهم لم يكونوا يحملون الحجر لكنهم كانوا يجدونه في كل مرحلة في منزلته من المرحلة الأولى، وهذا أعظم في الآية، ولا خلاف أنه كان حجراً مربّعاً منفصلاً، تطرد من كل جهة منه ثلاث عيون إذا ضربه موسى، وإذا استغنوا عن الماء، ورحلوا، جفّت العيون)^(٣).

٢. قال الزمخشري: (روي أنه حجر طوري^(٤) حملة معه، وكان حجراً مربّعاً، له أربعة أوجه، كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين، لكل سبط عين تسيل في جدول إلى

1. <https://albayanalqurany.com>

٢. الجُوالق: الجِراب الكبير، وهو وعاء من صوف أو شعر أو غيرهما.

٣. الشعالي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٤٩.

٤. أي من الطور.

السبط الذي أمر أن يسقيهم، وكانوا ستمائة ألف، وسعة المعسكر اثنا عشر ميلاً، وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شعيب، فدفعه إليه مع العصا. وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل إذ رموه بالأدرة^(١). فقربه فقال له جبريل: يقول لك الله «تعالى»: ارفع هذا الحجر، فإنّ لي فيه قُدرة، ولك فيه معجزة. فحمله في مَخَلّاته^(٢).... وعن الحسن: لم يأمره أن يضرب حجراً بعينه. قال: وهذا أظهر في الحجّة وأبين في القدرة. وروي أنهم قالوا: كيف بنا لو أفضينا إلى أرض ليست فيها حجارة؟ فحمل حجراً في مَخَلّاته، فحيثما نزلوا ألقاه. وقيل: كان يضربه بعصاه فينفجر، ويضربه بها فييبس. فقالوا: إن فقد موسى عصاه متنا عطشاً. فأوحى إليه: لا تفرع الحجارة، وكلّمها تُطْعِك لعلهم يعتبرون. وقيل: كان من رخام. وكان ذراعاً في ذراع. وقيل مثل رأس الإنسان. وقيل كان من آس الجنة، طوله عشرة أذرع على طول موسى^(٣)، وله شُعبتان تتقدان في الظلمة وكان يُحمل على حمار^(٤).

٣) قال القرطبي: (قال عطاء: وبلغنا أنه كان في كل سبط خمسون ألف مقاتل، سوى خيلهم ودوابهم. قال عطاء: كان يظهر على كل موضع من ضربة موسى مثل ثدي المرأة على الحجر، فيعرق أولاً ثم يسيل)^(٥).

وهكذا تتراكم الأقوال والادعاءات التي لا يُعلم مصدرها، ولا تتوافق فيما بينها، ولا حُجّة لها، وهي لا تعدو أن تكون من التأويل بالرأي، وهو منهي عنه دون شك.

١. الأدرة: انتفاخ في الخصىة. وسنشرح هذه المسألة في فصل لاحق.

٢. المَخَلّة: كيس يوضع في العلف ويُعلّق على عنق الدابة، كما قد يُستعمل لأغراض أخرى.

٣. أي أن طول موسى كان أربعة أمتار ونصف المتر تقريباً.

٤. الزمخشري: الكشف، ج ١، ص ٢٨٤.

٥. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٤٢١.

• غزوة العماليق:

بعد المشهد السابق، وفي رفيديم، تحدثت التوراة عن تعرّض بني إسرائيل لغزوة من قبل العماليق، وبالنص العبري אמלִיִּץ وتُلفظ (أمالق) Āmālēq.

وبحسب (التفسير التطبيقي للكتاب المقدس) فإن العماليق من نسل (عماليق حفيد عيسو)، أي عيسو بن إسحاق، وأخو النبي يعقوب، وأنهم كانوا أمة بدوية شرسة، أو قبيلة عاشت في المنطقة الصحراوية حول البحر الميت، وكانوا يقتلون لمجرد التلذذ بالقتل، وكان من أعظم الإهانات في ثقافة بني إسرائيل أن تدعو شخصاً بأنه صديق العماليق^(١).

ويأتي هذا النسب من خلال نص صريح في التوراة: (١٢) وَكَانَتْ تَمْنَعُ سُرِّيَّةً لِأَلِيفَازَ بْنِ عَيْسُو، فَوَلَدَتْ لِأَلِيفَازَ عَمَالِيقَ. هَؤُلَاءِ بَنُو عَدَا امْرَأَةِ عَيْسُو^(٢).

واختلف المؤرخون العرب في أصلهم ومسكنهم وسبب تسميتهم إلى آراء عديدة، أشار إلى بعضها ابن خلدون حيث قال: (تقدّم لنا خلاف النسابة في هؤلاء العمالقة وأنهم لعمليق بن لاوذ، أو لعمالق بن أليفاز بن عيصو الثاني)^(٣).

وقال الطبري من قبله: (فعمليق أبو العماليق، كلّهم أُمم تفرقت في البلاد، وكان أهل المشرق وأهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون، ومنهم كانت الفراعنة بمصر، وكان أهل البحرين وأهل عمان منهم أمة يسمون جاسم، وكانوا ساكنو المدينة منهم بنو هف وسعد بن

١. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ١٦٧.

٢. الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح ٣٦، ١٢.

٣. ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٢، ص ٨٧.

هزان وبنو مطر وبنو الأزرق، وأهل نجد منهم بديل وراجل وغفار، وأهل تيماء منهم، وكان ملك الحجاز منهم بتيماء اسمه الأرقم، وكانوا ساكني نجد مع ذلك.... وكانوا قوماً عرباً يتكلمون بهذا اللسان المضري، فكانت العرب تقول لهذه الأمم العرب العاربة لأنه لسانهم الذي جُبلوا عليه ويقولون لبني إسماعيل بن إبراهيم العرب المتعربة لأنهم إنما تكلموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أظهرهم، فعاد وثمود والعماليق وأميم وجاسم وجُديس وطسم هم العرب^(١).

لغويًا، فإن معنى (العَمَلَق: الجور والظلم... والعِمْلَاقُ الطويل)^(٢)، فهل الاسم المختار لهم ناشئ من جوهرهم وتعديهم على الأمم، أم مما امتازوا به من طول القامة، حتى قيل أنهم من نسل قوم عاد الذين وصفهم القرآن الكريم بالزيادة في الخلق بسطة، أم من الأمرين معاً، أم نسبة إلى جدّهم عماليق كما مرّ معنا؟ هذا كله إذا كان الاسم عربي الأصل، كما يُحتمل أن يماثله في الدلالة إن لم يكن عربياً بل سامياً يشترك مع العربية في اللفظ والدلالة.

ويرى البعض أنهم المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ٢٢﴾^(٣)، ولكن إن قلنا أن العماليق المشار إليهم في النص التوراتي كانوا من البدو الرحّل، فإن هذه المقاربة لن تكون سليمةً، لأن الجبارين المشار إليهم كانوا أهل مدينة وحضارة، ولم يكونوا من سكان البادية الرحّل، والفرض أن العماليق كانوا من البدو الذي يقطنون

١. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ١٤٠-١٤١.

٢. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ٢٧١.

٣. سورة المائدة: ٢٢.

بعض نواحي صحراء سيناء، وصحراء الشام، إلا أن يقال أن القوم الجبارين المشار إليهم فرع منهم استوطن واستقر في نواحي من أرض كنعان (فلسطين) وانتقل من الحالة البدوية إلى الحالة المدنية كما أشار إلى ذلك الطبري في تاريخه.

وبحسب بعض الباحثين، فإن العماليق كانوا قسماً من المجموعات البدوية المتحالفة والمنطلقة من مدن فينيقيا وكنعان وسيناء وحتى مصر، والتي اجتاحت مصر وأسست - بمجموعها دولة الهكسوس التي حكمت أيام النبي يوسف «عليه السلام»، أو في زمن قريب من عصره.

والقدر الذي يمكن أن يُطمأن إليه في تحديد من هم العماليق أن نقول أنهم من القبائل التي قطنت نواحي من بلاد الشام وسيناء، ولربما الجزيرة العربية أيضاً، وتحول بعضها إلى الحياة المدنية، وعملوا في الزراعة والتجارة، وكانوا جزء من الصراع الممتد بين بني إسرائيل - من بعد خروجهم من مصر - وبين الأمم الأخرى، وذلك طوال قرون ممتدة من عصر النبي موسى «عليه السلام» إلى ما بعد عصر النبي داود «عليه السلام». ومن المستبعد أن يصح - ادعاء التوراة الحاضرة - بكون العماليق من ذرية عيسو ابن النبي إسحاق بن إبراهيم «عليهما السلام»، لأن من المنطقي أن يوسف وعماليق - حفيد عمّه - عاشا في عصر واحد، أو عصر متقارب جداً لا تفصلهم عن بعض سوى سنوات قليلة، فمتى تحدّرت من عماليق بن أليفاز بن عيسو قبائل اشتركت مع قبائل أخرى وشكّلت ما يُعرف بالهكسوس واحتلت مصر قبل أن يستقرّ فيها يوسف أو بعده بزمن قصير؟

وهذا يؤكّد ما ذكره بعض الباحثين من أن في التوراة الحاضرة أخطاء جغرافية وزمانية كثيرة، علاوة على أخطاء في الأنساب والأسماء، ولهذا بحته الخاص، وقد أشرْتُ إلى

بعض موارده في كتابي (في عمق التاريخ)، وكذلك في الجزء الأول من سيرة النبي موسى. وإذ ليس في القرآن الكريم ذكر لحادثة الغزو هذه، لذا سنعتمد على الرواية التوراتية والتي تتلخص في الصورة التالية:

(١) موقع الهجوم المباغت هو (رفيديم) حيث وقعت معجزة نبع الماء: (٨ وَأَتَى عَمَالِيقُ وَحَارَبَ إِسْرَائِيلَ فِي رَفِيدِيمَ)^(١).

(٢) تم تكليف يوشع بن نون لقيادة القوات التي ستواجه العماليق: (٩ فَقَالَ مُوسَى لِيَشُوعَ: «انْتَحِبْ لَنَا رِجَالًا وَاخْرُجْ حَارِبَ عَمَالِيقَ. وَغَدًا أَقِفْ أَنَا عَلَى رَأْسِ الثَّلَاةِ وَعَصَا اللَّهِ فِي يَدِي»)^(٢).

الغريب في الأمر أن الغزوة ليست إغارة وهجوماً مفاجئاً كما هي عادة العرب أو البدو في مثل هذه الحالات، بل كأنها دعوة للحرب في اليوم اللاحق بما يسمح لاختيار القائد، ومقاتلين محددين، وأن يتخذ النبي موسى موضعاً معيناً للتدخل الغيبي لتحقيق النصر في المعركة، فهل يمكن قبول هذا السيناريو؟ ولماذا يقترب العماليق من بني إسرائيل ولا يفاجئونهم في الغزو؟ وما الغاية مما يُشبه الاتفاق معهم على موعد لاحق للقتال إذا كان الغرض هو طردهم من المنطقة أو القضاء عليهم أو سلبهم؟ لاسيما وأن المفترض أن عدد بني إسرائيل بمئات الآلاف، وليس من المنطقي أن تكون هناك دعوة للقتال من قبل مجموعة غازية لن تبلغ هذا العدد، بل لن تقترب منه مطلقاً، وإذا افترضنا أن عددهم كبير، فمن أين جاء وتكوّن هذا الجيش الجرار المكوّن من عشرات أو مئات الآلاف من العماليق؟

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٧، ٨.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٧، ٩.

كلّ هذا يفرض علينا أن نفهم الحدث بصورة مغايرة، وأن في البين اختصاراً في الوصف، إذ يمكن أن يُقال أن الله أطلع موسى على اقتراب الغزاة، فتمّ اتخاذ التدابير السالفة، أو أن موسى قد زرع عيوناً له في المنطقة بحيث يُطلعونه على أية مخاطر محتملة من هذا القبيل، وهذا ما جرى بالفعل مما سمح لموسى بالاستعداد.

الاحتمال الثالث يتمثل في افتراض وجود شرف عسكري لدى الغزاة العماليق الذين لم يكن من شأنهم المفاجئة بالغزو، بل الدعوة المسبقة للحرب، وبعد تنبيه الطرف الآخر للاستعداد لها، وهذا الاحتمال -عندي- ضعيف جداً. وأياً كان الأمر، فإنه من المنطقي أن نلتزم بكون عدد بني إسرائيل بالآلاف، وبه يمكن توجيه أحداث الغزوة والانتصار الحاسم في نهايتها بعد أن كانت الغلبة في أكثر من مشهد لصالح العماليق كما سيأتي معنا.

(٣) اختيار النبي موسى «عليه السلام» تلة مشرفة على موقع المواجهة العسكرية، والاستعانة بالدعاء لتحقيق النصر بمدد غيبي: (١٠) فَفَعَلَ يَشُوعُ كَمَا قَالَ لَهُ مُوسَى لِيُحَارِبَ عَمَالِيْقَ. وَأَمَّا مُوسَى وَهَارُونُ وَحُورُ^(١) فَصَعِدُوا عَلَى رَأْسِ التَّلَّةِ. ١١ وَكَانَ إِذَا رَفَعَ مُوسَى يَدَهُ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَغْلِبُ، وَإِذَا خَفَضَ يَدَهُ أَنَّ عَمَالِيْقَ يَغْلِبُ^(٢).

(٤) إصابة النبي موسى «عليه السلام» بالإجهاد نتيجة وقوفه لمدة طويلة مع رفع يديه إلى الأعلى للدعاء، مما دفع هارون وهور كي يعيناه في رفعهما: (١٢) فَلَمَّا صَارَتْ يَدَا

١. جاء في تفسير الكتاب المقدس أن حور هو أحد تلاميذ النبي موسى المقرّبين، وهو من سبط يهوذا. ويظن البعض أنه زوج مريم أخت موسى، وفي قاموس الكتاب المقدس أنه كان مشتركاً مع هارون في إدارة أمور بني إسرائيل بينما كان النبي موسى غائباً في الجبل للقاء الله.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٧، ١٠.

مُوسَى ثَقِيلَتَيْنِ، أَخَذَا حَجَرًا وَوَضَعَاهُ تَحْتَهُ فَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَدَعَمَ هَارُونُ وَحُورُ يَدَيْهِ،
الْوَّاحِدُ مِنْ هُنَا وَالْآخَرُ مِنْ هُنَاكَ^(١). [انظر اللوحتين ٢٦-٢٧]

٥) استمرار القتال إلى الغروب وانتصار بني إسرائيل في نهاية المطاف: (١٢).....فَكَانَتْ
يَدَاهُ ثَابِتَتَيْنِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ. ١٣ فَهَزَمَ يَشُوعُ عَمَالِيقَ وَقَوْمَهُ بِحِجْدِ السَّيْفِ^(٢).

٦) أمر الله «تعالى» بتدوين هذا الحدث وتخليد دور يوشع بن نون في تحقيق هذا
النصر وما سيتحقق مستقبلاً على يديه -بعد وفاة موسى- وبشكل حاسم ونهائي في
مواجهاته ضد العماليق: (١٤) فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اَكْتُبْ هَذَا تَذْكَارًا فِي الْكِتَابِ، وَضَعْهُ
فِي مَسَامِعِ يَشُوعَ. فَإِنِّي سَوْفَ أَحْضُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ»^(٣). وتخصيص ذكر
يشوع في هذا النص إنما جاء بلحاظ أن هذا النصر الحاسم والنهائي سيتحقق بعد وفاة
النبي موسى في زمن قيادته لبني إسرائيل، أي بعد قرابة أربعين سنة من هذا الوعد.

إنّ هذا المشهد يذكّرنا بالمعارك التي كان يخوضها المسلمون ضد أعدائهم من المشركين
واليهود، ودور الإمام علي -وصي النبي محمد كما كان يوشع وصياً للنبي موسى- في حمل
لواء الحرب، وتحقيق النصر على الأعداء في المواجهات العسكرية، ولاسيما في أول
معركة مصيرية وهي معركة بدر الكبرى، حيث كان علي «عليه السلام» يقود القتال
ضد المشركين ويُجند لهم في ساحة المعركة، والنبي «صلى الله عليه وآله» يدعو بالنصر،
ومما روي من دعائه في هذا المشهد: (اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي،
اللَّهُمَّ إِنَّ تُهْلِكَ هَذِهِ الْعَصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعَبِّدْ فِي الْأَرْضِ. فما زال يهتف ربّه

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٧، ١٢.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٧، ١٢-١٣.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٧، ١٤.



اللوحة رقم ٢٦ : لوحة فنية تعبّر عن مساعدة النبي موسى في رفع يديه



اللوحة رقم ٢٧ : لوحة أخرى للحدث وفيهما (قرنا) النور على رأس موسى

«جل وعلا» ماداً يديه مُستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبه^(١).

وفي الإرشاد للشيخ المفيد: (قد أثبتت رواية العامة والخاصة معاً أسماء الذين تولى أمير المؤمنين «عليه السلام» قتلهم بيدر من المشركين، على اتفاقٍ فيما نقلوه من ذلك واصطلاح، فكان ممن سمّوه: الوليد بن عتبة - كما قدّمنا - وكان شجاعاً جريئاً وقاحاً فتاكاً تهابه الرجال، والعاص بن سعيد وكان هولاً عظيماً تهابه الأبطال.... وطعيمة بن عدي بن نوفل وكان من رؤوس أهل الضلال، ونوفل بن خويلد وكان من أشدّ المشركين عداوة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكانت قريش تُقدّمه وتُعظمه وتُطيعه.... ولما عرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» حضوره بدرأً سأل الله أن يكفيه أمره فقال: اللهم اكفني نوفل بن خويلد فقتله أمير المؤمنين «عليه السلام». وزمعة بن الأسود، والحارث بن زمعة، والنضر بن الحارث بن عبد الدار، وعمير بن عثمان بن كعب بن تميم عم طلحة بن عبيد الله، وعثمان ومالك ابنا عبيد الله أخوا طلحة بن عبيد الله، ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة، وقيس بن الفاكه بن المغيرة وحذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة، و[أبو] قيس بن الوليد بن المغيرة، وحنظلة بن أبي سفيان، وعمرو بن مخزوم، وأبو منذر بن أبي رفاعه، ومنبّه بن الحجاج السهمي، والعاص بن منبّه، وعلقمة بن كلفة، وأبو العاص بن قيس بن عدي، ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاص، ولوزان بن ربيعة، وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعه، ومسعود بن أمية بن المغيرة، وحاجب بن السائب بن عويمر، وأوس بن المغيرة بن لوزان، وزيد بن مليص، وعاصم بن أبي عوف، وسعيد بن وهب حليف بني عامر، ومعاوية بن [عامر بن] عبد القيس، وعبد الله بن جميل بن زهير بن الحارث بن أسد، والسائب بن مالك، وأبو الحكم بن الأخنس،

١. ابن حبان: الصحيح، ج ١١، ص ١١٤.

وهشام بن أبي أمية بن المغيرة. فذلك خمسة وثلاثون رجلاً سوى من اختلف فيه أو شرك أمير المؤمنين «عليه السلام» فيه غيره، وهم أكثر من شطر المقتولين ببدر على ما قدمناه^(١).

وقد أشارت السيدة فاطمة الزهراء «عليها السلام» إلى هذا الدور المهم الذي قام به زوجها علي «عليه السلام» حيث قالت: (حتى أنقذكم الله برسوله «صلى الله عليه وآله» بعد اللتيا والتي، وبعد أن مُني بيهم الرجال^(٢) وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾^(٣) أو نَجَمَ قَرْنُ الشَّيْطَانِ أَوْ فَعَرَتِ فَاعْرَةً قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا^(٤)). ولا ينكفي حتى يطأ صِماخها بأخمصه^(٥)، ويطفئ عادية لهبها بسيفه^(٦).

نعود إلى نص التوراة حيث يشير إلى الأمر بتدوين الحدث في كتاب، ومن غير الواضح ما هو الكتاب المشار إليه في هذا النص، وقد احتمل البعض أنه نص التوراة الذي بدأ موسى «عليه السلام» بكتابته، أي هذا النص الذي نقرؤه في التنخ بعنوان سفر الخروج، وعلى هذا الفرض فإن هذا النص المكوّن من الأسفار الخمسة، والتي تُعرّف بمجموعها باسم التوراة، ليس في مجموعته نصاً منزلاً من عند الله، بل هو من تدوينات النبي موسى وكلماته، وإن كان قسمٌ منه، كالوصايا العشر التي ستأتي لاحقاً،

١. المفيد: الإرشاد، ج ١، ص ٧٠-٧٢.

٢. بهم الرجال: أي شجعانهم.

٣. سورة المائدة: ٦٤.

٤. فغرت فاعرة: أي فتحت فاهها. اللهوات: جمع لهات: وهي اللحمية التي في أقصى شفة الفم.

٥. الصماخ: الأذن. والأخص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم.

٦. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٢٥٠.

والتشريعات الخاصة بالعبادة والنذورات والكفارات والأطعمة وغير ذلك نازلة من عند الله، ولكنها مدونة من قبل النبي موسى.

(٧) بالإضافة إلى تخليد هذا الحدث المفصلي المتمثل بالنصر المبين في أول مواجهة عسكرية مع العماليق، من خلال التدوين في الكتاب، قام النبي موسى «عليه السلام» بتخليده من خلال تأسيس مذبح لتقديم القرбан شكراً لله «تعالى»: (١٥) فَبَنَى مُوسَى مَذْبَحًا وَدَعَا اسْمَهُ «يَهُوَهُ نِسِّي»^(١). أي الله رايتي أو الله عَلَمِي، للتأكيد على أن القتال يجب أن يكون في سبيل الله واتباعاً لأمر الله لا غير: (١٦) وَقَالَ: «إِنَّ الْيَدَ عَلَى كُرْسِيِّ الرَّبِّ. لِلرَّبِّ حَرْبٌ مَعَ عَمَالِيقَ مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ»^(٢).

وقد اختلف في المراد من هذه العبارة، ومن بين التفسيرات التي قُدِّمت أن الغزوة التي أقدم عليها (العماليق) كانت بمثابة إعلان حرب على الكرسي والعرش والمُلْك الإلهي، والإرادة الإلهية، لذلك فإنَّ الله سيحاربهم من وقت إلى آخر ما داموا هكذا. وفسر آخرون المراد من العبارة السابقة أن يد الله مرفوعة لتُقَسِّم بعرشه أنه سيحافظ على حالة الحرب والعداوة ضد العماليق إلى الأبد.

• زيارة مفاجئة:

بعد انتهاء المعركة العسكرية، تفاجأ موسى «عليه السلام» بوفود زوجته (صفورة) وولديه (جرشوم وأليعازر) ووالد زوجته (يثرن)، والسبب على ما تحكيه التوراة كما يلي: (١) فَسَمِعَ يَثْرُونُ كَاهِنُ مِديَانَ، حَمُو مُوسَى، كُلَّ مَا صَنَعَ اللَّهُ إِلَى مُوسَى وَإِلَى إِسْرَائِيلَ شَعْبِهِ: أَنَّ الرَّبَّ أَخْرَجَ إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ..... ٥ وَأَتَى يَثْرُونُ حَمُو مُوسَى وَابْنَاهُ وَأَمْرَأَتُهُ

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٧، ١٥.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٧، ١٥.

إِلَى مُوسَى إِلَى الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ كَانَ نَازِلًا.... ٧ فَخَرَجَ مُوسَى لاسْتِقْبَالَ حَمِيهِ وَسَجَدَ^(١) وَقَبَّلَهُ. وَسَأَلَ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ عَنْ سَلَامَتِهِ، ثُمَّ دَخَلَ إِلَى الْحَيْمَةِ^(٢).

قص النبي موسى «عليه السلام» على يثرون كل ما جرى لفرعون والمصريين بأمر الله تعالى، وما تحقق لهم من الخلاص والخروج من مصر: (٩ فَفَرِحَ يَثْرُونُ بِجَمِيعِ الْخَيْرِ الَّذِي صَنَعَهُ إِلَى إِسْرَائِيلَ الرَّبِّ، الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ.... ١٢ فَأَخَذَ يَثْرُونُ حَمُو مُوسَى مُحَرَّقَةً وَذَبَائِحَ لِلَّهِ. وَجَاءَ هَارُونُ وَجَمِيعُ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ لِيَأْكُلُوا طَعَامًا...)^(٣).

في اليوم اللاحق، لاحظ يثرون أمراً اعتاد أن يقوم به النبي موسى في إدارته لشيئون بني إسرائيل، إذ كان يستقبل الناس لأغراضهم المختلفة، وهي تدور بين كونها شكاوى، وأسئلة موجهة إلى الله، والتقاضي وطلب الفصل في نزاعات بينية، ومعرفة الأحكام الشرعية والتكاليف الإلهية. وحيث أن عددهم كبير، والجلسة الخاصة بكل حالة تطول، لذا كان هذا الأمر مجهداً للطرفين، لموسى وللمراجعين. من هنا اقترح يثرون أن يختار موسى بعض من يأتهم من ذوي التقوى والقدرة على الفصل في النزاعات الصغيرة، فيكل الأمر إليهم بعد تعيين كل منهم على مجموعة محددة من عامة الناس.

أما النزاعات الكبيرة، ورفع المسائل إلى الله «تعالى»، وتعليم الأحكام الشرعية وبيان التكاليف الإلهية وهداية الناس فتكون من مسئولية النبي موسى «عليه السلام» فحسب، وذلك وفق الترتيب التالي:

١. ذكرت في كتابي (أبو الأنبياء) أن التوراة تتحدث عن هذه العادة الدارجة عند الناس آنذاك في السجود للضيوف، كما نجد في القرآن الكريم أن أسرة النبي يوسف سجدت له عند وفودها عليه.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٨، ١-٧.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٨، ٩-١٢.

مهام النبي موسى:

١- واسطة بينهم وبين الله: (١٩.... كُنْ أَنْتَ لِلشَّعْبِ أَمَامَ اللَّهِ، وَقَدِّمِ أَنْتَ الدَّعَاوِي إِلَى اللَّهِ)^(١).

٢- تعليم الأحكام الشرعية: (٢٠) وَعَلَّمَهُمُ الْفَرَائِضَ وَالشَّرَائِعَ)^(٢).

٣- الهداية إلى سبيل الله: (وَعَرَّفَهُمُ الطَّرِيقَ الَّذِي يَسْلُكُونَهُ، وَالْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُونَهُ)^(٣).

٤- اختيار القضاة من تتوفر فيهم الصفات التالية: (٢١) وَأَنْتَ تَنْظُرُ مِنْ جَمِيعِ الشَّعْبِ مَنْ يَحْمِلُونَ الصِّفَاتِ التَّالِيَةَ: (ذَوِي قُدْرَةٍ، خَائِفِينَ لِلَّهِ، أُمَنَاءَ، مُبْغِضِينَ الرِّشْوَةَ) هؤلاء تختارهم من بين بني إسرائيل (وَتَقِيْمُهُمْ عَلَيْهِمْ رُؤُسَاءَ أُلُوفٍ، وَرُؤُسَاءَ مِائَاتٍ، وَرُؤُسَاءَ خَمَّاسِينَ، وَرُؤُسَاءَ عَشْرَاتٍ، ٢٢ فَيَقْضُونَ لِلشَّعْبِ كُلِّ حِينٍ) على أن يقضوا في المسائل الصغيرة والبسيطة، ويحولوا القضايا الكبيرة والخطيرة إلى النبي موسى ليقضي فيها: (وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ الدَّعَاوِي الْكَبِيرَةِ يَجِيئُونَ بِهَا إِلَيْكَ، وَكُلُّ الدَّعَاوِي الصَّغِيرَةِ يَقْضُونَ هُمْ فِيهَا. وَخَفَّفَ عَنْ نَفْسِكَ، فَهُمْ يَحْمِلُونَ مَعَكَ. ٢٣ إِنْ فَعَلْتَ هَذَا الْأَمْرَ وَأَوْصَاكَ اللَّهُ تَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ. وَكُلُّ هَذَا الشَّعْبِ أَيْضًا يَأْتِي إِلَى مَكَانِهِ بِالسَّلَامِ)^(٤).

أعجب موسى «عليه السلام» بالفكرة، وطبقها بحذافيرها: (٢٧) ثُمَّ صَرَفَ مُوسَى حَمَاهُ فَمَضَى إِلَى أَرْضِهِ)^(٥).

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٨، ١٩.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٨، ٢٠.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٨، ٢٠.

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٨، ٢١-٢٣.

٥. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٨، ٢٧.

• نتائج الفصل و خلاصته:

○ أوصى الله بني إسرائيل بالطاعة الدائمة، وقد رأوا آياته من قبل، ولم يمرّ وقت طويل على آية انفلاق البحر، وهلاك فرعون ونجاتهم، كما حوّل لهم الماء المرّ إلى ماء عذب، فشربوا منه وارتووا.

○ تكرّرت شكاوى بني إسرائيل المرّة تلو الأخرى من الصعوبات التي كانوا يواجهونها، ووصل بهم الأمر إلى حدّ تهديد النبي موسى بالموت رجماً ! لقد كانت تلك الابتلاءات لكشف معدنهم، وبيان حقيقتهم، وليغيّروا ما بأنفسهم، ويصبروا ويتّقوا، ليكونوا مهيين لدخول الأرض المباركة، إلا أنهم فشلوا في الاختبار.

○ كان المنّ والسلوى من نعم الله على بني إسرائيل بعد أن اشتكوا من شحّة الطعام، ولم يكونوا بحاجة بعد ذلك إلى الزراعة وانتظار موسم الحصاد، والبحث عن طرائد الصيد، وقد اختبروا بذلك بالالتزام بأخذ مقدار حاجتهم، فعصى منهم من عصى، وسقطوا مجدداً في الابتلاء، وقد استمرّ إمدادهم بالمنّ طوال أربعين سنة.

○ من الموارد التي التقت فيها السردية القرآنية مع سابقتها التوراتية حول قصة النبي موسى، المشهد الخاص بضرب العصا وانفجار الحجر عن اثني عشر ينبوعاً من الماء، ووقع ذلك -بحسب التوراة- في ريفيديم الواقعة بالقرب من جبل الطور.

○ وفي ريفيديم، تعرّض بنو إسرائيل لغزوة من قبل البدو العماليق، فأوكل النبي موسى إلى فتاه يوشع بن نون قيادة القوات التي ستواجه الغزاة، فما غربت الشمس حتى تحقّق له النصر، وانكفأ الغزاة مهزومين مدحورين.

○ وفي هذه المحطة أيضاً، التحقت زوجة موسى به، ومعها ولدها، ووالدها يثرون.

رسالة الميثاق الإلهي

رسالة الميثاق الإلهي

• موضوعات هذا الفصل:

- عرض لما جاء في التوراة الحاضرة حول أوّل لقاء متجدّد لموسى مع الله في جبل الطور، وما مضمون الكلام الإلهي له.
- توضيح التدابير والإجراءات التمهيدية لعقد اللقاء الثاني مع الله.
- بيان لمضامين الوصايا العشر التي نزلت على موسى وبني إسرائيل في اللقاء الذي تلاه، ومقارنتها بما جاء في القرآن حول مضمون الميثاق الإلهي مع بني إسرائيل.
- لماذا تكرر ذكر الوصايا العشر في سفر التثنية؟ وما دلالة هذا العنوان؟ وما علاقة ذلك بوصف القرآن الكريم وسوره وآياته بالمثاني؟
- الوقوف على سرّ التأكيد المتكرر في التوراة على الوصية بالتوحيد والنهي عن صناعة التماثيل واتخاذها.

○ مناقشة مسألة رفع الطور على بني إسرائيل والتي لم يرد ذكرها في ترجمات التوراة الحاضرة، وإثبات صحة ما جاء في القرآن الكريم من خلال ما كتبه رجال الدين اليهود في شروحهم على التوراة وفي التلمود ومصادر أخرى عديدة.

• الاستقرار قبالة الطور:

المحطة التالية -بعد رفيديم- في حركة النبي موسى «عليه السلام» وبني إسرائيل كانت باتجاه برية سيناء، حيث استقروا في الشهر الثالث من السنة الأولى من الخروج قبالة جبل الطور. وكما ذكرت مسبقاً، فإن المراد من برية سيناء في النص التوراتي ليس عموم شبه جزيرة سيناء، بل المنطقة البرية المحدودة التي يقع فيها جبل الطور. [انظر اللوحة ٢٨]

(١) فِي الشَّهْرِ الثَّالِثِ بَعْدَ خُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ جَاءُوا إِلَى بَرِّيَّةِ سِينَاء. ٢ ارْتَحَلُوا مِنْ رَفِيدِيمَ وَجَاءُوا إِلَى بَرِّيَّةِ سِينَاء فَزَلُّوا فِي الْبَرِّيَّةِ. هُنَاكَ نَزَلَ إِسْرَائِيلُ مُقَابِلَ الْجَبَلِ^(١).

• لقاء الله:

بحلول موسى «عليه السلام» ومن معه من بني إسرائيل عند جبل الطور، يتجدد اللقاء مع الله «تعالى» هناك، فقد سبق وأن تم اللقاء عند هذا الجبل في بداية البعثة وقبل العودة إلى مصر وحمل الرسالة إلى فرعون وقومه.

صعد موسى الجبل حيث ناداه الله وأمره بإبلاغ بني إسرائيل الرسالة التي تتضمن تأكيداً على ضرورة أخذهم بالميثاق الإلهي وتحمل مسؤولياتهم الإيمانية، وفيها يخاطب

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٩، ١-٢.



اللوحة رقم ٢٨ : جبل الطور وبعض المعالم المحيطة به

الله بني إسرائيل بقوله: (٤) أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ النَّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ. ٥ فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لَصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الْأَرْضِ. ٦ وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةً كَهَنَةً وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هَذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَكَلَّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ»^(١). فاخترهم وجعلهم (أمة مقدسة) ليس مطلقاً، بل مقيد بالطاعة.

وهكذا، عاد موسى «عليه السلام» ودعا شيوخ بني إسرائيل وأبلغهم الرسالة الإلهية كما هي: (٨) فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ مَعًا وَقَالُوا: «كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعٌ»^(٢). هذا الأمر -إجمالاً- هو ما عبّر عنه القرآن مراراً بعنوان (أخذ الميثاق)، وذلك من

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٩، ٤-٦.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٩، ٨.

قبيل قوله «تعالى»: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ...﴾ (١)، وقوله «سبحانه»: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ...﴾ (٢)، وقوله «عز اسمه»: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا...﴾ (٣).

نقل موسى جواب بني إسرائيل إلى الله «تعالى» -وهو السميع العليم- فأخبره الله أنه سيكلّمه مباشرة أمام القوم في وقت لاحق، ليسمعوا الصوت والكلام بأنفسهم، ويزدادوا إيماناً وتصديقاً، وعليهم أن يستعدّوا لهذا اللقاء السماوي بمجموعة من الإجراءات، ومن يخالف ذلك منهم يُعاقب عقاباً أليماً، وهذه الإجراءات عبارة عن:

١- فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اذْهَبْ إِلَى الشَّعْبِ وَقَدِّسْهُمْ الْيَوْمَ وَغَدًا.

٢- وَلْيَغْسِلُوا ثِيَابَهُمْ.

٣- لَا تَقْرُبُوا امْرَأَةً.

٤- وَيَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِلْيَوْمِ الثَّالِثِ. لِأَنَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَنْزِلُ الرَّبُّ أَمَامَ عَيْنِ جَمِيعِ الشَّعْبِ عَلَى جَبَلٍ سَيْنَاءَ. [سنتحدث لاحقاً عن مسألة التجسيم والرؤية فيما يخص الذات الإلهية وفق النصوص التوراتية والعقيدة اليهودية بهذا الشأن].

٥- وَتُقِيمُ لِلشَّعْبِ حُدُودًا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، قَائِلًا: احْتَزِرُوا مِنْ أَنْ تَصْعَدُوا إِلَى الْجَبَلِ أَوْ تَمْسُوا طَرَفَهُ. كُلُّ مَنْ يَمَسُّ الْجَبَلَ يُقْتَلُ قَتْلًا. ١٣ لَا تَمْسُهُ يَدٌ بَلْ يُرْجَمُ رَجْمًا أَوْ يُرْمَى

١. سورة البقرة: ٨٣.

٢. سورة آل عمران: ١٨٧.

٣. سورة المائدة: ٧٠.

رَمِيًّا. بِهِيمَةً كَانَ أَمْ إِنْسَانًا لَا يَعِيشُ^(١).

٦- أَمَّا عِنْدَ صَوْتِ الْبُوقِ فَهُمْ يَصْعَدُونَ إِلَى الْجَبَلِ^(٢).

• اللقاء الثاني:

نَقَذَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مَا طُلِبَ مِنْهُمْ، وَحَانَ مَوْعِدُ الْلِقَاءِ فِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ الثَّالِثِ فِي صُورَةِ مَهْيَبَةٍ: (١٦ ... صَارَتْ رُغُودٌ وَبُرُوقٌ وَسَحَابٌ ثَقِيلٌ عَلَى الْجَبَلِ، وَصَوْتُ بُوقٍ شَدِيدٌ جِدًّا. فَارْتَعَدَ كُلُّ الشَّعْبِ الَّذِي فِي الْمَحَلَّةِ) فَخَرَجَ مُوسَى ابْنُ إِسْرَائِيلَ مِنْ مَحَلِّ سُكْنَاهُمْ: (١٧) لِمُلَاقَاةِ اللَّهِ، فَوَقَفُوا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ. ١٨ وَكَانَ جَبَلٌ سَيْنَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الْأَثُونِ، وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جِدًّا. ١٩ فَكَانَ صَوْتُ الْبُوقِ يَزْدَادُ اشْتِدَادًا جِدًّا^(٣).

صعد موسى «عليه السلام» الجبل بمفرده، ثم عاد -بأمر الله- بصُحبة هارون، وانتظر تلقّي الميثاق الإلهي، وهو المعروف في الثقافة الكتابية باسم (الوصايا العشر).

ويبدو من النص التوراتي أن بني إسرائيل خافوا من سماع كلام الله مباشرة، واكتفوا بما شاهدوه من الرّعود والبروق وصوت البوق الذي سمعوه والرجفة التي كانت تزلزل الأرض والجبل، ولذا طلبوا من نبيهم موسى «عليه السلام» أن يكون وسيطاً في سماع كلام الله، وهو بدوره ينقل لهم ما سمع، وفضّلوا الابتعاد عن الجبل: (١٨ وَكَانَ جَمِيعُ الشَّعْبِ يَرَوْنَ الرُّغُودَ وَالْبُرُوقَ وَصَوْتَ الْبُوقِ، وَالْجَبَلُ يُدَخِّنُ. وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ ارْتَعَدُوا وَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ، ١٩ وَقَالُوا لِمُوسَى: «تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَتَسْمَعُ. وَلَا يَتَكَلَّمْ مَعَنَا اللَّهُ لِئَلَّا

١. أي أن من يخالف هذا النهي سيقتل إما رجماً أو رمياً بالنبل.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٩، ١٠-١٥.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٩، ١٦-١٩.

تَمُوتَ». ٢٠ فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: «لَا تَخَافُوا. لَأَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا جَاءَ لِيُكَيِّمَ تَحَنُّنَكُمْ، وَلِيَكُنْ تَخَافُتُهُ أَمَامَ وُجُوهِكُمْ حَتَّى لَا تُخْطِئُوا». ٢١ فَوَقَفَ الشَّعْبُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَمَّا مُوسَى فَاقْتَرَبَ إِلَى الصَّبَابِ حَيْثُ كَانَ اللَّهُ^(١).

وأحتمل جداً أن تكون الآية التالية تتحدث عن هذا المشهد: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ^(٢)﴾، وإن لم تصرح التوراة بأنهم طلبوا ذلك.

• الوصايا العشر:

بعد هذا المشهد، أنزل الله ميثاقه (الوصايا العشر) والتي جاءت -بحسب سفر الخروج- كالتالي:

○ الوصية الأولى: «أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضٍ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لَا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي.

○ الوصية الثانية: لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمْنَالًا مَنُحَوًّا، وَلَا صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْتِ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ. لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَهٌ غَيْرٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الْآبَاءِ فِي الْأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِي، وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّي وَحَافِظِي وَصَايَايَ.

○ الوصية الثالثة: لَا تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهُكَ بَاطِلًا، لِأَنَّ الرَّبَّ لَا يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلًا.

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٩، ١٨-٢١.

٢. سورة النساء: ١٥٣.

○ الوصية الرابعة: أَذْكَرُ يَوْمَ السَّبْتِ لِثَقَدَّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبَّتٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. لَا تَصْنَعُ عَمَلًا مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخَلَ أَبْوَابِكَ. لِأَنَّ فِي سِتَّةَ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاخَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذَلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ.

○ الوصية الخامسة: أَكْرِمُ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ.

○ الوصية السادسة: لَا تَقْتُلْ.

○ الوصية السابعة: لَا تَزْنِ.

○ الوصية الثامنة: لَا تَسْرِقْ.

○ الوصية التاسعة: لَا تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةً زُورٍ.

○ الوصية العاشرة: لَا تَشْتَهِي بَيْتَ قَرِيبِكَ. لَا تَشْتَهِي امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلَا عَبْدَهُ، وَلَا أَمَتَهُ، وَلَا ثَوْرَهُ، وَلَا حِمَارَهُ، وَلَا شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ»^(١).

• المثنائي والتثنية:

وتكرّر تعليم هذه الوصايا مجدداً في سفر التثنية مع اختلاف بسيط في الألفاظ. وإنما سُمِّيَ بالتثنية، لأنه يُثْنِي ما جاء سابقاً من تعاليم، بمعنى أنه يكرّرها مرة ثانية للتذكير ولتأكيد أخذهم بالميثاق الإلهي، ولمنع أية أعذار كالنسيان أو الضياع، علاوة على أنها جاءت أحياناً لتوضيح وشرح وبيان وتفصيل ما أجمل سابقاً.

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، ٢-١٧.

وهذا العنوان (الثنية) يقابله في القرآن الكريم كلمة (مثاني) ذات الدلالة المشابهة، حيث يقول «تعالى»: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (١)﴾.

قال العلامة ابن عاشور: (أي متشابهة أجزاؤه، متماثلة في فصاحة ألفاظها وشرف معانيها... فمعانيه متشابهة في صحتها وأحكامها وابتنائها على الحق والصدق ومصادفة المحرّ من الحجة وتبكيك الخصوم^(٢))، وكونها صلاحاً للناس وهدى. وألفاظه متماثلة في الشرف والفصاحة والإصابة للأغراض من المعاني بحيث تبلغ ألفاظه ومعانيه أقصى ما تحتمله أشرف لغة للبشر، وهي اللغة العربية مفردات ونظماً، وبذلك كان معجزاً لكل بليغ عن أن يأتي بمثله، وفي هذا إشارة إلى أن جميع آيات القرآن بالغ الطرف الأعلى من البلاغة وأنها متساوية في ذلك بحسب ما يقتضيه حال كل آية منها، وأما تفاوتها في كثرة الخصوصيات وقلتها فذلك تابع لاختلاف المقامات ومقتضيات الأحوال، فإن بلاغة الكلام مطابقتها لمقتضى الحال، والطرف الأعلى من البلاغة هو مطابقة الكلام لجميع ما يقتضيه الحال، فأيات القرآن متماثلة متشابهة في الحسن لدى أهل الذوق من البلغاء بالسليقة أو بالعلم، وهو في هذا مخالف لغيره من الكلام البليغ، فإن ذلك لا يخلو عن تفاوت ربما بلغ بعضه مبلغ أن لا يشبه بقيته، وهذا المعنى مما يدخل في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٣)﴾... ومثاني جمع مثني... ويجوز كونه جمع مثني... وكلا الاحتمالين

١. سورة الزمر: ٢٣.

٢. يقال: تكلم، فأصاب المحرّ: أي تكلم فأقنع. وتبكيك الخصوم: غلبتهم بالحجة.

٣. سورة النساء: ٨٢.

يُطلق على معنى التكرير. كُنِّي عن معنى التكرير بمادة التثنية لأن التثنية أول مراتب التكرير^(١).

وقال العلامة الطباطبائي: (قوله: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ أي يُشبه بعض أجزائه بعضاً... وقوله: ﴿مَثَانِي﴾ جمع مثنية، بمعنى المعطوف لانعطاف بعض آياته على بعض، ورجوعه إليه، بتبين بعضها ببعض، وتفسير بعضها لبعض، من غير اختلاف فيها)^(٢).

كما قال «تعالى»: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(٣)، وفي ذلك قال العلامة الطباطبائي: (الظاهر أن المثنائي جمع مثنية، اسم مفعول من الثَّنَى بمعنى اللَوَّى والعَطْف والإعادة، قال «تعالى» ﴿يُثْنُونَ صُدُورُهُمْ﴾ [هود: ٥]، وَسُمِّيَت الآيات القرآنية مثنائي لأن بعضها يوضح حال البعض، ويلوي وينعطف عليه كما يُشعر به قوله: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ حيث جمع بين كون الكتاب متشابهاً يشبه بعض آياته بعضاً وبين كون آياته مثنائي، وفي كلام النبي «صلى الله عليه وآله»: في صفة القرآن: [يصدق بعضه بعضاً]، وعن علي «عليه السلام» فيه: [ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض]، أو هي جمع مثنى بمعنى التكرير والإعادة، كناية عن بيان بعض الآيات ببعض)^(٤).

وجاءت مضمون الوصايا في سفر التثنية كالتالي:

○ الوصية الأولى: أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لَا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي.

١. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٤، ص ٦٨.

٢. الطباطبائي: الميزان، ج ١٧، ص ٢٥٦.

٣. سورة الحجر: ٨٧.

٤. الطباطبائي: الميزان، ج ١٢، ص ١٩١.

○ الوصية الثانية: لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمْنًا لَا مَنُحُوتًا صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ. لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَهٌ غَيْرٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الْآبَاءِ فِي الْآبَاءِ وَفِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنَ الَّذِينَ يُبْغِضُونِي، وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّي وَحَافِظِي وَصَايَايَ.

○ الوصية الثالثة: لَا تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِكَ بَاطِلًا، لِأَنَّ الرَّبَّ لَا يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلًا.

○ الوصية الرابعة: احْفَظْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدَّسَهُ كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَشْتَغَلُ وَتَعْمَلُ جَمِيعَ أَعْمَالِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَسَبْتُ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ، لَا تَعْمَلْ فِيهِ عَمَلًا مَّا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَثَوْرُكَ وَحِمَارُكَ وَكُلُّ بَهَائِمِكَ، وَنَزِيلُكَ الَّذِي فِي أَبْوَابِكَ لِكَيْ يَسْتَرِيحَ، عَبْدُكَ وَأَمَتُكَ مِثْلَكَ. وَاذْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْدًا فِي أَرْضِ مِصْرَ، فَأَخْرَجَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ مِنْ هُنَاكَ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ. لِأَجْلِ ذَلِكَ أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ أَنْ تَحْفَظَ يَوْمَ السَّبْتِ.

○ الوصية الخامسة: أَكْرِمِ آبَاكَ وَأُمَّكَ كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ، لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ، وَلِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ.

○ الوصية السادسة: لَا تَقْتُلْ.

○ الوصية السابعة: وَلَا تَزْنِ.

○ الوصية الثامنة: وَلَا تَسْرِقْ.

○ الوصية التاسعة: وَلَا تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةً زُورٍ.

○ الوصية العاشرة: وَلَا تَشْتَهِ امْرَأَةً قَرِيبَكَ، وَلَا تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ وَلَا حَقْلَهُ وَلَا عَبْدَهُ وَلَا أُمَّتَهُ وَلَا ثَوْرَهُ وَلَا حِمَارَهُ وَلَا كُلَّ مَا لِقَرِيبِكَ^(١).

• الميثاق كما جاء في القرآن:

جاء ذكر جانب من الوصايا العشر في القرآن الكريم كالآتي: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾^(٢).

لو قارنا بين قائمة الوصايا العشر المذكورة في التوراة وبين الآيات القرآنية السابقة سنجد أنها تشترك من جهات وتختلف من جهات أخرى، وذلك كالآتي:

ت	القرآن الكريم	التوراة الحاضرة
١	لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ	لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي
٢	بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا	لَا تَصْنَعْ لَكَ يَمَثَلًا مَنحُوتًا
٣	[الإحسان إلى] ذِي الْقُرْبَى	لَا تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِكَ بَاطِلًا
٤	[الإحسان إلى] الْيَتَامَى	إِحْفَظْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدَّسَهُ

١. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٥، ٦-٢١.

٢. سورة البقرة: ٨٣-٨٤.

٥	[الإحسان إلى] الْمَسَاكِينِ	أَكْرِمَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ
٦	قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا	لَا تَقْتُلْ
٧	أَقِيمُوا الصَّلَاةَ	لَا تَزِنِ
٨	آتُوا الزَّكَاةَ	لَا تَسْرِقْ
٩	لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ	لَا تَشْهَدْ عَلَى قَرِيْبِكَ شَهَادَةً زُورٍ
١٠	لَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ	وَلَا تَنْشَتْهِ امْرَأَةً قَرِيْبِكَ، وَلَا تَنْشَتْهِ بَيْتَ قَرِيْبِكَ وَلَا حَقْلَهُ ... إلخ

فالعناوين المشتركة بين النصين: (توحيد الله) - (الإحسان إلى الوالدين) - (النهي عن القتل) فحسب، ولا يبعد أن تكون عناوين الإحسان إلى القربى واليتامى والمساكين راجعة إلى عنوان واحد، وأن الآيات ليست بصدد حصر كل الوصايا العشر في سياق واحد، إذ نجد الوصية (الميثاق) الخاص بالسبت - مثلاً - في آية منفصلة في سورة النساء: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ١٥٤﴾^(١). كما يمكن القول أن ﴿قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ يشمل الوصية التالية: (لَا تَنْطِقُ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهَكَ بَاطِلًا)، فإن القسم باسم الله بالباطل ليس من القول الحسن.

ثم إن في القرآن الكريم قائمة أخرى من بنود الميثاق الإلهي (الوصايا الإلهية)، وهي وإن لم تأت على أنها خبر عن الميثاق بين الله وبني إسرائيل، بل كعناوين محرمة خوِطِبَ بها المعاصرون لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، إلا أنها تشترك في جانب

منها مع جانب مما جاء في الوصايا العشر، بحيث تسدّ بعض الفراغات عند المقارنة، وهي كالتالي: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾^(١).

وإذا أردنا مقارنتها مع الوصايا العشر الواردة في التوراة (مع عدم مراعاة ترتيبها بحسب النص) فسنجد أنها تلتقي مع ثمانية منها، وهي كالتالي:

ت	القرآن الكريم	التوراة الحاضرة
١	أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا	لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَىٰ أَمَاي لَا تَصْنَعُ لَكَ تِمْنَالًا مَّنْخُوتًا
٢	بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا	أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ
٣	لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ	لَا تَقْتُلْ
٤	لَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ	لَا تَزْنِ وَلَا تَشْهَ امْرَأَةً قَرِيبَكَ

٥	لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ	لَا تَقْتُلْ
٦	لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ	لَا تَسْرِقْ
٧	أَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ	لَا تَسْرِقْ
٨	إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا	لَا تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةً زُورٍ
٩	بِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا	لَا تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِكَ بَاطِلًا
١٠	لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ	-----

ويضاف إلى القائمة من الوصايا التوراتية: (احْفَظْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدَّسَهُ) و (لَا تَشْتَهَ بَيْتَ قَرِيبِكَ وَلَا حَقْلَهُ وَلَا عَبْدَهُ وَلَا أَمَتَهُ وَلَا ثَوْرَهُ وَلَا حِمَارَهُ وَلَا كُلَّ مَا لِقَرِيبِكَ).

وإذا كان يمكن إدراج عنوان إقامة الصلاة في الوصيتين الأولى والثانية من الوصايا العشر، إلا أنه يلاحظ خلو القائمة من ذكر الزكاة مطلقاً، وهو ما قد يثير تساؤلاً حول احتمال حذف هذه الوصية من النص التوراتي انطلاقاً مما عُرف عن اليهود من حبّ للمادة، وتعلّقاً بها، والأمر بالزكاة يخالف ذلك.

إلا أنه بالرجوع إلى التوراة، سنجد ذكراً متكرراً لمفردة الزكاة كتشريع لازم ومتنوع، ولكن بصورة منفصلة عن قائمة الوصايا العشر. ومن بين هذه النصوص ما جاء في الإصحاح ٢٢ من سفر الخروج: (٢٩) لَا تُؤَخِّرْ مِلءَ بَيْدِكَ، وَقَطَّرْ مِعْصَرَتِكَ، وَأَبْكَارَ بَنِيكَ تُعْطِينِي. ٣٠ كَذَلِكَ تَفْعَلُ بِبَقَرِكَ وَغَنَمِكَ. سَبْعَةَ أَيَّامٍ يَكُونُ مَعَ أُمِّهِ، وَفِي الْيَوْمِ

الْقَائِمِينَ تُعْطِينِي إِيَّاهُ»^(١)، وفي الإصحاح ٢٣ منه: (١٩) أَوَّلُ أَبْكَارِ أَرْضِكَ تُخْضِرُهُ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ إِلَهِكَ....^(٢)، وفي الإصحاح ٣٤ من نفس السفر: (١٩) لِي كُلُّ فَاتِحِ رَحِمٍ، وَكُلُّ مَا يُؤَلَّدُ ذَكَرًا مِنْ مَوَاشِيكَ بِكَرًّا مِنْ ثَوَرٍ وَشَاةٍ.... ٢٦ أَوَّلُ أَبْكَارِ أَرْضِكَ تُخْضِرُهُ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ إِلَهِكَ»^(٣) وستعرض في الفصل المعنون بـ (وعدٌ ووعد) لشرح ما جاء في الآيات السابقة حول إيتاء الزكاة.

وكما أثّرنا الإشكال حول الزكاة، نلاحظ غياب عنوان الإحسان إلى ذوي القربى والمساكين واليتامى، والذي يشمل الإحسان المالى كما يشمل الإحسان من نواحٍ أخرى، ولكن نجد آثارها ضمن تشريعات لاحقة ذكرت بعد قائمة الوصايا العشر، وذلك من قبيل: (٢١) «وَلَا تَضْطَهِدِ الْغَرِيبَ وَلَا تُضَافِقْهُ، لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ. ٢٢ لَا تُسِيءْ إِلَى أَرْمَلَةٍ مَا وَلَا يَتِيمٍ. ٢٣ إِنْ أَسَأْتَ إِلَيْهِ فَإِنِّي إِنْ صَرَخَ إِلَيَّ أَسْمَعُ صَرَاحَهُ، ٢٤ فَيَحْمِي غَضِي وَأَقْتُلُكُمْ بِالسَّيْفِ، فَتَصِيرُ نِسَاؤُكُمْ أَرَامِلَ، وَأَوْلَادُكُمْ يَتَامَى. ٢٥ إِنْ أَقْرَضْتَ فِضَّةً لِشُعْبِي الْفَقِيرِ الَّذِي عِنْدَكَ فَلَا تَكُنْ لَهُ كَالْمُرَابِي. لَا تَصْعُوا عَلَيْهِ رَبًّا. ٢٦ إِنْ ارْتَهَنْتَ ثَوْبَ صَاحِبِكَ فَإِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ تَرُدُّهُ لَهُ، ٢٧ لِأَنَّهُ وَحْدَهُ غِطَاؤُهُ، هُوَ ثَوْبُهُ لِحِلْدِهِ، فِي مَادَا يَنَامُ؟ فَيَكُونُ إِذَا صَرَخَ إِلَيَّ أَيْيَ أَسْمَعُ، لِأَنِّي رَوُوفٌ»^(٤).

• التأكيد على التوحيد:

حيث كانت عقيدة التوحيد عند بني إسرائيل متزلزلة، لذا تمّ التأكيد-بعد الوصايا السابقة- على النهي عن اتخاذ الآلهة: (٢٢) فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٢، ٢٩-٣٠.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٣، ١٩.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ١٩-٢٦.

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٣، ٢١-٢٧.

إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ أَنَّنِي مِنَ السَّمَاءِ تَكَلَّمْتُ مَعَكُمْ. ٢٣ لَا تَصْنَعُوا مَعِيَ آلِهَةً فَضَّةً، وَلَا تَصْنَعُوا لَكُمْ آلِهَةً ذَهَبًا^(١).

ثم أمر الله موسى أن يصنع مذبحاً لتقديم القرابين: (٢٤) مَذْبَحًا مِنْ تُرَابٍ تَصْنَعُ لِي وَتَذْبَحُ عَلَيْهِ مُحْرَقَاتِكَ وَذَبَائِحَ سَلَامَتِكَ، غَنَمَكَ وَبَقْرَكَ. فِي كُلِّ الْأَمَاكِينِ الَّتِي فِيهَا أَصْنَعُ لَأَسْمِي ذِكْرًا آتِي إِلَيْكَ وَأُبَارِكُكَ^(٢)، فهي دعوة لتخليد الأحداث المهمة التي تتجلى فيها قدرة الله وعظمته وإرادته، وتلتقي بذلك مع دلالة قول الله «تعالى»: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^(٣).

ثم وجهه الله إلى أن يصنع المذبح من الحجارة، ومن دون نحت، حتى لا يُصوِّروا عليها أشكالاً تماثل المعبودات الوثنية: (٢٥) وَإِنْ صَنَعْتَ لِي مَذْبَحًا مِنْ حِجَارَةٍ فَلَا تَبْنِهِ مِنْهَا مَنَحُوتَةً. إِذَا رَفَعْتَ عَلَيْهَا إِزْمِيلَكَ تُدَسِّسُهَا^(٤).

كما أمره أيضاً أن يؤسس المذبح على الأرض مباشرة، ولا يجعله مرتفعاً عن سطح الأرض، على خلاف المعهود في المذابح والمعابد الوثنية والتي كانوا يرتقون إليها من خلال الدَّرَج: (٢٦) وَلَا تَصْعَدُ بِدَرَجٍ إِلَى مَذْبَحِي كَيْلَا تَنْكَشِفَ عَوْرَتُكَ عَلَيْهِ^(٥).

ومن مفسري التوراة من يرى بأن العبارة الأخيرة مجازية، والمراد منها المحافظة على شعور بني إسرائيل بالضَّعة والذَّلَّة أمام الله، ولكي لا يغزو قلوبهم الكبر بالصعود

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، ٢٢-٢٣.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، ٢٤.

٣. سورة إبراهيم: ٥.

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، ٢٥.

٥. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، ٢٦.

إلى المذبح المرتفع، وحتى لا يشابهوا بذلك الوثنيين الذين كانوا يبنون مذابحهم على المرتفعات. أعقَبَ ذلك تنزيل تشريعات عديدة ترتبط بأحكام العبيد والإماء، والقتل، والاعتداء الجسدي على فئات من الناس، والسرقة، وأحكام الديات، والطعام، وغير ذلك مما جاء في الإصحاحات ٢١-٢٣ من نفس السّفر.

عاد موسى إلى بني إسرائيل وأبلغهم الرسالة فقالوا: (٣) «كُلُّ الْأَقْوَالِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الرَّبُّ نَفَعَلْ»^(١). وفي اليوم اللاحق دوّن موسى «عليه السلام» الوصايا والتعليم الإلهية، وبني المذبح، وذبح القرابين (٧) وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ، فَقَالُوا: «كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفَعَلْ وَنَسْمَعُ لَهُ». ٨ وَأَخَذَ مُوسَى الدَّمَ وَرَشَّ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ: «هُذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ»^(٢). لقد جاء هذا التكرار لتأكيد إقرارهم والتزامهم بالميثاق الإلهي.. فهل سيلتزمون به؟

• رفع الطور:

بعد كل ما سبق، تبقى في البين مسألة مهمة ذكرها القرآن الكريم مراراً، بينما لا نجد لها أثراً في التوراة الحاضرة، وهي مسألة رفع جبل الطور على رؤوس بني إسرائيل. قال «عز وجل»: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣).

وقال «تعالى»: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٤، ٣.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٤، ٧-٨.

٣. سورة البقرة: ٦٣.

بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾^(١).

وقال «سبحانه»: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(٢).

الطور هو الجبل كما جاء في قوله «عز وجل» على نحو البدل: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣). والنتق هو الجذب والاختلاع.

كما نرى، تكرر ذكر حادثة رفع الجبل في القرآن الكريم، بل في سورة واحدة هي سورة البقرة مرتين في سياق ٣٠ آية، فلماذا جاء التكرار في سورة البقرة ثم في سور أخرى؟ وما هي الرسالة أو الرسائل التي تحملها الآيات؟

الآية الأولى في سورة البقرة جاءت بعد أن بدأ الخطاب فيها موجهاً لبني إسرائيل كالآتي: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾^(٤) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٥﴾^(٤).

ثم تعود الآيات بعد ذلك لتعيد عليهم الخطاب: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٥) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٦﴾^(٥).

١. سورة البقرة : ٩٣.

٢. سورة النساء : ١٥٤.

٣. سورة الأعراف : ١٧١.

٤. سورة البقرة : ٤٠-٤١.

٥. سورة البقرة : ٤٧-٤٨.

ثم تبدأ الآيات بسرد نعم الله «عز وجل» عليهم وتمردهم المرة تلو الأخرى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ٥١﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٢﴾ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ٥٣﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٤﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ٥٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٥٦﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٨﴾^(١).

وهكذا تتوالى الآيات المذكورة بنعم الله «عز وجل» عليهم وعفوه عنهم المرة تلو الأخرى، وعودتهم في كل مرة إلى صورة من صور العناد والتمرد، ثم الاستغفار والتوبة، وبنفس صيغة الآيات السابقة ﴿وَإِذْ... وَإِذْ... وَإِذْ...﴾ إلى أن نصل إلى المرة العاشرة وفيها: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٦٤﴾^(٢).

ثم تتكرر ﴿وَإِذْ... وَإِذْ...﴾ ٤ مرات بعد ذلك وفي نفس السياق للتذكير بالنعم وحالات التمرد والعفو عنهم. ثم يبين الله «عز وجل» بعد ذلك موقفهم من الرسالات

١. سورة البقرة: ٤٩-٥٦.

٢. سورة البقرة: ٦٣-٦٤.

السماءية تمهيداً للحديث عن موقفهم من رسالة النبي محمد «صلى الله عليه وآله»: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (٨٧) (١).

ثم تعطف الآيات على الحديث عن موقفهم الفعلي من رسالة النبي «صلى الله عليه وآله»: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٨٩) بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِثْنَا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٩١) (٢).

ثم جاءت الآية ٩٣ لتقول: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٣) (٣).

من خلال العرض السابق يتبين لنا أنّ ذكر الحدث في المرة الثانية جاء في سياق بيان موقفهم من الإيمان برسالة النبي «صلى الله عليه وآله»، وأنّ صدور العناد والمكابرة

١. سورة البقرة : ٨٧.

٢. سورة البقرة : ٨٩-٩١.

٣. سورة البقرة : ٩٣.

منهم أمر ليس بغريب عليهم، على الرغم من أنّ المسألة كانت عندهم واضحة جداً. وكانوا يبشّرون ببعثته من قبل.

وكيف يكون ذلك مستغرباً وقد نتق الله الجبل فوق رؤوسهم وأخذ منهم الميثاق، فإذا بهم ينطقون بشيء، وفي قلوبهم شيء آخر: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣)؟ إذاً السبب في عدم إيمانهم برسالته ليس ضعف الحجّة والبرهان على نبوّته، بل عنادهم وطبيعتهم المتمردة. فإذا لم يلتزموا من قبل بالإيمان مع نتق الجبل فوقهم، فكيف يُرتجى منهم أن يؤمنوا ويخضعوا مع حُجّة أقل مرتبة منه؟

وأما ذكر نتق الجبل ورفعهم فوقهم -في المرة الأولى- فكان الغرض منه مختلفاً، وجاء في سياق ذكر النعم الإلهية عليهم وتمردهم، وليس في سياق أن نتفهم كيف لهم أن لا يؤمنوا برسالته «صلى الله عليه وآله» مع قيام الحجة عليهم.

وتبقى في البين مسألة: لماذا لا نجد في التوراة وصفاً مشابهاً لهذا، ولا أي ذكر لرفع الطور، سواء في الترجمة العربية أو الإنجليزية أو في النص العبري، بل نجد أن بني إسرائيل كانوا في موضع «أَسْفَلَ الْجَبَلِ»؟ [انظر اللوحتين ٢٩-٣٠]

وهذان مثالان على الترجمة باللغة الإنجليزية، حيث جاء النص كالتالي:

Moses led the people out of the camp toward God, and they took their places at the foot of the mountain.

And when Moses had brought them forth to meet God from the place of the camp, they stood at the bottom of the mount.



اللوحة رقم ٢٩: التصور التقليدي لبني إسرائيل عند جبل الطور



اللوحة رقم ٣٠: التصور التقليدي لبني إسرائيل عند جبل الطور

أما الرَّابِّي (توفيا سنجر)^(١) Tovia Singer فيقول أن ترجمة النص عن النسخة العبرية يجب أن تكون: Underneath the Mountain فما الفرق؟ وما أهمية ذلك؟ يقول توفيا: (تقول الجِمارا)^(٢) أَنَّ بني إسرائيل عندما استعدّوا لتلقّي التوراة عند جبل سيناء، وضع الله الجبل فوقهم وقال لهم: إِنَّ قَبِلْتُم التوراة فهذا حسن، وإلا فَإِنَّ هذا المكان سيكون مدفنكم)^(٣).

تعليق: كلمة التوراة في اللغة العبرية تعني (القانون) أو (التعليم) أو (الإرشاد والتوجيه)، وأطلق هذا الاسم على كامل كتاب الله المنزل على النبي موسى والمكوّن من الأسفار الخمسة، وهي أسفار التكوين والخروج واللاويين والعدد والثنية، سُمّي بذلك بلحاظ اشتماله على القوانين والتشريعات والوصايا التي تبلغ ٦١٣ قانوناً وتشريعاً ووصية على ما أحصاها البعض.

وأما ما قصده الرابي توفيا من (تلقّي التوراة) فقد جاء بالمعنى الخاص، والذي يُطلق أحياناً على مجموع التشريعات المذكورة في كتاب النبي موسى، أو خصوص الوصايا

١. رجل دين يهودي، من مواليد ١٩٦٠م في الولايات المتحدة، يمتلك سعة في الاطلاع على التراث الديني اليهودي والنصراني والإسلامي. قائم على مؤسسة في أندونيسيا، وله أسلوب فريد في عرض الدين اليهودي، والدخول في حوارات عقديّة مع النصارى. أعد برنامجاً إذاعياً على الراديو الإسرائيلي لعدة سنوات، للدعاية للكيان الصهيوني وللروابط الأمريكية الإسرائيلية. له عدة مؤلفات في السعي لإبطال نبوة عيسى بن مريم.

٢. الجِمارا تعني التكملة «من الفعل جَمَرَ الذي يعني في العبرية: أتمّ، وفي الآرامية يعني درس». يتكون التلمود من مكوّنين أساسيين، الأول هو المشناه والثاني هو الجِمارا. والجِمارا هي نقاش حول المشناه. ورغم أن المشناه واحدة، لكن هناك نوعان من الجِمارا: الأورشليمية والبابلية، والثانية أكثر شمولاً في محتواها من الأولى، والأكثر شهرة وتدوّلًا عند اليهود.

3. <https://www.youtube.com/watch?v=2F1xNUm0Bt8>

العشر على وجه التحديد، وهذا واضح من خلال قراءة تنمة النص في الإصحاح ٢٠:
(١). ثُمَّ تَكَلَّمَ اللَّهُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلاً: ٢. «أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ
أَرْضٍ مُضَرٍّ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. ٣. لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. ٤. لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمْنَالاً
مَنْحُوتاً...»^(١).

وكتب الرّابي الدكتور صفي سينيسكي Tzvi Sinensky مقالاً بعنوان: He Turned
the Mountain Upon Them Like a Barrel (رفع الجبل فوقهم كالبرميل)^(٢) نقل
فيه نصوصاً ومقولات متعددة للدلالة على أن في التوراة الحاضرة خللاً أو نقصاً في
ما روته ضمن هذا المشهد الخاص بالميثاق والطور، وذلك بعد أن جاء بالنص الحالي
للتوراة بهذا الخصوص، وأعرض ما ذكره في نقاط:

١/ (٧) وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ، فَقَالُوا: «كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ
نَفْعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ»^(٣).

٢/ (١٧) وَأَخْرَجَ مُوسَى الشَّعْبَ مِنَ الْمَحَلَّةِ لِمُلَاقَاةِ اللَّهِ، فَوَقَفُوا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ^(٤).

٣/ قال الحاخام أوفديمي بن حاما بن حاسا: ([فَوَقَفُوا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ] هذا يعلمنا
أنّ القدوس «تبارك اسمه» رفع الجبل فوقهم مثل برميل وقال: [إذا قبلتم التوراة، فهذا
جيد، وإلا، فهنا ستكون قبوركم]^(٥).

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٠: ١-١٧.

2. <https://www.sefaria.org/sheets/10771.9>

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٤: ٧.

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٩: ١٧.

٥. التلمود: Shabbat السبت 88a:5

٤/ قال الحاخام آخا بار يعقوب: (من هنا، يوجد ادعاء كبير ضد التوراة) ^(١)! حتى مع ذلك، قَبِلُوها مرّة أخرى عن طيب خاطر في أيام أحشويروش ^(٢)، كما هي مكتوبة، «إستير ٩: ٢٧»: (تَمَسَّكُوا وَقَبِلُوا - أَيْدُوا ما قبلوه بالفعل) ^(٣).

٥/ جاء في التعليقات على التلمود (توسافوت): (لقد أمسك الجبل فوقهم كالبرميل) على الرغم من أنهم قالوا بالفعل (سنفعل وسنسمع)، ربما تراجعوا عندما رأوا النار العظيمة (على الجبل) التي تسببت في مغادرة أرواحهم لأجسادهم ^(٤).

٦/ جاء في مدراش تanchuma: (وإن قلتم إن الله رفع فوقهم الجبل ليأخذوا ويتمسكوا بالشرية المكتوبة حين قال لهم: [هل تقبلون الشريعة]، فإننا نجد أنهم أجابوا وقالوا بأجمعهم: [سنفعل وسنسمع]، لأن العمل بها مَتَيَّسَر ومُعَانَاة الأخذ بها قليل. وإنما أمسك فوقهم الجبل ليأخذوا ويعملوا ويتمسكوا بالشرية الشفوية، لأنها تحتوي على تفاصيل الشرائع السهلة والصعبة وهي شديدة كالموت، وغيره الله عليها عنيقة مثل جهنم) ^(٥).

٧/ جاء في (شير هاشيريم رباح Shir HaShirim Rabbah) وهو مدراش هاغادي ^(٦) خاص بشرح (سفر نشيد الأنشاد): ([تحت شجرة التفاح أيقظتك]. شرح بالاتيون

١. أي أن هذا يتعارض مع التوراة ويظهر وجود نقص أو خطأ في ما كُتِب بعد العودة من السبي البابلي وضياح التوراة الأصلية.

٢. وبالفارسية (خشيارشاه) الذي حكم في القرن الخامس قبل الميلاد.

٣. التلمود: Shabbat السبت 88a:5

٤. توسافوت على السبت Shabbat 88a:5:1

5. Complex Midrash Tanchuma, Noah 3

٦. أي تفسير وشرح وتعليق يحتوي على مواعظ وقصص وأدعية.

الروماني الأمر وقال: كان جبل سيناء منفصلاً عن الأرض ومعلّقاً في السماء، وُضع اليهود تحته، كما جاء في سفر التثنية، الإصحاح ٤: [فتقدّموا ووقفوا تحت الجبل] (١).

وهناك مقالات وبحوث عديدة -بأيدي رجال دين وباحثين يهود- تؤكّد اقتلاع الجبل من الأرض ورفع فوق بني إسرائيل عند أخذ الميثاق منهم، من بينها:

١. الوقوف تحت (جبل) سيناء: د. صفي نوفيك Standing Under Sinai: Dr. Tzvi Novick

٢. (جبل) سيناء رأساً على عقب: الرسالة اللاهوتية للمِدرّاش: للرابي د. ريموند أبل Sinai upside-down: The theological message of a Midrash: Rabbi Dr Raymond Apple

٣. الوقوف تحت (جبل) سيناء: فريق عمل موقع الكتاب المقدس الإسرائيلي Standing Under Sinai: The Israel Bible Team

٤. عند سفح الجبل: الرابي أري ليف At the foot of the mountain: Rabbi Ari Lev
وعلى كل حال، المدهش هو كيفية معرفة النبي محمد «صلى الله عليه وآله» هذا الأمر وبهذه الدقّة التفصيلية، سواء في العهد المكي كما في سورة الأعراف المكية، أو في العهد المدني كما في سورتي البقرة والنساء، لاسيما بلحاظ ما ذكره الرابي الدكتور سينيسكي؟ كان هذا يحير اليهود، وكان في نفس الوقت حجة عليهم بأن القرآن الكريم كتاب الله العليم، وأنه ليس من تأليف ووضع محمد «صلى الله عليه وآله».

وقد يثار هنا تساؤل حول وضع بني إسرائيل في موقف التهديد، وما فيه من إكراه

وإجبار على الإيمان والعمل بأوامر الله ونهيه ووصاياه، بينما من المفترض أن المبدأ في الإيمان والكفر هو كما في قوله «عز وجل»: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١)، وفي قوله «عز وجل»: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)؟

الجواب: اتضح من تتبع الآيات القرآنية التي مرّت معنا تحت هذا العنوان، ومن خلال الشرح التلمودي للحدث أيضاً، أنّ هذا كان بعد إيمان بني إسرائيل بالرسالة، ومعايشتهم للآيات «المعاجز» المادية المختلفة، وأخذ التعهّد منهم بالالتزام بما سيُملّى عليهم... فعهد الله «عز وجل» ليس ألعبوبة بيد الناس. ولذا جاء التهديد في حالة ما لو رفضوا أو تهاونوا بعد إعطائهم الميثاق الغليظ بالطاعة، فقال «عز وجل» بعد ذلك: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وإذا كانت هذه الآيات الشريفة موجّهة إلى بني إسرائيل في الأساس، وواصفة لسوء حالهم، فإنها لا تبتعد كثيراً عن المضمون التحذيري للمسلمين من تكرار ذات التجربة السيئة مع تعاليم الله «عز وجل» وتشريعاته.

• نتائج الفصل وخلاصته:

○ في الشهر الثالث من السنة الأولى من الخروج، استقرّ موسى وبني إسرائيل مقابل جبل الطور، وتجدد هناك اللقاء مع الله «تعالى»، حيث صعد موسى الجبل، وأمره الله بإبلاغ بني إسرائيل الرسالة التي تتضمن تأكيداً على ضرورة أخذهم بالميثاق الإلهي والتزامهم بمسئوليتهم الإيمانية.

١. سورة البقرة: ٢٥٦.

٢. سورة يونس: ٩٩.

○ أمر القوم باتخاذ مجموعة من التدابير والإجراءات التمهيدية لعقد اللقاء الثاني مع الله، وسيتمكنون حينها من سماع الكلام الإلهي بأنفسهم كما يسمعه موسى، إلا أنهم بعد تنفيذ الإجراءات تخوّفوا وتراجعوا وطلبوا من موسى أن ينقل لهم الكلام.

○ تضمّن اللقاء الثاني مع النبي موسى نزول الوصايا العشر، والتي عرّفها القرآن الكريم باسم الميثاق، وعند مقارنة مضمون الوصايا مع الميثاق في القرآن سنجد بينهما تماثلاً من جهات، وتفاوتاً من جهات أخرى.

○ تكرر ذكر الوصايا العشر في سفر التثنية، مع اختلاف بسيط في الألفاظ مقارنةً بما جاء في سفر الخروج، والتسمية بسفر التثنية للدلالة على أنه يُثني ما جاء سابقاً من تعاليم ويكرّرها تأكيداً وبياناً، وأحياناً لتوضيح وشرح وتفصيل ما أُجمل سابقاً. ويقابل ذلك في القرآن الكريم مصطلح (مثاني) الذي وُصف به القرآن وسوره.

○ سرّ التأكيد المتكرر في التوراة على الوصية بالتوحيد والنهي عن صناعة التماثيل واتخاذها يأتي بلحاظ أن عقيدة التوحيد عند القوم كانت متزلزلة، ولذا عمدوا إلى طلب اتخاذ إله مجسّم بعد النجاة من فرعون، وسيعاودون النزوع إلى الشرك من خلال اتخاذ العجل الذهبي، وسجودهم لآلهة موآب مما سيأتي معنا لاحقاً.

○ لا يوجد في ترجمات التوراة الحاضرة وصف لحدث رفع الطور فوق بني إسرائيل بينما ورد ذلك في القرآن الكريم، إلا أن في بعض النسخ القديمة من التوراة وفي التلمود والتراث اليهودي وفي كلمات بعض رجال الدين اليهودي ما يؤكّد صحة ما جاء في القرآن الكريم، وأن النص التوراتي الذي كُتب بعد السبي البابلي يفتقر إلى الدقّة في وصف هذا الحدث.

البيت
المقدّس
وتابوت
العهد

البيت المقدس وتابوت العهد

• موضوعات هذا الفصل:

- يتعرّض هذا الفصل لبيان ما جاء في التوراة من تفاصيل حول الأمر بتأسيس البيت المقدّس قبالة جبل الطور مؤقتاً، وهو المكان الذي سينتقل مع بني إسرائيل حيثما حلّوا إلى أن يقوم النبي سليمان لاحقاً بتأسيسه على جبل (موريا) في القدس.
- توضيح للأدوات المطلوب صنعها لتوضع داخل المسكن (الخيمة) في البيت المقدّس وخارجه، وذلك من قبيل المرحضة (المغسلة) والمذبح والمائدة والمبخر والمنارة (الشمعدانة).
- شرح لماهية التابوت (الصندوق) الذي يمثل أهم محتويات البيت المقدّس، وفيه ستوضع ألواح الشريعة، كما أخبر القرآن الكريم بأنه صار لاحقاً وعاءً لحفظ شيء من تركة موسى وهارون والخاصة من ذريتهما.

○ عرض لوظائف رعاة البيت المقدس، وأولهم هارون، ومن بعده المؤهلون من ذريته خاصة دون سائر بني إسرائيل، وما يخصهم من ثياب وأدوات زينة وغير ذلك.

• اللقاء الثالث:

تحدثت التوراة عن لقاء ثالث جمع موسى بالله، وكان بمعيتة كل من هارون وابنيه وسبعين من شيوخ بني إسرائيل ويوشع بن نون: (١٠) وَرَأَوْا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ، وَتَحَتَّ رِجْلَيْهِ شِبْهُ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الْأَزْرَقِ الشَّقَافِ، وَكَذَاتِ السَّمَاءِ فِي التَّقَاوَةِ. ١١ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى أَشْرَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَرَأَوْا اللَّهَ وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا^(١)، مجدداً سرجى الكلام عن رؤية الله ومسألة التجسيم والتشبيه إلى موضع آخر.

ثم أمر الله موسى أن يتقدم إليه في الجبل، فاصطحب معه يوشع بن نون الذي كان يخدمه، ولا ندري هل صحبه إلى آخر مرحلة في اللقاء مع الله - كما يقول النص التوراتي- أم تركه في مرحلة ما واختلى بالله «تعالى»، ففي النص غموض، وهو قابل أن يفهم بأكثر من طريقة (١٢) وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَكُنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيكَ لَوْحِي الْحِجَارَةَ وَالشَّرِيعَةَ وَالْوَصِيَّةَ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتُعَلِّمِهِمْ». ١٣ فَقَامَ مُوسَى وَيَشُوعُ خَادِمُهُ. وَصَعِدَ مُوسَى إِلَى جَبَلِ اللَّهِ.... ١٥ فَصَعِدَ مُوسَى إِلَى الْجَبَلِ، فَغَطَّى السَّحَابُ الْجَبَلَ، ١٦ وَحَلَّ مَجْدُ الرَّبِّ عَلَى جَبَلٍ سَيْنَاءَ، وَغَطَّاهُ السَّحَابُ سِتَّةَ أَيَّامٍ. وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ دُعِيَ مُوسَى مِنْ وَسْطِ السَّحَابِ. ١٧ وَكَانَ مَنظَرُ مَجْدِ الرَّبِّ كَنَارٍ آكِلَةٍ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ أَمَامَ عَيُونِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ١٨ وَدَخَلَ مُوسَى فِي وَسْطِ السَّحَابِ وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ. وَكَانَ مُوسَى فِي الْجَبَلِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً^(٢).

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٤، ١٠-١١.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٤، ١٢-١٨.

خلال هذه المدّة، انخرّف بنو إسرائيل عن توحيد الله باتخاذهم العجل، وهو ما سنتحدّث عنه في الفصل السادس بالتفصيل.

• الأمر بتأسيس بيت العبادة:

في هذا اللقاء الإلهي بموسى، أُمر «عليه السلام» بأن يؤسّس بيت العبادة الخاص ببني إسرائيل، وذلك بجوار جبل الطور، وهو البيت المقدس، ولكنه سيكون في هيئة قابلةٍ للنقل بحسب ما تستدعيه الظروف، وتماشياً مع طبيعة الحياة غير المستقرّة في الصحراء، وما سيستتبع ذلك من رحلات تنتهي ببني إسرائيل إلى أرض كنعان، إلى أن يؤسّس ويبنى النبي الملك سليمان البيت المقدس على جبل (موريا) في القدس، ليكون بديلاً عن هذا البيت المتنقل الذي أمر النبي موسى بتأسيسه عند جبل الطور ووفق مواصفات معينة، وعلى أن يُهيئ ويعدّ النبي موسى مجموعة من الأمور لتكون من محتويات بيت العبادة، وهي:

(١) التابوت (تابوت العهد)

(٢) مائدة الخبز

(٣) المنارة (الشمعدانة)

(٤) المسكن المجاور لخيمة الاجتماع

(٥) حجاب (ستارة)

(٦) المذبح

(٧) دار (سور) المسكن

(٨) الثياب المقدسة لخدمة بيت الرب

(٩) مذبج البخور (مبخر)

(١٠) مِرْحَضَة (مكان الوضوء والطهارة)

• تابوت (صندوق) العهد:

كما ذكرت التوراة هذا التابوت، جاء ذكره في القرآن الكريم ولكن ضمن سيرة طالوت والنبي داود حيث قال «تعالى»: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ٢٤٨﴾^(١).

قال العلامة ابن عاشور: (التابوت اسم عجمي معرّب.... والتابوت بمعنى الصندوق المستطيل وهو صندوق أمر موسى «عليه السلام» بصنعه... وأمر الله موسى أن يضع في هذا التابوت لَوْحِي الشهادة اللذين أعطاه الله إياهما)^(٢) وسيأتي معنا في الفصل الخامس الكلام حول اللوحين أو الألواح التي تحدّث عنها القرآن والتوراة.

صُنِعَ التَّابُوتُ (الصندوق) على عهد النبي موسى حين كان مستقراً قبالة جبل الطور، وَخُصَّصَ لحفظ الألواح التي تَضَمَّنَت الوصايا الإلهية لموسى، وصار بمرور الزمان -بحسب الآية السابقة- موضعاً لحفظ بعض تركة موسى وهارون وخاصتهما من أهلها أيضاً، واستمر وجوده عند بني إسرائيل لعدة قرون، إلى أن سلبه منهم أعداؤهم ضمن الصراعات التي كانت قائمة على أيام النبي صموئيل، ثم أعيد إليهم وفقاً للتفاصيل المذكورة في التنخ.

١. سورة إبراهيم: ٥.

٢. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢، ص ٤٩٣.

وعن طبيعة هذا التابوت ومواصفاته، ذكرت التوراة أنه كان:

- (١) مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ^(١). [انظر اللوحين ٣١-٣٢]
- (٢) طُولُهُ ذِرَاعَانِ وَنِصْفٌ (١٣٥ سم تقريباً) إِذَا افترضنا أن الذراع ٤٥ سم تقريباً) وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ وَارْتِفَاعُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ (٦٨ سم تقريباً).
- (٣) تُعَشِّيه بِذَهَبٍ نَقِيٍّ. مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ
- (٤) تَصْنَعُ عَلَيْهِ إِكْلِيلًا مِنْ ذَهَبٍ حَوَالِيهِ.
- (٥) أَرْبَعُ حَلَقَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَتَجْعَلُهَا عَلَى قَوَائِمِهِ الْأَرْبَعِ. عَلَى جَانِبِهِ الْوَاحِدِ حَلَقَتَانِ، وَعَلَى جَانِبِهِ الثَّانِي حَلَقَتَانِ.
- (٦) تَصْنَعُ عَصَوَيْنِ مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ وَتُعَشِّيهمَا بِذَهَبٍ. وَتُدْخِلُ الْعَصَوَيْنِ فِي الْحَلَقَاتِ عَلَى جَانِبَيْ التَّابُوتِ لِيُحْمَلَ التَّابُوتُ بِهِمَا.
- (٧) تَضَعُ فِي التَّابُوتِ الشَّهَادَةَ الَّتِي أُعْطِيكَ.
- (٨) تَصْنَعُ غِطَاءً مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ طُولُهُ ذِرَاعَانِ وَنِصْفٌ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ... تَجْعَلُ الْغِطَاءَ عَلَى التَّابُوتِ مِنْ فَوْقِ.
- (٩) تَصْنَعُ كُرُوبَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ. صَنْعَةً خِرَاطَةً تَصْنَعُهُمَا عَلَى طَرَفِي الْغِطَاءِ. فَاصْنَعُ كُرُوبًا وَاحِدًا عَلَى الطَّرَفِ مِنْ هُنَا، وَكُرُوبًا آخَرَ عَلَى الطَّرَفِ مِنْ هُنَاكَ. مِنَ الْغِطَاءِ تَصْنَعُونَ الْكُرُوبَيْنِ عَلَى طَرَفَيْهِ. وَيَكُونُ الْكُرُوبَانِ بَاسِطَيْنِ أَجْنِحَتَهُمَا إِلَى فَوْقِ، مُظَلِّلَيْنِ بِأَجْنِحَتَيْهِمَا عَلَى الْغِطَاءِ، وَوَجْهَاهُمَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى الْآخَرِ. نَحْوَ الْغِطَاءِ يَكُونُ وَجْهَاهُ الْكُرُوبَيْنِ.

١. السنط أو الطلح أو الأكاسيا Acacia، شجرة معروفة استُخدم خشبها في العصور الفرعونية في النجارة، ولحاءها في الدباغة، والأوراق والأزهار في أغراض طبية.



اللوحة رقم ٣١ : شجرة السنط (الطلح)



اللوحة رقم ٣٢ : منتجات من خشب السنط

(١٠) وَتَجْعَلُ الْغِطَاءَ عَلَى التَّابُوتِ مِنْ فَوْقُ، وَفِي التَّابُوتِ تَضَعُ الشَّهَادَةَ الَّتِي أُعْطِيَكَ^(١).
[انظر اللوحتين ٣٣-٣٤].

وبحسب ما جاء في تتممة الوصف الخاص بالتابوت، تدل الآية التوراتية اللاحقة -قبل الانتقال لبيان وصف المائدة والمنارة- إلى أنَّ كلام الله مع النبي موسى «عليه السلام» سيُسمَع في وقت لاحق من فوق غطاء التابوت كما سُمِع من قبل من الشجرة: (٢٢) وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ، مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ مِنْ بَيْنِ الْكُرُوبَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ، بِكُلِّ مَا أَوْصَيْكَ بِهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ^(٢).

• المائدة والمنارة (الشمعدانة):

وُصِفَت المائدة الذهبية بخصائص محدّدة، كما وُصِفَت الأواني التي ستوضع فوقها، على أن تُخصَّص هذه المائدة لأرغفة الخبز التي تُقدَّم قرباناً لله: (٢٣) وَتَصْنَعُ مَائِدَةً مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ طُولُهَا ذِرَاعَانِ، وَعَرْضُهَا ذِرَاعٌ، وَارْتِفَاعُهَا ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ. ٢٤ وَتُعَشِّيْهَا بِذَهَبٍ نَقِيٍّ، وَتَصْنَعُ لَهَا إِكْلِيلًا مِنْ ذَهَبٍ حَوْلَيْهَا.... ٢٩ وَتَصْنَعُ صِحَافَهَا وَصُحُونَهَا وَكَاسَاتِهَا وَجَامَاتِهَا الَّتِي يُسَكَّبُ بِهَا. مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ تَصْنَعُهَا^(٣). [انظر اللوحة ٣٥]

ثم أمر موسى بعمل منارة (شمعدانة) من ذهب نقي وبمواصفات محدّدة: (٣١) وَتَصْنَعُ مَنَارَةً مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ. عَمَلُ الْخِرَاطَةِ تُصْنَعُ الْمَنَارَةُ... ٣٧ وَتَصْنَعُ سُرْجَهَا سَبْعَةً، فَتَضَعُ سُرْجَهَا لِتُضِيءَ إِلَى مُقَابِلِهَا^(٤).

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٥، ١٠-٢١.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٥، ٢٢.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٥، ٢٣-٢٩.

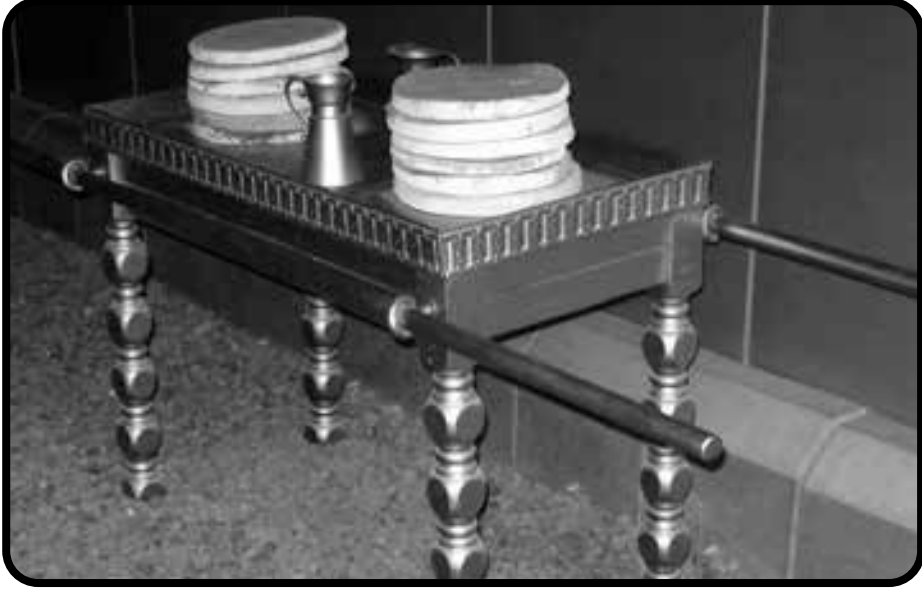
٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٥، ٣١-٣٧.



اللوحة رقم ٣٣ : تصور للتابوت وفق الوصف المذكور في التوراة



اللوحة رقم ٣٤ : تصور آخر للتابوت وفق الوصف المذكور في التوراة



اللوحة رقم ٣٥ : تصور للمائدة وعليها الخبز

وهذه المنارة المعروفة بالعبرية باسم (مينوراه) מִנְרָתָא تمثل إحدى الرموز اليهودية المشهورة، وأشرنا إليها في الجزء الأول من هذا الكتاب عند الحديث عن مبعث النبي موسى وعن نوع الشجرة التي صدر من عندها الصوت الإلهي، وأنها عُليقة يُرمز لها في التراث اليهودي من خلال الشمعدانة ذات الرؤوس السبعة [انظر اللوحة ٣٦].

• المسكن والمذبح:

وأما المسكن فكان بمثابة غرفة مستطيلة الشكل معدة من البوص طولها ٣٠ ذراعاً (١٣,٥م تقريباً) وعرضها ٩ أذرع (٤م تقريباً)، وارتفاعها ١٠ أذرع (٤,٥م تقريباً)، على أن تُغطى بخيمة من شعر المعزى، ثم بغطائين جلديين، وبتفاصيل كثيرة تخص القواعد الخشبية والفضية والعُرى الذهبية وغير ذلك.



اللوحة رقم ٣٦ : تصور للمنارة (الشمعدانة) برؤوسها السبعة

يلي ذلك صنع الحجاب (الستارة) التي سيوضع التابوت خلفها: (٣٣) وَتَدْخُلُ إِلَى هُنَاكَ دَاخِلَ الْحِجَابِ تَابُوتَ الشَّهَادَةِ، فَيَفْصِلُ لَكُمْ الْحِجَابَ بَيْنَ الْقُدُسِ وَقُدُسِ الْأَقْدَاسِ. ٣٤ وَتَجْعَلُ الْغِطَاءَ عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ فِي قُدُسِ الْأَقْدَاسِ. ٣٥ وَتَضَعُ الْمَائِدَةَ خَارِجَ الْحِجَابِ، وَالْمَنَارَةَ مُقَابِلَ الْمَائِدَةِ عَلَى جَانِبِ الْمَسْكَنِ نَحْوَ التَّيْمَنِ، وَتَجْعَلُ الْمَائِدَةَ عَلَى جَانِبِ الشَّامَالِ^(١).

أما المذبح فيصنع: (١) ... مِنْ خَشَبِ السَّنِطِ، طُولُهُ خَمْسُ أَذْرُعَ، وَعَرْضُهُ خَمْسُ أَذْرُعَ. مُرَبَّعًا يَكُونُ الْمَذْبَحُ. وَارْتِفَاعُهُ ثَلَاثُ أَذْرُعَ...^(٢) إلخ ما ذكر له من مواصفات.

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٦، ٣٣-٣٥.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٧، ١.

وللمسكن سور (دار) من البوص (القصب) المدعم بأعمدة خشبية بمواصفات محددة ومقاساتها كالتالي: ١٠٠ ذراع (٤٥م تقريباً) شمالاً وجنوباً و٥٠ ذراع (٢٢,٥م تقريباً) شرقاً وغرباً.

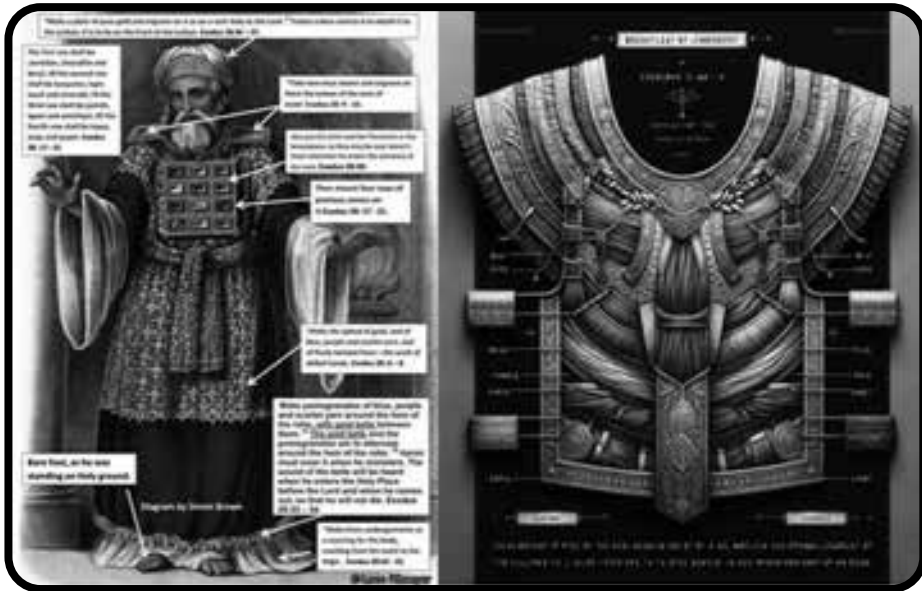
• ثياب رُعاة البيت المقدس:

تم تعيين هارون وذريته ليكونوا في خدمة بيت الرب هذا إلى أبد الدهر، وخُصّصت لهم ثياب مميزة، منها ما هو موشى بالذهب، ومرصع بأنواع الأحجار الكريمة، وعلى كل جانب من كتفي الرداء حَجَرٍ مِنَ الجَزَعِ مؤطّر بالذهب، على أن ينقش على الحجر الأول أسماء ستة من أولاد النبي يعقوب «عليه السلام»، وعلى الثاني أسماء الستة الآخرين، وذلك بحسب ترتيب مواليدهم: (٣٣) وَتَصْنَعُ عَلَى أَذْيَالِهَا رُمَامَاتٍ مِنْ أَسْمَانُجُونِيٍّ^(١) وَأَرْجُوَانٍ وَقِرْمِزٍ، عَلَى أَذْيَالِهَا حَوَالِيهَا، وَجَلَاجِلٍ مِنْ ذَهَبٍ بَيْنَهَا حَوَالِيهَا. ٣٤ جُلْجَلٌ ذَهَبٍ وَرُمَانَةٌ، جُلْجَلٌ ذَهَبٍ وَرُمَانَةٌ، عَلَى أَذْيَالِ الْجُبَّةِ حَوَالِيهَا. ٣٥ فَتَكُونُ عَلَى هَارُونَ لِلْخِدْمَةِ لِيَسْمَعَ صَوْتُهَا عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْقُدُسِ أَمَامَ الرَّبِّ، وَعِنْدَ خُرُوجِهِ، لِئَلَّا يَمُوتَ. ٣٦ «وَتَصْنَعُ صَفِيحَةً مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ، وَتَنْقُشُ عَلَيْهَا نَقْشَ خَاتِمٍ: «قُدُسٌ لِلرَّبِّ». ٣٧ وَتَضَعُهَا عَلَى خَيْطِ أَسْمَانُجُونِيٍّ لِتَكُونَ عَلَى الْعِمَامَةِ. إِلَى قُدَامِ الْعِمَامَةِ تَكُونُ»^(٢).

ولمن هم أدنى مرتبة، تم تحديد مواصفات أخرى لثيابهم. [انظر اللوحات ٣٧-٤١].
إنّ من يرى هذه الثياب عياناً، أو حتى يتصوّرُها في ذهنه، يدرك أنّ من كتب هذا النص لا يمكن إلا أن يكون إنساناً مستغرقاً في المادة إلى أبعد الحدود، وحاشا لله أن يجعل من يخدم بيته المقدس بهذه الصورة الباذخة، وأن يدفعهم دفعاً نحو التعلّق

١. اللون الأزرق.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٨، ٣٣-٣٧.



اللوحه رقم ٣٧ : تصور للثياب الخاصة بكبار رعاة البيت المقدس



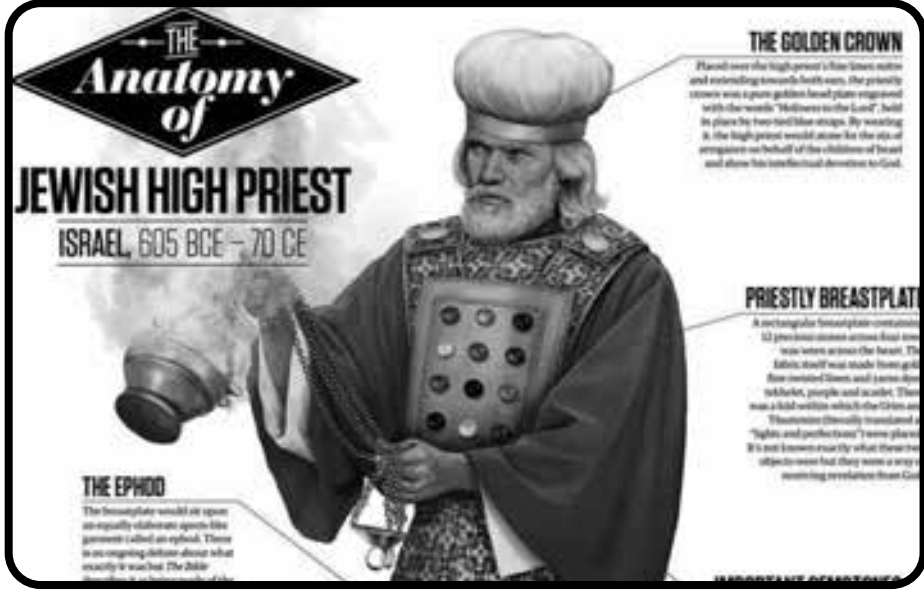
اللوحه رقم ٣٨ : تصور آخر للثياب الخاصة بكبار رعاة البيت المقدس



اللوحه رقم ٣٩ : أدوات الزينة والمعلقات الخاصة بثياب رعاة البيت المقدس



اللوحه رقم ٤٠ : أذيال الثياب المزخرفة والجلال المعلقة عليها



اللوحه رقم ٤١ : التاج الذهبي على العمامة الخاصة بكبار رعاة البيت المقدس

بالدنيا وزخرفها وزبرجها، وحاشا لنبيه الكريم موسى أن يتطلع هو أو أخوه هارون لمثل ذلك، وهما اللذان دخلا على فرعون وعليهما مدارع من صوف وفي أبسط هيئة، وقد أشكل فرعون على هذه الهيئة البسيطة إذ قال كما نقل القرآن عن لسانه: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ (٥٣) (١).

وعن علي «عليه السلام»: (وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ «عليهما السلام» عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِغُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ، فَقَالَ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ،

إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ - حَيْثُ بَعَثَهُمْ - أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبِ، وَمَعَادِنَ الْعَقِيَانِ^(١)، وَمَعَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَخْشَرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْحِزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَّا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلَيْنِ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا. وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى، وَخَصَاصَةً تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَدًى، وَلَوْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلُ قُوَّةٍ لَا تَرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوُهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وَتَشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْإِسْتِكْبَارِ، وَلَا مَنُوءَا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتْ النَّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتْبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْخُشُوعُ لَوَجْهِهِ، وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةٌ لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَكُلَّمَا كَانَتْ الْبَلَوَى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتْ الْمُثُوبَةُ وَالْحِزَاءُ أَجْزَلَ^(٢).

وبحسب التوراة الحاضرة، فإنّ رعاة بيت الله يجب أن يكونوا على هذه الهيئة من الاستعداد الظاهري في الملابس عند الدخول لأداء المراسم المختلفة الخاصة بالبيت المقدس: (٤٣) فَتَكُونُ عَلَى هَارُونَ وَبَنِيهِ عِنْدَ دُخُولِهِمْ إِلَى خِيَمَةِ الْاجْتِمَاعِ، أَوْ عِنْدَ اقْتِرَائِهِمْ إِلَى الْمَذْبَحِ لِلْخِدْمَةِ فِي الْقُدُسِ، لِئَلَّا يَحْمِلُوا إِثْماً وَيَمُوتُوا. فَرِيضَةٌ أَبَدِيَّةٌ لَهُ وَلِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ^(٣).

١. «العقيان»: ذهب ينبت نباتاً وليس مما يُسْتَذَابُ وَيُحْصَلُ من الحجارة، وقيل: هو الذهب الخالص.

٢. الرضي: نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢ المسماة بالقاصعة.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٨، ٤٣.

• تعاليم تنصيب هارون وذريته:

بحسب التوراة، جُعِلَتْ خدمة البيت المقدّس لهارون وذريته فحسب، ووضّحت التوراة مراسيم تعيين هارون وذريته لهذا المنصب، والتي تبدأ بتقديم ثور وكبشين، ومخبوزات، ثم ارتداء هارون الثياب المخصّصة للخدمة، ثم مسح رأسه بالدهن، ثم ارتداء أبنائه الثياب المخصّصة للخدمة، ثم ذبح الثور والكبشين والتعامل مع الدم واللحم والجلد والشحم ضمن تعاليم محددة، على أن يتكرر كل ذلك لمدة سبعة أيام، ويستمر تقديم القرابين بشروط معينة كل يوم.

وأمر موسى -بحسب هذا النص- بعمل مذبح للبخور (مبخّر كبير) من الذهب وبمواصفات محددة: (٦) وَتَجْعَلُهُ قُدَّامَ الْحِجَابِ الَّذِي أَمَامَ تَابُوتِ الشَّهَادَةِ. قُدَّامَ الْغِطَاءِ الَّذِي عَلَى الشَّهَادَةِ حَيْثُ أَجْتَمِعُ بِكَ. ٧ فَيُوقَدُ عَلَيْهِ هَارُونُ بُخُورًا عَطِرًا كُلَّ صَبَاحٍ، حِينَ يُصْلِحُ الشُّرُجَ يُوقَدُهُ. ٨ وَحِينَ يُضَعِدُ هَارُونُ الشُّرُجَ فِي الْعَشِيِّ يُوقَدُهُ. بُخُورًا دَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ فِي أَجْيَالِكُمْ^(١). [انظر اللوحتين ٤٢-٤٣]

• الطهارة والطيب:

أمر النبي موسى -أيضاً- بإعداد مغسلة (مِرْحَضَة) من نحاس خاصة بالوضوء والتطهير، وتم تحديد موضعها ووظيفتها كالتالي: (١٨).... وَتَجْعَلُهَا بَيْنَ خِيَمَةِ الْاجْتِمَاعِ وَالْمَذْبَحِ، وَتَجْعَلُ فِيهَا مَاءً. ١٩ فَيَغْسِلُ هَارُونُ وَبَنُوهُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْهَا. ٢٠ عِنْدَ دُخُولِهِمْ إِلَى خِيَمَةِ الْاجْتِمَاعِ يَغْسِلُونَ بِمَاءٍ لَيْلًا يَمُوتُوا، أَوْ عِنْدَ اقْتِرَابِهِمْ إِلَى الْمَذْبَحِ لِلْخِدْمَةِ لِيُوقِدُوا وَقُودًا لِلرَّبِّ. ٢١ يَغْسِلُونَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ لَيْلًا يَمُوتُوا. وَيَكُونُ لَهُمْ

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٠، ٦-٨.



اللوحة رقم ٤٢ : تصوّران للمبخّر الذهبي



اللوحة رقم ٤٣ : تصوّر لموضع المبخّر والمائدة والمنارة

فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً لَهُ وَلِنَسْلِهِ فِي أَجْيَالِهِمْ»^(١). ومن التكاليف الخاصة بالعناية ببيت الرب ما يخص استعمال الطيب والبخور لتعطير المكان، تلتها وصايا متنوعة.

والتصوّر النهائي للبيت المقدس يتمثل في مساحة مستطيلة الشكل ومسورة تشتمل في جانب منها على خيمة مغطاة بطبقات من الجلد الحيواني، تقابلها مغسلة للطهارة، ومذبح ومحرقة للذبائح. [انظر اللوحتين ٤٤-٤٥]

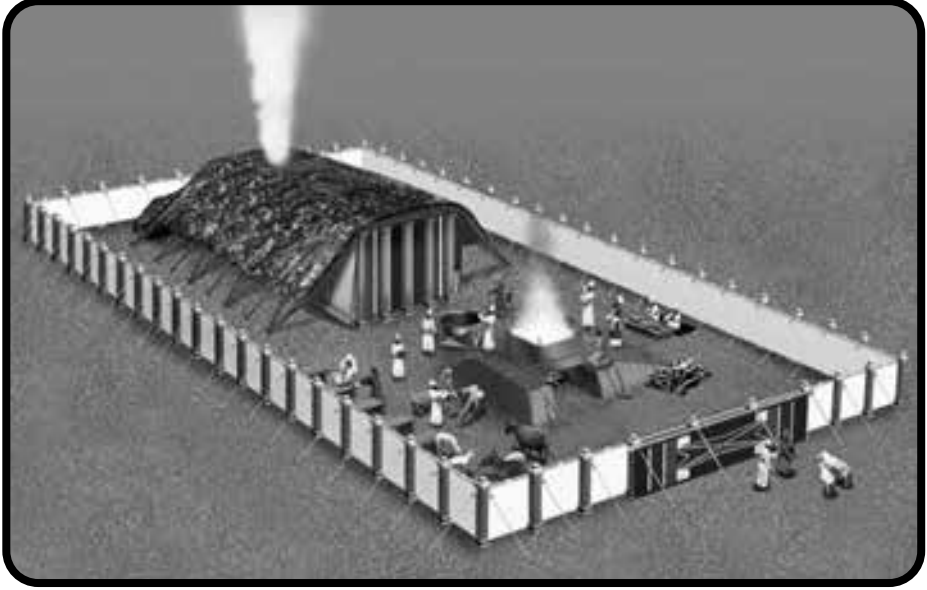
إن من يقرأ النصوص التوراتية الخاصة بإعداد بيت الرب وثياب الخدمة وكميات الذهب والأحجار الكريمة المعدة لذلك، ليستغرب ويتساءل: من أين سيتم توفير كل ذلك؟ وما مصدره؟

إن الاحتمال الوحيد هنا يتمثل في ما أخرجه بنو إسرائيل من مصر حين أخذوا (سلبوا / استعاروا)^(٢) كل هذه الكميات من الذهب والأحجار الكريمة من المصريين كما مر معنا في الجزء الثاني من الكتاب، وبحسب ما جاء في النص التوراتي. وهل يصح أنهم اقتنوها من كد أيديهم والفرس أنهم عبيد وإماء ومستضعفون؟ (٢٠) فَأَمْدُ يَدَي وَأَضْرِبْ مِصْرَ بِكُلِّ عَجَائِبِي الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يُطْلَقُكُمْ. ٢١ وَأُعْطِي نِعْمَةً لِهَذَا الشَّعْبِ فِي عَيُونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَئِذٍ تَمْضُونَ أَنْتُمْ لَا تَمْضُونَ فَارِغِينَ. ٢٢ بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةً فَضَّةً وَأَمْتِعَةً ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلُبُونَ الْمِصْرِيِّينَ»^(٣).

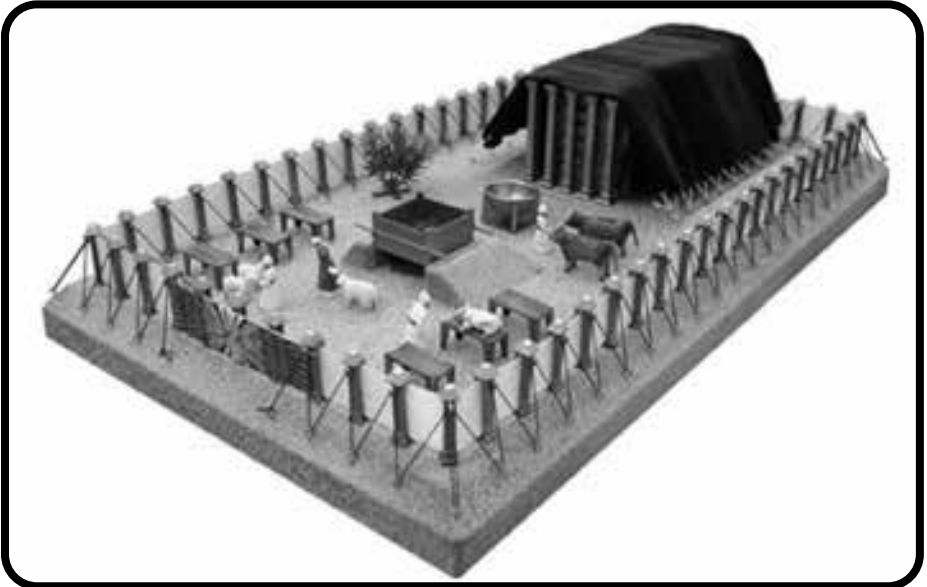
١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٠، ١٨-٢١.

٢. اختلفت نصوص الترجمة باللغات المختلفة للكلمة الأصلية المستعملة في التوراة والخاصة بكيفية حصول بني إسرائيل على ذلك الذهب من المصريين عند خروجهم من مصر. وتناولنا ذلك في الجزء الثاني من هذا الكتاب، فراجع.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣، ٢٠-٢٢.



اللوحة رقم ٤٤ : تصوّر للبيت المقدس في هيئته الأولى



اللوحة رقم ٤٥ : تصوّر آخر للبيت المقدس في هيئته الأولى

ويتكرّر هذا المضمون في الإصحاح ١١: (١) ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «ضَرْبَةً وَاحِدَةً أَيْضًا أَجْلِبُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَى مِصْرَ. بَعْدَ ذَلِكَ يُطْلِقُكُمْ مِنْ هُنَا. وَعِنْدَمَا يُطْلِقُكُمْ يَظْرُدُكُمْ طَرْدًا مِنْ هُنَا بِالتَّمَامِ. ٢ تَكَلَّمْ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ أَنْ يَطْلُبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ صَاحِبِهِ، وَكُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ صَاحِبَتِهَا أَمْتِعَةً فَضَّةً وَأَمْتِعَةً ذَهَبًا»^(١).

ثم في الإصحاح الذي يليه: (٣٥) وَقَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. طَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ أَمْتِعَةً فَضَّةً وَأَمْتِعَةً ذَهَبًا وَثِيَابًا. ٣٦ وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عِيُونِ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارَوْهُمْ. فَسَلَبُوا الْمِصْرِيِّينَ^(٢).

ولا ننسى أنهم سيصنعون عاجلاً من الذهب، وسينسفه موسى ويحرقه ويدّره في الماء... فهذه كمية أخرى من الذهب... هذا يعني أن الكمية كبيرة جداً... والأمر فعلاً غريب ويدعو إلى الشك.

وبعد الانتهاء من بيان التعليمات الخاصة بكل ما سبق، ينتهي الإصحاح ٣١ من سفر الخروج بالقول: (١٨) ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَاحِهِ مِنَ الْكَلَامِ مَعَهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ لَوْحِي الشَّهَادَةِ: لَوْحِي حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبَعِ اللَّهِ^(٣).

ومن هنا ننتقل للحديث في الفصل الآتي عن الألواح، ومقارنة ما جاء في القرآن الكريم مع ما جاء في التوراة بهذا الخصوص.

• نتائج الفصل وخلاصته:

○ أمر النبي موسى بتأسيس البيت المقدّس قبالة جبل الطور مؤقتاً، وهو المكان الذي

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١١، ١-٢.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٢، ٣٥-٣٦.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣١، ١٨.

سينتقل مع بني إسرائيل حيثما حلّوا إلى أن يقوم النبي سليمان لاحقاً بتأسيسه على جبل (موريا) في القدس.

○ اشتمل البيت المقدس على عشرة مقتنيات رئيسة هي: التابوت - مائدة الخبز - المنارة (الشمعدانة) - المسكن المجاور لخيمة الاجتماع - حجاب (ستارة) - المذبح - دار (سور) المسكن - الثياب المقدسة لخدمة بيت الرب - مذبح البخور (مبخر) - مِرْحَضَة (مكان الوضوء)، وصُنعت بمواصفات خاصة.

○ أمر موسى بإعداد التابوت (الصندوق) من خشب شجرة السنط (الطلح) وأن يُغشّي بالذهب، وأُعدَّ في الأساس ليكون وعاءً لحفظ ألواح الشريعة التي ستعطى لموسى من قبل الله، وأخبر القرآن الكريم بأنه صار لاحقاً وعاءً لحفظ شيء من تركة موسى وهارون والخاصة من ذريتهما.

○ أوكلت مهمّة رعاية البيت المقدس لهارون والمؤهلين من ذريته خاصة دون سائر بني إسرائيل، وخُصّصت لهم ثياب وزينة باذخة وبمواصفات غريبة هي أبعد ما تكون عن طبيعة الزهد والبساطة التي عُرف بها الأنبياء، ويُفترَض بورثتهم من علماء الدين أن يكونوا عليها.

○ من المثير والعجيب أن تتوفّر لدى بني إسرائيل -بحسب النص التوراتي الخاص بإعداد أدوات البيت المقدس- كل هذه الكمية من الذهب، علاوة على ما سنذكره لاحقاً من توظيف الذهب أيضاً في صناعة العجل الذي سيتخذونه في غياب نبيهم.



ألواح الشريعة

ألواح الشريعة

• موضوعات هذا الفصل:

- بيان للوصف القرآني لألواح النبي موسى، وما كُتب فيها.
- عرض لاحتمالات مصدر الألواح والكتابة بحسب ظاهر النص القرآني.
- مقارنة ما سبق مع ما جاء في التوراة من حيث عدد الألواح، وما كُتب فيها، ومصدرها، وغير ذلك من الخصوصيات.
- إطلالة على ما في التراث الحاخامي من تفاصيل وأساطير حول الألواح.
- وصف الألواح وما جرى لها بحسب بعض المرويات الإسلامية.

• الوصف القرآني للألواح:

تعرض القرآن الكريم لذكر ألواح النبي موسى «عليه السلام» والتي تُعرف في

التراث الكتابي بعنوان (لَوْحِي الشريعة) ثلاث مرات فقط، وكلها في سورة الأعراف، وفي سياق واحد: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ١٤٣.... فَقَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ١٤٤ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ١٤٥.... وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ١٥٠.... وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ١٥١﴾ (١).

والملاحظ في الآيات السابقة:

(١) التعبير عنها بصيغة الجمع

(٢) أنها أعطيت لموسى ضمن لقاء الأربعين ليلة

(٣) الاكتفاء بالإشارة إلى محتواها، وأن فيه من كل شيء موعظة وتفصيلاً

(٤) لم يتم تحديد ماهية نوع الألواح، وهل كانت حجرية أم خشبية أم غير ذلك

(٥) لم يُتطرق إلى مقاساتها ولا لونها ولا هيئتها

(٦) لم يتم ذكر كيفية إعداد الألواح والكتابة عليها، والاحتمالات هي:

ت	المصدر	الصنع	الكتابة
١	سماوي	سماوي	سماوي
٢	سماوي	سماوي	أرضي
٣	سماوي	أرضي	سماوي
٤	سماوي	أرضي	أرضي
٥	أرضي	سماوي	سماوي
٦	أرضي	أرضي	سماوي
٧	أرضي	سماوي	أرضي
٨	أرضي	أرضي	أرضي

والظاهر من ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ أن تكون الكتابة سماوية، إما وفق (كن فيكون)، أو عن طريق ملك على سبيل المثال.

قال العلامة الطباطبائي: (اللوحة صحيفة معدة للكتابة فيه، لأنه يلوح ويظهر بما فيه من الخط. وأصله من لاح البرق إذا لمع)^(١). واعتبر العلامة أن:

١. ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تدل على التبعية.

٢. معنى الآية: وكتبنا لموسى في الألواح -وهي التوراة النازلة^(٢)- مختارات من كل شيء، ونعني بذلك أنا كتبنا له موعظة وتفصيلاً ما، وتشريعاً ما، لكل شيء، حسب ما يحتاج إليها قومه في الاعتقاد والعمل.

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٨، ص ٢٤٥.

٢. الألواح -من وجهة نظري- لا تشتمل على التوراة، بل الوصايا العشر أو بتعبير آخر الميثاق الإلهي.

٣. تدل الآية على أن التوراة لم تستكمل جميع ما تمسّ به حاجة البشر من المعارف والشرائع.

٤. القرآن يؤكد هذه الفكرة حيث قال «تعالى» بعد ذكر التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (٤٨) (١).

٥. ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ كناية عن الأخذ بالجد والحزم، فإنّ مَنْ يجد ويجدّ في أمر، يستعمل ما عنده من القوة فيه، حذراً أن يفوته.

٦. ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ الأخذ بالأحسن كناية عن ملازمة الحسن في الأمور واتباعه واختياره، أي: وأمر قومك يجتنبوا السيئات ويلتزموا ما تهدي إليه التوراة من الحسنات، وهذا مثل قوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْمَلَبَابِ﴾ (١٨) (٢).

وقال العلامة ابن عاشور: (الألواح جمع لَوْح بفتح اللام، وهو قطعة مربعة من الخشب، وكانوا يكتبون على الألواح) (٣)، ثم أضاف التالي:

١. تسميتها ألواحاً مجاز، لأنها كانت من حجارة، كما في التوراة في الإصحاح ٢٤ من سفر الخروج، فتسميتها الألواح لأنها على صورة الألواح الخشبية.

٢. من حيث العدد: لوحان، كما في التوراة، بإطلاق الجمع عليها هنا إما من باب إطلاق صيغة الجمع على المثني، بناء على أن أقل الجمع اثنان، وإما لأنهما كانا مكتوبين على الوجهين، كما يقتضيه الإصحاح ٣٢ من سفر الخروج، فكانا بمنزلة أربعة ألواح.

١. سورة المائدة: ٤٨.

٢. سورة الزمر: ١٨.

٣. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٩، ص ٦٩.

٣. كُتِبَ في اللوحين الوصايا العشر التي ابتدأت بها شريعة موسى، وهي أصول كليات هامةٍ للشريعة التي أوحى الله بها إلى موسى، وهي ما في الإصحاح ٢٠ من سفر الخروج. وقد فُصِّلَت الوصايا العشر من الإصحاح العشرين إلى نهاية الحادي والثلاثين من سفر الخروج، فهل اشتمل اللوحان على الوصايا العشر فحسب أم على كل التفاصيل الواردة في تلك الإصحاحات؟ في الإصحاح ٣٤ من سفر الخروج إن الألواح لم تُكتب فيها إلا الكلمات العشر، ولكن قوله «تعالى»: ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ يقتضي أنها اشتملت على الوصايا العشر والتفاصيل أيضاً، لأن التفصيل يعني التبيين للمجملات. ولعل الموعظة هي الكلمات العشر والتفصيل ما ذُكر بعدها من الأحكام في الإصحاحات التي ذكرناها.

٤. أُسْنَدَت الكتابة إلى الله لأنها كانت مكتوبة نقشاً في الحجر من غير فعل إنسان، بل بمحض قدرة الله «تعالى»، كما يُفهم من الإصحاح ٣٢، كما أسند الكلام إلى الله في قوله: ﴿وَبِكَلَامِي﴾.

٥. ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي بالأحسن الذي هو لها، وهو جميع ما فيها، لظهور أن ما فيها من الشرائع ليس بينه تفاضل بين أحسن ودون الأحسن، بل كله مرتبة واحدة فيما عُيِّنَ له، ولظهور أنهم لا يؤمنون بالأخذ ببعض الشريعة وترك بعضها، والمعنى وأمر قومك يأخذوا بما فيها لحسنها. وهذه الآية نظير قوله «تعالى»: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ...﴾ (١).

٦. ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (١٥٤) النسخ هو نقل مثل المكتوب في لوح أو صحيفة أخرى،

وهذا يقتضي أنّ هذه الألواح أخذت منها نسخة، والتقدير: أخذ الألواح، فجعلت منها نسخة، ﴿وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾. وهذا يشير إلى ما في التوراة في الإصحاح ٣٤ من سفر الخروج: (١) ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْحَتْ لَكَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلِ الْأَوَّلَيْنِ، فَأَكْتُبْ أَنَا عَلَى اللَّوْحَيْنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى اللَّوْحَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ الَّذِينَ كَسَرْتَهُمَا... ٤ فَنَحَتَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ كَالأَوَّلَيْنِ»^(١).

٧. قيل إن رضاء الألواح الأصلية (بلحاظ أن موسى ألقى الألواح الأولى فتكسرت فأعطي بديلاً عنها) وضعه في تابوت العهد الذي أشار إليه قوله «تعالى»: ﴿... أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى...﴾^(٢).

• الوصف التوراتي للألواح:

تُسمى هذه الألواح في التراث اليهودي:

(أ) ألواح العهد לווחת הברית وتُلَفَّظ (لوخوت هابريت) luchot habrit.

(ب) الألواح الحجرية (ألواح الحجر) לווחת האבן وتُلَفَّظ (لوخوت هائفن) luchot ha'even وكذلك לווחת אבנים وتُلَفَّظ (لوخوت أبانيم) loochot avanim

(ج) ألواح الشهادة לווחת העדות وتُلَفَّظ (لوخوت هائدوت) loochot ha'edoot ونفصل الكلام عن الألواح وفق ما جاء وصفها في التوراة من خلال النقاط التالية:

١. توجد نسختان من اللوحين، الأولى كسرهما موسى عندما غضب على قومه لصناعتهم العجل، والثانية صُنعت بدلاً عنها واشتملت على نفس ما في الأولى.

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ١-٤.

٢. سورة البقرة: ٢٤٨.

٢. النسخة الأولى صناعة إلهية، وكتابة إلهية أيضاً، أما النسخة الثانية فقد أعدها موسى، وكتب الله عليها.

٣. اشتمل اللوحان على الوصايا العشر فحسب.

٤. كانت الكتابة على اللوحين، من ناحيتين، الوجه والظهر، بدليل النصوص التالية:
(١٨) ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَاعِهِ مِنَ الْكَلَامِ مَعَهُ فِي جَبَلٍ سَيْنَاءَ لَوْحِي الشَّهَادَةِ: لَوْحِي حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبَعِ اللَّهِ^(١).

(١٦) وَاللُّوْحَانِ هُمَا صَنَعَهُ اللَّهُ، وَالْكِتَابَةُ كِتَابَتُهُ اللَّهُ مَنقُوشَةً عَلَى اللَّوْحَيْنِ.... ١٩ وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعِجَلَ وَالرَّقْصَ، فَحَيَّي غَضَبُ مُوسَى، وَطَرَحَ اللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَّرَهُمَا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ^(٢).

(١) ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «نَحَتُ لَكَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلِ الْأَوَّلَيْنِ، فَأَكْتُبُ أَنَا عَلَى اللَّوْحَيْنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى اللَّوْحَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ الَّذِينَ كَسَرْتَهُمَا... ٤ فَنَحَتَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ كَالأَوَّلَيْنِ.... ٢٨ وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الرَّبِّ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، لَمْ يَأْكُلْ خُبْزًا وَلَمْ يَشْرَبْ مَاءً. فَكَتَبَ عَلَى اللَّوْحَيْنِ كَلِمَاتِ الْعَهْدِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشْرِ^(٣).

(١٣) وَأَخْبَرَكُمْ بِعَهْدِهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشْرِ، وَكَتَبَهُ عَلَى لَوْحِي حَجَرٍ^(٤).

٥. بحسب الإصحاح ٩ من سفر الملوك الأول ضمن وصف أعمال الملك (النبى)

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣١، ١٨.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ١٦.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ١-٢٨.

٤. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٤، ١٣.

سليمان أن موسى كان قد وضع اللوحين الأخيرين في تابوت العهد: (٩ لَمْ يَكُنْ فِي التَّابُوتِ إِلَّا لَوْحَا الْحَجَرِ اللَّذَانِ وَضَعَهُمَا مُوسَى هُنَاكَ فِي حُورِيبَ حِينَ عَاهَدَ الرَّبُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ)^(١)، بينما مر معنا قوله «تعالى» في كتابه العزيز: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وظاهره أن التابوت كان يحتوي على أكثر من اللوحين فحسب، على خلاف ما جاء في سفر الملوك.

٦. في الموسوعة اليهودية The Jewish Encyclopedia أن التراث الحاخامي يذكر أن طول اللوحين كان ٦ أشبار^(٣). وعند تسليمهما لموسى، كان شبران منهما بيد الله، وشبران بيد موسى، وبينهما شبران هي المسافة بين الله وموسى.

ويضيف التراث الحاخامي أن اللوحين كانا متساويين في المقاس تماماً، وأن موسى لم يبذل جهداً في عمل اللوحين الأولين، إذ أعطيتا له من قِبَلِ الله. أما النسخة الثانية من اللوحين، فقد حصل عليهما بعد جهد مضن و (إذلال) وحرمان استمر أربعين يوماً. [انظر اللوحة ٤٦]

ويضيف التراث الحاخامي أن الملائكة اعترضوا على أن يقوم موسى بكتابة النسخة الثانية، لأنه قد يدّعي كونه مؤلف ما في الألواح، أو قد يعمل على تغيير نصها ومحتواها؛ ولكن الله وثق به، وأمره بكتابتها.

١. الكتاب المقدس: سفر الملوك الأول، الإصحاح ٩، ٩.

٢. سورة البقرة: ٢٤٨.

٣. الشبر في حدود ٢٠ سم، والمجموع ١٢٠ سم.



اللوحة رقم ٤٦ : تصوّر لاستلام النبي موسى للوحين

وجاء في الموسوعة اليهودية أيضاً أنه كان لدى موسى في خيمته كتلة حجرية من الياقوت الأزرق، مصدرها قرص الشمس! ونحت منها المجموعة الثانية من الألواح. وكان وزن اللوحين ٤٠ سعه (بالعبرية: *sə'āh נאס*)، وهي وحدة قياس تساوي سعة ١٤٤ بيضة متوسطة الحجم، أو ما يعادل ٨,٥ لترًا، والمجموع هنا ٣٤٠ لترًا، أي مقدار ما وزنه ٣٤٠ كيلوجرام من الماء. وقيل بل يجب أن يكون بمقدار ٥٧٥ لترًا من الماء، وهو المقدار الذي يصلح للاغتسال فيه ارتماساً^(١).

وتضيف الموسوعة -نقلًا عن التراث الحاخامي- أن موسى أصبح ثرياً من بيع الرقائق المصنوعة من كتلة الياقوت أثناء العمل عليها وتحضير اللوحين منها. وكان هذا الياقوت الأزرق من النوع الذي يسمح بأن تُلف الألواح المعدة منها وتُطوى!

١. في الفقه الإسلامي يُطلق عنوان (الْكُر) على الماء غير القليل، أي الماء الكثير والمعتصم.

أما بالنسبة لترتيب الوصايا على اللوحين، فإن الآراء الحاخامية متباينة: فوفقاً لبعضهم، تم نقش خمس وصايا على لوح وخمس على الآخر؛ ووفقاً لآخرين، احتوت كل لوحة على الوصايا العشر كاملة. كان موسى قادراً على حمل الألواح الثقيلة لأن الله ساعده؛ ولكن عندما رأى الله أن الناس كانوا يعبدون العجل الذهبي، لم يعد يساعده؛ وقد أجبر هذا موسى على إلقاء الألواح.

وفقاً لرواية أخرى، كانت الحروف بنفسها هي التي تعين على حملها، وكذلك فعل الحجر نفسه، ولكن عندما علّمت الأحرف والحجارة بعدم استحقاق بني إسرائيل هذه النعمة، طارت الأحرف عائدة إلى السماء، فترك موسى ضعيفاً جداً عن أن يحمل العبء الثقيل، وبذل قصارى جهده لإنقاذ الألواح من السقوط، ولكن إرادة الله (أو الحروف) غلبته.

ويضيف التراث الحاخامي أنه كان من الجيد ألا تُسَلَّم الألواح الأولى إلى بني إسرائيل؛ لأنها كانت مكتوبة بإصبع الله، وكانت ستؤدي إلى إبادة كل مخلوق بسبب سطوعها الشديد. وبما أن النسخة الأولى قد أعطيت وسط أُبْهة عظيمة، لذا فقد دخل في نفس موسى ما دخل من الشعور بالرفعة، من هنا، أعطيت له المجموعة الثانية بهدوء ليتلقّى الدرس بتواضع.

عندما كسر موسى اللوحين في ١٧ من شهر تموز، غضب الله عليه، لأنه لو كان حريصاً عليها وتعب في إعدادها، لكان أكثر عنايةً بها؛ ولذلك أمر موسى بتهيئة المجموعة الثانية، التي أعطيت في يوم الكفارة، بعد الظهر. ووفقاً للبعض، لم يتخلص موسى من المجموعة الأولى التي تكسّرت إلى أن شجعه الله على فعل ذلك.

والإصبع الذي به كتب الله على اللوحين الأولين (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) هو الإصبع الثالث^(١).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الكتابة من قِبَل الناس على الألواح الحجرية أو الطينية المطبوخة كان أمراً شائعاً منذ آلاف السنين، وكانت وسيلة من وسائل التدوين وحفظ المعلومات وتخليد الذكريات وحفظ الحقوق وغير ذلك. ومن بين الموارد الأساسية لذلك ما له علاقة بالنصوص الدينية والملكية. وهناك الكثير من الألواح الأثرية المحفوظة في متاحف حول العالم، والتي تعود إلى الحضارات السومرية والمصرية واليونانية وغيرها. [انظر اللوحات ٤٧-٥٠]

• الألواح في روايات المسلمين:

تضمّنت بعض الروايات في المصادر الإسلامية تفاصيل حول ألواح النبي موسى لا نجدها في القرآن الكريم ولم تدّعيها التوراة، وهذه نماذج من تلك المرويات:

(١) في كتاب (بصائر الدرجات) لمحمد بن الحسن الصفار بالسند عن الثمالي، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: (في الجفر^(٢)) إن الله «تعالى» لما أنزل ألواح موسى «عليه السلام» أنزلها عليه وفيها تبين كل شيء كان وهو كائن إلى أن تقوم الساعة، فلما انقضت أيام موسى أوحى الله إليه أن استودع الألواح -وهي زبرجدة من الجنة- الجبل، فأتى موسى الجبل فانشق له الجبل فجعل فيه الألواح ملفوفة، فلما جعلها فيه انطبق الجبل عليها، فلم تزل في الجبل حتى بعث الله نبيه محمداً «صلى الله عليه وآله»، فأقبل ركباً من اليمن يريدون النبي «صلى الله عليه وآله»، فلما انتهوا إلى الجبل انفرج الجبل،

1. <https://www.jewishencyclopedia.com/articles/14189-tables-of-the-law>

٢. المروي أن الجفر كتابٌ أملاه رسول الله في أواخر حياته على الإمام علي، وسَمَّى الجفر لأنه من جلد.



اللوحة رقم ٤٧ : لوحة في نسخة للكتاب المقدس (ق ١٠) لتسليم الألواح



اللوحة رقم ٤٨ : تمثالان لموسى واللوح (اليمين: ١٣٩٠م) (اليسار: ١٤٦١م)



اللوحة رقم ٤٩ : لوح حجر نُقش عليها مسمارياً (بابل : القرن ٩ ق.م)



اللوحة رقم ٥٠ : ألواح حجرية مصرية ويونانية قديمة منقوشة بالكتابة

وخرجت الألواح ملفوفة كما وضعها موسى «عليه السلام»، فأخذها القوم، فلما وقعت في أيديهم ألقى في قلوبهم أن لا ينظروا إليها وهابوها حتى يأتوا بها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنزل الله جبرئيل على نبيه «صلى الله عليه وآله» فأخبره بأمر القوم، وبالذي أصابوا، فلما قدموا على النبي «صلى الله عليه وآله» ابتدأهم النبي «صلى الله عليه وآله» فسألهم عما وجدوا، فقالوا: وما علمك بما وجدنا؟ فقال: أخبرني به ربي، وهي الألواح، قالوا: نشهد أنك رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخرجوها فدفعوها إليه، فنظر إليها وقرأها وكتابها بالعبراني، ثم دعا أمير المؤمنين «عليه السلام» فقال: دونك هذه، ففيها علم الأولين وعلم الآخرين، وهي ألواح موسى «عليه السلام»، وقد أمرني ربي أن أدفعها إليك، قال: يا رسول الله، لست أحسن قراءتها، قال: إن جبرئيل أمرني أن آمرك أن تضعها تحت رأسك ليلتك هذه، فإنك تصبح وقد علمت قراءتها. قال: فجعلها تحت رأسه فأصبح وقد علمه الله كل شيء فيها، فأمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن ينسخها فنسخها في جلد شاة وهو الجفر، وفيه علم الأولين والآخرين، وهو عندنا، والألواح وعصا موسى عندنا، ونحن ورثنا النبي «صلى الله عليه وآله»^(١). وفي تفسير العياشي أن الإمام الصادق أخبر عن أبيه الإمام الباقر «عليه السلام» أن تلك الصخرة التي حفظت ألواح موسى تحت شجرة في وادٍ يُعرف بكذا^(٢).

وفي سند الرواية أكثر من علة، من بينها محمد بن الفضيل الأزدي، وهو ضعيف ومن الغلاة، وملامح الغلو في الرواية واضحة، والإشكالات على المتن عديدة، من بينها كون الألواح الحجرية من الزبرجد ملفوفة! وأن القوم جاءوا من اليمن فوجدوا

١. الصفار: بصائر الدرجات، ص ٣٨.

٢. العياشي: تفسير القرآن، ج ٢ ص ٢٨.

الألواح في الطريق إلى مكة، فما علاقة هذه المناطق الجغرافية بجغرافيا سيرة النبي موسى بعد الخروج من مصر، ثم تعلم العبرية بوضع الألواح تحت الرأس عند المنام، وأن في الألواح علم الأولين والآخرين، بينما الموجود فيها الوصايا العشر.

(٢) وفي نفس المصدر بالسند عن حبة العرني قال: (سمعت أمير المؤمنين «عليه السلام» يقول: إن يوشع بن نون «عليه السلام» كان وصي موسى بن عمران «عليه السلام»، وكانت ألواح موسى من زمرد أخضر^(١)، فلما غضب موسى «عليه السلام» ألقي الألواح من يده، فمنها ما تكسّر، ومنها ما بقي، ومنها ما ارتفع، فلما ذهب عن موسى «عليه السلام» الغضب قال يوشع بن نون: أعندك تبيان ما في الألواح؟ قال: نعم، فلم يزل يتوارثونها رهط من بعد رهط حتى وقعت في أيدي أربعة رهط من اليمن، وبعث الله محمداً «صلى الله عليه وآله» بتهامة وبلغهم الخبر، فقالوا: ما يقول هذا النبي؟ قيل ينهى عن الخمر والزنا، ويأمر بمحاسن الأخلاق وكرم الجوار، فقالوا: هذا أولى بما في أيدينا منا، فاتفقوا أن يأتوه في شهر كذا وكذا، فأوحى الله إلى جبرئيل أئت النبي فأخبره، فأتاه فقال: إن فلاناً وفلاناً وفلاناً ورثوا ألواح موسى «عليه السلام» وهم يأتونك في شهر كذا وكذا، في ليلة كذا وكذا، فسهر لهم تلك الليلة، فجاء الركب فدقوا عليه الباب، وهم يقولون: يا محمد، قال: نعم يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أين الكتاب الذي توارثتموه من يوشع بن نون وصي موسى بن عمران؟ قالوا نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنتك محمداً رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والله ما علم به أحد قط منذ وقع عندنا قبلك، قال: فأخذه النبي «صلى الله عليه وآله» فإذا هو كتاب بالعبرانية دقيق، فدفعه

١. تغير نوع الحجر من الزبرجد Peridot إلى الزمرد الأخضر Emerald.

إلي، ووضعتَه عند رأسي، فأصبحت بالغداة وهو كتاب بالعربية جليل^(١) فيه علم ما خلق الله منذ قامت السماوات والأرض إلى أن تقوم الساعة، فعلمت ذلك^(٢).

التعارض واضح بين هذه الرواية وسابقتها، فبحسب الرواية الأولى كانت الألواح قد وُجدت من قبل الوفد بالصدفة وكانت محفوظة في جبل، بينما في الرواية الثانية هي ألواح متوارثة بين اليهود من جيل إلى جيل، ولذا قال المجلسي معلقاً: (يمكن الجمع بين الخبرين بتحقيق الأمرين معاً، ويحتمل أن يكونا واقعتين^(٣) لكنه بعيد)^(٤).

وهذه المحاولة من المجلسي لا تتوافق مع وصف الأحداث في كلٍّ من الروايتين، فشتان بين الوجدادة صدفة بعد حفظ الألواح في الجبل عبر القرون، وبين التوارث والتداول من جيل إلى الجيل المعاصر للنبي.

٣) وفي نفس المصدر بالسند عن رجل، عن أبي جعفر -الإمام محمد الباقر- «عليه السلام» قال: (دخل عليه رجل من أهل اليمن، فقال: يا يمانِي، أتعرف شعب كذا وكذا؟ قال: نعم، قال له: تعرف شجرة في الشعب صِفْتُها كذا وكذا؟ قال له: نعم، قال له: تعرف صخرة تحت الشجرة؟ قال له: نعم، قال: فتلك الصخرة التي حَفَظت ألواح موسى «عليه السلام» على محمد «صلى الله عليه وآله»^(٥).

٤) تفسير الطبري عن: (سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ألقى موسى الألواح فتكسرت، فَرُفِعَتْ إِلَّا سُدْسُهَا. قال ابن جريج: وأخبرني أن الألواح من زبرجد وزمرد

١. أي قد تحوّل من العبرية إلى العربية.

٢. الصفار: بصائر الدرجات، ص ٣٩.

٣. أي حديثين منفصلين.

٤. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١٣٩.

٥. الصفار: بصائر الدرجات، ص ١٦٢.

من الجنة. وعن أبي العالية قال: كانت ألواح موسى «عليه السلام» من بَرَد... عن جعفر بن أبي المغيرة قال: سألت سعيد بن جبير عن الألواح، من أي شيء كانت؟ قال: كانت من ياقوتة، كتابة الذهب، كتبها الرحمن بيده، فسمع أهل السموات صريف^(١) القلم وهو يكتبها... عن خصيف، عن مجاهد أو سعيد بن جبير قال: كانت الألواح زمرداً، فلما ألقى موسى الألواح بقي الهدى والرحمة، وذهب التفصيل... عن خصيف، عن مجاهد قال: كانت الألواح من زمرد أخضر^(٢).

جاء في النص السابق من تفسير الطبري: (وعن أبي العالية قال: كانت ألواح موسى «عليه السلام» من بَرَد) ومن المعلوم أن البَرَد هو: (الماء الجامد ينزل من السحاب قَطْعاً صِغَراً)، فإن كان هذا مراد القائل فهو غريب، بل لا يستقيم، وأحتمل أن القائل أخذ اللفظ العبري للمراد من (ألواح العهد) לוחות הברית وتُلَفَّظ (لوخوت هابريت) كما مرّ معنا، وعربها. فكلمة לוחות (لوخوت) هي (لوحات = ألواح) بتبديل الخاء حاء، والواو إلى حرف الألف، وكلمة הברית مكونة من حرف التعريف العبري ה وتُلَفَّظ (ها) وكلمة הברית وتُلَفَّظ (بريت) وهي قريبة من كلمة (بَرَد)، فقال أن الألواح كانت من بَرَد.

٥) تفسير البغوي: (وفي الحديث: كانت من سدر الجنة، طول اللوح اثنا عشر ذراعاً. وجاء في أحاديث خلق الله آدم بيده: «وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده». وقال الحسن: كانت الألواح من خشب. قال الكلبي: كانت من زبرجدة خضراء. وقال سعيد بن جبير: كانت من ياقوت أحمر، وقال الربيع بن أنس: كانت الألواح من بَرَد.

١. صريف: صرير وصوت القلم.

٢. الطبري: جامع البيان، ج ١٣، ص ١٢٧.

قال ابن جريج: كانت من زمرد، أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن، وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر، واستمدّ من نهر النور^(١). وقال وهب: أمره الله بقطع الألواح من صخرة صماء، ليّنها الله له، فقطّعها بيده، ثم شقّقها بإصبعه، وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشرة، وكان ذلك في أول يوم من ذي القعدة، وكانت الألواح عشرة أذرع على طول موسى. وقال مقاتل ووهب: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ» كنقش الخاتم^(٢).

• نتائج الفصل و خلاصته:

- ذكرت الألواح في القرآن الكريم ثلاث مرات، وبصيغة الجمع، وأنها أعطيت للنبي موسى ضمن لقاء الأربعين ليلة، وأشار إلى محتواها بصورة مجملّة.
- في القرآن الكريم، يظهر من إسناد الكتابة على الألواح إلى الله أنها كانت مكتوبة نقشاً في الحجر من غير فعل إنسان، بل بمحض قدرة الله «تعالى».
- يدلّ النص التوراتي على أن الله أعطى نبيه الكليم لوحين، وكانت الكتابة على وجهي كل لوحة، وأن الله أعطاه لوحين بديلين حين تهشم الأولان - إذ ألقاهما موسى غضباً من قومه لصناعتهم العجل - والنسخة الثانية من اللوحين اشتملت على نفس محتويات النسخة الأولى، وهي الوصايا العشر فحسب. ويؤيد صحة وجود نسختين التعبير في القرآن الكريم بجملة: «وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ».
- بحسب التوراة، فإنّ النسخة الأولى صناعة إلهية، وكتابة إلهية أيضاً، أما النسخة الثانية فأعدها موسى، وكتب الله عليها.

١. أي كان الحجر والمِدَاد من ذلك النهر.

٢. البغوي: معالم التنزيل، ج ٢، ص ١٩٩.

- يدل التنخ على أن اللوحين البديلين أودعا في التابوت (تابوت العهد).
- اشتمل التراث الحاخامي على أساطير كثيرة ترتبط باللوحين، ومادّتهما وحجمهما ووزنهما وما فيهما من كلمات وحروف وغير ذلك.
- وفي التراث الإسلامي مرويات وأقوال متعارضة من حيث وصف مادة الألواح، ومن بينها ما يدلّ على حفظها في جبل في اليمن، ووقوعها بيد النبي عن طريق بعض المسافرين، وفي أخرى ما يدل على توارثه بين يهود اليمن، وغير ذلك من تفاصيل لا يطمأن لصحتها متناً وسنداً ومصدراً.

العجل الذهبي

العجل الذهبي

• موضوعات هذا الفصل:

- مناقشة السبب وراء اتخاذ بني إسرائيل العجل في غياب النبي موسى.
- تسليط الضوء على الفروقات الواردة بين السرديتين التوراتية والقرآنية حول مجريات الأحداث من حين ذهاب موسى للقاء الله إلى حين عودته بعد أربعين ليلة، والإجراءات التي اتخذها بالتسلسل.
- تبرئة النبي هارون من تهمة صناعة العجل.
- ردّ شبهة أن القرآن أخطأ في ذكر السامري.
- من هو السامري؟ وما تأويل أخذه قبضة من أثر الرسول؟ وهل كان لهذا الأثر أية تبعات غيبية في صناعة العجل؟
- إطلالة على الروايات الإسلامية -في هذا الباب- والمتأثرة بالتراث الإسرائيلي.

- كيف تاب الله على بني إسرائيل؟ وما معنى قتل بني إسرائيل أنفسهم؟
- ماذا وراء تأسيس خيمة الاجتماع؟ وما هي وظيفة هذه الخيمة؟ وما علاقة السحابة بها وبالوحي؟

• تأخر النبي موسى:

كان موسى مشغولاً ببقاء الله وبتلقي التعاليم والوصايا، وقد تأخر على قومه، بل بحسب القرآن أنه ترك قومه أكثر من المدة المقررة لغيابه، فقد أخبرهم أنه سيغيب عنهم ثلاثين ليلة، فإذا به قد تجاوز ذلك بعشرة: (١) وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي الزُّرُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «فِمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لِأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ»^(١).

هذا المقطع يشير إلى تأخر النبي موسى بشكل مطلق، وكأن التأخر هو الذي دفعهم لتقديم ذلك الاقتراح (اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا) أي تمثال مجسم، كصنم أو وثن. إلا أن القرآن الكريم يبين أن سبب اتخاذهم العجل الذهبي ليس مجرد التأخر، بل لأن موسى «عليه السلام» لم يرجع في الموعد الذي حدّده مسبقاً بحسب ما أخبره الله «تعالى» به، وهي مدة الثلاثين ليلة، وحيث أن مدة اللقاء محدّدة من قبل الله، ولأنّ من المفترض أن يلتزم موسى «عليه السلام» بكلامه ووعده، وهو ما لم يتحقق، لذا فقد افترض القوم أنّ موسى قد مات، أو غاب ولن يرجع، أو أن أمر النبوة والرسالة برمته كان باطلاً وأدعاء زائفاً، وإلا كيف لرسولٍ من عند الله أن يُخلف وعده؟

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ١.

مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾^(١)، وقد روي عن ابن عباس ما قد يُرشد إلى هذا المعنى الذي ذكرناه من كون عدم عودته بحسب الوعد الصادر عنه هو الذي جعلهم يتخذون العجل. ففي تفسير القرطبي: (قال ابن عباس: إن موسى قال لقومه: إنّ ربي وعدني ثلاثين ليلة أن ألقاه، وأخلف فيكم هارون، فلما فصل موسى إلى ربه زاده الله عشراً، فكانت فتنهم في العشر التي زاده الله بما فعلوه من عبادة العجل)^(٢).

وفي التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري «عليه السلام» ما يدلّ على ادّعاء السامري أن موسى ارتكب خطيئة جعلت الله «تعالى» يستعبده من الرسالة، ويخاطبهم «عزّ وجل» مباشرة عن طريق العجل: (... فجاء السامري فشبه على مستضعفي بني إسرائيل، فقال: وعدكم موسى أن يرجع إليكم بعد أربعين ليلة، وهذه عشرون ليلة وعشرون يوماً تمت أربعون، أخطأ موسى ربه وقد أتاكم ربكم، أراد أن يريكم أنه قادر على أن يدعوكم إلى نفسه بنفسه، وأنه لم يبعث موسى عليه السلام لحاجة منه إليه، فأظهر لهم العجل الذي كان عمله، فقالوا: كيف يكون العجل إلهاً؟ قال: إنما هذا العجل يكلمكم منه ربكم كما كلم موسى من الشجرة...) ^(٣).

وأما سبب الزيادة، فقد فُسّر بأكثر من صورة، من بينها كراهية موسى لرائحة فمه وهو صائم، حيث استعمل السواك، بينما أراد الله «تعالى» منه أن يكلمه برائحة فم الصائمين، لذا ألزمه بصيام عشرة أخرى، فتأخّر لذلك! ففي الكامل في التاريخ:

١. سورة الأعراف: ١٤٢.

٢. القرطبي: أحكام القرآن، ج ٧، ص ٢٧٦.

٣. التفسير المنسوب للإمام العسكري، ص ٢٥١.

(وكان موسى قد وعده الله وهو بمصر أنه إذا خرج مع بني إسرائيل منها وأهلك الله عدوهم أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون، فلما أهلك الله فرعون وأنجى بني إسرائيل قالوا: يا موسى اثنتا بالكتاب الذي وعدتنا. فسأل موسى ربه ذلك، فأمره أن يصوم ثلاثين يوماً ويتطهر ويظهر ثيابه ويأتي إلى الجبل - جبل طور سينا- ليكلّمه ويعطيه الكتاب، فصام ثلاثين يوماً أولها أول ذي القعدة، وسار إلى الجبل واستخلف أخاه هارون على بني إسرائيل، فلما قصد الجبل أنكر ريح فمه، فتسوك بعود خرنوب، وقيل تسوك بلحاء شجرة، فأوحى الله إليه: أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك؟ وأمره أن يصوم عشرة أيام أخرى، فصامها، وهي عشر ذي الحجة، فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة. ففي تلك الليالي العشر افتتن بنو إسرائيل لأن الثلاثين انقضت ولم يرجع إليهم موسى)^(١).

وفي رواية أخرى قريبة منها في الدلالة مع شيء من الاختلاف: (كان موسى «عليه السلام» يقول لبني إسرائيل: إذا فرّج الله عنكم وأهلك أعداءكم آتاكم بكتاب من عند ربكم يشتمل على أوامره ونواهيه ومواعظه وعبره وأمثاله، فلما فرج الله عنهم، أمره الله عز وجل أن يأتي للميعاد ويصوم ثلاثين يوماً عند أصل الجبل، فظن موسى أنه بعد ذلك يعطيه الكتاب فصام ثلاثين يوماً، فلما كان آخر اليوم استاك قبل الفطر، فأوحى الله «عز وجل» إليه: يا موسى أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك؟ صم عشرا آخر ولا تستك عند الإفطار، ففعل ذلك موسى «عليه السلام» وكان وعده الله أن يعطيه الكتاب بعد أربعين ليلة، فأعطاه إياه)^(٢).

١. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ١٦٤.

٢. التفسير المنسوب للإمام العسكري، ص ٩٩-١٠٠.

أما ابن عاشور فقد أشار إلى عدم صحة هذه الادّعاءات، معتبراً أنّ سبب الزيادة أمرٌ آخر يرتبط بتكامل الجانب الروحي للنبي موسى «عليه السلام» خلال اللقاء بالله «تعالى»، قال: (وقد جعل الله مدة المناجاة ثلاثين ليلة تيسيراً عليه، فلما قضاها وزادت نفسه الزكية تعلّقاً ورغبة في مناجاة الله وعبادته، زاده الله من هذا الفضل عشر ليال، فصارت مدة المناجاة أربعين ليلة... وسُمّيت زيادةً الليالي العشر إتماماً، إشارة إلى أن زيادة العشر كانت لحكمة عظيمة تكون مدة الثلاثين بدونها غير بالغة أقصى الكمال، وأن الله قدر المناجاة أربعين ليلة، ولكنه أبرز الأمر لموسى مفرقاً وتيسيراً عليه، ليكون إقباله على إتمام الأربعين باشتياق وقوة)^(١).

وكلامه معقول، وتحليله مقبول، ولكن ربما جاء التأخير وإضافة الليالي العشر امتحاناً للقوم في مدى إيمانهم بالرسول والرسالة، ولإظهار ما تبقى من رواسب الشرك في نفوسهم. ولعل الرواية التالية عن الإمام محمد الباقر «عليه السلام» تشير إلى ذلك: (عن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: إن موسى «عليه السلام» لما خرج وافداً إلى ربه واعدتهم ثلاثين يوماً، فلما زاد الله على الثلاثين عشراً قال قومه: أخلفنا موسى، فصنعوا ما صنعوا)^(٢). وفي رواية أخرى عنه «عليه السلام» في نفس المصدر أنهم قالوا: (كذب موسى، وأخلفنا موسى)^(٣).

وممن اعتبر أن للاختبار دوراً في المسألة، القُصص أنطونيوس فكري في تفسيره للنص التوراتي الذي يشير إلى ذلك كما مرّ معنا، قال: (والله قصد أن يتأخر موسى

١. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٩، ص ٨٦.

٢. العياشي: التفسير، ج ٢، ص ٢٦.

٣. العياشي: التفسير، ج ٢، ص ٢٦.

عنهم لتستعلن الخطية التي في داخلهم وهذا من مراحم الله أنه يكشف لنا عن أمراضنا الروحية بمثل هذه التجارب^(١).

وفي رواية أخرى في تفسير العياشي أن ما جرى كان بسبب البداء الإلهي: (عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر «عليه السلام» في قوله: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(٢) قال: كان في العلم والتقدير ثلاثين ليلة، ثم بدا لله فزاد عشراً، فتمّ ميقات ربه للأول والآخر أربعين ليلة^(٣)).

وعلق المجلسي على الروايات الواردة في هذا الباب قائلاً: (اعلم أن الأخبار قد اختلفت من الخاصة والعامة في أن موسى «عليه السلام» هل وعدهم ثلاثين فجاء بعد الأربعين، أو وعدهم أربعين. والأظهر من أكثر الأخبار السالفة أنها كانت من الأخبار البدائية، وكان الثلاثون مشروطاً بشرط، فتمّ بعد ذلك أربعون^(٤)).

فالبداء يعني تعليق الأمر الذي قدره الله على شيء قد يحققه الإنسان وقد لا يحققه، بحيث إذا أتى الإنسان بذلك الشيء تغيرت الأمور والنتيجة بالنسبة إليه. مثال ذلك أن يكون العمر المقدّر لفردٍ ما خمسين سنة إلا إذا برّ بوالديه، فإن فعل ذلك، فإن الله سيمدّ في عمره إلى الستين مثلاً. أو أن هذا الفرد سيتعرّض إلى حادثٍ ما، إلا إذا تصدّق، فإن الله سيدفع عنه البلاء، فإذا تصدّق دفع عنه، وإن لم يفعل، وقع البلاء.

1. https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/02-Sefer-El-Khoroug/Tafseer-Sefer-El-Khroug__01-Chapter-32.html

٢. سورة البقرة: ٥١.

٣. العياشي: التفسير، ج ١، ص ٦٣.

٤. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٢٣٢.

وفي كل الأحوال، فإنَّ الله عليم منذ الأزل بما كان وما قُدِّر وما سيكون.

فالبداء -بحسب هذا المفهوم- أشبه بالنسخ، ولكن النسخ يكون في الأمور التشريعية، أي إنَّ الله يُشَرِّع أمراً ويستمر هذا التشريع لفترة معينة، ثم يستبدل هذا التشريع بتشريع آخر؛ لأنَّ التشريع الأول لا يصلح للزمان اللاحق، أو لأنه كان منذ البداية تشريعاً مؤقتاً.

وبهذا يتّضح أن البداء عند الله «عزّ وجل» ليس بمعنى أن يكون جاهلاً ثم يعلم -حاشاه- بل بمعنى تغيّر التقدير الإلهي المعلق سلفاً على عمل يقوم به الإنسان.

وقد روي عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» قوله في تفسير قوله «تعالى» ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١): (فكل أمر يريد الله فهو في علمه قبل أن يصنعه، ليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه، إن الله لا يبدو له من جهل)^(٢)، وقال «عليه السلام» أيضاً: (من زعم أنَّ الله «عزّ وجل» يبدو له في شيء لم يعلمه أمس، فابروا منه)^(٣).

أما الطبرسي فقد ذكر في تفسيره (مجمع البيان) أنَّ موسى لم يُخْلِف الوعد، ولم يبدُ لله في الأمر شيء، بل إنَّ موسى «عليه السلام» قال ثلاثين من باب التيسير على قومه: (أن موسى «عليه السلام» قال لقومه: إني أتأخّر عنكم بثلاثين يوماً ليتسهّل عليهم، ثم زاد عليهم عشراً، وليس في ذلك خُلُف، لأنه إذا تأخّر عنهم أربعين ليلة فقد تأخّر

١. سورة الرعد: ٣٩.

٢. المجلسي: بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٢١، ح ٦٣.

٣. المجلسي: بحار الأنوار، ج ٤، ص ١١١، ح ٣٠.

ثلاثين قبلها، عن أبي جعفر الباقر «عليه السلام»^(١). وبرأيي أن ما قاله الطبرسي بعدم وجود خُلف للوعد كلامٌ سليم، إلا أن التوجيه الذي جاء به بعد ذلك غير قوي، فالأولى أن نقول بأن الله «تعالى» أراد أن يختبر بني إسرائيل بتمديد أيام اللقاء، وأن يكشف لموسى عمق الخلل الذي يعانون منه في مسألة التوحيد من جهة، وطاعة الرسول من جهة أخرى، ولا حاجة للقول بالبدا أو التأويل بالتيسير أو غير ذلك.

• السردية التوراتية للحدث:

نعرض هنا ما جاء في التوراة حول تراتبية وتفاصيل الأحداث الخاصة بهذا المشهد، ونقارن ذلك كله بما جاء في القرآن، ونبحث عن نقاط التوافق والاختلاف.

أولى الملاحظات التي يمكن تسجيلها أن في تسلسل الأحداث في التوراة شيئاً من النقصان أو عدم الوضوح أو الخلل، ففي الفصل السابق مرّ معنا أن الله أمر موسى بالعودة إلى الجبل بمعية هارون وابنيه ومجموعة من شيوخ بني إسرائيل: (٩) ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، ١٠ وَرَأَوْا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ، وَتَحَتَّ رِجْلَيْهِ شِبْهُ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الْأَزْرَقِ الشَّقَافِ، وَكَذَاتِ السَّمَاءِ فِي النَّقَاطِ. ١١ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى أَشْرَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَرَأَوْا اللَّهَ وَأَكَلُوا وَشَرَبُوا. ١٢ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَكُنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيكَ لَوْحِي الْحِجَارَةَ وَالشَّرِيعَةَ وَالْوَصِيَّةَ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتُعَلِّمَهُمْ». ١٣ فَقَامَ مُوسَى وَيَشُوعُ خَادِمُهُ. وَصَعِدَ مُوسَى إِلَى جَبَلِ اللَّهِ. ١٤ وَأَمَّا الشُّيُوخُ فَقَالَ لَهُمْ: «اجْلِسُوا لَنَا هَهُنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْكُمْ...».

وهذا يعني أن بني إسرائيل موجودون في منطقة مقابلة للجبل خارج حدوده - كما بينت التوراة من قبل - وأن موسى «عليه السلام» والمجموعة التي معه في موضع ما من

١. الطبرسي: مجمع البيان، ج ٤، ص ٤٧٣.

الجل، ثم تقدّم موسى ويشوع للصعود أكثر، بينما أمر هارون ومن معه بالبقاء حيث هم، وأن لا يغادروا المكان إلى حين رجوعه مع يشوع، وجعل هارون خليفته فيهم: (١٤) وَهُوَذَا هَارُونُ وَحُورُ مَعَكُمْ. فَمَنْ كَانَ صَاحِبَ دَعْوَى فَلْيَتَقَدَّمْ إِلَيْهِمَا. ١٥ فَصَعِدَ مُوسَى إِلَى الْجَبَلِ....^(١).

ويسترسل النص التوراتي في بيان تفاصيل كلام الله مع موسى أربعين يوماً وليلة: (١٨) وَدَخَلَ مُوسَى فِي وَسْطِ السَّحَابِ وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ. وَكَانَ مُوسَى فِي الْجَبَلِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً. ١ وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: ٢ «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ.....»^(٢)، وتستغرق الكلمات والأوامر الإلهية كل الإصحاح الخامس والعشرين وما بعده إلى نهاية الإصحاح الحادي والثلاثين: (١٨) ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْكَلَامِ مَعَهُ فِي جَبَلٍ سَيْنَاءَ لَوْحِي الشَّهَادَةِ: لَوْحِي حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبَعِ اللَّهِ^(٣).

ثم يفاجئنا الإصحاح ٣٢ بأن هارون موجود بين بني إسرائيل، وهو الذي سيصنع لهم العجل الذهبي، وأنه غير متواجد عند -أو على- الجبل مع ابنيه والسبعين من شيوخ بني إسرائيل، على الرغم من أن موسى أمرهم جميعاً بالبقاء هناك حتى يرجع! وبداية هذا الإصحاح كالتالي: (١) وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي التَّزَوُّلِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمْ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لِأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». ٢ فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا»^(٤).

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٤، ٩-١٥.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٤، ١٨، والإصحاح ٢٥، ١-٢.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣١، ١٨.

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ١-٢.

من الواضح أن في البين خللاً ما، فمتى رجع هارون إلى بني إسرائيل بمعية مَنْ معه؟ ولماذا خالف أمر أخيه؟ التوراة لا تبين شيئاً من ذلك على الرغم من التفاصيل العديدة التي جاءت بها في سردتها للأحداث.

وأما القرآن الكريم فيبين بوضوح أن موسى أمر أخاه هارون -منذ البداية- بالبقاء مع بني إسرائيل، وليس مع ابنه والشيخ وبمعزل عن القوم: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤٢)، ولعلها إشارة إلى الحلل الموجود في تسلسل الأحداث وفق ما جاء في التوراة.

• بين الاقتراح والتنفيذ:

الأمر الثاني الملاحظ في السردية التوراتية أن صناعة التمثال جاءت باقتراح من بني إسرائيل: (١) وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي التَّزْوُلِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمْ اصْنَعْ لَنَا إِلَهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا» (٢).

وقد يساعد ظاهر النص القرآني على القول بأن الأمر تم بناء على اقتراح صادر عن بني إسرائيل، عند تأخر موسى «عليه السلام»، وليس بتسويلٍ وتحريضٍ ومبادرة من السامري: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ (٨٢) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَاجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤) قَالَ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥)﴾ (٣).

واعتبر العلامة فضل الله أن السبعين رجلاً الذين اختيروا للقاء الله مع موسى

١. سورة الأعراف: ١٤٢.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ١.

٣. سورة طه: ٨٣-٨٥.

وهارون لم يكونوا من ضمن الذين اقترحوا صناعة التمثال، قال: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ (٨٣) وهذا خطابٌ من الله لموسى «عليه السلام» في مناجاته له في الطُّور، فقد كان من المفروض أن يلتقي ربه مع قومه) أي السبعين (ولكنه استعجل فوصل قبلهم ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي﴾ سائرون خلفي، ولكن شوقي إليك وحبي لك قادني إليك بسرعة ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (٨٤)، فأنت الربُّ الواحد الذي ألقاه ولا ألقى غيره بكلِّ قلبي وحبي وإيماني؛ لأنك غايتي ومقصدي وملجئي في كلِّ شيء... ولهذا لم أنتظرهم، بل عجلت إليك لأحصل على حبِّك ورضاكَ. ولكن المفاجأة كانت بانتظاره، فقد أراد الله أن يقدِّم السؤال إليه ليحدثه عن قومه. ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾، واختبرنا إيمانهم بالتجربة الصعبة التي تهزُّ مشاعرهم، وتزلزل كياناتهم، وتعيدهم إلى أجواء الأصنام التي كانوا يعبدونها أو يعيشون أجواءها لنعرف صدق إيمانهم، فسقطوا في الامتحان، ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (٨٥) الذي صاغ لهم العجل وأخرجه إليهم بطريقة عجيبة حتى كان له خوارٌ، كما لو كان من لحم ودم. ولم يكن هؤلاء هم السبعون رجلاً الذين جاؤوا معه لمناجاة الله) (١).

وفي بيان العلامة الطباطبائي ما يدل على أن الاقتراح كان من قبل بني إسرائيل: (الفتنة كانت بعد استبطائهم غيبة موسى على ما في الآثار... الفتنة الامتحان والاختبار، ونسبة الإضلال إلى السامري - وهو الذي سبك العجل وأخرجه لهم فعبدوه وضلُّوا - لأنه أحد أسبابه العاملة فيه) (٢)، وكأنه يقول أنهم اختبروا بتأخر النبي موسى، وأنهم ضلُّوا باقتراح سباكة العجل، وأن السامري عامل آخر في الإضلال والسقوط

١. فضل الله: من وحى القرآن، ج ١٥، ص ١٤٤.

٢. الطباطبائي: الميزان، ج ١٤، ص ١٩١.

في الاختبار.... هذا احتمال، والاحتمال الآخر أن فتنهم إنما حصلت بعد أن اقترح السامري عليهم صناعة العجل فاستجابوا له، ولكن الاحتمال الأول أقوى، وهو أيضاً متوافق مع السردية التوراتية.

ملاحظة: يبدو أن كلمة ﴿قَوْمِكَ﴾ في قوله: ﴿وَمَا أَغْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ (٨٣) يعني السبعين من قومه، بينما كلمة ﴿قَوْمِكَ﴾ في ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ يعني بقية بني إسرائيل عدا هارون والسبعين.

• اتهام هارون بصناعة العجل:

الأمر الثالث هو أن التوراة تذكر بصراحة أن القائم على أمر صناعة العجل الصنم هو هارون: (١) وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي الْزُّرُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمْ اصْنَعْ لَنَا إِلَهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا أَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلُ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». ٢ فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتَّوْنِي بِهَا». ٣ فَتَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَاتَّوْنَا بِهَا إِلَى هَارُونَ. ٤ فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدْتُكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». ٥ فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنِي مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ» (١).

أما القرآن الكريم فهو واضح وصريح في نفي هذه التهمة عن النبي هارون «عليه السلام»، وأن القائم على هذا الأمر كان السامري، وأن هارون قد سعى من ناحيته لمنعهم، ولكنه لم يستجيبوا له:

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ١-٤.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۖ...﴾ (٨٥) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿٩١﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩٢﴾ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٣﴾ أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِيَ ﴿٩٣﴾ قَالَ يَا ابْنَ أُمِّ لَ تَأْخُذْ بِلِحَيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ (١)

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١٥٠) (٢).

والآيات السابقة تخبرنا أن هارون لم يقف موقفاً سليماً مما جرى حال غياب أخيه موسى، بل حاول بهدوء وبالحوار أن يقنعهم بأن السامري قد خدعهم، وأن إلههم الحقيقي هو الرحمن، لا ما تتصوره عقولهم، وطلب منهم أن يطيعوه ويتبعوه، ولكنهم أصروا على موقفهم واتبعوا السامري. ولعل البدء بكلمة ﴿وَلَقَدْ﴾ التي تفيد التحقيق، للتأكيد على بطلان ما في التوراة الحاضرة من تهمة لهارون بأنه هو الذي خدعهم وصنع لهم العجل، وأنه لم ينكر عليهم عبادته.

• صُنْعُ الْعَجَلِ مِنْ أَقْرَاطِ الذَّهَبِ:

المورد الرابع من موارد الاختلاف بين السرديتين، ما جاء في التوراة من أن صناعة الصنم العجل تمت من خصوص أقراط الذهب التي كانت في آذان نساء وأطفال بني

١. سورة طه: ٨٥-٩٤.

٢. سورة الأعراف: ١٥٠.

إسرائيل: (٢) فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَفْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا». ٣ فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَفْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَاتُّوا بِهَا إِلَى هَارُونَ. ٤ فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا^(١).

أما القرآن الكريم فقد أشار تارة إلى صناعة العجل من أحمال الزينة التي خرجوا بها من مصر: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُورٌ... ﴿٨٨﴾﴾^(٢).

قال العلامة الطباطبائي في بيان ذلك: (الأوزار جمع وزر، وهو الثقل، والزينة الحلي كالعقد والقرط والسوار... ومعنى قوله: ﴿وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا﴾ إلخ: لكن كانت معنا أثقال من زينة القوم -ولعل المراد به قوم فرعون- فطرحناها، فكذلك ألقى السامري -ألقى ما طرحناها في النار أو ألقى ما عنده كما ألقينا ما عندنا مما حملنا- فأخرج العجل^(٣).

كما وأشار تارة أخرى إلى أن صناعة العجل جاءت من (حليهم): ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾^(٤).

ولا تعارض بين الآيتين، فالحلي من الزينة، كما لا تعارض بين ما جاء في القرآن والتوراة، لأن أفراط الأذان من الزينة والحلي، وقد تحدثنا - من قبل - عما حملوه معهم

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ٣-٢.

٢. سورة طه: ٨٧-٨٨.

٣. الطباطبائي: الميزان، ج ١٤، ص ١٩٢.

٤. سورة الأعراف: ١٤٨.

حينئذ، ولماذا. نعم، ليس في القرآن الكريم إشارة إلى مادة هذه الحلي، هل كانت من الذهب أم الفضة أم غير ذلك، بينما تنص التوراة على أنها كانت من الذهب.

• كيفية صناعة العجل الذهبي:

المورد الخامس -المحتمل- يعود إلى كيفية صناعة العجل. ففي التوراة، تَمَّت صناعة الصنم العجل من خلال إذابة الذهب وإعادة صياغته نحتاً بالإزميل: (٤؛ فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكاً)^(١)، وليس في القرآن الكريم إشارة إلى كيفية صناعة العجل، وهل كانت بالنحت أم بغير ذلك، ولكن من المحتمل أن الآية التالية تشير إلى عملية إذابة الزينة كمرحلة من مراحل التصنيع: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۖ﴾^(٢) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ۖ﴾^(٣)، وذلك لأن جملة ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ تعني القذف في النار.

وللعلامة الطباطبائي رأي في الغاية من استعمال جملة ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾، قال: (في لفظ الإخراج دلالة على أن كيفية صنع العجل كانت خفية على الناس، في غير مرأى منهم، حتى فاجأهم بإظهاره وإراءته)^(٣).

وليس في التوراة ذكر بأن صناعة العجل تَمَّت بحيث صار له خوار، على خلاف القرآن الكريم، ولعل الخوار كانت نتيجة عمل فتحات بهندسة معينة، بما سمح للسامري بإيهام القوم بأن العجل الذهبي ينطق، ليزين لهم ألوهيته المزعومة.

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ٤.

٢. سورة طه: ٨٧-٨٨.

٣. الطباطبائي: الميزان، ج ١٤، ص ١٩٢.

• إعلان ألوهية العجل الذهبي:

بعد الانتهاء من صناعة العجل أُعلن عن كون هذا الصنم هو الإله: (٤) فَقَالُوا: «هَذِهِ إِلَهُتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدْتُكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ»^(١).

وقد اعتادوا في مصر مشاهدة عبادة العجل، واسمه في بعض المناطق «آبيس» وفي مناطق أخرى «سرابيس» ويرمز للخصوبة. ويبدو أنهم كانوا يعتقدون بألوهيته بشدة بدليل قوله «عز وجل» في مورد آخر: «وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ»^(٢). [انظر اللوحات ٥١-٥٤].

وفي العراق لدى الآشوريين والبابليين: إله السماء «أنو» ويرمز له بالثور.. وعند الزرادشتية فإن البقرة هي بنت إله الخير «أهورامزدا».. وعند الهندوسية تقديس البقر، وإلهة الأرض عندهم في شكل بقرة! ولدى الهندوس الإله «ناندي» على هيئة ثور. [انظر اللوحتين ٥٥-٥٦].

وأكد القرآن الكريم صحة هذا المشهد المروي في التوراة، وذلك في قوله «تعالى»: «فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ»^(٣).

وقد اختلف المفسرون في بيان المراد من قوله «تعالى»: «فَنَسِيَ» الواردة في نهاية الآية، ومن هو الفاعل، وبم تعلق هذا النسيان؟ ويمكن عرض الآراء كالتالي:

(أ) الجملة صادرة عن بني إسرائيل، والناسي هو النبي موسى، والمعنى: قالوا هذا إلهكم وإله موسى، فنسي موسى إلهه هذا، الموجود بيننا، بنما ذهب يطلبه في الطور.

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ٤.

٢. سورة البقرة: ٩٣.

٣. سورة طه: ٨٨.



اللوحة رقم ٥١ : العجل آبيس ينقل رجلاً ميتاً (٧٠٠-٧٥٠ ق.م.)



اللوحة رقم ٥٢ : العجل آبيس (٤٥٠-٥٥٠ ق.م.) -متحف والترز للفنون



اللوحة رقم ٥٣ : العجل آبيس (حوالي ٢٠٤-١٨٠ ق.م) - المتحف المصري



اللوحة رقم ٥٤ : العجل آبيس (٣٠ ق.م - ٣٠٥ م) المتحف الأسترالي



اللوحة رقم ٥٥ : تمثال الثور من بوابة عشتار في بابل القديمة



اللوحة رقم ٥٦ : الإله ناندي من آلهة الهندوس - تلال تشاموندي - الهند

(ب) الجملة من كلام السامري، والناسي هو موسى، والمعنى: هذا إلهكم وإله موسى، فنسي موسى أن هذا هو الإله فذهب يطلبه في موضع آخر.

(ج) الجملة من كلام السامري، والناسي هو موسى، والمعنى: فنسي موسى وقت الموعد في الرجوع.

(د) الجملة من كلام الله «تعالى»، والناسي هو السامري، والمعنى: لقد نسي السامري ربه الحقيقي، وهو الله، بعد أن كان مؤمناً به، فأتى بما أتى، وأضل القوم.

(هـ) الجملة من كلام الله «تعالى»، والناسي هو السامري، والمعنى: أن السامري نسي أن الأجسام حادثة، وأما الله فليس بحادث بل قديم، وأنه لا يحل في شيء، ولا يحل فيه شيء.

وبرأي أن فهم المراد من قوله «تعالى» ﴿فَنَسِيَ﴾ يستدعي أولاً فهم معنى النسيان بحسب الاستعمال القرآني، وذلك من خلال تتبع الآيات الشريفة التي استعملت كلمة (نسي) باشتقاقاتها. فالتتبع والتدقيق في المعنى يُرشدان إلى أن المراد من النسيان ليس السهو والغفلة وغياب الفكرة أو الحدث عن الذهن، وعدم خطوره على البال، بل الإهمال والترك.

فالنَّسيان -لغوياً- يعني عدم الذكر وعدم الحفظ، كما يعني الترك. ولذا فإن قوله «تعالى»: ﴿تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(١) لا يعني أن الله قد سهى عنهم وغفل فلم يتذكرهم، لأن الله لا ينسى، إنما معناه أنهم تركوا ذكر الله فتركهم وشأنهم، وأسقطهم من رحمته وأهملهم.

وهكذا عندما نقراً قوله «عز وجل»: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾^(١)، فإن الإنساء هنا ليس بمعنى أن الله يُنزل آية قرآنية ثم يعمل على أن ينساها الناس، كما في بعض الأحاديث، بل بمعنى أن الله «تعالى» يأمرنا بتركها كما ذكر ابن منظور في لسان العرب. يقال: (أَنْسَيْتُهُ أَيِ أَمَرْتُ بِتَرْكِهِ. وَنَسَيْتُهُ: تَرَكْتُهُ)^(٢).

ومن النماذج الأخرى للحديث القرآني عن النسيان -أي الإهمال وعدم المراجعة والتراخي- قوله «عز وجل»: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾^(٣) فالنسيان هنا ليس بمعنى عدم التذكر، والدليل على ذلك أن إبليس عندما أراد إغواء آدم ذكره بكلام الله «عز وجل»: ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾^(٤) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ^(٥) أي أن آدم كان متذكراً للتحذير الإلهي، أو على الأقل ذكره إبليس بذلك، وعليه يكون المراد من النسيان هو الإهمال للأمر الإلهي وعدم مراعاته، وترك العمل به، وتصديق القسم الذي جاء به إبليس.

من هنا يمكن أن نستقرب كون الناسي هو نفس الشخص الذي أخرج العجل، وهو السامري حيث قال «عز وجل»: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُم وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾^(٦)، فلقد أهمل السامري ذكر الله «تعالى»، ونهيه عن صناعة التماثيل الخاصة بالآلهة كما جاء في الوصية الثانية من الوصايا الإلهية المعروفة عند أهل الكتاب بالوصايا العشر، وقد مرّت معنا، وترك التوحيد الحقيقي المستلزم

١. سورة البقرة: ١٠٦.

٢. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٢٢.

٣. سورة طه: ١١٥.

٤. سورة الأعراف: ٢٠-٢١.

لنبذ عبادة الأصنام، وأوقع بني إسرائيل في فتنة الشرك، ولم يعتنِ بتنبیهاً ووصايا النبي موسى «عليه السلام» قبل غيابه، ولا بتحذيرات النبي هارون من مغبة هذه الفعلة والمخالفة الشنيعة. ولذا فإن القول الرابع هو أقرب الآراء التأويلية إلى الصحة، بشرط تفسير النسيان بالترك والإهمال والإغضاء واللامبالاة.

• بناء المذبح قبالة العجل:

المورد السادس: قيام هارون -بحسب الرواية التوراتية- ببناء مذبح أمام الصنم لتقديم القرابين: (٥) فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ^(١).

وليس في القرآن الكريم ما يشير إلى بناء مذبح أمام الصنم، وهذا لا يعني عدم وقوع ذلك، فالقصة القرآنية-عادةً- تختصر الأحداث، وتذكر أهمها، ويساعد على تصديق بناء المذبح أن من عادة تأسيس المعابد آنذاك تخصيص موقع للمذبح، وقد مرر معنا مثل ذلك في تأسيس بيت العبادة من قبل موسى، وبأمرٍ من الله، كما أن الآثار التاريخية تؤكد إقامة المذابح في المعابد -في مصر وغيرها- وذلك كجزء من الطقوس الخاصة بالعبادة، كل ذلك مع التأكيد على تنزيه هارون عن هذا الأمر.

• الاحتفال بالعجل الذهبي:

المورد السابع: إعلان هارون -بحسب الرواية التوراتية- أن اليوم التالي يوم عيد ديني، بما يعني تقديم القرابين للصنم، وإظهار الخضوع له، وإقامة الاحتفالات عنده: (٥) وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». ٦ فَبَكَّرُوا فِي الْعَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلْعِبِّ ٩ صَنَعُوا

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ٥.

لَهُمْ عِجْلًا مَسْبُوكًا، وَسَجَدُوا لَهُ وَدَبَّحُوا لَهُ.....)(^(١).

ثم تصف التوراة عودة موسى مع فتاه يوشع بن نون، حيث سمعا أصواتاً مرتفعة، ولشدتها ظن يوشع أنه صراخ مقاتلين! ثم شاهدا القوم وهم يرقصون: (١٧) وَسَمِعَ يَشُوعُ صَوْتَ الشَّعْبِ فِي هُتَافِهِ فَقَالَ لِمُوسَى: «صَوْتُ قِتَالٍ فِي الْمَحَلَّةِ». ١٨ فَقَالَ: «لَيْسَ صَوْتُ صِيَاحِ النُّصْرَةِ وَلَا صَوْتُ صِيَاحِ الْكُسْرَةِ، بَلْ صَوْتُ غِنَاءٍ أَنَا سَامِعٌ». ١٩ وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ.....)(^(٢). [انظر اللوحتين ٥٧-٥٨]

وليس في القرآن ما يشير إلى ذلك، ولكن هذا الأمر محتمل أيضاً كما احتملنا بناء المذبح، فالسياق يساعد على اتخاذ يوم عيد من قبل بني إسرائيل، مع تنزيه هارون «عليه السلام» -مجدداً- عن ذلك، كما أن وصف احتفالهم في هذا العيد في صورة تقديم القرابين والغناء والرقص محتمل أيضاً، فهذه كانت طريقتهم في الاحتفال وإقامة الأعياد، وقد نقلت التوراة من قَبْلُ أن النساء ضربن على الدفوف وغنّين ورقصن بعد النجاة من فرعون وعبور البحر إلى الضفة الأخرى سالمين.

• الغضب الإلهي:

المورد الثامن: إعلان الله عن غضبه على بني إسرائيل، وعن نيته معاقبتهم بشدة بإفنائهم، إلا أن موسى تشفع لهم، وقبل الله «تعالى» شفاعته فيهم: (٩) وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رَأَيْتُ هَذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرِّقَبَةِ. ١٠ فَالآنَ اثْرُكْنِي لِيَحْمِيَ غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأَصِيرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا». ١١ فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِهِ)(^(٣).

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ٩-٥.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ١٧-١٩.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ٩-١١.



اللوحة رقم ٥٧ : الاحتفال بالعجل كتاب Hortus deliciarum (القرن ١٢ م)



اللوحة رقم ٥٨ : النبي موسى وبيده الألواح أمام العجل الذهبي

والأعداء والتبريرات التي قدّمها موسى «عليه السلام» لكي يقبل الله «تعالى» شفاعته في قومه -بحسب التوراة الحاضرة- كانت كالتالي:

(١) كيف يُنْجِي الله بني إسرائيل من فرعون وجنوده في مصر وبتلك الصورة الإعجازية ثم يهلكهم في البرية؟ أليس هذا نقض للغرض؟ (١١).... وَقَالَ: «لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمِي غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ؟»^(١).

(٢) لماذا يعطي الله «تعالى» ذريعة للمصريين كي يعيبوا على الله فعله، ويطعنوا في حكمته، ويشتموا بني إسرائيل، بإنقاذهم أولاً ثم بإفنائهم بعد فترة قصيرة؟ فإذا كانوا يستحقّون الفناء منذ البداية، فلماذا لم يسمح لفرعون وجنوده بفعل ذلك، ولماذا تدخل بكل تلك الآيات الباهرات لإنقاذهم من الفناء، وأفنى فرعون وجنوده؟ إن هذا يفتح الباب للمصريين كي يصفوا رب بني إسرائيل بالجهل أو عدم الحكمة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً: (١٢) لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ: أَخْرَجَهُمْ بِحُبِّ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ، وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ؟^(٢).

(٣) إفناء بني إسرائيل يعني خُلف الوعد الذي أعطاه الله «تعالى» لإبراهيم وإسحاق ويعقوب «عليهم السلام» بتكثير نسلهم، وأن يورثهم الأرض المباركة (أرض كنعان) كما أخبرت التوراة بذلك في أكثر من موقع: (١٢).... إِرْجِعْ عَنْ حُمُومِ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ. ١٣ أَذْكَرُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أَكْثَرُ نَسْلِكُمْ كُنُجُومَ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الْأَبَدِ)^(٣).

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ١١.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ١٢.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ١٢-١٣.

كان لموسى «عليه السلام» ما أراد، وقَبِلَ الله «تعالى» شفاعته في قومه: (١٤) فَندِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ^(١).

ويذكر بعض شراح التوراة أن ليس المراد من الندم الإلهي المعنى الظاهر للكلمة، بل المراد من ذلك هو المعنى المجازي الدال على الامتناع عن الفعل.

قال حلمي القمُص يعقوب في كتابه (مدارس النقد والتشكيك والرد عليها): (الله منزّه عن الحزن والأسى والندم، لأن كل شيء مكشوف أمامه، وهو القوي القادر على كل شيء، وضابط كل شيء... فعلام يندم؟! إن الله [ليس عنده تغيير ولا ظل دوران] [رسالة يعقوب ١: ١٧].. [نصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس إنساناً ليندم] [سفر صموئيل الأول ١٥: ٢٩] وقال الله [لأنني أنا الله وليس آخر. الإله وليس مثلي... رأيي يقوم وأفعل كل مسرتي] [سفر إشعياء ٤٦: ٩، ١٠].. [لأنني أنا الرب لا أغيّر] [سفر ملاخي ٣: ٦]. الله لا يتغيّر، ولكن تتغيّر معاملته للإنسان، طبقاً لتغيّر موقف الإنسان، فإذا انتقل الإنسان من الشر إلى الصلاح استحق الرحمة الإلهية، والعكس إذا انتقل من الصلاح إلى الشر، فيحق عليه العقاب الإلهي، وهذا يتمشى تماماً مع العدل الإلهي لأن الله ليس بظالم، فمعنى ندم الله هو أن الله غيّر قضاءه^(٢).

بينما يؤكد آخرون على صحة الأخذ بالمعنى الحقيقي للكلمة، وإمكانية صدور الندم عنه «تعالى». قال الدكتور (نيكولاس شيسر) المتخصص في الدراسات اليهودية في مقال له بعنوان Does God Regret? (هل يندم الله؟): (في أكثر من مرة، يذكر الكتاب المقدس أن الله لا يندم على قراراته الإلهية. فوفقاً لسفر العدد، [ليس الله

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ١٤.

2. <https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/411.html>

إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم [سفر العدد ٢٣ : ١٩].... ومع ذلك، يبدو أن هذا يتناقض مع حالات أخرى من ندم الله على أفعال سابقة. قبل الطوفان، [ندم الرب على أنه خلق الإنسان] [تكوين ٦: ٦]، وقرر الله أن يبدأ من جديد. إذن، هل [يندم] الله أم لا؟.... من المؤكد أن الله قادر على الندم [في الواقع، الله قادر على أي شيء].... عندما يقول الكتاب المقدس أن الله لا [يندم] [عدد ٢٣ : ١٩؛ صم ١٥ : ٢٩]، فإنه يشير إلى القرارات التي تبارك إسرائيل وتنصيب مملكة داود. إن عدم ندم الله في هذه الحالات يُظهر أن الرب لا يتراجع عن الهبات والبركات الإلهية، [لأن مواهب الله ودعوته لا ترجع] [رومية ١١ : ٢٩] ^(١).

أما في القرآن الكريم، فهناك إشارات إلى ترتب الغضب الإلهي في الدنيا والآخرة على فعلتهم هذه ما لم يتوبوا، وأن موسى «عليه السلام» إنما طلب من الله «تعالى» المغفرة له ولأخيه هارون، بلحاظ أنهما قائدًا الأمة، ومن شأن القيادة أن تتحمل مسئولية ما يجري من أخطاء وانحرافات، وإن لم تخطئ القيادة نفسها: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ^(١٥١) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ ^(١٥٢) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَأَمَّنُوا بِرَبِّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ^(١٥٣) ^(٢).

ولا يوجد في القرآن الكريم ما يدل على محاولة النبي موسى «عليه السلام» أن يتشفع لقومه في كلامه مع الله «تعالى» في هذا الموقف، وقبل اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتدمير العجل، وإعلان التوبة من قبل العاصين. نعم، سيأتي في سياق الآيات لاحقاً

1. <https://weekly.israelbiblecenter.com/does-god-regret>

٢. سورة الأعراف: ١٥١-١٥٣.

تشفع موسى لقومه عندما سيذهب للقاء الله ومعه سبعون من قومه: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾^(١).

• إجراءات النبي موسى:

المورد التاسع: عندما رجع موسى غاضباً، وألقى اللوحين، اتخذ عدة إجراءات: الإجراء الأول: تدمير العجل: (١٩.... فَحَمِي غَضَبُ مُوسَى، وَطَرَحَ اللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَرَهُمَا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ. ٢٠ ثُمَّ أَخَذَ الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعُوا وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ، وَطَحَنَهُ حَتَّى صَارَ نَاعِمًا، وَذَرَاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، وَسَقَى بَنِي إِسْرَائِيلَ)^(٢). [انظر اللوحتين ٥٩-٦٠]

الإجراء الثاني: إلقاء اللوم على أخيه: (٢١) وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «مَاذَا صَنَعَ بِكَ هَذَا الشَّعْبُ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَيْهِ خَطِيئَةً عَظِيمَةً؟». ٢٢ فَقَالَ هَارُونَ: «لَا يَحِمُّ غَضَبُ سَيِّدِي. أَنْتَ تَعْرِفُ الشَّعْبَ أَنَّهُ فِي شَرٍّ...»^(٣).

الإجراء الثالث: قتل المصرين على المعصية والتمرد: (٢٦) وَقَفَّ مُوسَى فِي بَابِ الْمَحَلَّةِ، وَقَالَ: «مَنْ لِلرَّبِّ فَلْيَئِ». فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ بَنِي لَأوِي. ٢٧ فَقَالَ لَهُمْ: «هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ

١. سورة الأعراف: ١٥٥-١٥٦.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ١٩-٢٠.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ٢١-٢٢.



اللوحة رقم ٥٩ : تحطيم العجل الذهبي - أندريا شيليسي (١٦٣٧-١٧١٢)



اللوحة رقم ٦٠ : تحطيم العجل - لوحة في طبعة للكتاب المقدس ١٨٦٢

إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: صَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَمُروا وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ». ٢٨ فَفَعَلَ بَنُو لَأَوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ رَجُلًا^(١).

أي أنه عندما أعلن موسى غضب الله على عبادتهم للعجل وسحقه وذراه فوق الماء وسقاهاهم منه، شعر كثير منهم بالحزي، وتابوا ودخلوا خيامهم، ولكن أهمل البعض كلام موسى وتمادوا في شرهم. وحينئذ أمر النبي موسى بنى لاوي المجتمعين حوله أن يحمل كل واحد سيفه -الذي كان يوضع في جراب في وسط كل واحد ويتدلّى على فخذه- ويمروا بين الخيام، فيقتلوا إخوانهم المتمادين في الخلاعة والرقص والعري والتمرّد على التوحيد وعلى أمر الله وطاعة رسوله، فأطاع بنو لاوي كلام موسى في الحال، وقتلوا ثلاثة آلاف رجل من هؤلاء المتمرّدين المرتدّين على أعقابهم.

ونجد في القرآن الكريم ما يدلّ على قيام حوار غاضب بين موسى والقوم، وهو ما لم نجده في التوراة: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾^(٢).

ثم حوار آخر مع هارون: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ٢٦-٢٨.

٢. سورة طه: ٨٦-٨٨.

فَرَفَّتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْفُتْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ (١).

ثم مع السامري، وهو ما لا نجد أيضاً في التوراة إذ لا وجود لهذه الشخصية ضمن السردية التوراتية للأحداث الخاصة بالعجل: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ ﴿٩٧﴾ (٢).

وأعقب ذلك كله تدمير العجل، وهو - كإجراء - مختلف من حيث الترتيب عما مر معنا في التوراة التي ذكرت التدمير أولاً ثم الحوار مع هارون: ﴿.... وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ (٣).

ولا نجد في النص القرآني ذكراً لسقي بني إسرائيل من الماء بعد ذرّ تمثال العجل المحروق والمطحون فيه.

وأما إنزال العقوبة بالمصريين على التمرّد - كما في التوراة - فقد جاء التعبير عنه بالصورة التالية: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٤﴾ (٤).

١. سورة طه: ٩٢-٩٤.

٢. سورة طه: ٩٥-٩٧.

٣. سورة طه: ٩٧-٩٨.

٤. سورة البقرة: ٥٤.

وَقَتْلَ النَّفْسِ هُنَا لَيْسَ بِمَعْنَى الْإِنْتِحَارِ، بَلْ كَمَا مَرَّ وَصَفُهُ فِي التَّوْرَةِ: (٢٧) ... وَاقْتُلُوا كُلَّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلَّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلَّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ»^(١)، وَقَدْ رَوَى عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (قَالُوا لِمُوسَى: مَا تَوْبَتُنَا؟ قَالَ: يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَأَخَذُوا السَّكَاتِينَ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَقْتُلُ أَخَاهُ وَأَبَاهُ وَابْنَهُ، وَاللَّهُ لَا يَبَالِي مَنْ قَتَلَ....)^(٢).

وَقَالَ ابْنُ عَاشُورَ: (الْمَعْنَى فَلْيَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَلَا أَنْفُسَ مَرَادٌ بِهَا الْأَشْخَاصَ كَمَا فِي قَوْلِهِ «تَعَالَى»: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] أَيْ فَلْيَسَلِّمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] أَيْ لَا يَسْفِكُ بَعْضُكُمْ دِمَاءَ بَعْضٍ وَقَوْلُهُ عَقِبَهُ: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥] فَالْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ مُتَغَايِرَانِ)^(٣).

وَجَاءَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِمَا طُلِبَ مِنْهُمْ لِتَحْقِيقِ التَّوْبَةِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ «تَعَالَى»: ﴿.... فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝٥٤﴾، دُونَ التَّطَرُّقِ لِتَحْدِيدِ مَتَى قُبِلَتْ مِنْهُمْ التَّوْبَةُ، هَلْ كَانَ ذَلِكَ بِمَجَرَّدِ اسْتِعْدَادِهِمْ لِلتَّنْفِيزِ دُونَ وَقُوعِ أَيِّ قِتَالٍ مِنْ بَيْنِهِمْ، أَمْ بَعْدَ التَّنْفِيزِ فِي عَدَدٍ مُحَدَّدٍ كَمَا ذَكَرَتِ التَّوْرَةُ: (وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافٍ رَجُلًا)، وَهُوَ لَا شَكَّ رَقْمٌ كَبِيرٌ جَدًّا.

ثُمَّ إِنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ الرَّابِعَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ يَحْتَمِلُ أَنْ التَّوْبَةَ بِالْقَتْلِ كَانَتْ طَوَاعِيَّةً، بِمَعْنَى أَنْ بَعْضَهُمْ اسْتَعَدَّ لِيُقْتَلَ كَيْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُ، كَمَا تَحْتَمِلُ الصُّورَةُ الْمَقْدَّمَةُ فِي التَّوْرَةِ وَالتِّي تَتَحَدَّثُ عَنْ أَنَّ الْقَتْلَ وَقَعَ عَلَى الْمَصْرِيِّينَ عَلَى التَّمَرُّدِ رَغْمًا عَنْهُمْ.

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ٢٧.

٢. السيوطي: الدر المنثور، ج ١، ص ١٣٥.

٣. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١، ص ٥٠٣.

هذا، وقد أشار ابن عاشور إلى رأي ثالث، وهو القول بمجازية الأمر الصادر بالقتل، قال: (ومن الناس من حمل الأمر بقتل النفس هنا على معنى القتل المجازي، وهو التذليل والقهر، على نحو قول امرئ القيس «في أعشار قلب مُقْتَلٍ»: وقوله «خمر مقتلة» أو «مقتولة»، أي مذلة سورتها بالماء..... وفيه بُعدٌ عن اللفظ، بل مخالفة لغرض الامتنان، لأن تذليل النفس وقهرها شريعة غير منسوخة. والظلم هنا الجنائية والمعصية على حد قوله^(١): ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٢)).

وأما ما جاء في بعض كتب التفسير من أن عدد المقتولين بلغ سبعين ألفاً أو عشرة آلاف فمن أخبار أو روايات ضعيفة، لا يُرْكَن إليها، وذلك من قبيل ما جاء في تفسير الطبري عن ابن عباس قال: (أمر موسى قومه عن أمر ربه «عز وجل» أن يقتلوا أنفسهم، قال: فاحتبى الذين عكفوا على العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل، وأخذوا الخناجر بأيديهم، وأصابتهم ظلمة شديدة، فجعل يقتل بعضهم بعضاً، فانجلت الظلمة عنهم وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل، كل من قُتل منهم كانت له توبة، وكل من بقي كانت له توبة)^(٣).

وما جاء في تفسير القمي، قال: (فإن موسى «عليه السلام» لما خرج إلى الميقات ورجع إلى قومه وقد عبدوا العجل قال لهم: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ فقالوا: وكيف نقتل أنفسنا؟ فقال لهم موسى: اغدوا كل واحد منكم إلى بيت المقدس ومعه سكين أو حديدة أو سيف، فإذا صعدت أنا منبر بني إسرائيل فكونوا أنتم متلثمين،

١. سورة لقمان: ١٣.

٢. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١، ص ٥٠٣.

٣. الطبري: جامع البيان، ج ١، ص ٣٢٧.

لا يعرف أحدٌ صاحبه، فاقتلوا بعضكم بعضاً. فاجتمعوا سبعين ألف رجل ممن كانوا عبدوا العجل إلى بيت المقدس، فلما صلى بهم موسى «عليه السلام» وصعد المنبر، أقبل بعضهم يقتل بعضاً حتى نزل جبرئيل فقال: قل لهم -يا موسى- ارفعوا القتل، فقد تاب الله عليكم، فقتل عشرة آلاف، وأنزل الله: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

• تأويلات متباينة:

اختلف المفسرون في تأويل المراد من قول السامري: ﴿... بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (٢).

وقد ذكر الفخر الرازي أن عامة المفسرين -إلى زمانه- ذهبوا إلى أن المراد بالرسول في هذه الآية خصوص جبريل «عليه السلام»، وأن الأثر المشار إليه في الآية هو التراب الذي أخذه السامري من موضع حافر دابته، وأن أكثر هؤلاء المفسرين على أن السامري رأى جبريل يوم فلق الله البحر، بينما في رواية عن الإمام علي «عليه السلام» أن جبريل لما نزل ليذهب بموسى «عليه السلام» إلى الطور أبصره السامري من بين الناس، فعرفه من خلال ذلك.

وهكذا اختلف المفسرون حول السبب الذي جعل السامري يرى جبريل ويعرفه دون أن يراه سائر بني إسرائيل، وروى بعضهم عن ابن عباس رواية في منتهى الغرابة أنه قال: (إنما عرفه لأنه رآه في صغره وحفظه من القتل حين أمر فرعون بذبح أولاد بني إسرائيل، فكانت المرأة تلد وتطرح ولدها حيث لا يشعر به آل فرعون، فتأخذ

١. القمي: تفسير القرآن، ج ١، ص ٤٧.

٢. سورة طه: ٩٦.

الملائكة الولدان فيربّونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس، فكان السامري ممن أخذه جبريل «عليه السلام» وجعل كَفَّ نفسه في فيه، وارتضع منه العسل واللبن، فلم يزل يختلف إليه حتى عرفه، فلما رآه عرفه!

ومن المفسرين من ذكر أن الرؤية هنا لم تكن بالعين، بل بمعنى العلم، ويكون المعنى: (علمت أن تراب فرس جبريل «عليه السلام» له خاصية الإحياء).

ومنهم من قال بأن المراد بالرسول موسى «عليه السلام» وليس جبريل، وأن السامري أخذ بسنة موسى ورسمه الذي أمر به، فيكون المعنى أن موسى لما أقبل على السامري باللوم والمسألة عن الأمر الذي دعاه إلى إضلال القوم، قال: عرفت أن دينك وما أنت وقومك عليه ليس بحق، وقد كنت قبضت قبضة من سنتك ودينك، فطرحته، وقدمت للقوم بديلاً وهو عبادة العجل... فعند ذلك أعلمه موسى «عليه السلام» بما له من العذاب في الدنيا والآخرة^(١).

وأشكل العلامة الطباطبائي على هذا التأويل بثلاثة إشكالات، من بينها أن سياق الآية يشهد على أنه أبصر، فقبض، فنبذ، أما لازم ما ذكره فهو أنه: قبض، ثم أبصر، ثم نبذ. فلو كان ما ذكره حقاً كان من الواجب أن يُقال: (بصرت بما لم يبصروا به فنبذت ما قبضته من أثر الرسول)، أو يقال: (قبضت قبضة من أثر الرسول فبصرت بما لم يبصروا به فنبذتها)، بينما الآية ﴿... بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا....﴾.

وأضاف أنه يمكن أن يُتصوّر للآية معنى آخر بناء على ما ذكره بعضهم أن أوزار

١. الفخر الرازي: مفاتيح الغيب، ج ٢٢، ص ١١٠-١١٢.

الزينة كانت حُلِيّ ذهب من القبط، أمرهم موسى أن يحملوها، وكانت لموسى أو منسوبة إليه، وهو المراد بأثر الرسول، فالسامري يصف ما صنعه بأنه كان ذا بصيرة في أمر الصياغة والتقليب يُحسن من صنعة التماثيل ما لا علم للقوم به، فسوّلت له نفسه أن يعمل لهم تماثيل عجل من ذهب، فأخذ وقبض قبضة من أثر الرسول، وهو الحلي من الذهب، فنبذها وطرحها في النار، وأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار، وكان خواره لدخول الهواء في فراغ جوفه وخروجه من فيه على ضغطة بتعبئة صناعية.

إلا أن العلامة أشار إلى أن هذا التأويل غير مكتمل الأركان: (ويبقى الكلام على التعبير عن موسى وهو يخاطبه بالرسول، وعلى تسمية حلي القوم أثر الرسول، وعلى تسمية عمل العجل -وكان يعبد- تسويلاً نفسانياً)^(١).

ولكننا إذا صححنا الرواية اليهودية التي سنذكرها لاحقاً عند التحقيق في شخصية السامري نقلاً عن (مدرّاش تنحوما يلمدّينو)، فسيكون التأويل مختلفاً عن كل ما سبق تماماً. فبحسب هذا المدرّاش يكون أثر الرسول عبارة عن قطعة خشبية استعملها النبي موسى لإخراج التابوت الحجري الذي كان يحفظ جثمان النبي يوسف من الماء بطريقة إعجازية، وأن السامري انتبه لذلك، فأخذ القطعة الخشبية واحتفظ بها، واستعملها لاحقاً وقت صناعة العجل، إذ ألقاها في النار، فخرج لهم الذهب بسبب ذلك على شكل عجل ذهبي.

وهذا التأويل -إن صحّت القصة- متناسب مع سياق الآية، ولكن يبقى السؤال: لماذا عبّر عن النبي موسى بـ (الرسول) والحال أنه يتحاور معه بشكل مباشر، فلماذا لم يقل مثلاً: (فقبضت قبضة من أثرك فنبذتها)؟

١. الطباطبائي: الميزان، ج ١٤، ص ١٩٧.

وأحتمل أن تأويل الآية كالتالي: كان السامري في موضع الاتهام والتوبيخ والمحاکمة من قبل موسى «عليه السلام»، فهو الذي كان وراء الفكرة والتنفيذ، ومن هنا، أراد السامري أن يبرّر لموسى موقفه فادّعى بأنه كان يملك نفاذ بصيرة وقدرة تحليل تفوق سائر قومه: ﴿... بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ...﴾، فقد اكتشف أن قومه يتشوّقون لرؤية إلههم الذي عبدوه دون أن يروه، على خلاف ما عهدوه من قبل في عبادتهم وعبادة أهل مصر، حيث كانت الآلهة متجسّمة أمامه، وهو ما عبّر عنه القرآن بقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾^(١).

ومن هنا تبادر لذهنه أن يلبي لهم رغبتهم المكبوتة هذه، وأن يخرجها من إطار الأمنيات إلى الواقع الملموس، ولما عرّض عليهم الأمر واستجابوا له، مارس الخداع ليقنعهم بالبُعد (الغيبى - الإلهي - المقدّس - الخارق) الموجود في هذا التمثال الذي سيصنعه لهم، ولذا أخذ شيئاً من أثر النبي يوسف (الرسول) الذي يحملون جثمانه وتابوته - فقد اعتاد أهل مصر أن يجعلوا مع التابوت بعضاً من متعلّقات الميت - ونبذه مع ما ألقى من حُلّي القوم ضمن عملية صناعة تمثال العجل: ﴿... فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾^(٢).

كما واختلف المفسرون في تأويل الآية الابقية، اختلفوا كذلك في المراد من عدم المساس في قوله «سبحانه»: ﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَهُ...﴾^(٣)، ومن بين أقوالهم:

(١) أن يقول السامري: أني لا أمس ولا أمس. قالوا: وإذا مسه أحدٌ أصيب الماس

١. سورة البقرة: ٩٣.

٢. سورة طه: ٩٧.

والمسوس بالخطيئة. فكان إذا أراد أحد أن يمسه صاح خوفاً من الحمى وقال لا مساس.
(٢) منعه من مسِّ ومقاربة النساء، فيكون هذا الحكم من تعذيب الله إياه بانقطاع
نسله، فلا يكون له ولد يؤنسه.

(٣) مقاطعته اجتماعياً ومنعه من أن يخالط أحداً أو يخالطه أحد، فيكون منبوذاً بين
أهله وعشيرته، أو بأن يُنفى من وسط قومه، ويُمنع من العودة مطلقاً، فيواجه مصيره
لوحده في الصحراء القاحلة، وهو من أشق أنواع العذاب في الحياة الدنيا، وهذا أشد
من أن يُلاقى الموت في لحظة، وهو أنسب التأويلات، لاسيما وأنه يجيب على الإشكال
الذي قد يُطرح حول سبب عدم قتله كما قُتل بقية المعاندين المتمردين، ومن المستبعد
صحة ما جاء في بعض كتب التفسير - كما سيأتي معنا- من أن سبب عدم قتله أنه
كان سخيّاً، فأكرمه الله وعفا عن قتله بسبب ذلك.

وأما قوله «سبحانه» ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ﴾، إشارة إلى عذاب الآخرة، فتلک
عقوبتك -يا سامري- في الدنيا، ثم لك الوعد بالمصير إلى عذاب الآخرة، فأنت ممن
خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

• تحديد هوية السامري:

شنع بعض المستشرقين والنصارى واليهود على النص القرآني الذي ذكر «السامري»
كمحرّض على صناعة العجل، بدلاً من هارون، وادّعوا أن النبي محمداً «صلى الله
عليه وآله» يكون بذلك قد أخطأ في القصة وخلط بين الأسماء، أو أنه تعمّد ذلك
لتنزيه الأنبياء عن كلّ شنيعة، ليشمله ذلك بالتبع، أو لعلمه بكرهه اليهود لطائفة
السامريين (السامرية / السُمرة) فذكرهم بسوء، وهي عرقية دينية تنتسب إلى بني

إسرائيل، ولكنها تختلف عن عامة اليهود، ويعلنون أنهم «ديانة» مناقضة لليهودية، ورغم اعتمادهم على التوراة، إلا أنهم يعتبرون نسختهم منها هي النسخة الصحيحة، وأن ما لدى عامة اليهود نسخة محرّفة ومغلوبة، وأن ديانتهم هي ديانة بني إسرائيل الحقيقية. يُقدّر عدد أفرادها بأقل من ألف شخص حالياً، موزّعين بين قرية لوزة في نابلس ومنطقة حولون بالقرب من تل أبيب. يُنسب السامريّون إلى (شامر) الذي باع جبلاً للملك (عُمري) وبني عليه مدينة شامر، وتغيّر حرف الشين إلى سين، فصارت سامر، ومن ثم السامرة.

ظهر الخلاف قوياً بين الطائفتين -اليهودية والسامرية- بعد العودة من السبي البابلي، وتمسّك كل طرف بتوراته على أنها التوراة الصحيحة غير المحرّفة. وتتكوّن التوراة السامرية من خمسة أسفار، كما هي توراة اليهود (التوراة العبرانية)، وتختلف عنها في بعض الألفاظ والمعاني، ولا يعترف السامريّون بسائر أسفار التنخ (العهد القديم). ومن بين الردود التي جاءت على الإشكال المطروح واتهام القرآن بالخطأ في سرد هذا المشهد، وتصحيح اتهام هارون بصناعة العجل، ما دوّنه العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي^(١) (ت ١٣٥٣ هـ) في كتابه (الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة في نهج الهدى)، وهو كتاب يعتمد على الأسلوب الحوارى التخيلي ويدور بين عدة أشخاص.

وملخص ما جاء في الكتاب حول هذه المسألة أن عنوان السامري الوارد في القصة

١. تعلم الشيخ البلاغي العبرية في ظروف صعبة، وشحّة في الموارد، وأتقنها، ومن طريف ما نقل عنه في هذا المجال أن السيد مهدي بحر العلوم زاره في شهر رمضان فسأل الشيخ عن أحواله، فقال له الشيخ جعفر: كيف حالي وأنا أعيش مع اليهود وقرأ التوراة في شهر رمضان وأتعلّم العبرية فيه، فقال له السيد بحر العلوم: يا شيخ، إن نصرتك للإسلام أفضل من قراءة القرآن والجلوس في محافل العلماء عند قبر سيد الأوصياء.

القرآنية قد يأتي نسبةً إلى:

أ) أرض السامرة المسماة باسم البلدة التي بناها «عمري» ملك إسرائيل بعد أيام سليمان بأكثر من خمسين سنة، وسمّاها «سامرة» (أي بحسب الشيخ البلاغي بعد واقعة العجل بنحو خمسمائة وسبعين سنة)، وهو أحد الأسباب التي أثارت الإشكال على ما جاء في القرآن الكريم في قصة العجل، واتّهام القرآن بالوقوع في خطأ تاريخي فادح حيث لم يكن لأرض السامرة في زمان موسى وجود.

فقد قالوا: (إن ذكر السامري يدل على جهل تام بالتاريخ ويعلم توقيع البلدان ولا نعلم من أين أتى هذا السامري هل نزل من السماء أو طلع من الأرض، ولم يكن للسامرة في زمان موسى اسم ولا رسم.... لم يكن في عصر موسى شيء يقال له سامرة أو سامري، فهو من التخيلات البعيدة المستحيلة، كما يدل عليه تاريخ بني إسرائيل بل تواريخ العالم قاطبة... لا يمكن أن يكون في بني إسرائيل على عهد موسى سامري وإن هذا المنعت لم ينعت به إلا بعد جلاء بابل)^(١).

يأتي هذا الإشكال على فرض أن القرآن قصد أن ينسب صانع العجل إلى أرض السامرة، في حين أن القرآن الكريم لم يقصد هذه النسبة بتاتاً.

ب) جاء نسبةً إلى رجلٍ من بني إسرائيل كان من ذرية «شمرون بن يسّاكر بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل»، و«سامري» في اللغة العربية تعريب «شمروني». وقد جاء في الإصحاح ٢٦ من سفر العدد عند تعداد من كانوا مع موسى من بني إسرائيل: (٢٣) بَنُو يَسَّاكَرَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ: لِيُؤْلَاعَ عَشِيرَةُ التُّولَاعِيِّينَ. وَلِفُؤَةِ عَشِيرَةِ الْقَوِيِّينَ. ٢٤ وَلِيَأَشُوبَ عَشِيرَةِ الْيَأَشُوبِيِّينَ. وَلِشَمُرُونَ عَشِيرَةَ الشَّمُرُونِيِّينَ. ٢٥ هَذِهِ عَشَائِرُ

١. البلاغي: الرحلة المدرسية، ص ٣٩، نقلاً عن جمعية كتاب الهداية، ج ١، ص ٣٧-٥٥.

يَسَّاكِرَ حَسَبَ عَدَدِهِمْ، أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ أَلْفًا وَثَلَاثُ مِئَةٍ^(١). وهذا هو الصحيح، وبه يرتفع الإشكال المذكور.

قال العلامة البلاغي: (فالسامري الذي في القرآن الكريم هو «الشمروني» المنسوب إلى شِمرون بن يَسَّاكر، لا إلى شِمرون التي بناها «عمري».. ولا ينبغي للجاهل أن يفتح فمه ويجري قلمه بالجرأة القبيحة على القرآن الكريم. فإنَّ الجاهل لا يستهزئ إلا بنفسه)^(٢).

وأضاف البلاغي أيضاً أن مما يؤكد أن سامري تعريب شمروني، ما جاء في العهدين القديم والجديد من الكتاب المقدس في اللغة العبرانية وسائر اللغات المختلفة (ما عدا بعض النسخ العربية والفارسية) إذ تذكر سامرة باسم شِمرون، وأن النسخ الفارسية بترجمة «وليم كلن» لم تذكر سامرة، بل إنما ذكرت شِمرون، وكذا في بعض التراجم العربية القديمة. ولذا فمن الواضح وضوح الشمس أن سامري تعريب «شمروني»، وأن السامري الذي يذكره القرآن هو الشمروني من عشيرة الشمرוניين الذين تذكرهم التوراة في جُند موسى.

وحول اتهام النبي هارون بدلاً من السامري بصناعة العجل قال: (إن هارون أخا موسى إذا كان هو المؤسس في بني إسرائيل لضلال الشرك بالله، والعبادة الوثنية للعجل الذي صنعه كما تزعمون، فكيف يختاره الله نبياً ويكلّمه بالشرائع بعد واقعة العجل كما تقول توراتكم؟ تارة، مع موسى كما في الفصل الحادي عشر والرابع عشر من سفر اللاويين، والثاني والرابع والتاسع عشر من سفر العدد، وتارة منفرداً كما تكرر

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ٤٦، ٢٣-٢٥.

٢. البلاغي: الرحلة المدرسية، ص ٤٠.

في الفصل الثامن عشر من سفر العدد؟ وكيف يختاره الله لكرامة الكهنوت والإمامة في الدين والشريعة ويخصّه بالكرامات الكبيرة قبل واقعة العجل وبعدها؟ بل إن توراتكم تقول: إنه حينما كان هارون يصنع العجل ويدعو لعبادته والشرك بالله كان الله يكلم موسى في اختيار هارون للكهنوت والإمامة، وفي تقديسه وتمجيده في تفصيل ثيابه للكهنوت المقدّس بكلام طويل ذكرته توراتكم في الفصل الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر الخروج... إن بين المكان الذي كلم الله فيه موسى في تقديس هارون وبين المكان الذي صنع فيه هارون العجل ودعا إلى عبادته لم يكن إلا مسافة ميل أو ميلين. فإذا قلت: إن الله جل شأنه لا يعلم بما صنع هارون، قلنا: إذن فلماذا دام بعد أن علم على تقديس هارون وتكليمه بالشريعة مع موسى ومنفرداً؟! وإذا قلت، إن الله كان يعلم، قلنا: فكيف يختاره ويقدسه حينما كان هارون يؤسّس العبادة الشركية الوثنية ويدعو إليها، وكيف دام الله على تقديسه واختياره وتكليمه؟.... إذا أراد واحد من الناس أن يجعل في بيته وكيلاً مؤدّباً ورقباً على أزواجه وبناته وأخواته لكي يؤدّبهن على الحياء والعفة ويمنع عنهن إفساد المفسدين والتهتك بالفحشاء، فهل يوكل عليهن امرأة يعلم أنها تكون زانية تُغوي نساءه على الزنا ودوامه؟ وهل يبقى على اختيارها وتمجيدها حتى إذا رأى تأثيرها في إغواء نساءه على الزنا؟ وحتى إذا رآها ناصبة على بيته راية القيادة للزنا لكي ترغّب نساءه على تكرار الزنا ودوامه؟.... فكيف ترضى أن يقال في جلال الله أنه يختار لإنقاذ عباده من الشرك والفساد رجلاً يعلم أنه يُشرك ويدعو إلى العبادة الوثنية ويعمل أوثانها ويبني مشاعر عبادتها؟^(١).

١. البلاغي: الرحلة المدرسية، ص ٤١-٤٤.

الاحتمال الثاني في الردّ على إشكالية من هو السامري؟ وعدم ذكره في التوراة، ما جاء في الموسوعة اليهودية^(١) من أن في التراث اليهودي عدة روايات حول العجل الذهبي، وواحدة منها ترتبط بشخص يُعرف باسم «ميكّا».. وهو لقب لفرد من بني إسرائيل، فبحسب هذه الرواية فإن بني إسرائيل أثناء فترة عبوديتهم في مصر، كانوا يُجبرون على صنع الطوب من طين النهر، وعلى إنهاء كميات معينة خلال فترات زمنية محددة، ومن يقصّر في ذلك يضع طفلاً إسرائيلياً مكان الطوب! وكان أن فشل أحدهم في تحقيق ذلك، فوضع هذا الطفل - الذي سيُلقب بلقب «ميكّا» لاحقاً - بدلاً من الطوب، ف وقعت كمية منها عليه، فأنقذه موسى، ولُقّب الطفل بميكّا، أي المحطّم^(٢). وكبُر الولد ليغدو لاحقاً شخصاً وثنياً! وينصّ أحبار اليهود في مصادرهم على أنه كان من الذين خرجوا مع موسى ونجوا بعد العبور.

وبحسب بعض المصادر اليهودية-ومنها الموسوعة السابقة^(٣) - أن في «مدراش تنحوما يلمدّينو»^(٤) أن «ميكّا» هو السبب وراء ظهور العجل الذهبي، وأن بني إسرائيل خرجوا من مصر مصطحبين معهم التابوت الذي فيه عظام النبي يوسف (وَأَخَذَ مُوسَى عِظَامَ

1.<http://www.jewishencyclopedia.com/articles/10776-micah>

٢. وهي نفس كلمة «بكة» في العربية. يقال بكّ الشيء: هَشَمَهُ وَحَطَّمَهُ وَمَرَّقَهُ؛ وقالوا: سُمِّيت مكة بكّة لأنها تدقّ وتهشّم أعناق الجبابرة.

٣. ونجد هذا الرأي أيضاً في الموقع التالي:

https://www.chabad.org/library/article_cdo/aid/3613047/jewish/What-Was-the-Golden-Calf.htm

٤. مدرّاش تنحوما يلمدّينو Midrash Tanhuma-Yelammedenu يعود أصله إلى العهد البيزنطي في فلسطين قبل بعثة النبي محمد، وتم تطويره خلال القرون اللاحقة حتى اكتمل ما بين القرن الثامن والعاشر الميلاديين. والمدرّاش كتاب تفسير للتّنخ.

يُوسُفَ مَعَهُ^(١). ثم إن التابوت الحجري الذي كان فيه جثمان يوسف حُفِظَ في أعماق النيل، فكتب موسى على شظية خشب أو لوحة ما لفظه عن العبرية: Aleh Shor، أي «اعلُ ثور» وبالإنجليزية Up, Ox... وأنه رمَزَ ليوسف بالثور، فخرج التابوت من الماء وتم استنقاذ ما فيه.

وإنما استُعمل رمز الثور -أو العجل- لأنه كان لكل سبط من أسباط بني يعقوب «إسرائيل» رمز، فمثلاً كان لسبط «يهودا» رمز الأسد، ولسبط «أشير» رمز شجرة الزيتون، ولسبط «دان» الميزان، ولسبط «نفتالي» أنثى الغزال، ولسبط «زبلون» رمز السفينة، وكان يُرمَزَ لسبط «يوسف» بحفنة من سنابل القمح، ثم صار لـ «نفتالي ابن يوسف» رمز الثور -العجل- وغلب رمز الابن على الرمز السابق للأب.

وقد عمد «ميكا» لاحقاً إلى أخذ هذه اللوحة أو الشظية الخشبية، وألقاها في النار التي أوقدها هارون وصَبَّ فيها الذهب، فخرج لهم الذهب بسبب ذلك على شكل عجل ذهبي^(٢). وينص «راشي» -شارح التوراة- على حضور «ميكا» وقت صناعة العجل الذهبي، ويكرر ما ذكرناه حول كيفية استفادته من اللوح في صناعة العجل الذهبي،

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٣: ١٩. ولكن لماذا لم يُدفن النبي يوسف في مصر وحُفِظَ جسده في تابوت؟ في الموقع التالي نجد الإجابة:

<http://www.usefulbible.com/hebrews/bones-of-joseph.htm>

حيث جاء فيه ما ترجمته عن النص الإنجليزي: أخبر الله إبراهيم أن بني إسرائيل سيمكثون في مصر ٤٠٠ سنة، وخلال تلك الفترة سيعانون كثيراً، ولكن الله في النهاية سينقذهم ويأتي بهم إلى كنعان كما وعد إبراهيم وإسحاق ويعقوب... تلك العظام «عظام يوسف» ستذكرهم بأن بقاءهم في مصر ليس أبدياً.

٢. من المحتمل أن يكون هذا تفسير قوله: «قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي».

وأنه صار سبباً في بداية حركة تعمل على نشر عبادة الأصنام بين اليهود^(١). وتم اختيار ذرية هارون المنحدر من ذرية لاوي بن يعقوب ليكونوا الكهنة، وكل من كان من ذرية لاوي أطلق عليهم عنوان Shamar أي حارس، فهم حراس بني إسرائيل^(٢).

وعلى هذا، وبحسب هذا الاحتمال، فإن لقب السامريين كان موجوداً قبل تأسيس دولة السامرة، و«ميكاً» كان منهم، ولذا خاطبه موسى بعنوان السامري، ففي كتاب يحمل عنوان: Legends of the Patriarchs and Prophets and Other Old Testament Characters لمؤلفه سابين بارينج قاوولد Sabine Baring-Gould (أساطير الآباء والأنبياء وشخصيات العهد القديم الأخرى) أن «ميكاً» كان من ذرية لاوي.. أي كان سامرياً «سامرياً»، الأمر الذي يتوافق مع ما جاء في القرآن الكريم الذي ذكره بهذا العنوان.

وقد جاء ذكر اتحاد شخصية ميكاً مع السامري في بعض تفاسير القرآن الكريم أيضاً، ومنها تفسير البغوي، قال: (وكان رجلاً صائغاً من أهل باجرى واسمه ميخا)^(٣). وقال البغدادي: (اسمه ميخا بن رعويل بن قاهث بن لاوي)^(٤). ويبدو لي أنها معلومة قد انتقلت من التراث اليهودي إلى كتب التفسير هذه، بما يؤيد وجود هذه الشخصية في تراثهم المدراسي وعلاقتها بصناعة العجل.

1. <http://curiousjew.blogspot.com/2005/12/oedipus-rex-micah-and-garcia-ma-rquez.html>

2. <http://www.torahclass.com/teacher/37-old-testament-studies/old-testament-studies-numbers/197-lesson-3-chapter2-3>

٣. البغوي: معالم التنزيل، ج ١، ص ٧٩.

٤. البغدادي: المحبر، ص ٣٨٧.

وسواء أخذنا بالاحتمال الأول الذي يبدو أقلّ مؤونة، أو بالاحتمال الثاني، فإن الإشكال الذي أثير على الآيات القرآنية الشريفة يرتفع، وليؤكد مرّة أخرى على حقيقة أنه كتاب سماوي، وأنه ما كان للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يُخبر عن شيء من هذه المعارف الخاصة والدقيقة لولا أن الله «عز وجل» هو الذي أوحى إليه بالقرآن الكريم وما فيه من قصص وتعاليم، من هنا قال الله بعد أن عرض قصة النبي نوح «عليه السلام» بالتفصيل: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١).

• العجل والسامري في التراث الإسلامي:

اشتملت كتب تفسير القرآن والحديث والتاريخ على أقوال وروايات وأخبار متنوعة حول هذا الحدث، وخصوص شخصية السامري، ومصدرها في الأساس بعض مسلمة اليهود كوهب بن منبه وكعب الأحبار، وهذه نماذج منها:

(١) في تفسير الثعلبي وغيره: (قال وهب: استعار بنو إسرائيل حلياً كثيراً من القبط^(٢) ثم خرج بهم موسى من أوّل الليل ...) ثم يتحدث الخبر عن ملاحقة فرعون لهم إلى أن وصلوا البحر (...) وكان فرعون على حصان، وهو الذكر من الأفراس، فأقحم جبرئيل الرمكة^(٣) في الماء، فلم يتمالك حصان فرعون واقتحم البحر على أثرها ودخل القبط عن آخرهم، فلما تلجّجوا أوحى الله «سبحانه» إلى البحر أن غرقهم، فعلاهم الماء

١. سورة هود: ٤٩.

٢. نتذكر أن كلمة الاستعارة هي المستعملة في التوراة، وقد بحثنا هذه المفردة في الجزء الثاني من الكتاب، هل أخذ بنو إسرائيل هذه الحلي بعنوان الاستعارة أم العوض أم النهب؟

٣. الرَّمَكَةُ: القَرَسُ البرْدُونَةُ تُتَخَذُ للنَّسْلِ. ومَرَّ معنا في الجزء الثاني من الكتاب شيئاً من هذا القبيل أيضاً ضمن تفاصيل أحداث غرق فرعون وجنوده.

وغرقهم. قال كعب: فعرف السامري فرس جبرئيل، فحمل من أثره تراباً وألقاه في العجل حين اتَّخذه^(١).

(٢) في تفسير الثعلبي وغيره: (قال سعيد بن جبیر: كان السامري من أهل كرمان^(٢))، فقال لهم: إنما أصابكم هذا عقوبة لكم بالحلي التي معكم، وكانت حلياً استعاروها من القبط، فهلّموا بها واجمعوها حتى يجيء موسى فيقضي فيه، فجمعت ودُفعت إليه، فصاغ منها عجلاً في ثلاثة أيام، ثم قذف فيه القبضة التي أخذها من أثر فرس جبرئيل...) (٣).

(٣) وفي تفسير ابن كثير: (عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس، أن هارون مرّ بالسامري وهو ينحت العجل، فقال له: ما تصنع؟ فقال: أصنع ما يضر ولا ينفع. فقال هارون: اللهم أعطه ما سأل على ما في نفسه ومضى هارون، فقال السامري: اللهم إني أسألك أن يخور، فخار، فكان إذا خار سجدوا له، وإذا خار رفعوا رؤوسهم... وقال السدي: كان يخور ويمشي)^(٤).

(٤) وفي بحار الأنوار: (ويروى أن إبليس ولج وسطه، فخار ومشى، ويقال: إن السامري جعل مؤخر العجل إلى حائط، وحفر في الجانب الآخر في الأرض، وأجلس فيه إنساناً، فوضع فمه على دبره، وخار وتكلّم بما تكلّم به، فشبه على جهّاهم حتى أظلمهم، وقال: إن موسى قد أخطأ ربه، فأتاكم ربكم ليريكم أنه قادر على أن يدعوكم إلى نفسه

١. الثعلبي: الكشف والبيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢١٨.

٢. ما دخل كرمان بمصر؟ هذا نموذج لما ذكرناه مراراً من عمل القصاصين ومسلمة اليهود على التلاعب والتحريف لأسباب مختلفة.

٣. الثعلبي: الكشف والبيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢١٩.

٤. ابن كثير: تفسير القرآن، ج ٥، ص ٣١١.

بنفسه، وإنه لم يبعث موسى لحاجة منه إليه، وإنه قد أظهر لكم العجل ليكلّمكم من وسطه كما كلّم موسى من الشجرة، فافتتنوا به إلا اثني عشر ألفاً، وكان مع هارون ستمائة ألف.... عن ابن عباس^(١).

٥) وفي بحار الأنوار: (... فأمر الله موسى أن يبرّد العجل بالمبرد ويحرقه ثم يذريه في النيل، فمن شرب ماءه ممّن عبد العجل اصفرّ وجهه واسودّت شفتاه، وقيل: نبت على شاربِه الذهب، فكان ذلك علماً لجُرْمه، فأخذ موسى «عليه السلام» العجل فذبحه، ثم برده بالمبارد، ثم حرقه وجمع رماده وأمر السامري حتى بال عليه استخفافاً به، ثم ذراه في الماء، ثم أمرهم بالشرب من ذلك الماء، فاسودّت شفاه الذين عبدوه، واصفرت وجوههم...)^(٢).

٦) تفسير القمي: (... أن موسى «عليه السلام» لما وعده الله أن يُنزل عليه التوراة والألواح إلى ثلاثين يوماً، أخبر بني إسرائيل بذلك، وذهب إلى الميقات وخلف هارون على قومه، فلما جاءت الثلاثون يوماً ولم يرجع موسى إليهم عصوا وأرادوا أن يقتلوا هارون، قالوا: إن موسى كذّبا وهرب منا. فجاءهم إبليس في صورة رجل فقال لهم: إن موسى قد هرب منكم ولا يرجع إليكم أبداً، فاجمعوا إليّ حليّكم حتى أتخذ لكم إلهاً تعبدونه، وكان السامري على مُقدّمة موسى يوم أغرق الله فرعون وأصحابه، فنظر إلى جبرئيل وكان على حيوان في صورة رمكة، وكانت كلّما وضعت حافرهما على موضع من الأرض يتحرّك ذلك الموضع، فنظر إليه السامري وكان من خيار أصحاب موسى، فأخذ التراب من حافر رمكة جبرئيل، وكان يتحرّك^(٣)، فصرّه في صُرّة، وكان عنده

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٢٤٥.

٢. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٢٤٦.

٣. أي كان التراب يتحرك.

يفتخر به على بني إسرائيل، فلما جاءهم إبليس واتخذوا العجل قال للسامري: هات التراب الذي معك، فجاء به السامري فألقاه إبليس في جوف العجل، فلما وقع التراب في جوفه تحرك وخار ونبت عليه الوبر والشعر، فسجد له بنو إسرائيل، فكان عدد الذين سجدوا سبعين ألفاً من بني إسرائيل... وبعد بيان موقف النبيين هارون وموسى من الأحداث، يشير النص إلى الأعذار التي قُدمت: ﴿وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ يعني من حليهم ﴿فَقَدَفْنَاهَا﴾ قال: التراب الذي جاء به السامري طرحناه في جوفه^(١)، ثم أخرج السامري العجل وله خوار... ثم هم موسى بقتل السامري فأوحى الله إليه: لا تقتله يا موسى، فإنه سخي^(٢). وجاء في تفسير القرطبي أيضاً ما يدل على منع قتله بسبب سخائه، ولا يُعلم مصدر ذلك، فلا القمي أشار إلى صاحب المقولة ولا القرطبي.

• القبول الجزئي للتوبة:

بعد يومٍ من التكفير بقتل الأنفس، عاد موسى «عليه السلام» إلى الجبل طالباً من الله «تعالى» قبول توبة قومه، وإلا فليكن الموت مصيره -هو شخصياً- قرباناً لهم! (٣٢) وَالْآنَ إِنِ غَفَرْتَ خَطِيئَتَهُمْ - وَإِلَّا فَأَمْحِي مِّنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ^(٣). فجاءه الرد الإلهي بأن الموت مصير المذنبين بتلك الخطيئة العظيمة المتمثلة بالشرك، ولست أنت من أذنّب، ولا تزر وازرة وزر أخرى، فمن يخطئ يتحمل العقاب: (٣٣) فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مَنْ أَخْطَأَ إِلَيَّ أَخْطِئْهُ مِنْ كِتَابِي»^(٤).

١. من الواضح أن هذا التأويل لا يتناسب وتأنيث الضمير في ﴿فَقَدَفْنَاهَا﴾.

٢. القمي: تفسير القرآن، ج ٢، ص ٦٣.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ٣٢.

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ٣٣.

ويُفهم من مجمل النص التوراتي -السابق ومما سيأتي- قبول توبة العصاة من بني إسرائيل بصورة معلّقة، إذ أمر الله موسى أن ينزل من على الجبل ويعظ بني إسرائيل بالاستقامة على التوحيد وطاعة الله ورسوله، وأن يتهيأوا للزحف نحو الأرض المباركة التي وعدهم إياها من قبل، فإن صدقوا واستقاموا وثبتوا على ذلك، قُبِلَت توبتهم قبولاً تاماً، وأعطاهم تلك الأرض ومكّنهم منها، وإن ارتدّوا على أعقابهم مرة أخرى وتمردوا على الله ورسوله، فإن الله سيعاقبهم ويعذبهم.

وتتحدث التوراة أيضاً عن أن الله «عز وجل» أخبر موسى «عليه السلام» أنه سيوكل أمرهم في المرحلة المقبلة وفي زحفهم نحو الأرض المباركة في كنعان إلى ملاكه الذي لن يفارقهم، بل سيبقى يقودهم ويتقدّمهم، وعلامة وجوده عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً، وأما هو «عز وجل» فلن يعود ليتقدّمهم كما اعتادوا على ذلك من قبل، لأنه لو فعل ذلك وعصوا من جديد، فإنه سيهلكهم ويفنيهم، ولذا فإنّ هذا الوضع الجديد يأتي رافةً بهم. وقد مرّ معنا في الجزء الثاني من الكتاب أثناء عرض رحلة خروج بني إسرائيل من مصر أن الله كان يرشدهم من خلال عمودي السحاب والنار: (٢١) وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودٍ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلًا فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلًا. ٢٢ لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلًا مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ^(١).

كما وعد الله موسى إن ثبت بنو إسرائيل في المرحلة القادمة واستقاموا، أن ينصرهم على كل من يعاديهم، وعليهم أن يُظهروا ندمهم على ما صدر عنهم، وأن يجسّدوا ذلك بالتخلّي عن مظاهر الزينة المادّية التي يتحلّون بها، لأنّ نزعتهم المادّية، وحبّهم للدنيا،

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٣، ٢١-٢٢.

وتمسّكهم بها سببٌ رئيس لما صدر عنهم: (٣٤) وَالْآنَ اذْهَبِ اِهْدِ الشَّعْبَ إِلَى حَيْثُ كَلَّمْتُكَ. هُوَذَا مَلَائِكَةُ يَسِيرُ أَمَامَكَ. وَلَكِنْ فِي يَوْمِ افْتِقَادِي أَفْتَقِدُ فِيهِمْ خَطِيئَتَهُمْ». ٣٥
فَضْرَبَ الرَّبُّ الشَّعْبَ، لِأَنَّهُمْ صَنَعُوا الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعَهُ هَارُونُ. ١ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى:
«اذْهَبِ أَصْعَدْ مِنْ هُنَا أَنْتَ وَالشَّعْبُ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي
حَلَفْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلًا: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا. ٢ وَأَنَا أُرْسِلُ أَمَامَكَ مَلَكَ،
وَأَطْرُدُ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. ٣ إِلَى أَرْضِ
تَفِيضٍ لَبَنًا وَعَسَلًا. فَإِنِّي لَا أَصْعَدُ فِي وَسْطِكَ لِأَنَّكَ شَعْبٌ صُلْبُ الرِّقَبَةِ، لِئَلَّا أَفْنِيكَ فِي
الطَّرِيقِ».... ٥. وَلَكِنْ الْآنَ اخْلَعْ زِينَتَكَ عَنْكَ فَأَعْلَمْ مَاذَا أَصْنَعُ بِكَ»^(١).

عاد موسى «عليه السلام» إلى قومه، وأخبرهم بكلام الله «عز وجل»، فشعروا
بالندم الشديد، وبكوا تائبين، وتضرّعوا طالبين الصفح منه، ونزعوا زينتهم استجابةً
لأمره: (٤) فَلَمَّا سَمِعَ الشَّعْبُ هَذَا الْكَلَامَ السُّوءَ نَاحُوا وَلَمْ يَضَعْ أَحَدٌ زِينَتَهُ عَلَيْهِ.... ٦
فَنَزَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ زِينَتَهُمْ مِنْ جَبَلِ حُورِيبَ^(٢).

أما القرآن الكريم، فعرض ما جرى بعد الأمر بأن يقتل بعضهم بعضاً كفارةً لذنوبهم
العظيم بصورة مختصرة، إذ قال «عز وجل»: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ
اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ٥٢.... فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٥٣﴾^(٣).

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ٣٤-٣٥، والإصحاح ٣٣، ١-٥.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٣، ٤-٦.

٣. سورة البقرة: ٥١-٥٤.

وليس في القرآن كلامٌ عن قيادة الله «عز وجل» لمسيرتهم، ولا الملك، ولا عمودي السحاب والنار. وأما المراد من (الغمام) في قوله «تعالى»: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوٰى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١) فيحتمل أحد أمرين:

الأول: الغمام كنعمة من بين النعم العديدة التي أفاض بها عليهم بعد خروجهم من مصر ومعاناتهم في صحراء سيناء، إذ أن من المحتمل أن الغمام هنا للحماية من أشعة الشمس المباشرة وحرارتها، وليس إشارة إلى عمود السحاب والنار الذي كان يرمز للحضور الإلهي أحياناً ولحضور الملك أحياناً أخرى، أياً كان معنى هذا الحضور وكيفيته. ولم يأت ذلك في التوراة.

الثاني: الغمام هو عمود السحاب الذي أشرنا إليه في الجزء الثاني من الكتاب، وفي هذا الجزء، وهو علامة الحضور والقيادة الإلهية لركب بني إسرائيل منذ خروجهم من بررعسيس إلى ما بعد عبور البحر، وهو السحاب الذي كان يُظلل جبل الطور عندما كان يحضر موسى للقاء الله ويكلّمه، وهو أيضاً عمود السحاب الخاص بخيمة الاجتماع (خيمة الشهادة) الذي سنتحدث عنه لاحقاً، وأنه متى حضر عمود السحاب هذا عند باب الخيمة، علم القوم أن الله يُكلّم موسى ويوحى إليه، وليس من حق أحد أن يدخل الخيمة أو يتداخل مع الحدث.

وهكذا كان عمود السحاب هذا دليلاً على صدور الإذن الإلهي لبني إسرائيل بالرحيل من محلّ إقامتهم إلى موضع آخر، إذ أنه إذا ارتفع عن (المسكن) الذي يمثل مركز البيت المقدّس، كان ذلك إيذاناً بالرحيل، وإذا حلّ، حلّوا حيث هم.

وعليه، فقد كان عمود السحاب هذا علامة إلهية تعينهم في حركتهم في تلك الصحراء الواسعة، متعدّدة الأخطار والتحديات، وهي أيضاً مفردةً أخرى من مفردات النعم العديدة التي منّ الله بها عليهم في هذه المرحلة الصعبة والعصيبة: (٣٦) وَعِنْدَ ارْتِفَاعِ السَّحَابَةِ عَنِ الْمَسْكَنِ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَرْجَحُلُونَ فِي جَمِيعِ رِحَالَتِهِمْ. ٣٧ وَإِنْ لَمْ تَرْتَفِعِ السَّحَابَةُ لَا يَرْجَحُلُونَ إِلَى يَوْمِ ارْتِفَاعِهَا، ٣٨ لِأَنَّ سَحَابَةَ الرَّبِّ كَانَتْ عَلَى الْمَسْكَنِ نَهَارًا. وَكَانَتْ فِيهَا نَارٌ لَيْلًا أَمَامَ عَيْنِ كُلِّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ فِي جَمِيعِ رِحَالَتِهِمْ^(١).

وأما الكلام عن ظلمهم أنفسهم: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٥٧) ففيه إشارة وتأييد لما تحدّث عنه التوراة من عنادهم وتمردهم وكفرهم المتكرّر مرّة بعد مرّة على الرغم من كل هذه النعم الموصوفة، والعناية الخاصة بهم.

وكذلك، فإنّ القرآن لم يتعرّض إلى ما أشارت إليه التوراة من الأمر بالتخلّي عن مظاهر الزينة المادّية التي يتحلّون بها. أما الأمر بالتوجّه إلى الأرض المقدسة فقد جاء -في هذا الإصحاح من سفر الخروج- مجملًا، وسيأتي لاحقاً ذكر المسألة وموقف بني إسرائيل من ذلك والأحداث المتعلّقة به في التوراة ضمن إصحاحات سفر العدد، وسنقوم بدورنا ببيان وشرح ما جاء في القرآن الكريم بخصوص ذلك في حينه.

• خيمة الاجتماع:

كان مقرّ قيادة النبي موسى «عليه السلام» عبارة عن خيمة في وسط خيام بني إسرائيل، يجتمع فيها مع شيوخهم، ويقضي فيها بين الناس، ويدير من خلالها شئونهم، إلا أنه بعد الأحداث الأخيرة، نقل هذه الخيمة إلى مكان منعزل بعيد، كإجراء آخر

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٤٠، ٣٦-٣٨.

ومؤثر إضافي على استمرارية موقفه السلبي والغاضب مما جرى عند غيابه، وأملاً في تأديبهم لئلا يعودوا لمثله، وعُرفت هذه الخيمة باسم (خيمة الاجتماع) و (خيمة الشهادة): (٧) وَأَخَذَ مُوسَى الْخَيْمَةَ وَنَصَبَهَا لَهُ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ، بَعِيدًا عَنِ الْمَحَلَّةِ، وَدَعَاَهَا «خَيْمَةَ الْجَمَاعَةِ»^(١).

من هنا، كان بنو إسرائيل يضطرون لترصد حركة موسى «عليه السلام» وتنقلاته في ما لو كانت لديهم حاجة إليه أو إلى الله «تعالى» من خلاله، حتى إذا شاهدوه متجهاً نحو الخيمة، تبعوه إليها مبتعدين بذلك عن مساكنهم، وعرضوا حاجتهم عليه، أو تخاصموا عنده، أو سألوه أن يدعوا لهم. ولم يكن مسموحاً لهم أن يدخلوا هذه الخيمة ولا أن يقربوها في ما لو شاهدوا عمود السحاب نازلاً عند الباب: (٧).... فَكَانَ كُلُّ مَنْ يَطْلُبُ الرَّبَّ يَخْرُجُ إِلَى خَيْمَةِ الْجَمَاعَةِ الَّتِي خَارِجَ الْمَحَلَّةِ. ٨ وَكَانَ جَمِيعُ الشَّعْبِ إِذَا خَرَجَ مُوسَى إِلَى الْخَيْمَةِ يَقُومُونَ وَيَقِفُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي بَابِ خَيْمَتِهِ وَيَنْظُرُونَ وَرَاءَ مُوسَى حَتَّى يَدْخُلَ الْخَيْمَةَ. ٩ وَكَانَ عَمُودُ السَّحَابِ إِذَا دَخَلَ مُوسَى الْخَيْمَةَ، يَنْزِلُ وَيَقِفُ عِنْدَ بَابِ الْخَيْمَةِ. وَيَتَكَلَّمُ الرَّبُّ مَعَ مُوسَى. ١٠ فَيَرَى جَمِيعُ الشَّعْبِ عَمُودَ السَّحَابِ، وَاقِفًا عِنْدَ بَابِ الْخَيْمَةِ، وَيَقُومُ كُلُّ الشَّعْبِ وَيَسْجُدُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي بَابِ خَيْمَتِهِ^(٢).

وليس في القرآن الكريم ذكر لما يخص هذه الإجراءات. وكما أشرت من قبل، فإن هذا لا يعني عدم صحّة ما جاء في هذا النص التوراتي، بل لأن القرآن لم يتعرّض لقصة النبي موسى «عليه السلام» بكل تفاصيلها، بل عرض منها ما كانت تتطلبه ظروف وأحداث وتحديات الرسالة المحمدية على صاحبها وآله الصلاة والسلام.

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٣، ٧.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٣، ٧-١٠.

وعين النبي موسى «عليه السلام» فتاه يوشع بن نون ليكون حارساً وخادماً لحيمة الاجتماع هذه: (١١.... وَإِذَا رَجَعَ مُوسَى إِلَى الْمَحَلَّةِ كَانَ خَادِمُهُ يَشُوعُ بْنُ نُونِ الْعَلَامِ، لَا يَبْرَحُ مِنْ دَاخِلِ الْحَيْمَةِ)^(١).

كنت قد أشرت من قبل إلى وجود نحو من التشابه بين دور يوشع بن نون «عليه السلام» ومسئوليته في أجواء الرسالة الموسوية، وبين دور ومسئوليات الإمام علي ابن أبي طالب «عليه السلام» في أجواء الرسالة المحمدية، ويتأكد هذا مجدداً في ما مرّ معنا في الصفحات السابقة من مرافقة يوشع لموسى أثناء صعوده الجبل لتلقي كلام الله ورواياه، ومكوته معه طوال تلك المدة: (١٢) وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَكُنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيكَ لَوْحِي الْحِجَارَةِ وَالشَّرِيعَةَ وَالْوَصِيَّةَ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتُعَلِّمَهُمْ». ١٣ فَقَامَ مُوسَى وَيَشُوعُ خَادِمُهُ. وَصَعِدَ مُوسَى إِلَى جَبَلِ اللَّهِ...»^(٢).

ثم مرافقته في رحلة العودة من الجبل بعد قضاء أربعين ليلة في أجواء اللقاء مع الله: (١٥) فَأَنْصَرَفَ مُوسَى وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدَيْهِ.... ١٧ وَسَمِعَ يَشُوعُ صَوْتَ الشَّعْبِ فِي هُتَافِهِ فَقَالَ لِمُوسَى: «صَوْتُ قِتَالٍ فِي الْمَحَلَّةِ». ١٨ فَقَالَ: «لَيْسَ صَوْتُ صِيَاحِ الثُّصَرَةِ وَلَا صَوْتُ صِيَاحِ الْكُسْرَةِ، بَلْ صَوْتُ غِنَاءٍ أَنَا سَامِعٌ»^(٣).

ويذكرنا هذا بمكانة الإمام علي «عليه السلام» الخليفة برسول الله «صلى الله عليه وآله»، قبل وبعد البعثة، ومن ذلك ما وصفه بنفسه إذ قال علي ما روي عنه: (وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً، وَيَأْمُرُنِي

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٣، ٧-١٠.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٤، ١٢-١٣.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ١٥-١٨.

بِالْإِفْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِجَاءٍ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَتْ
وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا،
أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ الثُّبُوءِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ
عَلَيْهِ «صلى الله عليه وآله» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ
قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ، وَلَكِنَّكَ
لَوْزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ^(١).

كما يتأكد الأمر أيضاً في ما مرّ معنا قبل أسطر حول تعيينه لرعاية وخدمة وحراسة
خيمة الاجتماع في حال حضور النبي موسى وغيابه، وما سيأتي لاحقاً من أدوار سيقوم
بها إلى أن ينتهي به المطاف ليُعيّن أمام بني إسرائيل خليفةً لموسى في قيادة القوم
وتحقيق الجيل الجديد -بعد أربعين سنةً من التيه- ما عجز الجيل السابق من تحقيقه
في دخول الأرض المباركة التي كتبها الله لهم في تلك المرحلة من تاريخهم.

• موسى في محضر الله:

بعد التفاصيل السابقة حول أحداث ما بعد عودة النبي موسى من الجبل واتخاذ قومه
العجل، تحدثت التوراة عن طلبين جديدين توجه بهما النبي موسى إلى الله:

الطلب الأول: أن يرجع الله عن ترك قيادة بني إسرائيل إلى الأرض المباركة في
المرحلة القادمة، وإيكال ذلك إلى الملك، وإلا فالأفضل أن يبقى القوم في مكانهم ولا
يغادرونها، فالبقاء في البرية مع الله أفضل من دخول أرض الميعاد بكل خيراتها دون
الله، كما أن سبب تمييزه هو وبنو إسرائيل في هذه المرحلة عن كل شعوب الأرض هو

١. الرضي: نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢ المسماة بالخطبة القاصعة.

وجود الله معهم، فإن تركهم وشأنهم بطل ذلك، وفُقد الامتياز الذي ما بعده امتياز... قال موسى: (١٥) «إِنْ لَمْ يَسِرْ وَجْهَكَ فَلَا تُصْعِدْنَا مِنْ هَهُنَا، ١٦ فَإِنَّهُ بِمَاذَا يُعْلَمُ أَنِّي وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ أَنَا وَشَعْبُكَ؟ أَلَيْسَ بِمَسِيرِكَ مَعَنَا؟ فَنَمْتَازَ أَنَا وَشَعْبُكَ عَنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ»^(١).

وصدرت الموافقة الإلهية: (١٧) فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هَذَا الْأَمْرُ أَيْضًا الَّذِي تَكَلَّمْتُ عَنْهُ أَفْعَلُهُ، لِأَنَّكَ وَجَدْتَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيَّ، وَعَرَفْتُكَ بِاسْمِكَ»^(٢).

الطلب الثاني: أن يُريَه الله نفسه!

(١٨) فَقَالَ: «أَرِنِي مَجْدَكَ». ١٩ فَقَالَ: «أُجِيزُ كُلَّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ. وَأَتَرَأَّفُ عَلَى مَنْ أَتَرَأَّفُ، وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ». ٢٠ وَقَالَ: «لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ». ٢١ وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا عِنْدِي مَكَانٌ، فَتَقِفْ عَلَى الصَّخْرَةِ. ٢٢ وَيَكُونُ مَتَى اجْتَازَ مَجْدِي، أَنِّي أَضْعُكَ فِي نُقْرَةٍ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَأَسْتُرُكَ بِيَدَيَّ حَتَّى أَجْتَازَ. ٢٣ ثُمَّ أَرْفَعُ يَدَيَّ فَتَنْظُرُ وَرَائِي، وَأَمَّا وَجْهِي فَلَا يَرَى»^(٣).

وسنتعرّض لهذه المسألة على حدة في الفصل التالي تحت عنوان (رؤية الله والتجسيم)، وذلك نظراً لأهميتها الخاصة وتفصيلها الكثيرة.

• نتائج الفصل و خلاصته:

○ أراد الله أن يختبر بني إسرائيل بتمديد أيام لقائه بموسى، وأن يكشف له عمق

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٣، ١٥-١٦.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٣، ١٧.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٣، ١٨-٢٣.

الخلل الذي يعاني منه بنو إسرائيل في مسألة التوحيد من جهة، وطاعة الرسول من جهة أخرى، لذا تم تمديد مدة غيبته مما دفعهم لاتخاذ العجل صنماً يعبدونه.

○ في البين عدة فروقات بين السرديتين التوراتية والقرآنية حول مجريات الأحداث من حين ذهاب موسى للقاء الله إلى حين عودته بعد أربعين ليلة، وحول الإجراءات التي اتخذها بالتسلسل، وأهمها اتهام التوراة للنبي هارون بأنه هو صانع العجل، بينما برّاه القرآن من ذلك وألقى باللائمة على السامري.

○ لم يُخطئ القرآن في ذكر السامري، فهو ينتسب إلى شمرون بن يسّاكر ابن النبي يعقوب، أو إلى الشامريين، أي حرّاس المعبد من بني لاوي، لا إلى بلدة السامرة.

○ أراد السامري أن يمارس الخداع مع بني إسرائيل ليوهمهم بالبُعد الغيبي في العجل الذي صنعه لهم، فادّعى أنه أبصر شيئاً من أثر الرسول، واستعمله في صياغته، فصار العجل إلههم.

○ جاءت استتابة بني إسرائيل عنيفة جداً، وذلك بقتل المصرّين على التمرد.

○ عزل النبي موسى خيمة القيادة (خيمة الاجتماع) عن مجمع مساكن بني إسرائيل ومساكنهم، كإجراء تأديبي، وتخبر التوراة أن الله أمر سحابة بأن تكون عند باب الخيمة للدلالة على أنه يكلم نبيه، لئلا يقترب أحد من الخيمة حينها.

رؤية الله والتجسيم

رؤية الله والتجسيم

• موضوعات هذا الفصل:

- عرض ومناقشة آراء مفسري القرآن الكريم حول طلب النبي موسى رؤية الله.
- ذكر نماذج مما جاء في التراث الإسلامي الروائي حول مسألة رؤية الله في الدنيا والآخرة وفي المنامات، وما استتبع ذلك من وصف للذات العلية.
- كيف أول أهل الكتاب من النصارى واليهود مشهد طلب النبي موسى رؤية الله كما جاءت في التوراة؟ وما الاختلافات الموجودة بين المدارس الكتابية المختلفة في هذا الباب؟
- مناقشة أثر عقيدة التجسيم عند القدماء من أئمة اليهود على ما جاء في التراث الإسلامي في هذا الإطار، وعلى آراء بعض المذاهب الإسلامية القائلة بالتجسيم وتشبيه الذات الإلهية المقدسة بالإنسان.

• موارد الرؤية والتجسيم:

مر معنا في الفصول السابقة عدة نصوص تدلّ في ظاهر عباراتها على تجسيم الذات الإلهية وتشبيهها ومحدوديتها المكانية ورؤيتها من قبل النبي موسى «عليه السلام»، بل ومن قبل بعض بني إسرائيل أيضاً. ومن بين هذه النصوص:

١. (٢٠) وَنَزَلَ الرَّبُّ عَلَى جَبَلٍ سَيْنَاءَ، إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ، وَدَعَا اللَّهُ مُوسَى إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. فَصَعِدَ مُوسَى^(١).

٢. (٢١) فَوَقَفَ الشَّعْبُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَمَّا مُوسَى فَاقْتَرَبَ إِلَى الصَّبَابِ حَيْثُ كَانَ اللَّهُ^(٢).

٣. (١٠) وَرَأَوْا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ، وَتَحَتَّ رِجْلَيْهِ شَبْهُ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الْأَزْرَقِ الشَّفَافِ، وَكَذَاتِ السَّمَاءِ فِي الثَّقَاوَةِ. ١١ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى أَشْرَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَرَأَوْا اللَّهَ وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا^(٣).

٤. (١١) وَيُكَلِّمُ الرَّبُّ مُوسَى وَجْهًا لَوَجْهِهِ، كَمَا يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ^(٤).

٥. (١٨) فَقَالَ: «أَرِنِي مُجْدَكَ». ١٩ فَقَالَ: «أَجِيزُ كُلِّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأَنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ. وَأَتَرَاءُفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءُفُ، وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ». ٢٠ وَقَالَ: «لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ». ٢١ وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا عِنْدِي مَكَانٌ، فَتَقِفْ عَلَى الصَّخْرَةِ. ٢٢ وَيَكُونُ مَتَى اجْتَاَزَ مُجْدِي، أَنِّي أَضَعُكَ فِي نُقْرَةٍ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَأَسْتُرُكَ بِيَدِي حَتَّى أَجْتَازَ. ٢٣ ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنْظُرُ وَرَائِي، وَأَمَّا وَجْهِي فَلَا يُرَى»^(٥).

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٩، ٢٠.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، ٢١.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٤، ١٠-١١.

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣١، ١١.

٥. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٣، ١٨-٢٣.

٦. (٥) فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي السَّحَابِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ. ٦. فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ^(١).

كل ما سبق يدفعنا للتوقف عند مسألة التجسيم والرؤية وفق ما جاء في التوراة والقرآن، وفي الدراسات اليهودية والإسلامية، مع استعراض آراء عدد من المفسرين المسلمين لما جاء في القرآن الكريم حول طلب النبي موسى رؤية الله، وهل كان طلباً شخصياً أم استجابةً لقومه، وهل كان طلباً للرؤية بالعين أم رؤية من نوع آخر؟

• طلب الرؤية في القرآن:

تحدث القرآن الكريم عن طلب النبي موسى «عليه السلام» من الله «تعالى» أن يريه ذاته المقدسة: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢). وهناك ثلاثة آراء رئيسة حول المراد من ذلك:

• الرأي الأول:

الطلب كان من النبي موسى «عليه السلام» شخصياً، ولكن لم يكن طلباً للرؤية بالعين، وإنما مستوى آخر من الرؤية، وهي الرؤية القلبية. ممّن تبّنوا هذا الرأي العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان، قال:

(أي أُرني نفسك أنظر إليك، أي مكّني من النظر إليك حتى أنظر إليك وأراك،

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ٥-٦.

٢. سورة الأعراف: ١٤٣.

فإن الرؤية فرع النظر، و النظر فرع التمكين من الرؤية والتمكن منها، ﴿قَالَ﴾ الله «تعالى» لموسى ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ أبداً ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ وكان جبلاً بجماله مشهوداً له، أشير إليه بلام العهد الحضوري ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ أي لن تطبق رؤيتي فانظر إلى الجبل فإني أظهر له، فإن استقر مكانه وأطاق رؤيتي فاعلم أنك تطبق النظر إليّ ورؤيتي ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى﴾ وظهر ﴿رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ﴾ بتجليه ﴿دَكًّا﴾ مذكوكاً متلاشياً في الجو أو سائحاً «وَحَرَ مُوسَى صَعِقًا» ميتاً أو مغشياً عليه من هول ما رأى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ رجعت إليك مما اقترحته عليك ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنك لا تُرى. هذا ظاهر ألفاظ الآية^(١).

ولم يوافق العلامة على الأخذ بهذا المعنى الظاهر من ألفاظ الآية، للأسباب التالية:

(١) الإبصار الطبيعي يحتاج إلى مادة جسمية في المُبَصِّر والباصر جميعاً.

(٢) التعليم القرآني يعطي إعطاء ضرورياً أن الله «تعالى» لا يماثله شيء بوجه من الوجوه البتة فليس بجسم ولا جسماني، ولا يحيط به مكان ولا زمان، ولا تحويه جهة ولا توجد صورة مماثلة أو مشابهة له بوجه من الوجوه في خارج ولا ذهن.

(٣) ما هذا شأنه لا يتعلّق به الإبصار بالمعنى الذي نجده من أنفسنا البتة، ولا تنطبق عليه صورة ذهنية، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

(٤) لا يليق بموسى ذاك النبي العظيم أحد الخمسة أولي العزم وسادة الأنبياء «عليهم السلام» وبمقامه الرفيع وموقفه الخطير أن يجهل ذلك.

(٥) ولا يليق به أن يُمنّي نفسه بأن يُقوّي الله «سبحانه» بصر الإنسان على أن يراه

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٨، ص ٢٣٧.

ويدشاهده، في حين أنه «سبحانه» منزّه عن الحركة والزمان، والجهة والمكان، وألوان الأجسام وأعراضها.

النتيجة أن موسى «عليه السلام» سأل غير هذه الرؤية البصرية، لأن المراد من الرؤية هنا حصول العلم الضروري، وقد سُمّي هذا النوع من العلم رؤية من باب المبالغة في ظهوره. هذا العلم الضروري عبارة عن شعور في الإنسان يتحقق بنفسه ويمجده وجداناً، من غير استعمال آلة حسية (كالعين)، أو فكرية (العقل).

هذا النوع من العلم، والذي يُطلق عليه في القرآن أحياناً عنوان (الرؤية)، وأحياناً عنوان (اللقاء)، سيتحقق للصالحين من عباد الله يوم القيامة. وهذا هو المراد من قوله «تعالى»: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾^(١)، وكذلك من قوله «تعالى»: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝٢٤﴾^(٢).

وقد نفت الآية الخاصة بالنبي موسى إمكانية وقوع هذا النوع من العلم في الحياة الدنيا: ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ وحيث أثبت القرآن تحقق هذه الرؤية في الآخرة، لذا فهو نفي مؤبد في هذه الحياة فقط.

والخلاصة أن الله «سبحانه» لما خصّ موسى «عليه السلام» بما حباه من العلم به من جهة النظر في آياته، ثم زاد على ذلك أن اصطفاه برسالاته وبتكليمه، وهو العلم بالله من جهة السمع، رجا «عليه السلام» أن يزيده بالعلم من خلال العلم الضروري الذي أسماه (رؤية)، ولم يطلب الرؤية بمعنى الإبصار بالعين والتحديد الذي يجلّ موسى «عليه السلام» أن يجهل بامتناعه عليه «تعالى وتقدّس». ثم أخبره الله «تعالى»

١. سورة القيامة: ٢٢-٢٣.

٢. سورة الانشقاق: ٦.

أنه لن يطيق هذا النوع من العلم في هذه الحياة، والدليل على ذلك ما جرى للجبل حين تجلّى الله له، فاندكّ وصار ذرات ترابية صغيرة، ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ لم يُصعق من اندكّ الجبل، وكان قد رأى من قبل آيات الله، كإنقلاب العصا وشقّ اليم ورفع الجبل فوق رؤوس بني إسرائيل كأنه ظلّة، بل صُعق من هول ما تمثّل له من معنى ما سأله، وعظمة القهر الإلهي الذي كاد أن يشاهده، وشاهده الجبل فاندكّ، ويدلّ على ذلك أيضاً توبته بعدما أفاق من الصعقة، ولذا طُلب منه أن يكتفي بما اصطفاه الله به من رسالاته وكلامه، وأن يشكره «تعالى» ولا يطلب المزيد: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

واستشهد الطباطبائي على صحّة تأويله بالرواية التالية: (عن هشام قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد «عليهما السلام» إذ دخل عليه معاوية بن وهب وعبد الملك بن أعين، فقال له معاوية بن وهب: يا ابن رسول الله، ما تقول في الخبر المروي: أن رسول «صلى الله عليه وآله» رأى ربه؟ على أي صورة رآه؟ وفي الخبر الذي رواه أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة؟ على أي صورة يرونه؟ فتبسم ثم قال: يا معاوية، ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنة وثمانون سنة يعيش في مُلك الله ويأكل من نعمه ثم لا يعرف الله حق معرفته. ثم قال: يا معاوية، إن محمداً «صلى الله عليه وآله» لم يرَ الربَّ «تبارك وتعالى» بمشاهدة العيان، وإن الرؤية على وجهين: رؤية القلب ورؤية البصر فمن غنى برؤية القلب فهو مصيب، ومن غنى برؤية البصر فقد كذب وكفر بالله وآياته لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: مَنْ شَبَّهَ اللهَ بخلقه فقد كفر. ولقد حدثني أبي عن أبيه عن الحسين بن علي «عليهم السلام» قال: سئل أمير المؤمنين «عليه السلام» فقيل

له: يا أبا رسول الله، هل رأيت ربك؟ فقال: لم أعبد رباً لم أره، لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن تراه القلوب بحقائق الإيمان. وإذا كان المؤمن يرى ربه بمشاهدة البصر، فإن كل من جاز عليه البصر والرؤية فهو مخلوق، ولا بد للمخلوق من خالق، فقد جعلته إذاً محدثاً مخلوقاً، ومن شبهه بخلقه، فقد اتخذ مع الله شريكاً. ويلهم ألم يسمعوا لقول الله «تعالى»: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١)؟ وقوله لموسى: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ وإنما طلع من نوره على الجبل كضوء يخرج من سمّ الحياط، فدكدكت الأرض، وصُعقت الجبال، ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ أي ميتاً ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ وردّ عليه روحه ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من قول من زعم أنك تُرى، ورجعت إلى معرفتي بك: أن الأبصار لا تُدركك ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنك ترى ولا تُرى، وأنت بالمنظر الأعلى^(٢).

تعليق: الرواية تؤيد كلام العلامة الطباطبائي من جهة، وتخالفه من جهة أخرى، فهي تؤيد بأن المطلوب لم يكن الرؤية بالعين، ولكنها في نفس الوقت تقول بأن الرؤية غير البصرية (القلبية) قد تحققت في الدنيا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولعلي «عليه السلام»، بينما قال العلامة الطباطبائي بأن هذه الرؤية لا تتحقق في الدنيا أبداً، وهي خاصة بالآخرة للصالحين من عباد الله.

• الرأي الثاني:

أن الطلب كان من بني إسرائيل، وأن المطلوب هو الرؤية بالعين، وقام النبي موسى

١. سورة الأنعام: ١٠٣.

٢. الخراز القي: كفاية الأثر، ص ٣٥.

«عليه السلام» بنقل طلبهم إلى الله «تعالى». وتم التعبير عن ذلك في القرآن بصورتين: الصورة الأولى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾^(١).

الصورة الثانية: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾^(٢).

ممن ذهب إلى ذلك الطبرسي في تفسيره حيث قال بعبارة مجملة: (ما قاله الجمهور -وهو الأقوى- أنه لم يسأل الرؤية لنفسه وإنما سألها لقومه)^(٣).

وإلى هذا أيضاً ذهب العلامة الشيخ جعفر السبحاني في كلام طويل، إذ اعتبر أن القرائن تشهد على أن موسى «عليه السلام» سأل الرؤية على لسان قومه الذين كانوا مصريين على ذلك، وتوضيح الأمر - باختصار - كالتالي:

أن الكليم لما رجع من لقاء الله، وجد القوم وقد صنعوا عجلاً وعبدوه ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾﴾^(٤)، ففعل ما فعل إزاء ذلك، ثم إنه أخبر قومه بأن الله كلمه وقربه وناجاه، فقال قومه: لن نؤمن بذلك حتى نسمع كلام الله بأنفسنا كما سمعت، فاختر موسى منهم سبعين رجلاً لميقات

١. سورة الأعراف: ١٤٣.

٢. سورة البقرة: ٥٥-٥٦.

٣. الطبرسي: مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٥١.

٤. سورة البقرة: ٥١.

الله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾^(١)، ولما كلمه الله وسمع القوم الكلام قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾، فأخذتهم الصاعقة: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(٢)، وعبر عن ذات المشهد في سورة الأعراف بقوله: ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ ثم طلب موسى من الله أن يحييهم: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّاي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾^(٣). ولما عاد القوم إلى الحياة: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٤)، أصرّوا على موسى وألحوا عليه أن يسأل الله الرؤية لنفسه، لا لهم، حتى تحل رؤيته لله مكان رؤيتهم، فيخبرهم، فيؤمنوا بعد إخباره بالرؤية.

استجاب موسى تحت طائلة إلحاحهم: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(٥)، وبما أن موسى لم يُقدِّم على السؤال إلا بإصرار منهم لكي يسكتهم، لذلك لم تتوجّه إليه أية تبعة ولا مؤاخذه، بل خوطب بقوله: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَفْرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦).

واستشهد السبحاني بكلام الزمخشري الذي اعتبر أن طلب الرؤية ما كان إلا

١. سورة الأعراف: ١٥٥.

٢. سورة البقرة: ٥٥.

٣. سورة الأعراف: ١٥٥.

٤. سورة البقرة: ٥٥-٥٦.

٥. سورة الأعراف: ١٤٣.

٦. سورة الأعراف: ١٤٣.

ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالاً وتبرأ من فعلهم، وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق، فلجوا وتمادوا في لجاجهم، وقالوا لا بد، ولن نؤمن حتى نرى الله جهرة، فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة، فلذلك قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(١). ثم قال السبحاني معلقاً على كلام الزمخشري: (وعلى كل تقدير فما ذكره صاحب الكشف قريب مما ذكرناه، وكلا البيانيين يشتركان في أن السؤال لم يكن بدافع من نفس موسى، بل بضغط من قومه)^(٢).

كما استشهد السبحاني بما روي عن الإمام علي بن موسى الرضا «عليه السلام» في معرض ردّه على إشكالات وأسئلة المأمون، وهي رواية طويلة في (باب ذكر مجلس آخر للرضا «عليه السلام» عند المأمون في عصمه الأنبياء «عليهم السلام»): (قال المأمون: بارك الله فيك يا بن رسول الله فما معنى قول الله «عز وجل»: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرَانِي؟ كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران «عليه السلام» لا يعلم أن الله «تبارك وتعالى» ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟

قال الرضا «عليه السلام»: إن كليم الله موسى بن عمران «عليه السلام» علم أن الله «تعالى» أعزّ أن يرى بالأبصار، ولكنه لما كلمه الله «عز وجل» وقربه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله «عز وجل» كلمه وقربه وناجاه فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ حتى نستمع كلامه كما سمعت. وكان القوم سبعمئة ألف رجل، فاختر منهم سبعين ألفاً،

١. الزمخشري: الكشف، ج ٢، ص ١٤٧.

٢. السبحاني: أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، ص ٦٤٤-٦٥٨.

ثم اختار منهم سبعة آلاف، ثم اختار منهم سبعمائة، ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربهم، فخرج بهم إلى طور سيناء، فأقامهم في سفح الجبل، وصعد موسى إلى الطور وسأل الله «تعالى» أن يكلمه ويُسْمِعهم كلامه.

فكلمه الله «تعالى ذكره» وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، لأن الله «عز وجل» أحدثه في الشجرة، وجعله منبعثاً منها، حتى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ﴾ بأن هذا الذي سمعناه كلام الله: ﴿حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا، بعث الله «عز وجل» عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم، فماتوا. فقال موسى: يا رب، ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم، وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم؟! لأنك لم تكن صادقاً فيما ادّعت من مناجاة الله «عز وجل» إياك. فأحياهم الله وبعثهم معه فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك ننظر إليه لأجابه وكنت نخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته؟ فقال موسى: يا قوم، إن الله «تعالى» لا يرى بالأبصار، ولا كيفية له، وإنما يُعَرَفُ بآياته، ويُعَلَمُ بإعلامه. فقالوا: ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ﴾ حتى تسأله. فقال موسى: يا رب، إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل، وأنت أعلم بصلاحهم. فأوحى الله جل جلاله: يا موسى، سلمي ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم. فعند ذلك قال موسى «عليه السلام»: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ وهو يهوى ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ بآية من آياته ﴿جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ منهم بأنك لا تُرى^(١).

١. الصدوق: عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٧٨.

إلا أن العلامة الطباطبائي الذي تبني القول بكون طلب الرؤية طلباً شخصياً، وأنها لا تخص الرؤية بالعين، فقد وجد أن مضمون الرواية يتعارض مع ما ذهب إليه، لذا فقد أشكل عليها بثلاثة إشكالات:

١/ الرواية ضعيفة السند.

٢/ وهي لا توافق الأصول المسلّمة في أخبار أئمة أهل البيت «عليهم السلام» - وخاصة خطب عليّ والرضا «عليهما السلام» - المملوءة من حديث التجليّ والرؤية القلبية، فلا موجب له «عليه السلام» أن يلتزم كون الرؤية المذكورة في الآية هي الرؤية البصرية.

٣/ الجواب المذكور في الرواية مخالف لظاهر الآية، ومخالف لظاهر حال موسى، فإنه لو كان اقتراحاً منهم لردّ عليهم موسى بنفس الردّ الوارد في اقتراح سابق لهم إذ قالوا: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

• الرأي الثالث:

أن الطلب كان من موسى «عليه السلام»، وأن المطلوب هو الرؤية الحسية بالعين. ومن ذلك ما جاء في تفسير الطبري عن السديّ، قال: (إن موسى «عليه السلام» لما كلمه ربه أحبّ أن ينظر إليه، ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾). وروى الطبري عن أبي بكر الهذلي وعن ابن إسحاق مثل ذلك.

ثم روى عن ابن إسحاق رواية إسرائيلية باعتراف راويها: (قال ابن إسحاق عن بعض أهل العلم الأوّل بأحاديث أهل الكتاب: إنهم يجدون في تفسير ما عندهم من خبر موسى حين طلب ذلك إلى ربه أنه كان من كلامه إياه حين طمع في رؤيته، وطلب

ذلك منه، وردّ عليه ربه منه ما ردّ، أن موسى كان تطهّر وطهّر ثيابه وصام للقاء ربه فلما أتى طور سيناء، ودنا الله له في الغمام فكلمه، سبّحه وحمده وكبرّه وقُدّسه، مع تضرّع وبكاء حزين، ثم أخذ في مدحته، فقال: ربّ ما أعظمك وأعظم شأنك كَلّه....) وعدّد أموراً كثيرة كانت من نعم الله عليه وعلى بني إسرائيل.

ثم قال: (فما أطيق نعماك عليّ أن أعدّها ولا أحصيها، وإن أردت شكرها لا أستطيعها. فجئتكَ اليوم راغباً طالباً سائلاً متضرّعاً، لتعطيني ما منعت غيري، أطلب إليك وأسألك يا ذا العظمة والعزّة والسلطان أن تريني أنظر إليك، فإني قد أحببت أن أرى وجهك الذي لم يره شيء من خلقك).

قال له ربّ العزّة: فلا ترى يا ابن عمران ما تقول؟ تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق، لا يراني أحد فيحيا، أليس في السموات معمر، فإنهن قد ضعفن أن يحملن عظمتي، وليس في الأرض معمر، فإنها قد ضعفت أن تسع بجندي، فلست في مكان واحد فأتجلى لعين تنظر إليّ.

قال موسى: يا ربّ أن أراك وأموت، أحبّ إليّ من أن لا أراك ولا أحياء، قال له ربّ العزّة: يا ابن عمران تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق، لا يراني أحد فيحيا. قال: ربّ تتمّ عليّ نعماك، وتتمّ عليّ فضلك، وتتمّ عليّ إحسانك هذا الذي سألتك ليس لي أن أراك فأقبض، ولكن أحبّ أن أراك فيطمئن قلبي. قال له: يا ابن عمران لن يراني أحد فيحيا.

قال: موسى ربّ تتمّ عليّ نعماك وفضلك، وتتمّ عليّ إحسانك هذا الذي سألتك ليس لي أن أراك فأموت على أثر ذلك أحبّ إليّ من الحياة، فقال الرحمن المترحم على

خلقه: قد طلبت يا موسى، وأعطيتك سؤالك إن استطعت أن تنظر إليّ، فاذهب فاتخذ لوحين، ثم انظر إلى الحجر الأكبر في رأس الجبل، فإن ما وراءه وما دونه مضيق لا يسع إلا مجلسك يا ابن عمران، ثم انظر فيني أهبط إليك وجنودي من قليل وكثير.

ففعل موسى كما أمره ربه، نحت لوحين ثم صعد بهما إلى الجبل، فجلس على الحجر: فلما استوى عليه، أمر الله جنوده الذين في السماء الدنيا، فقال: ضعي أكنافك حول الجبل، فسمعت ما قال الربّ ففعلت أمره، ثم أرسل الله الصواعق والظلمة والضباب على ما كان يلي الجبل الذي يلي موسى أربعة فراسخ من كل ناحية، ثم أمر الله ملائكة الدنيا أن يمرّوا بموسى، فاعترضوا عليه، فمرّوا به كثيران البقر تنبع أفواههم بالتقديس والتسبيح بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، فقال موسى بن عمران «عليه السلام»: ربّ إني كنت عن هذا غنياً، ما ترى عيناى شيئاً قد ذهب بصرهما من شعاع النور المتصقّف على ملائكة ربي.

ثم أمر الله «تعالى» ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى، فاعترضوا عليه، فهبطوا أمثال الأسد، لهم لجبٌ بالتسبيح والتقديس، ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى ومما سمع، فاقشعرت كلّ شعرة في رأسه وجلده، ثم قال: ندمت على مسئلتى إياك، فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء؟

فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا موسى اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى، فاعترضوا عليه، فأقبلوا أمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد، وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كلجّب الجيش العظيم أو كلهب النار، ففزع موسى «عليه الصلاة والسلام»، وأيست نفسه، وأساء ظنه، وأيس من الحياة، فقال له خير الملائكة ورأسهم: مكانك يا ابن

عمران، حتى ترى ما لا تصبر عليه؟

ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران. فأقبلوا وهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مرّوا به قبلهم، ألوانهم كلهب النار، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض، أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس، لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مرّوا به قبلهم. فاصطكت ركبتاه، وأرعد قلبه، واشتدّ بكأؤه، فقال خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى، فهبطوا عليه سبعة ألوان، فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه، ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم، وامتلاً جوفه خوفاً، واشتدّ حزنه، وكثر بكأؤه.

فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي الذي طلب أن يراني موسى ابن عمران واعترضوا عليه. فهبطوا عليه في يد كلّ ملك مثل النخلة الطويلة ناراً أشدّ ضوءاً من الشمس، ولباسهم كلهب النار، إذا سبّحوا وقَدّسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم، يقولون بشدة أصواتهم: سُبّوح قدّوس ربّ العزة أبداً لا يموت، في رأس كلّ ملك منهم أربعة أوجه.

فلما رآهم موسى رفع صوته يسبّح معهم حين سبّحوا، وهو يبكي ويقول: ربّ اذكرني، ولا تنسَ عبدك لا أدري أنقلب مما أنا فيه أم لا؟ إن خرجت أحرقت، وإن مكثت متّ. فقال له كبير الملائكة ورئيسهم: قد أوشكت يا ابن عمران أن يمتلىء جوفك، وينخلع قلبك، ويشتدّ بكأؤك فاصبر للذي جلست لتنظر إليه يا ابن عمران.

وكان جبل موسى جبلاً عظيماً، فأمر الله أن يحمل عرشه، ثم قال: مرّوا بي على عبيدي ليراني، فقليل من كثير ما رأى. فانفرج الجبل من عظمة الرب، وغشي ضوء عرش الرحمن جبل موسى، ورفعت ملائكة السموات أصواتها جميعاً، فارتجّ الجبل فاندكّ، وكلّ شجرة كانت فيه، وخرّ العبد الضعيف موسى بن عمران صعقاً على وجهه ليس معه روحه، فأرسل الله الحياة برحمته، فتغشاه برحمته، وقلب الحجر الذي كان عليه وجعله كالمعدة، كهيئة القبة لئلا يحترق موسى، فأقامه الروح مثل الأم أقامت جنينها حين يصرع.

قال: فقام موسى يسبح الله ويقول: آمنت أنك ربي، وصدّقت أنه لا يراك أحد فيحيا، ومن نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه، فما أعظمك ربّ وأعظم ملائكتك، أنت ربّ الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك، تأمر الجنود الذين عندك فيطيعونك، وتأمر السماء وما فيها فتطيعك، لا تستنكف من ذلك، ولا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء، ربّ تبت إليك، الحمد لله الذي لا شريك له، ما أعظمك وأجلك ربّ العالمين^(١).

وفي مصادرنا عن بعض أئمة أهل البيت «عليهم السلام» ما يشبه هذا المضمون مع الاختصار، ففي تفسير العياشي: (عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن موسى بن عمران لما سأل ربه النظر إليه، وعد الله أن يقعد في موضع، ثم أمر الملائكة تمرّ عليه موكباً موكباً بالرعد والبرق والريح والصواعق، فكلمّا مرّ به موكب من المواكب ارتعدت فرائضه، فيرفع رأسه فيسأل: أيكم ربي؟ فيجاب: هو آت، وقد سألت عظيماً يا ابن عمران)^(٢).

١. الطبري: جامع البيان، ج ١٣، ص ٩١-٩٢.

٢. العياشي: تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٧.

قال العلامة الطباطبائي: (الرواية موضوعة، وما تشتمل عليه لا يقبل الانطباق على شيء من مسلّمات الأصول المتّخذة من الكتاب والسنة)^(١).

وعن أبي جعفر وأبي عبدالله «عليهما السلام» قال: (لَمَّا سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ «تَبَارَكَ وَتَعَالَى»: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾. فَلَمَّا صَعَدَ مُوسَى عَلَى الْجَبَلِ، فَتَحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأَقْبَلَتِ الْمَلَائِكَةُ أَفْوَاجًا فِي أَيْدِيهِمُ الْعَمَدُ، وَفِي رَأْسِهَا النُّورُ، يَمْرُونَ بِهِ فَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ، يَقُولُونَ: يَا بَنَ عِمْرَانَ! إِثْبُتْ فَقَدْ سَأَلْتَ أَمْرًا عَظِيمًا. قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ مُوسَى وَاقِفًا حَتَّى تَجَلَّى رَبُّنَا ﴿جَلَّ جَلَالُهُ﴾ فَجَعَلَ الْجَبَلَ ﴿ذَكَاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾. فَلَمَّا أُنْزِلَ إِلَيْهِ رُوحُ اللَّهِ وَ ﴿أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾)^(٢).

ومن المفسرين المعاصرين من ذهب أيضاً إلى أن الطلب كان من شخص موسى «عليه السلام» برغبة شخصية، وأن الرؤية المطلوبة هي الرؤية الحسية بالعين.

قال العلامة ابن عاشور: (واعلم أن سؤال موسى رؤية الله «تعالى» طلبٌ على حقيقته كما يؤذن به سياق الآية، وليس هو السؤال الذي سأله بنو إسرائيل المحكي في سورة «البقرة: ٥٥» بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وما تمحل به في «الكشاف» من أنه هو ذلك السؤال تكلف لا داعي له)^(٣).

وقال العلامة محمد جواد مغنية في الكشاف: (قال بعض العلماء: إن موسى لم يسأل رؤية الله من أجل نفسه، وإنما سألها من أجل قومه. وهذا القول يتنافى مع قول موسى:

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٨، ص ٢٦٠.

٢. العياشي: تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٦.

٣. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٠، ص ٩٠.

﴿سُبْحَانَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ﴾. ومهما يكن، فإن موسى قد طلب الرؤية، سواء أكان من أجله أم من أجلهم. ونحن لا نرى أي بأس في هذا الطلب، فإن نفس الإنسان تتشوّف إلى ما يكون وإلى ما لا يكون، بخاصة إلى الرؤية التي تزيد النفس اطمئناناً وتأكيداً، وقد طلب إبراهيم «عليه السلام» ما يُشبه ذلك: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة - ٢٦٠] (١).

ويؤيد هذا الاتجاه بعض الروايات -بغض النظر عن مدى صحتها سنداً- ومنها:

الاحتجاج: (عن أمير المؤمنين «عليه السلام» حديث طويل، يقول فيه «عليه السلام» محبباً بعض إشكالات الزنادقة، قال: وأجده قد شهر هفوات أنبيائه بقوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (٢) وتكذيبه نوحاً لما قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ (٣) بقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (٤)، وبوصفه إبراهيم بأنه عبد كوكباً مرّة، ومرّة قمراً، ومرّة شمساً، وبقوله في يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (٥)، وبتهجينه موسى حيث قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرَانِي (٦) الآية. وأما هفوات الأنبياء «عليهم السلام» وما بينه الله في كتابه، ووقوع الكناية من أسماء من اجترم أعظم مما اجترمته الأنبياء، ممن شهد الكتاب بظلمهم، فإن ذلك من أدلّ الدلائل على: حكمة الله «عز وجل» الباهرة، وقدرته القاهرة، وعزته الظاهرة لأنه علم أن براهين الأنبياء تكبر في

١. مغنية: التفسير الكاشف، ج ٣، ص ٣٩١.

٢. سورة طه: ١٢١.

٣. سورة هود: ٤٥.

٤. سورة هود: ٤٦.

٥. سورة يوسف: ٢٤.

٦. سورة الأعراف: ١٤٣.

صدور أمهم، وأن منهم من يتخذ بعضهم إلهًا، كالذي كان من النصارى في ابن مريم، فذكرها دلالة على تخلفهم عن الكمال الذي تفرد به «عز وجل»^(١).

تفسير القمي: (في قوله: ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ قال علي بن إبراهيم: فرفع الله الحجاب ونظر إلى الجبل، فساخ الجبل في البحر، فهو يهوي حتى الساعة، ونزلت الملائكة، وفتحت أبواب السماء. فأوحى الله إلى الملائكة: أدركوا موسى لا يهرب. فنزلت الملائكة وأحاطت بموسى، وقالت ثب يا ابن عمران، فقد سألت الله عظيمًا. فلما نظر موسى إلى الجبل قد ساخ والملائكة قد نزلت، وقع على وجهه، فمات من خشية الله، وهول ما رأى. فردّ الله «عز وجل» عليه روحه. فرفع رأسه وأفاق و﴿قَالَ سُبْحَانَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) أي: أول من صدّق أنك لا تُرى^(٣).

وتم توجيه إمكانية القول بذلك إلى أنه جاء على مبنى المسيرة التكاملية للأنبياء، والذي قال به عدد من أعلام التفسير، من المتقدمين والمتأخرين، كالشريف المرتضى والطباطبائي، في قصة إبراهيم «عليه السلام» وقوله للكوكب والقمر والشمس ﴿هَذَا رَبِّي﴾^(٤)، وأكدت عليه الروايات الواردة عن أهل البيت «عليهم السلام».

• الترجيح بين الآراء:

لفهم المطلب بشكل أكبر نعود إلى ما ذكرته في فصل سابق من أنني أحتمل جداً أن يكون قوله «عز وجل»: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ

١. الطبرسي: الاحتجاج، ج ١، ص ٣٧٠.

٢. سورة الأعراف: ١٤٣.

٣. القمي: تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤٠.

٤. سورة الأنعام: ٧٧.

فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ^(١) هو ذات المشهد التوراتي الذي طلب فيه بنو إسرائيل أن يتكلم الله معهم بشكل مباشر كي يتأكدوا من مصداقية النبي موسى أن الله يكلمه وأن ما سيأتي بهم من تشريعات هي من عند الله، فأمرُوا بالاقتراب من الجبل ورأوا الغيوم والبروق والصواعق فامتلأت قلوبهم خوفاً وتراجعوا عن طلبهم، ولكنَّ القرآن الكريم بيّن أن مطلبهم لم يقتصر على طلب سماع الكلام الإلهي بل وأن يروا الله جهرة.

أعقب ذلك ذهاب النبي موسى «عليه السلام» للقاء الله «عزَّ وجل»، فنزلت عليه التشريعات والوصايا والمواعظ وتسلم اللوحين، كما طلب في أجواء هذا اللقاء أن ينظر إلى الله -سواء بمعنى الرؤية القلبية أو العينية- فتجلى الله للجبل فجعله دكاً، أي مذكوكاً متلاشياً في الهواء، وخرَّ موسى صعقاً. ولعلَّ هذا الحدث المروّع الذي لا يُعقل أنهم لم يشعروا به شجّع السامري على البدء بمشروعه في صناعة العجل، وانساق بنو إسرائيل وراء هذا الشُّرك البين، فإن اندكك الجبل وتأخر موسى عن موعد عودته الذي حدّده لهم من قبل -الثلاثين ليلة- جعلهم يظنون بطلان رسالته ودعوته، فقرّروا العودة إلى ما عهدوه من شرك وما أُشرب في قلوبهم من حُب العجل.

وبعد أن انتهى هذا التمرد بعودة موسى وانكشاف بطلان ظنونهم الفاسدة، اختار من قومه سبعين رجلاً للقاء الله، فأخذتهم الرجفة لما سبق وصدر عنهم -أو عن قومهم- من ظلم، فاعتذر موسى: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيَايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ

أَنْتَ وَلِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ (١).

إشكال: كيف يطلب رؤية الله وقد طلب بنو إسرائيل ذلك من قبل فصُنعوا؟

الجواب: يمكن ردّ الإشكال بنحوين:

الأول: أن موسى طلب الرؤية القلبية، وهي رؤية مختلفة عن تلك التي طلبها بنو إسرائيل، فقد طلبوا الرؤية بالعين.

الثاني: أن موسى طلب الرؤية بالعين ولكن بدافع مختلف تماماً عن دافع بني إسرائيل، فأولئك القوم طلبوا ذلك بسبب تشككهم في موسى ورسالته، بينما طلب موسى ذلك من باب إتمام النعمة عليه بعد سماعه كلام الله ولقاءاته المتعددة. ولا مانع من أن يطلب الرؤية العينية بلحاظ أن معرفته بالله تكاملية، وليست معرفة متحققة في آن واحد، ومقاماته متحققة تدريجياً وليست على طريقة كُن فيكون، وعليه فقد تحققت له معرفة هذه الجزئية من صفات الله «تعالى» من خلال هذه التجربة التي مرّ بها.

• التجلي الإلهي:

ذكرت الآية الشريفة أن الله تجلّى للجبل، فما معنى ذلك؟ وكيف يمتنع رؤية الله بالعين في الدنيا بينما تذكر الآية أن الله تجلّى للجبل؟ إن التجلي هو الانكشاف، أي إمكانية أن يتجلّى الله بحيث يكون مرئياً للرأي، ولكن حيث أن الجسم المادي لا يتحمّل ذلك، لذا فقد اندكّ الجبل وتلاشى.

الجواب: كلمة تجلّى تدل على الكشف والانكشاف. قال ابن فارس في مقاييس

اللغة: ([جلو] الجيم واللام والحرف المعتل أصل واحد وقياس مطرد وهو انكشاف الشيء وبروزه. يقال: جلوت العروس جلوة وجلاء، وجلوت السيف جلاء. وقال الكسائي: السماء جلواء أي مصحية. ويقال تجلى الشيء إذا انكشف)^(١). فهل تجلّى الله للجبل يعني أن لدى الجبل قدرة على الرؤية بحيث رأى الله عندما كشف له عن ذاته؟ بالطبع لا. ولذا قال الشيخ الصدوق في كتابه (التوحيد): ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ أي ظهر للجبل بآية من آياته، وتلك الآية نور من الأنوار التي خلقها، ألقى منها على ذلك الجبل)^(٢).

وبنفس هذا الاتجاه، رجّح العلامة الشيخ ناصر مكارم في تفسيره الأمثل أن الله أظهر إشعاعاً من أحد مخلوقاته الغيبية على ذلك الجبل، ومن المعلوم أن تجلي آثار الله بمنزلة تجليه نفسه. أي يمكن افتراض العبارة في الأصل كالتالي: (فلما تجلّى أثر من آثار ربه للجبل...)، ولكن حذف (أثر من آثار)، وبقيت (ربه).

تعليق: هذا مثيل ما قاله بعض المفسرين حول المراد من إتيان الله في قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾^(٣)، فبلحاظ قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ ندرك أن المراد من ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ هو (أو يأتي بعض آيات ربك) ولكن تم حذفها لأنها مفهومة من تتمة الآية.

١. ابن فارس: مقاييس اللغة، ج ١، ص ٤٦٨.

٢. الصدوق: التوحيد، ص ١١٩.

٣. سورة الأنعام: ١٥٨.

ثم تساءل الشيخ مكارم عن ماهية ذلك المخلوق، واحتمل أنه إحدى الآيات الإلهية العظيمة التي بقيت مجهولة لنا إلى الآن، أو أنه نموذج من قوة الذرة العظيمة، أو الأمواج الغامضة العظيمة التأثير والدفع، أو الصاعقة العظيمة الموحشة التي ضربت الجبل وأوجدت برقاً خاطفاً للأبصار وصوتاً مهيباً رهيباً وقوة عظيمة جداً، بحيث حطمت الجبل ودكته دكاً، فإذا كان المخلوق غير قادر على رؤية ظاهرة صغيرة جداً من الظواهر الكونية العظيمة، فكيف يطلب رؤية الله الخالق؟

ثم إذا كانت هذه الآية الإلهية العظيمة (كالأمواج الغامضة أو الطاقة العظيمة) ليست قابله للرؤية بذاتها، مع أنها مخلوق من المخلوقات لا أكثر، والمرئي هو آثارها -أي الرجة العظيمة- والمسموع هو صوتها المهيب، ومع هذا يؤمن الإنسان بوجودها، فلماذا يشك في وجود الله لأنه لا يراه بعينه، مع أن آثار الله قد ملأت الوجود؟^(١)

الاحتمال الآخر لفهم الآية وردّ الإشكال أن نقول بمجازية التعبير، وأن المراد هو المعنى الكنائي للتجلي، فبين عالم الغيب وعالم المادة والشهادة حجاب أو حُجُب، وعالم المادة لا يتحمّل الانكشاف على عالم الغيب برفع هذا الحجاب (أو أحد أو بعض هذه الحجب)، ومن هنا، بين الله للكليم هذه الحقيقة عياناً من خلال رفع هذا الحجاب (أو بعض أو أحد هذه الحُجُب) عن خصوص ذلك الجبل، فتلاشى الجبل وتذكرك، وعليه يكون المراد من قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ فلما كشف الله شيئاً من عالم الغيب لذلك الجبل اندك وتلاشى.

• رؤية الله في التراث الإسلامي:

رؤية الذات الإلهية -في نفسها- مسألة خلافية بين علماء المسلمين، فمنهم من

١. مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٥، ص ٢٠٩.

ينفي ذلك في الدنيا والآخرة، بلحاظ كونه فرعاً عن التجسيم ودعوى محدودية الذات الإلهية، والتجسيم ومحدودية الله كلاهما باطل، وهو قول الشيعة الإمامية وآخرين، ومنهم من ينفي ذلك في الدنيا ويثبته في الآخرة، ومنهم من يثبت ذلك في الآخرة، وأما في الدنيا فلا يثبت إلا في خصوص المنام، ومنهم من يثبت ذلك في الدنيا والآخرة، وغير ذلك من تفاصيل عرضها أبو الحسن الأشعري، إمام الأشاعرة (ت ٣٢٤هـ) وقسمها على تسع عشرة مقالة:

١ - فقال قائلون: يجوز أن نرى الله بالأبصار في الدنيا، ولسنا نُنكر أن يكون بعض من نلقاه في الطُّرقات.

٢ - وأجاز عليه بعضهم الحلول في الأجسام وأصحاب الحلول إذا رأوا إنساناً يستحسنونه لم يدروا لعلّ إلههم فيه.

٣ - وأجاز كثير مما أجاز رؤيته في الدنيا مصافحته وملاصته ومزاوَرته إياهم وقالوا: أن المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا أرادوا ذلك، حُكي ذلك عن بعض أصحاب مُضر وگهمس^(١).

٤ - وحُكي عن أصحاب عبد الواحد بن زيد أنهم كانوا يقولون: أن الله «سبحانه» يُرى على قدر الأعمال فمن كان عمله أفضل رآه أحسن.

٥ - وقد قال قائلون: إنا نرى الله في الدنيا في النوم، فأما في اليقظة فلا.

وروي عن رقبة بن مصقلة أنه قال: رأيت رب العزة في النوم فقال: لأكرم من مثواه يعني سليمان التيمي صلى الفجر بطهر العشاء أربعين سنة.

١. گهمس بن الحسن البصري، ومضر بن محمد بن خالد الأسدي.

٦ - وامتنع كثير من القول أنه يرى في الدنيا ومن سائر ما أطلقوه وقالوا: أنه يرى في الآخرة.

واختلفوا أيضاً في ضرب آخر:

١ - فقال قائلون: نرى جسماً محدوداً مقابلاً لنا في مكان دون مكان.

٢ - قال زهير الأثري: ذات الله «عز وجل» في كل مكان وهو مستو على عرشه ونحن نراه في الآخرة على عرشه بلا كيف. وكان يقول: أن الله يجيء يوم القيامة إلى مكان لم يكن خالياً منه، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا ولم تكن خالية منه.

واختلفوا في رؤية الله «عز وجل» بالأبصار هل هي إدراك له بالأبصار أم لا؟

١ - فقال قائلون: هي إدراك له بالأبصار وهو يُدرك بالأبصار.

٢ - وقال قائلون: يُرى الله «سبحانه» بالأبصار ولا يدرك بالأبصار.

واختلفوا في ضرب آخر:

١ - فقال قائلون: نرى الله جهرة ومعينة.

٢ - وقال قائلون: لا نرى الله جهرة ولا معينة.

٣ - ومنهم من يقول: أحقق إليه إذا رأيته.

٤ - ومنهم من يقول: لا يجوز التحديق إليه.

٥ - وقال قائلون منهم ضرار وحفص الفرد: إن الله لا يُرى بالأبصار، ولكن يخلق لنا يوم القيامة حاسة سادسة غير حواسنا هذه فندركه بها وندرك ما هو بتلك الحاسة.

٦ - وقالت البكرية: إن الله يخلق صورة يوم القيامة يرى فيها ويكلم خلقه منها.

٧ - وقال الحسين النجار: إنه يجوز أن يحول الله العين إلى القلب ويجعل لها قوة العلم فيعلم بها ويكون ذلك العلم رؤية له، أي علماً له.

واختلفوا في الرؤية لله بالأبصار هل يجوز أن تكون أو هي كائنة لا محالة^(١)؟

١ - فقال قائلون: يجوز أن يرى الله «سبحانه» في الآخرة بالأبصار.

٢ - وقال قائلون: نقول بالأخبار المروية وبما في القرآن أنه يرى بالأبصار في الآخرة بتاتاً^(٢)، يراه المؤمنون.

وكل المجسمة إلا نفراً يسيراً يقول بإثبات الرؤية، وقد ثبت الرؤية من لا يقول بالتجسيم.

تعليق: مجموع ما سبق تسع عشرة مقالة حول الرؤية بالأبصار، وأضاف الأشعري تفريعاً حول رأي المعتزلة الخاص برؤية الله بالقلب، قال:

وأجمعت المعتزلة على أن الله لا يُرى بالأبصار، واختلفت هل يرى بالقلوب؟

١ - فقال أبو الهذيل وأكثر المعتزلة: أن الله يرى بقلوبنا بمعنى أنا نعلمه بها وأنكر ذلك الفوطي وعباد.

٢ - وقالت المعتزلة والخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الزيدية: أن الله لا يُرى بالأبصار في الدنيا والآخرة ولا يجوز ذلك عليه^(٣).

وفي كتابه (الإبانة) قال أبو الحسن الأشعري أيضاً: (وندين بأن الله «تعالى» يُرى في

١. أي هل هي على نحو الاحتمال أم ستتحقق حتماً؟

٢. أي حتماً وليس من باب الاحتمال.

٣. الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص ٢١٣-٢١٧.

الآخرة بالأبصار كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون، كما جاءت الروايات عن رسول الله^(١).

كما بين أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في (إحياء علوم الدين) عقيدته في هذا الباب حيث قال: (العلم بأنه «تعالى» مع كونه منزهاً عن الصورة والمقدار، مقدساً عن الجهات والأقطار، مرئياً بالأعين والأبصار في الدار الآخرة دار القرار، لقوله «تعالى»: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٢)، ولا يرى في الدنيا تصديقاً لقوله «عز وجل»: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(٣)، ولقوله «تعالى» في خطاب موسى «عليه السلام»: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾^(٤)، وأورد بعد ذلك ما اعتبرها أدلة على صحة هذه المقالة^(٥).

وشدّد كمال الدين الدميري الشافعي (ت ٨٠٨ هـ) في كتابه (حياة الحيوان الكبرى): على صحة عقيدة الرؤية، واعتبر أن المبتدعة هم الذين لا يعتقدون بذلك، قال: (واختلف في جواز الرؤية، فأكثر المبتدعة على إنكار جوازها في الدنيا والآخرة، وأكثر أهل السنة والسلف على جوازها فيهما، ووقعهما في الآخرة. واختلف العلماء من السلف والخلف في أنه هل رأى نبينا محمد «صلى الله عليه وسلم» ربّه «تعالى» أم لا؟ فأنكرته عائشة وأبو هريرة وابن مسعود وجماعة من السلف، وبه قال جماعة من المتكلمين والمحدثين، وأجازه جماعة من السلف وأنه «صلى الله عليه وسلم» رأى

١. الأشعري: الإبانة، ص ٢١.

٢. سورة القيامة: ٢٢-٢٣.

٣. سورة الأنعام: ١٠٣.

٤. سورة الأعراف: ١٤٣.

٥. الغزالي: إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٨٧.

ربّه ليلة الإسراء بعينيّ رأسه، وهو قول ابن عباس وأبي ذر وكعب الأحبار والحسن البصري والشافعي وأحمد بن حنبل. وحُكي أيضاً عن ابن مسعود، وأبي هريرة، والمشهور عنهما الأول، وبهذا القول الثاني قال أبو الحسن^(١) وجماعة من أصحابه، وهو الأصح، وهو مذهب المحققين من السادة الصوفية.

قال ابن عباس «رضي الله تعالى عنهما»: اختصّ موسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة ومحمد «صلى الله عليه وسلم» بالرؤية. وذهب جماعة من العلماء إلى الوقف، وقالوا: ليس عليه دليل قاطع نفيّاً ولا إثباتاً، ولكنه جائز عقلاً. وصحّحه القرطبي وغيره.

قلت: رؤية الله «تعالى» في الدنيا والآخرة جائزة بالأدلة العقلية والنقلية، أما العقلية فمعروفة في علم الكلام، وأما النقلية فمنها سؤال موسى «عليه السلام» رؤية الله «تعالى». ووجه التمسك بذلك علم موسى بذلك، ولو عَلم استحالة ذلك لما سألّه، ومحال أن يجهل موسى جواز ذلك، إذ يلزم منه أن يكون مع علوّ منصبه في النبوة وانتهائه إلى أن اصطفاه الله «تعالى» على الناس، وأسمعه كلامه بلا واسطة جاهلاً بما يجب لله ويستحيل عليه ويجوز، وملتزم هذا كافر. نعوذ بالله من اعتقاد ذلك^(٢).

وأورد بعد ذلك ما اعتبرها أدلة على صحّة هذه المقالة، ولا أهداف من هذا العرض إقامة الدليل على صحة رأي وبطلان آخر، بل بيان وجود اختلافات بين علماء المسلمين والمذاهب المختلفة حول هذه المسألة وما يتفرّع عنها، ولذا لن أسغرق في تقديم أدلة هذا القول أو ذاك، والردود عليها، ومن أراد فعلية بالكتب المختصة بذلك في علم الكلام.

١. أي إمام الأشاعرة أبو الحسن الأشعري.

٢. الدميري: حياة الحيوان، ج ٢، ص ٢٠٦-٢٠٧.

• هيئة الذات الإلهية:

وكما انتشرت مقولة رؤية الله «تعالى» في الوسط الإسلامي، انتشرت أيضاً في كتب المسلمين مرويات وأخبار تتحدث عن هيئة الذات الإلهية وبعض خصوصياتها، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ومن أمثلة ذلك:

في كتابه (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية) قال ابن تيمية: (وفي هذا الخبر من رواية ابن أبي داود «هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَكَيْفَ رَأَاهُ؟ قَالَ: فِي صُورَةِ شَابٍ دُونَهُ سِتْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ، كَأَنَّ قَدَمَيْهِ فِي خَضِرَةٍ، فَقُلْتُ أَنَا لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَلَيْسَ فِي قَوْلِهِ: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» (١٣) قَالَ: لَا أُمُّ لَكَ! ذَاكَ نُورُهُ الَّذِي هُوَ نُورُهُ إِذَا تَجَلَّى بِنُورِهِ لَا يُدْرِكُهُ شَيْءٌ» وهذا يدل على أنه رآه وأخبر أنه رآه في صورة شاب دونه ستر، وقدميه في خضرة، وأن هذه الرؤية هي المعارضة بالآية والمجاب عنها بما تقدم، فيقتضي أنها رؤية عين، كما في الحديث الصحيح المرفوع عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي صُورَةِ شَابٍ أَمْرَدَ لَهُ وَفَرَّةٌ جَعْدٌ قَطِطٌ فِي رَوْضَةٍ خَضِرَاءَ». أي شعره شديد الخشونة، وكلمة (قطط) تأتي بكسر الطاء الأولى وفتحها. والغريب أن البخاري في الحديث برقم ٦٩٩٩ يروي عن عبدالله بن عمر أن هذه صفة شعر المسيح الدجال: (أُرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ.... ثُمَّ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطِطٍ، أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: الْمَسِيحُ الدَّجَالُ).

وأضاف ابن تيمية: (الوجه الرابع: أن في حديث عبد الله بن أبي سلمة أن عبد الله بن عمر أرسل إلى عبد الله بن عباس يسأله: «هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ

بُنْ عَبَّاسٍ: أَيُّ نَعَمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَسُولُهُ: أَنْ كَيْفَ رَأَاهُ؟ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: رَأَاهُ فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ دُونَهُ فَرَأَشَ مِنْ ذَهَبٍ عَلَى كُرْسِيِّ مِنْ ذَهَبٍ، تَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ» كَمَا تَقَدَّمَ^(١).

وفي كتاب (التوحيد وإثبات الصفات) لابن خزيمة: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى.... عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ سَأَلَهُ: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رَبَّهُ؟ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: أَنْ نَعَمْ. فَرَدَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَسُولُهُ أَنْ كَيْفَ رَأَاهُ؟ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ رَأَاهُ فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ دُونَهُ فَرَأَشَ مِنْ ذَهَبٍ عَلَى كُرْسِيِّ مِنْ ذَهَبٍ تَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. مَلَكٌ فِي صُورَةِ رَجُلٍ، وَمَلَكٌ فِي صُورَةِ ثَوْرٍ، وَمَلَكٌ فِي صُورَةِ نَسْرٍ، وَمَلَكٌ فِي صُورَةِ أَسَدٍ)^(٢).

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل: (عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» خَرَجَ عَلَيْهِمْ ذَاتَ غَدَاةٍ وَهُوَ طَيِّبُ النَّفْسِ مُسْفِرُ الْوَجْهِ أَوْ مُشْرِقُ الْوَجْهِ، فَلُتَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرَاكَ طَيِّبَ النَّفْسِ، مُسْفِرَ الْوَجْهِ أَوْ مُشْرِقَ الْوَجْهِ! فَقَالَ: وَمَا يَمْنَعُنِي؟ وَأَتَانِي رَيِّي «عَزَّ وَجَلَّ» اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَذْرِي أَيُّ رَبِّ، قَالَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ: فَوَضَعَ كَفَّيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْ، فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْ حَتَّى تَجَلَّى لِي مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ....)^(٣).

وروى الفراء في (إبطال التأويلات لأخبار الصفات): (عَنْ أُمِّ الطُّفَيْلِ امْرَأَةِ أَبِي بَنٍ

١. ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية، ج ٧، ص ٢٨٩-٢٩١.

٢. ابن خزيمة: التوحيد وإثبات الصفات، ح ٢٧٥.

٣. ابن حنبل: المسند، ح ١٦١٨٥.

كَغِبٍ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ «صلى الله عليه وسلم»: "يَذْكُرُ أَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ فِي الْمَنَامِ فِي صُورَةِ شَابٍّ مُوقِفٍ^(١) رِجْلَاهُ فِي خَضِرٍ عَلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ ذَهَبٍ، عَلَى وَجْهِهِ فِرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ..."^(٢).

وروى أيضاً: (عَنْ مَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ، قَالَ: نَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ «صلى الله عليه وسلم» قَالَ: "يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ" وَذَكَرَ الْحَبْرَ إِلَى أَنْ قَالَ: "وَيَنْزِلُ اللَّهُ «تبارك وتعالى» فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْكُرْسِيِّ" إِلَى أَنْ قَالَ: "فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الرَّبُّ «تبارك وتعالى» فَيَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ: مَا لَكُمْ لَا تَنْطَلِقُونَ كَمَا انْطَلَقَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: لَنَا إِلَهٌ مَا رَأَيْنَاهُ بَعْدُ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَعْرِفُونَهُ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ؟ فَيَقُولُونَ: هُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عِلَاقَةٌ، إِذَا رَأَيْنَاهَا عَرَفْنَاهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: مَا هِيَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، قَالَ: فَيَخِرُّ مَنْ كَانَ يَظْهَرُهُ طَبَقًا، وَيَبْقَى قَوْمٌ ظُهُورُهُمْ كَأَنَّهَا صِيَاصِي الْبَقَرِ يُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ..."^(٣).

وفي (تاريخ الإسلام) للذهبي: (عن لقيط بن عامر عن النبي «صلى الله عليه وسلم»: رَأَيْتُ رَبِّي بِمَنْىً عَلَى جَمَلٍ أَوْرَقٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ)^(٤).

وفيه أيضاً: (عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَفَعَهُ: إِذَا كَانَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ هَبَطَ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَيَكُونُ إِمَامَهُمْ إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ، وَلَا يَعْرُجُ إِلَى السَّمَاءِ، تِلْكَ اللَّيْلَةُ، فَإِذَا أَسْفَرَ غَفَرَ لَهُمْ حَتَّى الْمَظَالِمِ. ثُمَّ يَعْرُضُ إِلَى السَّمَاءِ)^(٥).

١. أي له شعر كثيف.

٢. الفراء: إبطال التأويلات لأخبار الصفات، ح ١٣٧.

٣. الفراء: إبطال التأويلات لأخبار الصفات، ص ١٥٦.

٤. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٠، ص ١٢٨. الأورق من الإبل: ما في لونه بياض إلى سواد.

٥. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٠، ص ١٢٨.

وفي (ميزان الاعتدال) للذهبي: (وَرَوَى عَنْ ابْنِ سَلْمُونٍ بِإِسْنَادٍ لَهُ: رَأَيْتُ رَبِّي بِعَرَافَاتٍ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ عَلَيْهِ إِزَارٌ)^(١).

وروى الذهبي أيضاً في كتابه الآخر (العرش): (عَنْ عُمَرَ «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، وَلَقَطْهُ: "إِذَا جَلَسَ الرَّبُّ عَلَى الْكُرْسِيِّ، سُمِعَ لَهُ أَطِيطٌ"^(٢) كَأَطِيطِ الرَّحْلِ الجَدِيدِ". عَنْ عُمَرَ: "إِذَا جَلَسَ الرَّبُّ عَلَى الْكُرْسِيِّ" فَافْشَعَرَّ رَجُلٌ سَمَاءَهُ أَبِي عِنْدَ وَكَيْعٍ، فَعَضَبَ وَكَيْعٌ، وَقَالَ: أَذْرَكُنَا الْأَعْمَشَ وَسُفْيَانَ يُحَدِّثُونَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَلَا يُنْكِرُونَهَا. قُلْتُ: وَهَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ عِنْدَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ)^(٣).

وفي صحيح البخاري: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَنَسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّاغُوتَ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتَّبِعُونَهُ....)^(٤).

ونختم هذا العنوان بما جاء في كتاب التوحيد لابن خزيمة: (باب ذكر إثبات وجه الله

١. الذهبي: ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٥١٢.

٢. الأَطِيط: صوت المحامل والرحال إذا ثقل عليها الركبان.

٣. الذهبي: العرش، ج ٣٠، ح ٩٩.

٤. البخاري: الصحيح، ح ١٥٦.

الذي وصفه بالجلال والإكرام في قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(١)، ونفى عنه الهلاك إذا أهلك الله ما قد قضى عليه الهلاك مما قد خلقه الله للفناء لا للبقاء، جلّ ربنا، عن أن يهلك شيء منه مما هو من صفات ذاته، قال الله «جل وعلا»: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وقال لنبيه «صلى الله عليه وسلم»: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] فأثبت الله لنفسه وجهاً وصفه بالجلال والإكرام، وحكم لوجهه بالبقاء، ونفى الهلاك عنه فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن، والعراق والشام ومصر، مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبتته الله لنفسه، نُقرّ بذلك بالسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نُشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عزّ ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجلّ ربنا عن مقالة المعطلين، وعزّ أن يكون عدماً كما قاله المبطلون، لأن ما لا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه محمد «صلى الله عليه وسلم»....

نحن نقول: وعلمائنا جميعاً في جميع الأقطار إن لمعبودنا «عز وجل» وجهاً كما أعلمنا الله في محكم تنزيله، فدواه بالجلال والإكرام، وحكم له بالبقاء، ونفى عنه الهلاك، ونقول: إن لوجه ربنا من النور والضياء والبهاء ما لو كشف حجابهِ لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره، محجوب عن أبصار أهل الدنيا، لا يراه بشر ما دام في الدنيا الفانية.

ونقول: إن وجه ربنا القديم لا يزال باقياً، فنفي عنه الهلاك والفناء ونقول: إن لبني آدم وجوهاً كتب الله عليها الهلاك، ونفي عنها الجلال والإكرام غير موصوفة بالنور والضياء، والبهاء التي وصف الله بها وجهه. تدرك وجوه بني آدم أبصار أهل الدنيا، لا تحرق لأحد شعرة فما فوقها، لنفي السُّبحات عنها، التي بيّنها نبينا المصطفى «صلى الله عليه وسلم» لوجه خالقنا^(١).

وقد ردّ عدد من علماء الإمامية وغيرهم المقولات السابقة بالأدلة العقلية والعقلية، ويمكن لمن أحب الاطلاع والاستزادة أن يراجع الكتب المختصة في هذا الباب.

• تطاير الجبال:

فتحت آية: ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ شهية بعض القصّاص والوضّاعين، فنسبوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال بطيران عدة جبال من الموضع الذي دار فيه الحوار ثم وقعن في مواضع متعدّدة من الجزيرة العربية!! وهذه نماذج من مروياتهم:

(حلية الأولياء) للأصفهاني: (عن معاوية بن قرّة عن أبيه قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: فلما تجلّى ربه للجبل طارت لعظمته ستة أجبل، فوقعن بالمدينة: أحد وورقان ورضوى. ووقع بمكة ثور وثبير وحراء)^(٢). [انظر اللوحتين ٦١-٦٢]

(المعجم الأوسط) للطبراني: (عن ابن عباس أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال: لما تجلّى الله لموسى تطايرت سبعة أجبال، ففي الحجاز منها خمسة، وفي اليمن

١. ابن خزيمة: التوحيد وإثبات الصفات، ص ٢٤-٥١.

٢. الأصفهاني: حلية الأولياء، ح ٩٠٦٠.



اللوحة رقم ٦١ : موضع جبل أحد من المسجد النبوي الشريف



اللوحة رقم ٦٢ : جبل ورقان وجبل رضوى

اثنان: في الحجاز أحد وثبير وحراء وثور وورقان، وفي اليمن حضور وصير^(١). ويبدو لي أن الاسم الصحيح للجبل الأول في اليمن هو: حضور، والثاني صِير. [انظر اللوحات ٦٣-٦٥]

قال العلامة الطباطبائي: (هذه الروايات على ما فيها من الاختلاف في عدد الجبال المتطائرة، إن كان المراد بها تفسير دكّ الجبل، لم ينطبق على الآية، وإن أريد غير ذلك فهو وإن كان ممكن الوقوع، غير أنه لا يكفي لإثباته أمثال هذه الآحاد)^(٢). ومن المعلوم جيولوجياً أن تكون هذه الجبال يعود إلى ملايين السنين، كما أن هذه الجبال ليست حجارة موضوعة فوق الأرض، بحيث تطايرت من موضع لتستقر في موضع آخر كما حُيِّل لوضع هذه الروايات.

• المشهد في التوراة:

هذا المشهد المروي في القرآن الكريم حول طلب النبي موسى رؤية الذات الإلهية، ذكرته التوراة الحاضرة بالترجمة العربية، وجاء من حيث ترتيب الأحداث كالتالي:

١ فِي الشَّهْرِ الثَّالِثِ بَعْدَ خُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ جَاءُوا إِلَى بَرِّيَّةٍ سَيْنَاءَ....

٣ وَأَمَّا مُوسَى فَصَعِدَ إِلَى اللَّهِ. فَتَنَادَاهُ الرَّبُّ مِنَ الْجَبَلِ قَائِلاً:

٧ فَجَاءَ مُوسَى وَدَعَا شُيُوخَ الشَّعْبِ وَوَضَعَ قُدَّامَهُمْ كُلَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي أَوْصَاهُ بِهَا الرَّبُّ^(٣).

١. الطبراني: المعجم الأوسط، ج ٩، ص ١٢٤.

٢. الأصفهاني: حلية الأولياء، ح ٩٠٦.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٩، ١-٧.



اللوحة رقم ٦٣ : موضع غار حراء وجبل الثور وجبل ثبير وعرفات



اللوحة رقم ٦٤ : جبل حضور ومدينة صنعاء



اللوحة رقم ٦٥ : موضع جبل صير

كانت ردة فعل بني إسرائيل إيجابية، فعاد موسى «عليه السلام» إلى الجبل وكلم الله، فوعده الله «عزّ وجل» بأن يكلمه أمام بني إسرائيل بعد أن يتهيئوا لهذا اللقاء لمدة يومين ضمن طقوس معينة، ثم يتحقق اللقاء.

١٧ وَأَخْرَجَ مُوسَى الشَّعْبَ مِنَ الْمَحَلَّةِ لِمُلَاقَاةِ اللَّهِ، فَوَقَفُوا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ.

١٨ وَكَانَ جَبَلُ سَيْنَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الْأَثْنُونِ، وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جَدًّا. ١٩ فَكَانَ صَوْتُ الْبُوقِ يَزْدَادُ اشْتِدَادًا جَدًّا، وَمُوسَى يَتَكَلَّمُ وَاللَّهُ يُجِيبُهُ بِصَوْتٍ^(١).

صعد موسى «عليه السلام» الجبل، فأمره الله «عزّ وجل» بالعودة ليأتي بهارون «عليه

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٩، ١٧-١٨.

السلام» معه. ولما عاد موسى مرة أخرى بمعية هارون، أخبرهما الله بما يُعرف بالوصايا العشر، ثم بمجموعة من الأحكام الشرعية. ثم أمر الله موسى بأن يعود إلى بني إسرائيل ويخبرهم بكل ذلك، ثم يعود مجدداً للقاءه بالصورة التالية:

١ وَقَالَ لِمُوسَى: «اصْعَدْ إِلَى الرَّبِّ أَنْتَ وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيَهُو، وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، وَاسْجُدُوا مِنْ بَعِيدٍ. ٢ وَيَقْتَرِبُ مُوسَى وَحْدَهُ إِلَى الرَّبِّ، وَهُمْ لَا يَقْتَرِبُونَ. وَأَمَّا الشَّعْبُ فَلَا يَصْعَدُ مَعَهُ».

.... ٩ ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيَهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، ١٠ وَرَأَوْا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ، وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شَبُهٌ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الْأَزْرَقِ الشَّفَافِ، وَكَذَاتِ السَّمَاءِ فِي التَّقَاوَةِ.

١١ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمْدَّ يَدَهُ إِلَى أَشْرَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَرَأَوْا اللَّهَ وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا. ١٢ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَكُنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيكَ لَوْحِي الْحِجَارَةَ وَالشَّرِيعَةَ وَالْوَصِيَّةَ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتُعَلِّمَهُمْ». ١٣ فَقَامَ مُوسَى وَيَشُوعُ خَادِمُهُ. وَصَعِدَ مُوسَى إِلَى جَبَلِ اللَّهِ. ١٤ وَأَمَّا الشُّيُوخُ فَقَالَ لَهُمْ: «اجْلِسُوا لَنَا هَهُنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْكُمْ. وَهُوَذَا هَارُونُ وَخُورُ مَعَكُمْ....»

١٥ فَصَعِدَ مُوسَى إِلَى الْجَبَلِ...

١٨ وَدَخَلَ مُوسَى فِي وَسْطِ السَّحَابِ وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ. وَكَانَ مُوسَى فِي الْجَبَلِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً.... (١).

١ وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا:

١٨ ثُمَّ أُعْطِيَ مُوسَى عِنْدَ فَرَاعِهِ مِنَ الْكَلَامِ مَعَهُ فِي جَبَلٍ سَيْنَاءَ لَوْحِي الشَّهَادَةِ: لَوْحِي حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبَعِ اللَّهِ^(١).

١ وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي التُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمْ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا... ٤ وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا^(٢).

أمر الله «عز وجل» موسى «عليه السلام» بالعودة إلى بني إسرائيل لأنهم قد أفسدوا، وقد غضب الله عليهم.

٢٠ ثُمَّ أَخَذَ الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعُوا وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ، وَطَحَنَهُ حَتَّى صَارَ نَاعِمًا، وَدَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ... ٢٦ وَقَفَّ مُوسَى فِي بَابِ الْمَحَلَّةِ، وَقَالَ: «مَنْ لِلرَّبِّ فَإِلَيَّ». فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ بَنِي لَأَوِي. ٢٧ فَقَالَ لَهُمْ: «هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَمُرُّوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ». ٢٨ فَفَعَلَ بَنُو لَأَوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافٍ رَجُلٍ^(٣).

رجع موسى إلى الله وطلب منه قبول توبة قومه، فأخبره الله أنه سيرسلهم بقيادة الملك للحصول على الأرض التي وعدهم إياها، ولكن الله لن يكون معهم بنفسه.

١ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «أَذْهَبِ اصْعَدِي مِنْ هُنَا أَنْتَ وَالشَّعْبُ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي حَلَفْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلًا: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا. ٢ وَأَنَا أُرْسِلُ أَمَامَكَ مَلَكَ، وَأَطْرُدُ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣١، ١-١٨.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ١-٤.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، ٢٠-٢٨.

وَالْيَبُوسِيِّينَ. ٣ إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا. فَإِنِّي لَا أَصْعَدُ فِي وَسْطِكَ لَأَنَّكَ شَعْبٌ صُلْبُ الرِّقَبَةِ، لِيَلَّا أَفْنِيكَ فِي الطَّرِيقِ». ٤ فَلَمَّا سَمِعَ الشَّعْبُ هَذَا الْكَلَامَ السُّوءَ نَاحُوا وَلَمْ يَضَعْ أَحَدٌ زِينَتَهُ عَلَيْهِ....

٧ وَأَخَذَ مُوسَى الْخَيْمَةَ وَنَصَبَهَا لَهُ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ، بَعِيدًا عَنِ الْمَحَلَّةِ، وَدَعَاَهَا «خَيْمَةَ الْجَمْعِ». فَكَانَ كُلُّ مَنْ يَطْلُبُ الرَّبَّ يَخْرُجُ إِلَى خَيْمَةِ الْجَمْعِ الَّتِي خَارِجَ الْمَحَلَّةِ. ٨ وَكَانَ جَمِيعُ الشَّعْبِ إِذَا خَرَجَ مُوسَى إِلَى الْخَيْمَةِ يَقُومُونَ وَيَقِفُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي بَابِ خَيْمَتِهِ وَيَنْظُرُونَ وَرَاءَ مُوسَى حَتَّى يَدْخُلَ الْخَيْمَةَ. ٩ وَكَانَ عَمُودُ السَّحَابِ إِذَا دَخَلَ مُوسَى الْخَيْمَةَ، يَنْزِلُ وَيَقِفُ عِنْدَ بَابِ الْخَيْمَةِ. وَيَتَكَلَّمُ الرَّبُّ مَعَ مُوسَى. ١٠ فَيَرَى جَمِيعُ الشَّعْبِ عَمُودَ السَّحَابِ، وَاقِفًا عِنْدَ بَابِ الْخَيْمَةِ، وَيَقُومُ كُلُّ الشَّعْبِ وَيَسْجُدُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي بَابِ خَيْمَتِهِ. ١١ وَيُكَلِّمُ الرَّبُّ مُوسَى وَجْهًا لَوَجْهِهِ، كَمَا يُكَلِّمُ الرَّجُلَ صَاحِبَهُ. وَإِذَا رَجَعَ مُوسَى إِلَى الْمَحَلَّةِ كَانَ خَادِمُهُ يَشُوعُ بْنُ نُونِ الْغَلَامِ، لَا يَبْرَحُ مِنْ دَاخِلِ الْخَيْمَةِ^(١).

وينقل النص التوراتي الحوار المفترض أنه دار بين الله «تعالى» وبين موسى «عليه السلام» في خيمة الاجتماع، حيث ألح موسى على الله أن يكون معهم في حركتهم نحو الأرض الموعودة، ليكون في ذلك ضماناً على تحقق الوعد برضا الله عنه وعنهم، وليصدقهم بنو إسرائيل في دعواه بأن الله سيُسلمهم الأرض. فاستجاب الله له.

١٥ فَقَالَ لَهُ: «إِنْ لَمْ يَسِرْ وَجْهُكَ فَلَا تُصْعِدْنَا مِنْ هُنَا، ١٦ فَإِنَّهُ بِمَاذَا يُعْلَمُ أَنِّي وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ أَنَا وَشَعْبُكَ؟ أَلَيْسَ بِمَسِيرِكَ مَعَنَا؟ فَتَمْتَازَ أَنَا وَشَعْبُكَ عَنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ». ١٧ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هَذَا الْأَمْرُ أَيْضًا الَّذِي تَكَلَّمْتَ عَنْهُ

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٣، ١-١١.

أَفْعَلُهُ، لَأَنْتَ وَجَدْتَ نِعْمَةً فِي عَيْتِي، وَعَرَفْتُكَ بِاسْمِكَ»^(١).

ثم ينتقل الحوار إلى النقطة التي تهمّنا، وهي طلب موسى «عليه السلام» أن يرى الله «تعالى» عياناً، وذلك بعد استجابة طلباته:

١٨ فَقَالَ: «أَرِنِي مَجْدَكَ».

فجاءه الرد من الله كالآتي:

١٩ فَقَالَ: «أَجِيزُ كُلِّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ. وَأَتَرَاءُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءُ، وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ». ٢٠ وَقَالَ: «لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ». ٢١ وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا عِنْدِي مَكَانٌ، فَتَقِفْ عَلَى الصَّخْرَةِ. ٢٢ وَيَكُونُ مَتَى أَجْتَازَ مَجْدِي، أَلْيَ أَصْعُكَ فِي نُفْرَةٍ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَأَسْطُرُكَ بِيَدِي حَتَّى أَجْتَازَ. ٢٣ ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنْظُرُ وَرَائِي، وَأَمَّا وَجْهِي فَلَا يَرَى»^(٢).

وهكذا ينتهي المشهد في خيمة الاجتماع، وبذا يختلف عن السردية القرآنية -بحسب ظاهر السياق- زمنياً من حيث ترتيب الأحداث، ومكانياً من حيث الموضع الذي جرى فيه الطلب، فالسياق كالآتي:

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴿١٦٣﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴿١٦٥﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ ﴿١٦٨﴾﴾^(٣).... فمن حيث الزمان، جاء الطلب ضمن اللقاء الذي استلم فيه الألواح الأولى، وقبل أن

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٣، ١٥-١٧.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٣، ١٨-٢٣.

٣. سورة الأعراف: ١٤٣-١٤٨.

يتفاجأ باتخاذ قومه العجل. ومن حيث المكان في جبل الطور، لا خيمة الاجتماع. ثم ينتقل النص التوراتي لبيان أن الله طلب من موسى إعداد لوحين بديلين بعد تحطم الأولين، ليكتب له فيهما ما كان مكتوباً في السابقين:

١ ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْحَتْ لَكَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلَ الْأَوَّلَيْنِ، فَأَكْتُبُ أَنَا عَلَى اللَّوْحَيْنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى اللَّوْحَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ اللَّذَيْنِ كَسَرْتَهُمَا....

٤ فَنَحَتَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ كَالْأَوَّلَيْنِ. وَبَكَرَ مُوسَى فِي الصَّبَاحِ وَصَعِدَ إِلَى جَبَلِ سَيْنَاءَ كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ، وَأَخَذَ فِي يَدِهِ لَوْحِي الْحَجَرِ.

٥ فَزَلَّ الرَّبُّ فِي السَّحَابِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ. ٦ فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ... (١)

أوصى الله موسى بعدة وصايا، وأمره بأن يبلغها لبني إسرائيل:

٢٧ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اَكْتُبْ لِنَفْسِكَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، لِأَتُنِّي بِحَسَبِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ قَطَعْتُ عَهْدًا مَعَكَ وَمَعَ إِسْرَائِيلَ». ٢٨ وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الرَّبِّ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، لَمْ يَأْكُلْ خُبْزًا وَلَمْ يَشْرَبْ مَاءً. فَكَتَبَ عَلَى اللَّوْحَيْنِ كَلِمَاتِ الْعَهْدِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشَرَ (٢).

وعاد موسى وبلغ رسالة الله لبني إسرائيل، ونفذوا ما أمرهم الله بصنعه لخيمة الاجتماع وما فيها:

١ وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: ٢ «فِي الشَّهْرِ الْأَوَّلِ، فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ، تُقِيمُ مَسْكَنَ

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ١-٥.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ٢٧-٢٨.

خَيْمَةَ الْجَمَاعِ، ٣ وَتَضَعُ فِيهِ تَابُوتَ الشَّهَادَةِ. وَتَسْتُرُ التَّابُوتَ بِالْحِجَابِ...

١٦ فَفَعَلَ مُوسَى بِحَسَبِ كُلِّ مَا أَمَرَهُ الرَّبُّ. هَكَذَا فَعَلَ... ٣٣..... وَأَكْمَلَ مُوسَى الْعَمَلَ.
٣٤ ثُمَّ غَطَّتِ السَّحَابَةُ خَيْمَةَ الْجَمَاعِ وَمَلَأَ بِهَاءُ الرَّبِّ الْمَسْكَنَ^(١).

ولا إشارة في هذا النص إلى مسألة التجلي للجبل واندكاكه وأن موسى خرَّ صعقاً ثم أفاق وتاب من طلبه. كما ولا يوجد في التوراة نص واضح وصريح بأن بني إسرائيل -أو شيوخهم- طلبوا من موسى أن يروا الله على خلاف ما في القرآن الكريم حيث يقول «تعالى»: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٦﴾^(٢).

وفي ذلك يقول حلمي القمص يعقوب مُعرّضاً بالقرآن الكريم: (لم يتوافق شيوخ إسرائيل بطلب رؤية الله.... بل أنهم لم يطلبوا أساساً رؤية الله، إنما الله هو الذي أظهر لهم القليل من مجده)^(٣)، يشير بذلك إلى النص التوراتي من سفر الخروج والذي مر معنا من قبل، وفيه: (٩ ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونَ وَنَادَابُ وَأَبِيَهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، ١٠ وَرَأَوْا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ، وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شَبُهْ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الْأَزْرَقِ الشَّفَافِ، وَكَذَاتِ السَّمَاءِ فِي الثَّقَاوَةِ. ١١ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى أَشْرَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَرَأَوْا اللَّهَ وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا. ١٢ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «أَصْعِدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَكُنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيكَ لَوْحِي الْحِجَارَةَ وَالشَّرِيعَةَ وَالْوَصِيَّةَ الَّتِي كَتَبْتُهَا»^(٤)).

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٤٠، ١-٣٤.

٢. سورة البقرة: ٥٥-٥٦.

3. <https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/690.html>

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٤، ٩-١٢.

• من التأويل المسيحي للمشهد:

لفهم النص التوراتي الخاص بالنبي موسى حين طلب أن يريه الله مجده، لاسيما وأن التوراة تذكر قبل هذا المشهد بأن موسى قد رأى الله من قبل، ورآه شيوخ بني إسرائيل أيضاً، ثم يطلب من الله أن يريه مجده... إلخ، نستعرض شرح القمص تادرس يعقوب في (تفسير الكتاب المقدس - العهد القديم) والذي جاء كالتالي: (لم تقف طلبات موسى من إلهه؛ حقاً قد عادت الأمور إلى ما كانت عليه قبل أن يخطئ الشعب بعبادته العجل، ووعد الله أن يفعل ما طلبه موسى، ويسير وجهه في وسطهم، لكن موسى يطمع في عطايا الله اللانهائية، فقد سأل في جرأة [أرني مجدك].

تشجع موسى فسأل الله، طالباً منه ما لم يتجاسر أحد من قبل على طلبه، إذ التهب قلبه بنار الحب الإلهي أراد أن يرى الله كما هو... ماذا يكون؟! أراد أن يتعرف على ذاك الذي لا يدرك ويرى غير المنظور... فكانت إجابة الرب له هكذا: [أَجِزْ كُلَّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأَنَا دِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ. وَأَتَرَأْفُ عَلَى مَنْ أَتَرَأْفُ، وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ، لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ].

كأن الله يجيب موسى: لقد سألت أمراً أنت لا تحتمله، فأنا لا أبجل على خليقتي، أني أقدم لك كل إحساناتي وخيراتي وأعلن اسمي لك وأترأف وأرحم، أقدم كل شيء للإنسان، أما وجهي فلا يقدر الإنسان أن يراه ويعيش! إن هذه الرؤيا المجردة الكاملة للاهوت هي فوق كل طاقة بشرية^(١).

1. https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/02-Sefer-El-Khoroug/Tafseer-Sefer-El-Khroug_01-Chapter-33.html#19

فالممتنع -بحسب ظاهر النص التوراتي- هو رؤية وجه الله، لا ذاته، فالفرض أن له وجهاً وأماماً وعقباً (وراء)، ولذا قال لموسى يمكنك أن ترى خلفي، ولكنك لن تطيق رؤية وجهي.

• من التأويل اليهودي للمشهد:

وأما من حيث تفسير هذا النص التوراتي وتأويله وفق القراءة اليهودية، وهل يمكن رؤية الله أم لا، وماذا يعني رؤية الله من ورائه، فإننا نجد تبايناً في الآراء قريباً من التباين الحاصل عند مفسري وعلماء المسلمين في تفسير وتأويل الآية القرآنية من هذه الناحية.

وقد تحدّث البروفيسور (كينيث سيسكين)^(١) Prof.Kenneth Seeskin عن هذا التباين عند حاخامات اليهود ومفسري التوراة، حيث أشار إلى التأويل الفلسفي التقليدي عند اليهود لمفهوم رؤية الله وجهاً لوجه، الوارد في الإصحاح ٣٣ من سفر الخروج: (١١) وَيُكَلِّمُ الرَّبُّ مُوسَى وَجْهًا لَوَجْهِهِ، كَمَا يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ) وفي الإصحاح ٣٤ من سفر التثنية: (١٠) وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لَوَجْهِهِ، وهو التأويل الذي مثله موسى بن ميمون على أفضل نحو، حيث تبقى إزالة أي أثر لتشبيه الذات الإلهية من الصور التي قدّمها التوراة.

كما عرّف موسى بن ميمون في كتابه (دليل/دلالة الحائرين)^(٢) التواصل وجهاً

١. أمريكي. أستاذ فخري للحضارة اليهودية في جامعة نورث وسترن (ولد ١٩٤٧م)، وهو معروف بأعماله في الفلسفة اليهودية. فاز بجائزة كوريت للكتاب اليهودي عن كتابه (البحث عن إله بعيد: إرث موسى بن ميمون) Searching for a Distant God: The Legacy of Maimonides وذلك في عام ٢٠٠١.

لوجه على أنه (حضور إلى حاضر آخر دون وسيط)^(١)... واسم الكتاب بالعبرية מורה הנבוכים (موري هنبوخيم) أحد أهم كتب الحاخام موسى بن ميمون (ت ١٢٠٤م)، الذي كان فيلسوفاً يهودياً سفاردياً وأصبح من أكثر علماء التوراة اجتهاداً ونفوذاً في العصور الوسطى، وقد تأثر بشكل كبير بآراء الفلاسفة والمتكلمين المسلمين وانعكس ذلك على آرائه الدينية اليهودية. كتب كتابه هذا كرسالة مكونة من ثلاثة مجلدات إلى تلميذه الحاخام يوسف بن عقنين. ويُعد الكتاب أحد أهم المصادر لآراء كاتبه الفلسفية والشرعية، وتعرض للانتقاد والحظر وحتى الحرق.

ولنفهم الرأي الأول الذي أشار إليه (سيسكن) ونقله عن موسى بن ميمون، أستعين بما طرحه الرّابي دوفيد روزنفلد^(٢) Rabbi Dovid Rosenfeld حول المراد من (رؤية الله)، انطلاقاً من فلسفة ابن ميمون والقاضية بأن أحد أكثر المعتقدات اليهودية جوهرية هو أن الله غير مادي، وليس له شكل مادي، والذي يمثّل المبدأ الثالث من مبادئ الإيمان الثلاثة عشر لموسى بن ميمون. وإذا كان الأمر كذلك، فكيف استطاع القدماء -كالنبي موسى- أن يروا الله في هيئة تشبه بنحوٍ ما الهيئة البشرية، وتحت قدميه طوبة من الياقوت الأزرق؟

يقول الرّابي روزنفلد أن العديد من المفسرين ذكروا أن ما رآه القدماء كان رؤية نبوية وليست رؤية بالعين المجردة للأشياء المادية كما يراها الإنسان، فليس لله شكل مادي حقيقي، لكنه كشف لهم صورة صوفية، أو فقل تمثيلاً مرئياً لألوهيته، كما أن

١. ميمون: دليل (دلالة) الحائرين، ج ١، ص ٣٧.

٢. حصل على الرسامة الحاخامية من مدرسة يشيفا نير إسرائيل Yeshivas Ner Yisroel في بالتي مور بولاية ماريلاند في الولايات المتحدة الأمريكية.

هذه الرؤية لم تكن باستخدام العين المادية، بل كانت التجربة روحية ونبوية تماماً، حدثت من خلال قدرة تتجاوز الحواس التي نستخدمها للتفاعل مع العالم المادي. الأمر الآخر الذي ناقشه الراي روزنفلد هو خصوصية رؤية الأنبياء لله -دائماً- في هيئة بشرية كما جاء في التوراة، ومن أمثلة ذلك:

ما جاء في سفر حزقيال، حيث يصف النبيُّ الله بأنه (وَعَلَى شِبْهِ الْعَرْشِ شِبْهُ كَمَنْظَرِ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقُ)^(١). والنص الكامل للحدث كالتالي: (١ كَانَ فِي سَنَةِ الثَّلَاثِينَ، فِي الشَّهْرِ الرَّابِعِ، فِي الْخَامِسِ مِنَ الشَّهْرِ، وَأَنَا بَيْنَ الْمَسْبِيَّينَ عِنْدَ نَهْرِ خَابُورَ، أَنَّ السَّمَاوَاتِ انْفَتَحَتْ، فَرَأَيْتُ رُؤْيَ اللَّهِ..... ٢ فِي الْخَامِسِ مِنَ الشَّهْرِ، وَهِيَ السَّنَةُ الْخَامِسَةُ مِنْ سَبْيِ يُوْيَاكِينَ الْمَلِكِ، ٣ صَارَ كَلَامُ الرَّبِّ إِلَيَّ حَزَقِيَالَ الْكَاهِنِ ابْنِ بُوزِي فِي أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ عِنْدَ نَهْرِ خَابُورَ. وَكَانَتْ عَلَيْهِ هُنَاكَ يَدُ الرَّبِّ. ٤ فَتَنَظَرْتُ وَإِذَا بِرِيحٍ عَاصِفَةٍ جَاءَتْ مِنَ الشَّمَالِ. سَحَابَةٌ عَظِيمَةٌ وَنَارٌ مُتَوَاصِلَةٌ وَحَوَلَهَا لَمَعَانٌ، وَمِنْ وَسْطِهَا كَمَنْظَرِ الثَّحَالِ اللَّامِعِ مِنْ وَسْطِ النَّارِ. ٥ وَمِنْ وَسْطِهَا شِبْهُ أَرْبَعَةِ حَيَوَانَاتٍ. وَهَذَا مَنْظَرُهَا: لَهَا شِبْهُ إِنْسَانٍ..... ٢٢ وَعَلَى رُؤُوسِ الْحَيَوَانَاتِ شِبْهُ مُقَبَّبٍ كَمَنْظَرِ الْبُلُورِ الْهَائِلِ مُنْتَشِراً عَلَى رُؤُوسِهَا مِنْ فَوْقُ..... ٢٦ وَفَوْقَ الْمُقَبَّبِ الَّذِي عَلَى رُؤُوسِهَا شِبْهُ عَرْشٍ كَمَنْظَرِ حَجَرِ الْعَقِيقِ الْأَزْرَقِ، وَعَلَى شِبْهِ الْعَرْشِ شِبْهُ كَمَنْظَرِ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقُ)^(٢).

وما جاء أيضاً في سفر الملوك الأول: (١٩ وَقَالَ: «فَاسْمَعْ إِذَا كَلَّمَكَ الرَّبُّ: قَدْ رَأَيْتُ الرَّبَّ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَكُلُّ جُنْدِ السَّمَاءِ وَقُوفٌ لَدَيْهِ عَنِ يَمِينِهِ وَعَنِ يَسَارِهِ»)^(٣).

١. الكتاب المقدس: سفر حزقيال، الإصحاح ١، ٢٦.

٢. الكتاب المقدس: سفر حزقيال، الإصحاح ١، ٢٦-٢٧.

٣. الكتاب المقدس: سفر الملوك الأول، الإصحاح ٢٢، ١٩.

وفي سفر عاموس: (١) رَأَيْتُ السَّيِّدَ قَائِمًا عَلَى الْمَذْبِجِ، فَقَالَ: «إِضْرِبْ تَاجَ الْعُمُودِ حَتَّى تَرْجُفَ الْأَعْتَابُ، وَكَسِّرْهَا عَلَى رُؤُوسِ جَمِيعِهِمْ، فَأَقْتُلْ آخِرَهُمْ بِالسَّيْفِ. لَا يَهْرُبُ مِنْهُمْ هَارِبٌ وَلَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ نَاجٌ»^(١).

ثم يفسّر الراي روزنفلد خصوصية الهيئة البشرية دون هيئة الكائنات الأخرى، إذ اعتبر أن الشكل البشري هو في بعض المعاني الشكل المثالي للحياة، وهو أقرب تمثيل لله يمكن أن يُصوّر في ذهن الإنسان. والواقع أن جزءاً من فكرة أن الإنسان خلق على (صورة الله)^(٢) هو أن هيئته -على المستوى المادي- توازي الجوهر الإلهي لله. ولكن لا ينبغي لنا أن نأخذ مثل هذه الآيات بمعنى أن هذا هو شكل الله الحقيقي أو أن الإنسان يستطيع أن يرى الله على الإطلاق.

فكما يقول الله نفسه لموسى (لَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ)^(٣)، فإن رؤية الله -وهو الموجد والمصدر اللامتناهي للوجود- ليست ممكنة مادياً للبشر المحدودين، حتى لو كان هناك شيء يمكنهم رؤيته نظرياً.

وأما ما ذكر في التوراة حول رؤية بناء من الطوب الياقوتي تحت (قدمي) الله فقد جاء -بحسب المدرّاش- تذكيراً من الله لبني إسرائيل لأحوال العبودية الصعبة التي عاشوها في مصر قبل الخروج، حيث كان الكثير من عملهم يتضمن صنّع الطوب^(٤).

نعود لكلام البروفيسور سيسكن... فبعد أن عرض الرأي الأول، عرج على الرأي

١. الكتاب المقدس: سفر عاموس، الإصحاح ٩، ١.

٢. جاء في الإصحاح ١ من سفر التكوين من الكتاب المقدس: (٢٧) فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ).

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج ٣٣، ٢٠.

الثاني والذي يمثله العديد من علماء الكتاب المقدس، حيث يرفضون هذا التأويل للمراد من رؤية الله في النص التوراتي، باعتباره إسقاطاً لاحقاً للتفكير الفلسفي على التوراة، التي تُقدّم غالباً الحضور الإلهي في مصطلحات مادية، وعليه فإن الرؤية متحققة بالعين، ولا حاجة لتأويل ذلك، بل يجب الأخذ بظاهر النصوص كما هي، وهو ما عبّرت عنه (كارول مايرز) من جامعة ديوك: (ومن اللافت أن الإنسان في هذا المقطع، على عكس المقاطع الأخرى التي تروي لقاءات موسى المباشرة مع الله، يستطيع أن يرى الله بشكل مباشر بدلاً من أن يرى حضوراً يتجلّى في المجد الإلهي أو السحابة)^(١).

أمام هذين الرأيين، يأتي رأي ثالث طرحه البروفيسور (سيسكن) يرفض فيه التأويل الفلسفي الذي قدّمه موسى بن ميمون وآخرون بادّعاء الرؤية القلبية، كما يرفض فيه الأخذ بظاهر النص حرفياً بما يستدعي تصحيح القول بتجسّم الذات الإلهية ورؤيته بالعين المجردة. فقد قدّم سيسكن اتجاهًا ثالثاً في المراد من (رؤية وجه الله) أو (رؤيته وجهاً لوجه)، حين اعتبر أن العبارة من المجاز، وأن رؤية موسى لوجه الله -حرفياً- عندما يتحدّثان ليست هي المعنى الأصلي للعبارة.

ففي تنمة هذا الإصحاح نفسه، وفي خضم المحادثة التي تبدو وجهاً لوجه بين موسى والرب، يقدّم موسى طلباً جاء بالعبرية كالآتي: שמות לג'יח ויאמר ה'אני נא את ה'אני. والذي طلب موسى رؤيته بحسب اللفظ العبري ה'אני (كافود) ويمكن أن يعني (مجد)، (شرف)، (حضور)، (نور مشتعل)، إلخ، ولكن من غير المؤكد ما الذي

1. Carol Meyers, Exodus, The New Cambridge Bible Commentary (Cambridge: Cambridge University Press, 2005), 263.

طلبه في هذا السياق على وجه التحديد.

يضيف سيسكن: من الواضح أن موسى يسعى الآن إلى علاقة خاصة أكبر مع الرب، لكننا لا نعرف بالضبط ما طلب رؤيته. على أية حال، فإن ردّ يهوه^(١) يعني أن موسى طلب أن ينظر إلى يهوه مباشرة. قال يهوه: (لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ)^(٢).

لقد أصبح موسى أكثر جرأة منذ لقائه الأول بالإله عند شجرة العليقة المشتعلة^(٣)، حيث أخفى موسى آنذاك وجهه لتجنب النظر مباشرة إلى الحضور الإلهي: (..... فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللَّهِ)^(٤).

في هذا اللقاء الأول -بحسب سيسكن- أظهر موسى تواضعاً رائعاً من خلال تغطية وجهه. أما لاحقاً، فإننا نجد أن موسى يرغب في معرفة الله بشكل أكثر خصوصية، ولكن قيل له، بعبارة لا لبس فيها، أنه لا أحد، حتى هو، يستطيع أن يرى وجه الرب. وهذا يشير إلى أن عبارة [وجهاً لوجه] لا يمكن أن تعني حرفياً أن موسى ويهوه يواجهان بعضهما البعض وينظران إلى بعضهما البعض أثناء حديثهما. فماذا قد يعني ذلك إذاً؟

لتوضيح وجهة نظره، لجأ البروفيسور سيسكن إلى نص وارد في الإصحاح ١٢ من سفر العدد، والذي يتحدث عن موقف سلبي صادر من مريم أخت موسى وهارون

١. أي الله.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٣، ٢٠.

٣. أي عند مبعثه.

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣، ٦.

أخيها -معاً- تجاه النبي موسى حين تزوج من امرأة (كوشية)^(١)، وفي كلامهما -بحسب النص- ما يدل على الحسد: (٢) فَقَالَا: «هَلْ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَحْدَهُ؟ أَلَمْ يُكَلِّمْنَا نَحْنُ أَيْضًا؟» فَسَمِعَ الرَّبُّ..... ٥ فَزَلَّ الرَّبُّ فِي عَمُودٍ سَحَابٍ وَوَقَفَ فِي بَابِ الْحَيْمَةِ، وَدَعَا هَارُونَ وَمَرِيمَ فَخَرَجَا كِلَاهُمَا. ٦ فَقَالَ: «اسْمَعَا كَلَامِي. إِنْ كَانَ مِنْكُمْ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ، فَبِالرُّؤْيَا أَسْتَعْلِنُ لَهُ. فِي الْخُلُمِ أَكَلَّمُهُ. ٧ وَأَمَّا عَبْدِي مُوسَى فَلَيْسَ هَكَذَا، بَلْ هُوَ أَمِينٌ فِي كُلِّ بَيْتِي. ٨ فَمَا إِلَى فِيمَ وَعَيَانًا أَتَكَلَّمَ مَعَهُ، لَا بِالْأَلْعَازِ. وَشَبَهَ الرَّبُّ يُعَايِنُ. فَلِمَادَا لَا تَخْشَيَانِ أَنْ تَتَكَلَّمَا عَلَى عَبْدِي مُوسَى؟»^(٢).

فقد اعتبر البروفيسور سيسكن أن النص السابق يوازي تعبير (وجهاً لوجه)، بل ويوضح أهميته ودلالته، قال: (إن التحدّث من فم إلى فم يعني أن رسائل الله إلى موسى واضحة ومباشرة، وأن موسى لم يكن يحلم عندما سمع هذه الرسائل، بل كان مستيقظاً وفي كامل قواه العقلية، وأقترح أن عبارة [وجهاً لوجه] تحمل معنى مماثلاً لما جاء في هذا النص. إن عبارة [وَشَبَهَ الرَّبُّ يُعَايِنُ] لا تعني أن موسى يرى وجه الرب. إن كلمة תמונה المترجمة هنا إلى [شبه] تشير في العبرية التوراتية إلى الشكل المادي لشيء ما. لقد سمح الله لموسى برؤية نوع من التجليات البصرية للرب، ولكن لا يوجد سبب للقول إنه كان بإمكانه رؤية شفقيّ الرب تتحركان. لذا، فإن [فَمَا إِلَى فِيمَ] يمكن فهمها على أفضل وجه باعتبارها تعبيراً مجازياً يشير إلى الوضوح والقرب، وليس إشارة حرفية إلى سمات تُشبه ملامح الإنسان. وأقترح أن الأمر نفسه ينطبق على [وَجْهًا لَوَجْهِه]. والذي يؤكّد ذلك ما جاء في الإصحاح الخامس من سفر التثنية على لسان

١. أقيمت مملكة كوش في النوبة التي هي جزء من جنوب مصر وشمال السودان.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٢، ٢-٨.

موسى حين تحدّث عن خطاب الله بني إسرائيل قائلاً: [٤] وَجْهًا لَوَجْهِ تَكَلَّمَ الرَّبُّ مَعَنَا فِي الْجَبَلِ مِنْ وَسَطِ النَّارِ^(١)، فعلى الرغم من أن الرب كان على قمة الجبل، محاطاً بالنار، وكان الإسرائيليون خائفين للغاية من الصعود إلى الجبل وكانوا في أسفل الجبل، إلا أن اللقاء وُصف بأنه كان [وجهاً لوجه]، على الرغم من الإصحاح السابق الذي أشار إلى قول موسى بأنهم لم يروا صورة على الجبل، بل سمعوا صوتاً فقط. إذاً من الواضح أن الناس لم يتمكنوا، على الأكثر، من رؤية أي شيء على الجبل، ولربما رأوا شكلاً غامضاً من تلك المسافة فحسب. لذلك، زعم العديد من علماء الكتاب المقدس أن عبارة وجهاً لوجه يجب تفسيرها مجازياً، ويبدو لي أن هذه هي القراءة الصحيحة^(٢).

وحول ما جاء في سفر الخروج من أن الله قال لموسى أنه يستطيع أن يراه من ورائه بعد أن يجتازه، قال البروفيسور سيسكن: ([٢١] وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا عِنْدِي مَكَانٌ، فَتَقِفْ عَلَى الصَّخْرَةِ. ٢٢ وَيَكُونُ مَعِيَ اجْتِازَ مَجْدِي، أَيْ أَصْعَكَ فِي نُفْرَةٍ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَأَسْتُركَ بِيَدِي حَتَّى أَجْتَازَ. ٢٣ ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنْظُرُ وَرَائِي، وَأَمَّا وَجْهِي فَلَا يَرَى»]. الوصف الوارد هنا هو وصف بشري للغاية، ويبدو كما لو أن الرب سوف يمشي بجانب موسى، الذي سيغطي عينيه إلى أن يجتاز فلا يكون مرئياً سوى [الظهر الإلهي].

لكن هذه الآية متداخلة في دلالتها مع آية سابقة: [١٩] فَقَالَ: «أُجِيزُ كُلَّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ. وَأَتَرَاءُفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءُفُ، وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ»]. ما هي [جودة = كافود = kavod] الرب؟ هل هي شيء مادي؟ من الصعب أن نتصور أنها مجرد إشارة إلى ظهر مادي. في الإصحاح التالي، عندما يحدث المرور، يكون الوصف

١. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٥، ٤.

2. <https://www.thetorah.com/article/did-yhwh-speak-to-moses-face-to-face>

مجرداً بنفس القدر: [٥ فَتَزَلَّ الرَّبُّ فِي السَّحَابِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ. ٦ فَاجْتَاَزَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: «الرَّبُّ إِلَهٌ رَحِيمٌ وَرَوْوْفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الْإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ»^(١).

تبرز عدة عناصر، أولاً، ينزل الرب في سحابة، مما يعني أنه لن يكون من الممكن رؤيته بوضوح. ثانياً، عندما يمرّ الرب بموسى، لا نسمع شيئاً عن أجزاء الجسم أو الحركات، بدلاً من ذلك، يُعطى لنا وصف طويل لصفات الذات الإلهية. من الواضح أن هذا هو معنى [جودة] الرب. بدلاً من أن يتفاجأ موسى بهذا، يتفاعل كما لو أنه تلقى الإجابة التي يريد: [٨ فَاسْرَعَ مُوسَى وَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ وَسَجَدَ. ٩ وَقَالَ: «إِنْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ أَيُّهَا السَّيِّدُ فَلْيَسِّرِ السَّيِّدُ فِي وَسْطِنَا، فَإِنَّهُ شَعْبٌ صُلْبُ الرِّقَبَةِ. وَاعْفِرْ إِثْمَنَا وَخَطِيئَتَنَا وَاتَّخِذْنَا مُلْكًا»^(٢). يبدو إذاً أن موسى لم يطلب رؤية كافود kavod الرب من باب الفضول، بل كان يتطلع إلى إقامة علاقة أوثق مع الرب حتى يشعر بالثقة في أن الرب سيرافق الشعب في رحلتهم ويغفر لهم عندما يضلون. لماذا إذاً يصوّر النص عرض الرب [فَتَنْظُرُ وَرَائِي، وَأَمَّا وَجْهِي فَلَا يَرَى] بهذه الصيغة المادية؟

تلعّب التشبيهات التجسيدية والتشبيهات الخاصة بإسناد المشاعر والأنماط الفكرية البشرية إلى الله دوراً مهماً في السرديات التوراتية. في العديد من الحالات، نجد تعبيرات من قبيل [الذراع الممدودة] أو [فتحات الأنف المتسعة]، ومن الواضح أنها تعبيرات مجازية. في حين أن السرد في سفر الخروج ٣٣ يبدو تعبيراً حقيقياً، ولكنني أقترح أنه هنا أيضاً مجازي، حيث جاء التشبيه لتعزيز فكرة رئيسة في سفر الخروج،

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ٥-٦.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ٨-٩.

وهي أن هوية الرب ستظل دائماً غير معروفة. كانت هذه رسالة الرب إلى موسى عندما طلب اسم الله عند لقاءهما عند العليقة المشتعلة: [١٣] فَقَالَ مُوسَى لِلَّهِ: «هَا أَنَا آتِي إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَقُولُ لَهُمْ: إِلَهَ آبَائِكُمْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. فَإِذَا قَالُوا لِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟» ١٤ فَقَالَ اللَّهُ لِمُوسَى: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهُ». وَقَالَ: «هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ»^(١).

في حين أن الله سيجيب على السؤال بطريقة مباشرة في الآية التالية: [١٥] وَقَالَ اللَّهُ أَيُّضًا لِمُوسَى: «هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهُوَهَ إِلَهَ آبَائِكُمْ، إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهَ إِسْحَاقَ وَإِلَهَ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هَذَا اسْمِي إِلَى الْأَبَدِ وَهَذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ»^(٢) كاشفاً عن اسم يهوه، فإن هذه الإجابة غير المباشرة تؤكد أن مجرد تعلم موسى والشعب لاسم يهوه لا يعني أنهم يستطيعون حقاً فهم إله غامض إلى هذا الحد.

يتناقض هذا التصوير للإله بشكل حاد مع الأساطير اليونانية، حيث كان من السهل الوصول إلى آلهتهم المذكرة والمؤنثة، لأنهم كانوا يشبهون البشر، ويرتدون ملابس البشر، ويعرضون مجموعة كاملة من المشاعر البشرية، ويمارسون الجنس مع شركاء بشريين. إنَّ ما تضيفه قصة لقاء موسى على جبل سيناء هو أن أفضل ما يمكن لأي إنسان أن يفعله في التقرب من الرب هو أن يتعلم الطرق التي يتعامل بها الرب مع العالم. إن السبب النهائي لأفعال الرب سوف يظل مخفياً، هذا هو المعنى المجازي لما جاء في قوله: [فَتَنْظُرُ وَرَائِي، وَأَمَّا وَجْهِي فَلَا يَرَى]^(٣).

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣، ١٣-١٤.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣، ١٥.

3. <https://www.thetorah.com/article/did-yhwh-speak-to-moses-face-to-face>

في نهاية مقالته، يشير البروفيسور سيسكن إلى ما يعتقد أنه السبب في استعمال اللغة المجازية، والتعبير بالاستعارة: (وجهاً لوجه)، معتبراً أن مؤلفي الكتاب المقدس افترضوا إلى مفردات تقنية لوصف الله.

ووفقاً لبعض الرؤى الفلسفية -يضيف سيسكن- لا توجد مفردات، مهما كانت دقيقة، يمكنها أن تقوم بذلك، لأن كمال الله في التحليل النهائي لا يمكن وصفه. ويمكن قول الشيء نفسه عن الطريقة الدقيقة التي يتواصل بها الله مع البشر. لا ينبغي لنا أن ندهش إذاً من استخدام مجموعة متنوعة من الكلمات أو الأدوات الأدبية لنقل لقاء موسى بالله. ولا ينبغي لنا أن ندهش أيضاً من أن مؤلفي الكتاب المقدس استخدموا التشبيهات والاستعارات بشكل متكرر كما فعل هوميروس وأسخيلوس وشكسبير وغيرهم من المؤلفين العظماء.

إن التوراة -بحسب سيسكن- كتاب متعدد الأوجه، يحتوي على كل شيء، من السرد الملحمي إلى الشعر إلى المثل إلى الحكم التشريعي. بعض المقاطع تهدف إلى الإقناع، وبعضها الإلهام، وبعضها التخويف، وبعضها الإعلام. نظراً لجميع الإشكالات التي تنطوي عليها محاولة القدماء وصف لقاء الإنسان مع الله، فإن (وجهاً لوجه) هو أفضل تعبير يمكن للمرء أن يأمله^(١).

• المعتقد اليهودي حول التجسيم:

ما سبق يؤكد وجود نزاعات بين المدارس اليهودية -قديماً وحديثاً- في مسألة تجسيم وتشبيه الذات الإلهية، ولا يصح نسبتها لكل اليهود، فنجد على سبيل المثال على موقع Jewish Virtual Library (المكتبة الافتراضية اليهودية) وتحت عنوان (المفاهيم

1. <https://www.thetorah.com/article/did-yhwh-speak-to-moses-face-to-face>

اليهودية: طبيعة الله) Jewish Concepts: The Nature of God ما ترجمته:

لا يوجد سوى إله واحد. لم يشاركه أي كائن آخر في الخلق. إنه كيان واحد كامل لا يتجزأ. لا يمكن تقسيمه إلى أجزاء أو وصفه بصفات^(١). أي محاولة لنسب صفات إلى يَهُوه [=الله] ما هي إلا محاولة غير كاملة من جانب الإنسان لفهم اللانهائي.

الله هو الموجود الوحيد الذي يجب أن نسبحه ونعبده...

لقد خلق الله كل شيء في الكون، وبواسطة الله وحده. ترفض اليهودية تماماً الفكرة الثنائية القائلة بأن الشر خلقه الشيطان أو أي إله آخر. كل شيء يأتي من الله....

على الرغم من أن العديد من الأماكن في الكتاب المقدس والتلمود تتحدث عن أجزاء مختلفة من جسد الله [يد الله، أجنحة الله، إلخ] أو تتحدث عن الله بمصطلحات مجسمة [الله يمشي في جنة عدن، الله يضع التيفيلين^(٢)، إلخ]، إلا أن اليهودية تؤكد بقوة أن الله ليس له جسد. وأي إشارة إلى جسد الله هي مجرد مجاز، وسيلة لجعل أفعال الله أكثر قابلية للفهم من قبل الكائنات التي تعيش في عالم مادي. ويخصّص موسى بن ميمون الكثير من كتابه [دليل الحائرین] لشرح كل من هذه الإشارات المجسّمة وإثبات أنه يجب فهمها مجازياً.

يُحظر علينا تمثيل (تشكيل / تصنيع) الله في شكل مادي، فهذا يعتبر عبادة وثنية.

١. وهذا شبيه بما جاء في [سورة التوحيد: ١-٢]: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ﴾.

٢. اسم يطلق على صندوقين جليدين أسودين (مفردهما: "تيفيلا") بأشرطة يضعهما اليهود البالغون في صلاة الصباح في أيام الأسبوع، ويرتدونه على الجبهة والجزء العلوي من الذراع. وهما بمثابة التّيمة يحتويان على نصوص من التّوراة، فالأول يحتوي على أول عشرة آيات من الإصحاح الثالث عشر من سفر التثنية، والثاني آيات من سفر الخروج الإصحاح السادس والحادي عشر.

إن خطيئة حادثة العجل الذهبي لم تكن أن الناس اختاروا إلهاً آخر، بل أنهم حاولوا تمثيل الله في شكل مادي. الله ليس ذكراً ولا أنثى. هذا ينبع مباشرة من حقيقة أن الله ليس له شكل مادي. الله ليس له جسد ولا أعضاء تناسلية، وبالتالي فإن فكرة أن الله ذكر أو أنثى هي فكرة سخيفة بشكل واضح. نحن نشير إلى الله باستخدام مصطلحات مذكر لمجرد التيسير في التعبير، لأن اللغة العبرية ليس لها جنس محايد^(١).

في مقابل هذا الرأي الصريح في نفي التجسيم، وأن أية عبارة موجودة في النصوص التوراتية أو التلمودية هي لتقريب الفكرة لا أكثر، وأنها من التعبيرات المجازية، تبني قسم من اليهود مقولة التجسيم ودافعوا عنها بقوة وبحجة الالتزام والأخذ بظاهر النصوص والمنع من التأويل، ويمكن أن يُعبّر عن هذا بالاتجاه السلفي بين المدارس اليهودية المختلفة.

يقول الأستاذ في الدراسات اللاهوتية (بنيامين د. سومر) Benjamin D. Sommer اليهودي المتخصص بدراسات الكتاب المقدس: (أعتقد أنّ جسد الله يختلف عن جسدنا بالنسبة لبعض مؤلفي الكتاب المقدس، لأنّ جسد الله مصنوع من شيء شديد السطوع، شيء يشبه النار قليلاً، لكنه أكثر سطوعاً وقوة بكثير. عندما أقول إن الله له جسد أو أن أي شيء له جسد، فإن ما أعنيه هو أنه يمكن أن تكون موجوداً في مكان محدّد في وقت محدّد، مهما كان الشكل، مهما كانت المادة. جسد الله مصنوع من الطاقة، وليس من اللحم، وليس من المادة)^(٢).

1. <https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-nature-of-g-d#:~:text=He%20is%20a%20single%2C%20whole,parts%20or%20described%20by%20attributes.>

2. <https://thebiblefornormalpeople.com/interview-with-benjamin-d-sommer-does-god-have-a-body>

• بين التجسيم اليهودي والتراث الإسلامي:

كان لنا حديث سابق ومتكرر حول التأثير السلبي لمسلمة اليهود والنصارى - ولا سيما الأقباط والرهبان منهم - على التراث الإسلامي، على مستوى تفسير وتأويل القرآن الكريم، والمسائل العقيدية والتاريخ، وأخبار وأحداث المستقبل (الفتن والملاحم)، وحتى بعض الأبواب والمسائل الشرعية.

ومن القضايا التي تأثرت بشكل واضح وكبير ما له علاقة بصفات الله «سبحانه»، ولا سيما مسألة التجسيم والتشبيه ورؤية الذات الإلهية في الدنيا وفي الآخرة وفي المنامات. وقد انبرى أئمة أهل البيت «عليهم السلام» لمواجهة هذه الفكرة، بالبيان والدليل، ومن ذلك قول أمير المؤمنين علي «عليه السلام» كما هو المروي عند في أول خطبة من خطب نهج البلاغة: (أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِّيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِّيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لَشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ. فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ «سَبْحَانَهُ» فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهَلَهُ، وَمَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّه، وَمَنْ حَدَّه فَقَدْ عَدَّه، وَمَنْ قَالَ فِيمَ؟ فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ عَلَامَ؟ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ. كَأَنَّ لَا عَنْ حَدَثٍ، مُوجُودٍ لَا عَنْ عَدَمٍ....)^(١).

وفي كتاب (التوحيد) للشيخ الصدوق: (عن حماد، قال: قال أبو عبد الله «عليه السلام»: كَذِبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ «عَزَّ وَجَلَّ» مِنْ شَيْءٍ أَوْ فِي شَيْءٍ أَوْ عَلَى شَيْءٍ)^(٢).

١. الرضي: نهج البلاغة، الخطبة ١.

٢. الصدوق: التوحيد، ص ٣١٧.

وفي رواية أخرى رواها الكليني بالسند عن الإمام الصادق «عليه السلام» حول ادّعاء جسمية الذات الإلهية: (... الجسم محدود متناه، والصورة محدودة متناهية، فإذا احتمل الحدّ، احتمل الزيادة والنقصان، وإذا احتمل الزيادة والنقصان، كان مخلوقاً. قال: قلت: فما أقول؟ قال: لا جسم ولا صورة، وهو مُجَسَّم الأجسام ومُصَوَّر الصور، لم يتجزأ ولم يتناه ولم يتزايد ولم يتناقص، لو كان كما يقولون لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق، ولا بين المُنشئ والمُنشأ، لكن هو المنشئ، فرقٌ بين مَنْ جَسَّمه وصوَّره وأنشأه، إذ كان لا يُشبهه شيء، ولا يشبهه شيءاً^(١).

وحول تغلغل فكرة التجسيم والتشبيه في التراث الإسلامي قال العلامة الشيخ جعفر السبحاني: (فما ترى في كتب الحديث قديماً وحديثاً من الأخبار الكثيرة حول التجسيم، والتشبيه، والقدر السالب للاختيار والرؤية ونسبة المعاصي إلى الأنبياء، فكل ذلك من آفات المستسلمة من اليهود والنصارى.

فقد حسبها المسلمون حقائق راهنة وقصصاً صادقة فتلقَّوها بقبول حسن، نشرها السلف بين الخلف، ودام الأمر على ذلك. ومن العوامل التي فسحت المجال للأخبار والرهبان لنشر ما في العهدين بين المسلمين، النهي عن تدوين حديث الرسول «صلى الله عليه وآله» ونشره ونقله والتحدّث به أكثر من مائة سنة، فأوجد الفراغ الذي خلفه هذا العمل أرضية مناسبة لظهور بدع يهودية ونصرانية وسخافات مسيحية وأساطير يهودية، خصوصاً من قبل الكهنة والرهبان.

فهذا هو تميم بن أوس الداري من رواة الأساطير، وقد أسلم سنة تسع للهجرة، وهو أول من قصّ بين المسلمين واستأذن عمر أن يقصّ على الناس قائماً، فأذن له، وكان

١. الكليني: الكافي، ج ١، ص ١٠٦.

يسكن المدينة، ثم انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان. ولما سمحت الظروف لمثل هذا الكتابي أن يتحدّث بما تعلم في حياته السابقة ومنع من أراد التحدّث بحديث الرسول، لذا كان المجال خصباً لنشر الأساطير والعقائد الخرافيّة. يقول الشهرستاني: وضع كثير من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام أحاديث متعدّدة في مسائل التجسيم والتشبيه وكلّها مستمدة من التوراة....

قال ابن خلدون: إن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنّما غلبت عليهم البداوة والأميّة، وإذا تشوّقوا إلى معرفة شيء ممّا تنوّق إليه النفوس البشريّة في أسباب المكوّنات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنّما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى، مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم، فامتلاّت التفاسير من المنقولات عندهم وتساهل المفسّرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها كلّها كما قلنا من التوراة أو ممّا كانوا يفترّون.

ومن أكابر أحبار اليهود الذين تظاهروا بالإسلام هو كعب الأحبار... قال الذهبي: [العلامة الحبر الذي كان يهوديّاً فأسلم بعد وفاة النبي، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر «رضي الله عنه» وجالس أصحاب محمّد، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيليّة ويحفظ عجائب - إلى أن قال - حدث عنه أبو هريرة ومعاوية وابن عبّاس، وذلك من قبيل رواية الصحابي عن تابعي، وهو نادر عزيز، وحدث عنه أيضاً أسلم مولى عمر وتبيع الحميري ابن امرأة كعب، وروى عنه عدّة من التابعين كعطاء بن يسار وغيره مرسلًا، وقع له رواية في سنن أبي داود والترمذي والنسائي....].

وقد تنبّه إلى جسامّة الخسارة التي أحدثها ذلك الحبر لفيف من القدماء، منهم

ابن كثير في تفسيره، حيث أنه بعدما أورد طائفة من الأخبار في قصة ملكة سبأ مع سليمان، قال: [والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم، كروايات كعب وهب -ساحهما الله «تعالى»- في ما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد^(١) والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن، ومما حُرّف وبُدِّل ونُسِخ، وقد أغنانا الله «سبحانه» عن ذلك بما هو أصحّ منه وأنفع وأوضح وأبلغ].

والذي يدلّ على عمق مكره وخداعه لعقول المسلمين أنه ربّما ينقل شيئاً من العهدين، وفي الوقت ذاته نرى أن بعض الصحابة الذين تتلمذوا على يديه وأخذوا منه ينسب نفس ما نقله إلى الرسول! والذي يبرر ذلك العمل حسن ظنّهم وثقتهم به، فحسبوا المنقول أمراً واقعياً، فنسبوه إلى النبي زاعمين أنه إذا كان كعب الأخبار عالماً به فالنبي أولى بالعلم منه.

فإن كنت في شكّ من ذلك فاقراً نصّين في موضوع واحد أحدهما للإمام الطبري في تاريخه ينقله عن كعب الأخبار في حشر الشمس والقمر يوم القيامة، والآخر للإمام ابن كثير صاحب التفسير ينقله عن أبي هريرة عن النبي الأكرم، ومضمون الحديث ينادي بأعلى صوته بأنه موضوع مجعول على لسان الوحي، نشره الخبر الخادع وقبلة الساذج من المسلمين:

١- قال الطبري: عن عكرمة، قال: [بيننا ابن عباس ذات يوم جالس إذ جاءه رجل فقال: يا ابن عباس، سمعت العجب من كعب الخبر يذكر في الشمس والقمر، قال: وكان متكئاً فاحتفز ثم قال: وما ذاك؟ قال: زعم يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة

١. أوابدُ الكلام: غرائبُه.

كأنهما ثوران عقيران فيُقذفان في جهنم، قال عكرمة: فطارت من ابن عباس شقة ووقعت أخرى غضباً^(١)، ثم قال: كذب كعب، كذب كعب، كذب كعب، ثلاث مرّات، بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام، الله أجل وأكرم من أن يعذب على طاعته، ألم تسمع قول الله «تبارك وتعالى»: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾^(٢)، إنّما يعني دؤوبهما في الطاعة، فكيف يعذب عبيد يثني عليهما أنّهما دائبان في طاعته؟ قاتل الله هذا الحبر وقبح خبريته، ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبيد المطيعين لله، قال: ثم استرجع مراراً^(٣).

٢- قال ابن كثير: روى البزار، عن عبد العزيز بن المختار، قال: [سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن في هذا المسجد [مسجد الكوفة] وجاء الحسن^(٤) فجلس إليه فحدث، قال: حدّثنا أبو هريرة أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال: إن الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة. فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدثك عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وتقول [أحسبه قال]: وما ذنبهما؟ ثم قال: لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه^(٥).

إنّ المتفحص فيما نقل عن ذلك الحبر يقف على أنّه كان يركز على فكرتين يهوديتين: الأولى فكرة التجسيم، والثانية رؤية الله «تعالى»^(٦).

١. كأن قطعة منه انفصلت عنه كناية عن شدة غضبه.

٢. سورة إبراهيم: ٣٣.

٣. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٤٤.

٤. الحسن البصري.

٥. ابن كثير: تفسير القرآن، ج ٤، ص ٤٧٥.

٦. السبحاني: رؤية الله في ضوء الكتاب والسنة والعقل، ١٦-٢٢.

ويمكن أن نجد شواهد عدة من هذا القبيل، ومن بينها ما جاء في كتاب (الإبانة الكبرى) لعبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي المعروف بابن بطة: (حدثنا القافلائي ... أن كعب الكتابين كان يقول: إن الله «عز وجل» نظر إلى الأرض، فقال: إني واطئ على بعضك، فاستبقت إليه الجبال، وتضعضت الصخرة، فشكر الله لها ذلك، فوضع قدمه عليها ثم قال «عز وجل»: هذا مقامي، ومحشر خلقي، وهذه جنتي وناري، وموضع ميزاني، وأنا ديان الدين)^(١).

وفي تفسير القرطبي: (وذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن كعب قال: إن الله «تبارك وتعالى» قسم كلامه ورؤيته بين محمد وموسى «صلى الله وسلم عليهما» فكلمه موسى مرتين، وراه محمد «صلى الله عليه وسلم» مرتين)^(٢).

وحيث تغلغلت هذه الفكرة من خلال ما طرحه مسلمة أهل الكتاب، تحولت إلى مفردة عقدية تتنازع حولها المذاهب الإسلامية، إذ قال البعض بالتجسيم كما مر معنا في هذا الفصل، ومن ذلك كلام ابن خزيمة في كتابه التوحيد وإثبات الصفات، وفي مقابل هذا الرأي المجسم للذات الإلهية، يبرز رأي آخر ينفي ذلك تماماً، قال فخر الدين الرازي في قوله «تعالى»: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣): (احتج علماء التوحيد قديماً وحديثاً بهذه الآية في نفي كونه «تعالى» جسماً مركباً من الأعضاء والأجزاء وحاصلاً في المكان والجهة، وقالوا: لو كان جسماً لكان مثلاً لسائر الأجسام، فيلزم حصول الأمثال والأشباه له، وذلك باطل بصريح قوله «تعالى»: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾).

١. ابن بطة: الإبانة الكبرى، ح ٢٦٢.

٢. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٢٥١.

٣. سورة الشورى: ١١.

ويمكن إيراد هذه الحجة على وجه آخر، فيقال إما أن يكون المراد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ في ماهيات الذات، أو أن يكون المراد ليس كمثله في الصفات شيء، والثاني باطل، لأن العباد يوصفون بكونهم عالمين قادرين، كما أن الله «تعالى» يوصف بذلك، وكذلك يوصفون بكونهم معلومين مذكورين، مع أن الله «تعالى» يوصف بذلك، فثبت أن المراد بالمماثلة المساواة في حقيقة الذات، فيكون المعنى أن شيئاً من الذوات لا يساوي الله «تعالى» في الذاتية، فلو كان الله «تعالى» جسماً، لكان كونه جسماً ذاتاً لا صفة، فإذا كان سائر الأجسام مساوية له في الجسمية، أعني في كونها متحيزة طويلة عريضة عميقة، فحينئذ تكون سائر الأجسام مماثلة لذات الله «تعالى» في كونه ذاتاً، والنص ينفي ذلك فوجب أن لا يكون جسماً.

واعلم أن محمد بن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية في الكتاب الذي سماه بـ [التوحيد]، وهو في الحقيقة كتاب الشرك، واعترض عليها، وأنا أذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات، لأنه كان رجلاً مضطرب الكلام، قليل الفهم، ناقص العقل، فقال:^(١) ثم ذكر الرازي بعضاً مما أوردناه عن ابن خزيمة.

• نتائج الفصل و خلاصته:

○ اختلف مفسرو القرآن الكريم حول طلب النبي موسى رؤية الله، هل كانت عن رغبة شخصية أم استجابة لطلب قومه؟ وهل المراد بذلك طلب الرؤية بالعين أم الرؤية القلبية؟

○ رؤية الذات الإلهية مسألة خلافية بين علماء المذاهب الإسلامية، فمنهم من ينفي

١. الفخر الرازي: مفاتيح الغيب، ج ٢٧، ص ١٤٩-١٥٠.

ذلك في الدنيا والآخرة، ومنهم من ينفي ذلك في الدنيا ويثبته في الآخرة، ومنهم من يثبت ذلك في المنام في الدنيا، وفي الآخرة، ومنهم من يثبت ذلك في الدنيا والآخرة، وغير ذلك من تفاصيل انتهت بحسب الأشعري إلى تسعة عشر رأياً.

○ واختلفت تأويلات أهل الكتاب أيضاً للنص الوارد في التوراة حول طلب النبي موسى رؤية الله، فمنهم من قال بعدم إمكانية رؤية وجه الله على الخصوص، ومنهم من ذهب إلى القول باستحالة رؤية الله، ومنهم من أجاز كل ذلك، ومنهم من اعتبر أن النصوص التوراتية تتحدث بلغ المجاز، وهو ما يستتبع الخلاف فيما بينهم حول مسألة تجسيم الذات الإلهية.

○ انعكست متبنيات القدماء من أحبار اليهود على ما جاء في التراث الإسلامي في إطار عقيدة التجسيم وصفات الله، وهو ما انعكس -بالتبع- على آراء بعض المذاهب الإسلامية القائلة بالتجسيم وتشبيه الذات الإلهية المقدسة بالإنسان وفق تصوراتها المتعددة المتباينة فيما بينها.

○ موقف العترة من أهل بيت النبوة واضح في رفض مسألة التجسيم ورؤية الله بالعين، وهو ما تؤكد روايات عديدة في هذا الباب.



وعد ووعيد

وعدّ ووعد

• موضوعات هذا الفصل:

- تحدثت التوراة عن أن النبي موسى استلم ألواحاً بديلة عن تلك الألواح التي حطّمها عند غضبه من الجريمة التي ارتكبها قومه بصناعة العجل... فهل في القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك؟
- إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم أمام أعدائكم ومحاربيكم... هكذا وعد الله بني إسرائيل - كما جاء في التوراة - فكيف يتحقق نصرهم لله؟
- ما قصة لمعان وجه النبي موسى بعد لقائه بالله؟ وما علاقة ذلك بشعاعي النور على رأسه؟ وكيف انعكس ذلك في التراث والفن الكتابي؟ ولماذا صار النبي موسى يرتدي البرقع عند لقائه ببني إسرائيل؟
- عرض لمجموعة من التشريعات الإلهية التفصيلية النازلة في هذه المرحلة من حياة النبي موسى ورحلة بني إسرائيل.

• الألواح البديلة:

بعد أن أُلقيت الألواح^(١) وتحطمت في موجة الغضب التي أخذت بالنبي موسى «عليه السلام» حين رأى قومه وقد اتخذوا العجل في غيابه، عاد موسى للقاء الله «تعالى» وقد عالج الموقف بكل حزم وشدة، وتم تنفيذ التعاليم الإلهية الخاصة بالتوبة، وهناك أعطاه الله ألواحاً بدلاً عن تلك التي تحطمت، وذلك في إطار مجموعة من الإجراءات والمراسيم السماوية.

وقد تحدثنا في فصل سابق عن أن ظاهر القرآن الكريم يؤيد ما ذكر من حصول موسى «عليه السلام» على البديل، وإن كنا لا نعلم مدى دقة التفاصيل الواردة في التوراة والتي تتحدث عن أنه كان من نحت موسى «عليه السلام» والكتابة من الله «تعالى»: (١) ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْحَتْ لَكَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلِ الْأَوَّلَيْنِ، فَأَكْتُبْ أَنَا عَلَى اللَّوْحَيْنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى اللَّوْحَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ اللَّذَيْنِ كَسَرْتَهُمَا»^(٢).

أما الإجراءات والمراسيم السماوية الخاصة بذلك فتمثلت في الأمر بعودة الكليم إلى الجبل للقاء الله في صبيحة اليوم التالي -لوحده- على أن يبتعد الناس والدواب عن الجبل وما حوله، ويقوم موسى «عليه السلام» بتهيئة لوحين شبيهين بالذين تحطما، ويستعد روحياً ومعنوياً لتلقي كلمات الله وشرائعه ووصاياه من خلال التفرغ للعبادة مع الصيام لمدة أربعين يوماً وليلة: (٤) فَنَحَتَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ كَالْأَوَّلَيْنِ. وَبَكَرَ مُوسَى فِي الصَّبَاحِ وَصَعِدَ إِلَى جَبَلٍ سَيْنَاءَ كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ، وَأَخَذَ فِي يَدِهِ لَوْحِي الْحَجَرِ. ه فَزَلَّ

١. اعتمدنا صيغة الجمع كما في القرآن في مقابل التثنية في التوراة، وقد تناولنا من قبل إمكانية التوفيق بين الوصفين.

٢. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ١.

الرَّبُّ فِي السَّحَابِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ. ٦ فَاجْتَاَزَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ..... ٢٨
وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الرَّبِّ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، لَمْ يَأْكُلْ خُبْزًا وَلَمْ يَشْرَبْ مَاءً. فَكَتَبَ
عَلَى اللَّوْحَيْنِ كَلِمَاتِ الْعَهْدِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشْرِ^(١).

وبعد أن سمع موسى «عليه السلام» كلامَ الله «تعالى» حيث قال له: (٦).... «الرَّبُّ إِلَهٌ
رَحِيمٌ وَرَوْوْفٌ، بَطِيءُ الْعَظْبِ وَكَثِيرُ الْإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. ٧ حَافِظُ الْإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ.
غَافِرُ الْإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيئَةِ. وَلَكِنَّهُ لَنْ يُبْرَأَ. مُفْتَقِدٌ إِنْثَمَ الْآبَاءِ فِي الْأَبْنَاءِ، وَفِي
أَبْنَاءِ الْأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ»^(٢)، أُسْرِعَ وَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ سَاجِدًا، مُتَذَلِّلًا
إِلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا قَوْمِهِ وَإِسَاءَاتِهِمْ، وَأَنْ لَا يَتْرَكَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ، بَلْ يَعُودَ لِقِيَادَتِهِمْ
وَهْدَايَتِهِمْ بِذَاتِهِ الْعَلِيَّةِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدَهُمْ بِهَا.

استجاب الله لموسى بشروط، فَإِنْ أَقَامُوها وَنَصَرُوا اللَّهَ وَصَدَقُوا فِي عَهْدِهِمْ وَمِيثَاقِهِمْ،
فَإِنَّ اللَّهَ - فِي الْمَقَابِلِ - سَيَنْصُرُهُمْ بِالْأَعَاجِبِ: (١٠) فَقَالَ: «هَا أَنَا قَاطِعٌ عَهْدًا. قُدَّامَ جَمِيعِ
شَعْبِكَ أَفْعَلُ عَجَائِبَ لَمْ تُخْلَقْ فِي كُلِّ الْأَرْضِ وَفِي جَمِيعِ الْأُمَمِ، فَيَرَى جَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِي
أَنْتَ فِي وَسْطِهِ فِعْلَ الرَّبِّ. إِنَّ الَّذِي أَنَا فَاعِلُهُ مَعَكَ رَهِيْبٌ. ١١ «إِحْفَظْ مَا أَنَا مُوَصِّلُكَ
الْيَوْمَ. هَا أَنَا طَارِدٌ مِنْ قُدَّامِكَ الْأُمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحَوِّيِّينَ
وَالْيَبُوسِيِّينَ»^(٣).

وقد سبق وأن وعدهم الله بالنصر والخير والبركة في الصحة والرزق وسعة الملك إن
هم التزموا بالمواثيق القائمة بينهم وبينه، وذلك كما جاء في الإصحاح ٢٣ من نفس

١. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ٤-٢٨.

٢. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ٦-٧.

٣. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ١٠-١١.

السَّفَرِ حَيْثُ قَالَ لَهُمْ: (٢٠) «هَا أَنَا مُرْسِلٌ مَلَكَ أَمَامَ وَجْهِكَ لِيَحْفَظَكَ فِي الطَّرِيقِ، وَلِيَجِيءَ بِكَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَعَدَدْتُهُ. ٢١ احْتَزِرْ مِنْهُ وَاسْمَعْ لَصَوْتِهِ وَلَا تَتَمَرَّدْ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ لَا يَصْفَحُ عَنْ ذُنُوبِكُمْ، لِأَنَّ اسْمِي فِيهِ. ٢٢ وَلَكِنْ إِنْ سَمِعْتَ لَصَوْتِهِ وَفَعَلْتَ كُلَّ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ، أُعَادِي أَعْدَاءَكَ، وَأُضَايِقُ مُضَايِقِيكَ. ٢٣ فَإِنَّ مَلَكَ يَسِيرُ أَمَامَكَ وَيَجِيءُ بِكَ إِلَى الْأُمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحَوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، فَأُبِيدُهُمْ. ٢٤ لَا تَسْجُدْ لِأَهْتِهِمْ، وَلَا تَعْبُدْهَا، وَلَا تَعْمَلْ كَأَعْمَالِهِمْ، بَلْ تُبِيدُهُمْ وَتَكْسِرُ أَنْصَابَهُمْ. ٢٥ وَتَعْبُدُونَ الرَّبَّ إِلَهَكُمْ، فَيُبَارِكْ خُبْرَكَ وَمَاءَكَ، وَأَزِيلَ الْمَرَضَ مِنْ بَيْنِكُمْ. ٢٦ لَا تَكُونُ مُسْقِطَةً وَلَا عَاقِرٌ فِي أَرْضِكَ، وَأُكْمَلُ عَدَدَ أَيَّامِكَ. ٢٧ أُرْسِلُ هَيْبَتِي أَمَامَكَ، وَأُزْعِجُ جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ تَأْتِي عَلَيْهِمْ، وَأُعْطِيكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مُدْبِرِينَ. ٢٨ وَأُرْسِلُ أَمَامَكَ الزَّنَابِيرَ. فَتَطْرُدُ الْحَوِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ مِنْ أَمَامِكَ. ٢٩ لَا أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، لَعَلَّأَ تَصِيرَ الْأَرْضُ خَرِبَةً، فَتَكْثُرَ عَلَيْكَ وَحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. ٣٠ قَلِيلًا قَلِيلًا أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ إِلَى أَنْ تُثْمِرَ وَتَمْلِكَ الْأَرْضَ. ٣١ وَأَجْعَلَ ثُحُومَكَ مِنْ بَحْرِ سُوفٍ إِلَى بَحْرِ فِلِسْطِينَ، وَمِنْ الْبَرِّيَّةِ إِلَى التَّهْرِ. فَإِنِّي أَدْفَعُ إِلَى أَيْدِيكُمْ سُكَّانَ الْأَرْضِ، فَتَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ»^(١).

• شروط النصر:

يمكن تقسيم شروط النصر الإلهي كما جاءت في الإصحاح ٣٤ كالتالي:

١. أن يفتحوا تلك الأرض من دون تقديم أية تنازلات للمشرَكين القائمين فيها، وأن يطهروها من دنس الشرك بكل صورته، وأن لا يُقيموا مع المشرَكين أية معاهدة تعايش ومصالحة: (١٢) احْتَزِرْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ آتٍ إِلَيْهَا لَعَلَّأَ

١. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٢٣، ٢٠-٣١.

يَصِيرُوا فَخًّا فِي وَسْطِكَ) أي لأن ذلك سيؤدّي ببني إسرائيل إلى الوقوع في فخ الشرك من جديد (١٣) بَلْ تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكْسِرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتَقْطَعُونَ سَوَارِيَهُمْ. ١٤ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِإِلَهِ آخَرَ، لِأَنَّ الرَّبَّ اسْمُهُ غَيْرٌ. إِلَهُ غَيْرٌ هُوَ^(١).

٢. أن يمتنعوا عن التعايش الاجتماعي مع المشركين ومصاهرتهم، لأن ذلك -أيضاً- سيؤدّي إلى انجرار بني إسرائيل إلى الشرك من جديد، وقد أثبتت التجارب السابقة أنهم ضعاف الإيمان إلى درجة أن أبسط المغريات قد تعيدهم إلى حظيرة الشرك، وأهون الاختبارات سيكون مصيرهم فيها الفشل: (١٥) احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الْأَرْضِ، فَيَزْنُونَ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ وَيَذْبَحُونَ لِآلِهَتِهِمْ، فَتُدْعَى وَتَأْكُلُ مِنْ ذَبِيحَتِهِمْ، ١٦ وَتَأْخُذُ مِنْ بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكَ، فَتَزْنِي بَنَاتُهُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِنَّ، وَيَجْعَلَنَّ بَنِيكَ يَزْنُونَ وَرَاءَ آلِهَتِهِنَّ^(٢).

٣. النهي عن اتخاذ الأصنام والأوثان: (١٧) لَا تَصْنَعْ لِنَفْسِكَ آلِهَةً مَسْبُوكَةً^(٣).

٤. الاحتفال بالأعياد الثلاثة التي اختارها الله لهم، وأولها عيد الفصح وما يليه من أيام الفطير التي تذكّرهم بنعمة الله بإنقاذهم في شهر أبيب (الربيع) من براثن فرعون وجنوده والخروج من مصر سالمين: (١٨) تَحْفَظْ عِيدَ الْفَطِيرِ. سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَأْكُلُ فَطِيرًا كَمَا أَمَرْتُكَ فِي وَقْتِ شَهْرِ أَبِيبَ، لِأَنَّكَ فِي شَهْرِ أَبِيبَ خَرَجْتَ مِنْ مِصْرَ^(٤)، مع الامتناع عن تخمير العجين ضمن مراسيم عيد الفصح وعدم الإبقاء على شيء من اللحم المأكول في ذلك اليوم إلى الغد، إحياءً لذكرى أحداث الخروج من مصر حيث

١. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ١٢-١٤.

٢. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ١٥-١٦.

٣. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ١٧.

٤. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ١٨.

أَكَلُوا الْخُبْزَ بِلَا تَخْمِيرٍ، وَلَمْ يَأْخُذُوا مَعَهُمْ شَيْئاً مِنْ ذَبَائِحِهِمْ عِنْدَمَا غَادَرُوا مَدِينَتَهُمْ: (٢٥) لَا تَذْبَحْ عَلَى خَمِيرٍ دَمَ ذَبِيحَتِي، وَلَا تَبِثْ إِلَى الْغَدِ ذَبِيحَةَ عِيدِ الْفِصْحِ^(١).

وبالإضافة إلى الاحتفال بعيد الفصح، يجب الالتزام بإحياء عيدي الأسابيع (عيد الخمسين) والجمع (عيد المظال / العرش)، وعلى كل الذكور الالتزام بالحضور والاحتفال بهذين العيدين بالإضافة إلى عيد الفصح: (٢٢) وَتَصْنَعُ لِنَفْسِكَ عِيدَ الْأَسَابِيعِ أَبْكَارِ حَصَادِ الْحِنْطَةِ. وَعِيدَ الْجُمُعِ فِي آخِرِ السَّنَةِ. ٢٣ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ يَظْهَرُ جَمِيعُ دُكُورِكَ أَمَامَ السَّيِّدِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ^(٢).

يصادف عيدُ الأسابيع (بالعبرية: שבועות، وتُلفظ: شَبُوعُوت؛ ومعناها الأسابيع) اليوم السادس من شهر (سيوان) وفق التقويم العبري، والذي يصادف شهر مايو أو يونيو، ويأتي موعده بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح، ومن هنا جاءت تسميته.

يُحتفل في عيد الأسابيع بتقديم باكورة حصاد الفاكهة - كقسم من زكاة الغلات - إلى البيت المقدس الذي أصبح (هيكل سليمان) لاحقاً، أما الآن فتُقدَّم إلى الكنيس أو إلى الصندوق القومي اليهودي.

وتقول الروايات اليهودية أن داود «عليه السلام» وُلد ومات في عيد الأسابيع، لذا جرت العادة أن يتلى سفر المزامير (الزبور) في اليوم الثاني منه، كما يحج اليهود إلى جبل صهيون حيث دُفن داود، ويتم إشعال ١٥٠ شمعة في الكنيس رمزاً لعدد سفر المزامير. أما عيد المظال أو المظلة أو العرش (بالعبرية: טועה، وتُلفظ سوكونت) فيبدأ في الخامس عشر من شهر تשרي حسب التقويم العبري ويستمر سبعة أيام ويأتي بعد

١. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ٢٥.

٢. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ٢٢-٢٣.

عيد الغفران. وهو إحياء لذكرى المظلات المؤقتة التي اتخذها بنو إسرائيل من سعف النخيل بعد أن غادروا بررعسميس هروباً من فرعون وجنوده. في نهاية العيد، يحتفل في اليوم الثامن -وبعضهم يعتبره عيداً منفصلاً- باستلام التوراة (التشريعات الإلهية) وتسمى فرحة التوراة (שמחת תורה) وتُلفظ سمحات تورا). وقد تحدثت عن هذا العيد في الجزء الثاني من الكتاب عند عرض محطّات خروج بني إسرائيل من مصر وتحت عنوان (سكوت)، وذكرت أن الحدث وقع في شهر نيسان وفق التقويم العبري إلا أنه تم ترحيله في التقويم العبري الحديث إلى شهر تشري بعد عيد الغفران.

يتوقف العمل في اليوم الأول من عيد المظال -والذي يعتبر عطلة رسمية- وكذلك في اليوم الأخير من العيد، وخلال الأيام الخمسة تقام المظلات قرب البيت أو على السطح وشرفات البيوت المفتوحة، وفي اليوم الثامن تبدأ صلوات طلب المطر.

٥. إيتاء (الزكاة) المتمثلة في أن يُقدّم أول مولود من أبناء بني إسرائيل ليكون خادماً لبيت الله: (١٩ لي كُلُّ فَاتِيحٍ رَحِمٍ.... ٢٠.... كُلُّ بَكْرٍ مِنْ بَنِيكَ تَفْدِيهِ، وَلَا يَظْهَرُوا أَمَامِي فَارِغِينَ)^(١) أي أن هذا (الفداء) ضروري ولازم.

تقول التعاليم اليهودية في شرح هذه العبارة أنه في بداية التشريع، أراد الله أن يجعل كل الأبناء الأبقار في خدمة البيت المقدّس (هيكل سليمان لاحقاً)، ولكن بعد خطيئة اتخاذ العجل الذهبي، فقد الأبقار مكانتهم عند الله. وحيث لم يشترك سبط لاوي في خطيئة العجل الذهبي (أو لأنهم فقط الذين استجابوا للأمر الإلهي بالتوبة بقتل المصرّين على العصيان) لذلك حلّوا محل الأبقار للعمل في البيت المقدّس، واختصّ من بينهم أبناء هارون -وهم من ذرية لاوي بن يعقوب- ليقوموا بدور

١. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ١٩-٢٠.

الكهنوت. وصار لازماً متى ما ولدت المرأة اليهودية ابنها البكر، أن يُفْتدى هذا الابن من الكاهن، ضمن مراسيم تعرف باسم (פדיון הבן وتُلَفَّظ فديون هابن)، أي (فداء الابن)^(١)، ويكون الافتداء بأن (يشترى) الأب ابنه من الكاهن لفدائه، كما جاء في سفر العدد^(٢): (١٦) وَفِدَاؤُهُ مِنْ ابْنِ شَهْرٍ تَقْبَلُهُ حَسَبَ تَقْوِيمِكَ فِضَّةً، خَمْسَةَ شَوَاقِلَ عَلَى شَاقِلِ الْقُدُسِ. هُوَ عِشْرُونَ جِيرَةً^(٣).

القسم الثاني من الزكاة عبارة عن تخصيص أول مولود ذكر من الماشية ليكون قرباناً لله: (١٩).... وَكُلُّ مَا يُولَدُ ذَكَرًا مِنْ مَوَاشِيكَ بِكَرًّا مِنْ ثَوْرٍ وَشَاةٍ. ٢٠. وَأَمَّا بِكَرِّ الْحِمَارِ فَتَفْدِيهِ بِشَاةٍ، وَإِنْ لَمْ تَفْدِهِ تَكْسِرْ عُنُقَهُ^(٤).

القسم الثالث من الزكاة عبارة عن أول محصول حصاد الغلات: (٢٦) أَوَّلُ أَبْكَارِ أَرْضِكَ تُحْضَرُهُ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ إِلَهِكَ^(٥).

٦. الالتزام بالتشريع الخاص بيوم السبت، فهو يوم راحة وامتناع عن العمل: (٢١) سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَتَسْتَرِيحُ فِيهِ. فِي الْفَلَاحَةِ وَفِي الْخَصَادِ تَسْتَرِيحُ^(٦).

٧. الأمر الآخر الذي يجب الالتزام به هو أن: (لَا تَطْبُخُ جَدْيًا بِلَبَنِ أُمِّهِ)^(٧).

من الموارد التي يحرمها اليهود على أنفسهم ضمن قائمة الطعام هي تناول اللحم مع

١. لاحظ تشابه التعبير في العبرية والعربية باستبدال (ها) التعريف بـ ال التعريف.

٢. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ١٨، ٦.

3. <https://theheartofisrael.org/redeeming-firstborn-sons>

٤. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ١٩-٢٠.

٥. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ٢٦.

٦. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ٢١.

٧. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ٢٦.

اللبن. والنص الذي يستند إليه في الأساس هذا التشريع هو ما جاء في التوراة من نهي عن طبخ الجدي بلبن أمه: (لَا تَطْبُخْ جَدْيًا بِلَبَنِ أُمِّهِ)^(١)، وتكرر بنفس العبارة كما في الإصحاح ٣٤، ثم في الإصحاح ١٤ من سفر التثنية، الآية ٢١، وب نفس التعبير.

وفي المشنا من التلمود: (يحرم طبخ كل أنواع اللحم في اللبن باستثناء لحم السمك والجراد، كما يحرم وضع اللحم على المائدة مع الجبن. هذا إجراء احتياطي فرضه الربيون لمنع أكل الاثنين معاً، باستثناء لحم السمك والجراد)^(٢).

واختلف الباحثون في بيان العلة في نزول هذا التشريع على موسى «عليه السلام». فقد أرجع بعضهم هذا الأمر إلى محاربة عادة وثنية وطقس سحري كان معروفاً لدى الحثيين -المستقرين في نواحي متفرقة من أرض فلسطين وقد هاجروا إليها من بعض نواحي تركيا الحالية- حيث اعتادوا على هذا النوع من الطبخ ضمن مراسيم وثنية وسحرية يريدون من خلالها أن يُحقق لهم إله المحاصيل الزراعية زيادة في الإنتاج هذا العام والعام الذي يليه، لذا فإن الحثيين كانوا يرشّون الأشجار والحقول والبساتين ومزارع العنب بالحساء الناتج عن هذا الطبخ، معتقدين أن مثل هذه الممارسة ستُرضي الإله ويزداد لديهم الإنتاج. وحيث أن الناس يستقون من الأمم عاداتها السحرية والخرافية وتتحول أحياناً إلى ما يشبه العقيدة عندهم -وهو أمر مشهود إلى هذا اليوم وفي مختلف المجتمعات البشرية- ورغبةً في تجنب المؤمنين بالرسالة الموسوية اتباع ذات الطقوس الوثنية السحرية لزيادة المحصول، لذا فقد نزل تشريع خاص بتحريم تقليد هذه العادة الباطلة^(٣).

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الأصحاح ٢٣، ١٩.

٢. التلمود البابلي، القسم الخامس، قوداشيم، ج ١٦، ص ٣٠٩.

3. biblehub.com/niv/exodus/23-19.htm

أما الرّيبان «عوبديا سفورنو» و «سولومون لونتشيتز» -وهما من شرّاح النصوص الدينية اليهودية في أواخر العصور الوسطى- فقد اعتبرا أن هذا التشريع التوراتي جاء تعريضاً بممارسة دينية لدى الكنعانيين، كان يتم فيها طهي الماعز الصغير في حليب أمه بهدف الحصول على مساعدة من الإله لزيادة الإنتاج الحيواني في قطعانهم.

وهناك رأي ثالث يذهب إلى أنّ مرجع هذا النهي يعود إلى مسألة صحّة لا أكثر، حيث تعاني نسبة طاغية من بني إسرائيل، ولاسيّما كبار السن منهم -وبصورة وراثية- من الحساسية من مادة «اللاكتوز» المتوافرة في الحليب، مما يسبب لهم توعكاً صحياً ناتجاً عن عسر الهضم.

واعتبر فريق رابع من الحاخامات أن المسألة ذات خلفية أخلاقية، إذ أن طبخ الجدي بلبن أمه تصوّف لا إنساني، وهو يشابه النهي الوارد عن جمع البيض من العش أثناء مراقبة الطيور الأم لما يجري.

ولكن يبدو أن اليهود تمادوا في الأخذ بهذا التشريع، ووسّعوا دائرته، ليشمل منع أكل اللحوم مع الألبان في آن واحد مطلقاً، ويُعرف هذا الأمر بالعبرية بعنوان (בשר בחלב) ويُلَفَّظ بَسْر^(١) بِكالاف (Basar Bechalav) ومعناه الحرفي «لحم في الحليب». ففي التلمود ثلاثة تشريعات رئيسة مرتبطة بهذا الأمر:

١. حظر الطهي بمزيج من الحليب واللحوم.
٢. حظر تناول خليط مطهو من الحليب واللحوم.
٣. حظر استخلاص أي مشتق من خليط اللبن واللحوم المطبوخة.

١. بَسْر في العبرية = بشرة في العربية، والبشرة هي الغلاف الخارجي للحم، بينما معنى الكلمة في العبرية اللحم نفسه.

حتى أنهم صاروا يتأكدون من عدم تَبَقِّي شيء من اللحم بين ثنايا أسنانهم، ويعمدون إلى استعمال السواك وغيره لضمان عدم وجود شيء من بقايا اللحم في الفم. ويوجب الحاخامات مضي زمن خاص قبل أن يُباح لليهودي أكل اللحم بعد أن شَرَبَ اللبن أو أَكَلَ الجبن وما شابه، وبالعكس. إلا أنه وقع الخلاف بينهم في تحديد هذا الزمن الفاصل بين الوجبتين.

وجاء في التلمود أن الرِّيَّ «مار عقبا» قال: (إنني في هذه المسألة كالخل للنبيذ مقارنةً بأبي، فلو كان أبي سيأكل لحمًا الآن، فإنه لن يأكل جبنة إلى نفس هذه الساعة غدًا، أما أنا فلا أكل الجبنة في نفس الوجبة، ولكنني آكلها على الوجبة التالية)^(١).

واعتبر الرِّيَّ «يعقوب بن مائير» بأن سلوك «مار عقبا» كان مجرد اختيار شخصي، بينما اعتبر ربيّون بارزون في القرون الوسطى أن ممارسة «مار عقبا» يجب أن تُعامل كحد أدنى من معايير السلوك في مثل هذه الحالات.

وإذا اقترح الرِّيَّ ابن ميمون الانتظار لمدة ست ساعات بعد تناولها كحد أدنى للفاصل بين تناول اللحم ومنتجات الألبان؛ نجد ربيّين آخرين يحدّدونها بثلاث ساعات، وقيل ساعة، وقيل بكفاية الانتظار حتى تناول وجبة جديدة، ولو بمجرد تنظيف الطاولة، وغسل الفم، وتلاوة الدعاء الخاص بتناول الطعام، بل إن بعضهم اكتفى بتنظيف الفم عن طريق تناول خبز جاف دون الحاجة إلى الشطف بالماء^(٢). على أن بعض الربيّين أعطوا استثناءات أيضاً للأطفال والنساء المرضعات، حيث أبيع لهم تناول اللحوم مع منتجات الألبان في وجبة غذائية واحدة.

١. التلمود البابلي، القسم الخامس، قوداشيم، ج ١٦، ص ٣١١.

٢. التلمود البابلي، القسم الخامس، قوداشيم، ج ١٦، ص ٣١٠.

وفي التراث الأردني العربي قصة طريفة تخص تناول اللحم المطبوخ باللبن، إذ قيل أن الملك العربي «ميشع» ملك موآب، وضمن صراعه مع جيرانه من ملوك اليهود حينها، ولشعوره بخطرهم، سعى إلى تحشيد شعبه معنوياً وعملياً، وكان من بين وسائل هذا التحشيد أن طلب من شعبه طبخ اللحم باللبن، فاستجابوا له بأجمعهم، فكان بمثابة إعلان عام لمخالفة اليهود وبشكل تعبوي شامل، وصارت -أو ظهرت- طبخة «المنسف» الشهيرة التي تتضمن في وصفتها طبخ اللحم بمنتج لبني -الجميد ولربما اللبن الرائب أيضاً- وسيلة تعبوية استطاع من خلالها أن ينتصر في معركته ضد اليهود. الأردنيون استطابوا هذه الأكلة واستمروا بطبخها إلى يومنا هذا تفاؤلاً بالنصر الذي طالعهما معها، واتخذ كل من سكن أرض الأردن من المنسف أكلته المحببة^(١).

• الوعد بالنصر:

ثم وعد الله موسى وبني إسرائيل إن هم حفظوا ما سبق والتزموا به، فإنه سيحقق لهم ما يلي: (٢٤) فَإِنِّي أَظْرُدُ الْأَمَمَ مِنْ قُدَّامِكَ وَأَوْسَعُ تُخُومَكَ، وَلَا يَشْتَبِي أَحَدٌ أَرْضَكَ حِينَ تَصْعَدُ لِتُظَهَرَ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ^(٢) أي خلال الاحتفال بالأعياد الثلاثة.

وفي الإصحاح ٢٣ كان قد وعدهم بتحقيق ما يلي: (٢٢) ... أَغَادِي أَعْدَاءَكَ، وَأُضَاقُ مُضَاقِيكَ. ٢٣ فَإِنَّ مَلَائِكِي يَسِيرُ أَمَامَكَ وَيَجِيءُ بِكَ إِلَى الْأُمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرَزِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، فَأَيِّدُهُمْ..... ٢٥ فَيُبَارِكُ خُبْرَكَ وَمَاءَكَ، وَأَزِيلُ الْمَرَضَ مِنْ بَيْنِكُمْ. ٢٦ لَا تَكُونُ مُسْقِطَةً وَلَا عَاقِرٌ فِي أَرْضِكَ، وَأَكْمَلُ عَدَدَ أَيَّامِكَ.

1. <https://www.gerasanews.com/print/111769>

٢. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ٢٤.

٢٧ أُرْسِلْ هَيْبَتِي أَمَامَكَ، وَأُزْعِجْ جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ تَأْتِي عَلَيْهِمْ، وَأُعْطِيكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مُدْبِرِينَ. ٢٨ وَأُرْسِلْ أَمَامَكَ الزَّنَابِيرَ. فَتَطْرُدُ الْحَوِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيَّينَ مِنْ أَمَامِكَ. ٢٩ لَا أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، لِئَلَّا تُصِيرَ الْأَرْضُ خَرِبَةً، فَتَكْثُرَ عَلَيْكَ وَحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. ٣٠ قَلِيلًا قَلِيلًا أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ إِلَى أَنْ تُثْمَرَ وَتَمْلِكَ الْأَرْضَ. ٣١ وَأَجْعَلَ ثُخُومَكَ مِنْ بَحْرِ سُوفٍ إِلَى بَحْرِ فِلِسْطِينَ، وَمِنْ الْبَرِّيَّةِ إِلَى النَّهْرِ. فَإِنِّي أَدْفَعُ إِلَى أَيْدِيكُمْ سُكَّانَ الْأَرْضِ، فَتَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ»^(١).

ثم أمر الله «تعالى» كلمه بكتابة التشريعات والوصايا التي جاءت في الإصحاح الرابع والثلاثين لتكون ميثاقاً وعهداً لازماً بين بني إسرائيل وبينه: (٢٧) وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اكَتُبْ لِنَفْسِكَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، لِأَنِّي بِحَسَبِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ قَطَعْتُ عَهْداً مَعَكَ وَمَعَ إِسْرَائِيلَ»^(٢). وهكذا، وبعد هذا اللقاء المطول، عاد النبي موسى إلى بني إسرائيل وبلغهم رسالات ربه، والوعد بالنصر إن هم أخذوا بالميثاق، ثم بدأوا بتنفيذ مشروع البيت المقدس (المتنقل) وملحقاته ومحتوياته، وهو ما شرحنا تفاصيله في فصل سابق، حتى إذا تم المشروع على مدى أشهر من العمل المتواصل: (٣٤) غَطَّتِ السَّحَابَةُ خَيْمَةَ الْجَمْعِ وَمَلَأَتْ بِهَاءُ الرَّبِّ الْمَسْكَنَ. ٣٥ فَلَمْ يَقْدِرْ مُوسَى أَنْ يَدْخُلَ خَيْمَةَ الْجَمْعِ، لِأَنَّ السَّحَابَةَ حَلَّتْ عَلَيْهَا وَبَهَاءُ الرَّبِّ مَلَأَ الْمَسْكَنَ»^(٣).

أما مدى استجابة بني إسرائيل لأمر الله بالدخول لاحقاً إلى الأرض المباركة التي وعدهم إياها، فسنعرضه ونناقشه في الفصل القادم.

١. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٢٣، ٢٢-٣١.

٢. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ٢٧.

٣. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ٢٤.

• موسى المبرقع:

قبل أن نختم هذا الفصل الذي به ينتهي سفر الخروج أيضاً، نتوقف عند حديث التوراة عن تأثيرٍ روحانيٍّ خاصٍّ للأيام والليالي الأربعين الثانية التي قضاها موسى «عليه السلام» في لقاء الله «تعالى» واستلامه الوصايا العشر مجدداً وكتابتها على (لوحى الشهادة) مع كل البرنامج الروحي العبادي الذي أتمه على أحسن وجه، إذ انعكس ذلك على وجهه الذي صار يشعّ نوراً دون أن يشعر بذلك: (٢٩) وَكَانَ لَمَّا نَزَلَ مُوسَى مِنْ جَبَلِ سَيْنَاءَ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِ مُوسَى، عِنْدَ نُزُولِهِ مِنَ الْجَبَلِ، أَنَّ مُوسَى لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ جِلْدَ وَجْهِهِ صَارَ يَلْمَعُ فِي كَلَامِهِ مَعَهُ. ٣٠ فَنَظَرَ هَارُونُ وَجَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوسَى وَإِذَا جِلْدُ وَجْهِهِ يَلْمَعُ، فَخَافُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ. ٣١ فَدَعَاَهُمُ مُوسَى. فَرَجَعَ إِلَيْهِ هَارُونُ وَجَمِيعُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ، فَكَلَّمَهُمْ مُوسَى) (١).

وبعد أن أبلغهم الرسائل والتشريعات والوصايا الإلهية: (٣٣).... جَعَلَ عَلَى وَجْهِهِ بُرْقَعًا. ٣٤ وَكَانَ مُوسَى عِنْدَ دُخُولِهِ أَمَامَ الرَّبِّ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ يَنْزِعُ الْبُرْقَعَ حَتَّى يَخْرُجَ، ثُمَّ يَخْرُجُ وَيُكَلِّمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا يُوصَى. ٣٥ فَإِذَا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ وَجْهَ مُوسَى أَنَّ جِلْدَهُ يَلْمَعُ كَانَ مُوسَى يَرُدُّ الْبُرْقَعَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى يَدْخُلَ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ) (٢).

وقد قيل في سبب ارتدائه غطاء الوجه أنه فعل ذلك استجابةً لرغبة الناس عندما أخبروه عدم احتمالهم رؤية النور المتوهج من وجهه، وطلبوا منه تغطيته، ولذا عندما كان يبتعد عنهم ويدخل إلى خيمة الاجتماع ليكلّم الله، يرفع البرقع عن وجهه. كما قيل بأن موسى -إلى جانب رفعه البرقع في حديثه مع الله في الخيمة- كان يبقى

١. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، ٢٩-٣١.

٢. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٤٠، ٣٤.

رافعاً البرقع أيضاً عندما كان يعلم بني إسرائيل ويعظّمهم وينذرهم ويبشّرهم، ليشعروا بمخافة الله، ثم يردّه إلى وجهه في محادثاته وتعاملاته العادية معهم.

في مدرّاش الراي الفرنسي (شلمو ويتسحاقي) المعروف بلقب (راشي) (ت ١١٠٥م) أنّ كلمة (١٦٧) وتُلفظ في العبرية كَرَن، ولها نفس معنى [قرن] في اللغة العربية) المستعملة في الآية التوراتية باللغة العبرية تدلّ على أنّ النور من وجهه كان يشعّ من نقطة، ويبرز مثل القرن، وأن ذلك - كما جاء في مدرّاش تنحوما - كان نتيجة أن (القدوس «تبارك اسمه» وضع يده على وجهه، كما قيل في سفر خروج ٣٣: ٢٢: [وَأَسْتُرْتُ يَدَيَّ])^(١).

وقد تناولنا هذا الموضوع في الجزء الأول من هذا الكتاب، وذلك تحت عنوان (موسى ذو القرنين)، حيث تم رسم وتجسيد النبي موسى في التماثيل والمنحوتات أحياناً كثيرة بقرنين في رأسه، لا بشعاعين من نور.

وذكرت في حينه أنه عدداً من أهل الاختصاص يعتقدون بوجود خطأ في ترجمة التوراة، وهي الترجمة المعروفة باسم الفولغاتا Vulgate، حيث تُرجمت النصوص من اللغة العبرية إلى اللغة اللاتينية في سنة ٣٨٢ م وذلك على يد القديس جيروم Jerome (ت ٤٢٠ م) بتكليف من البابا (دماسوس الأول) Pope Damasus I، ومن خلال مراجعة الترجمات اللاتينية القديمة، وأصبحت هذه الترجمة هي النص الرسمي المقبول في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. [انظر اللوحتين ٦٦-٦٧]

والخطأ ناشئ من ترجمة كلمة ١٦٧ وتُلفظ (كَرَن Qurn) حيث تُرجمت إلى ما يعني (قرن) بدلاً عن (لامع/مُشعّ/نوراني)... هكذا فهمها المترجم جيروم، وهكذا انتقلت

1. https://www.sefaria.org/Exodus.34.29?lang=bi&with=Rashi&lang2=en&p3=Mid-rash_Tanchuma%2C_Ki_Tisa.37&lang3=bi



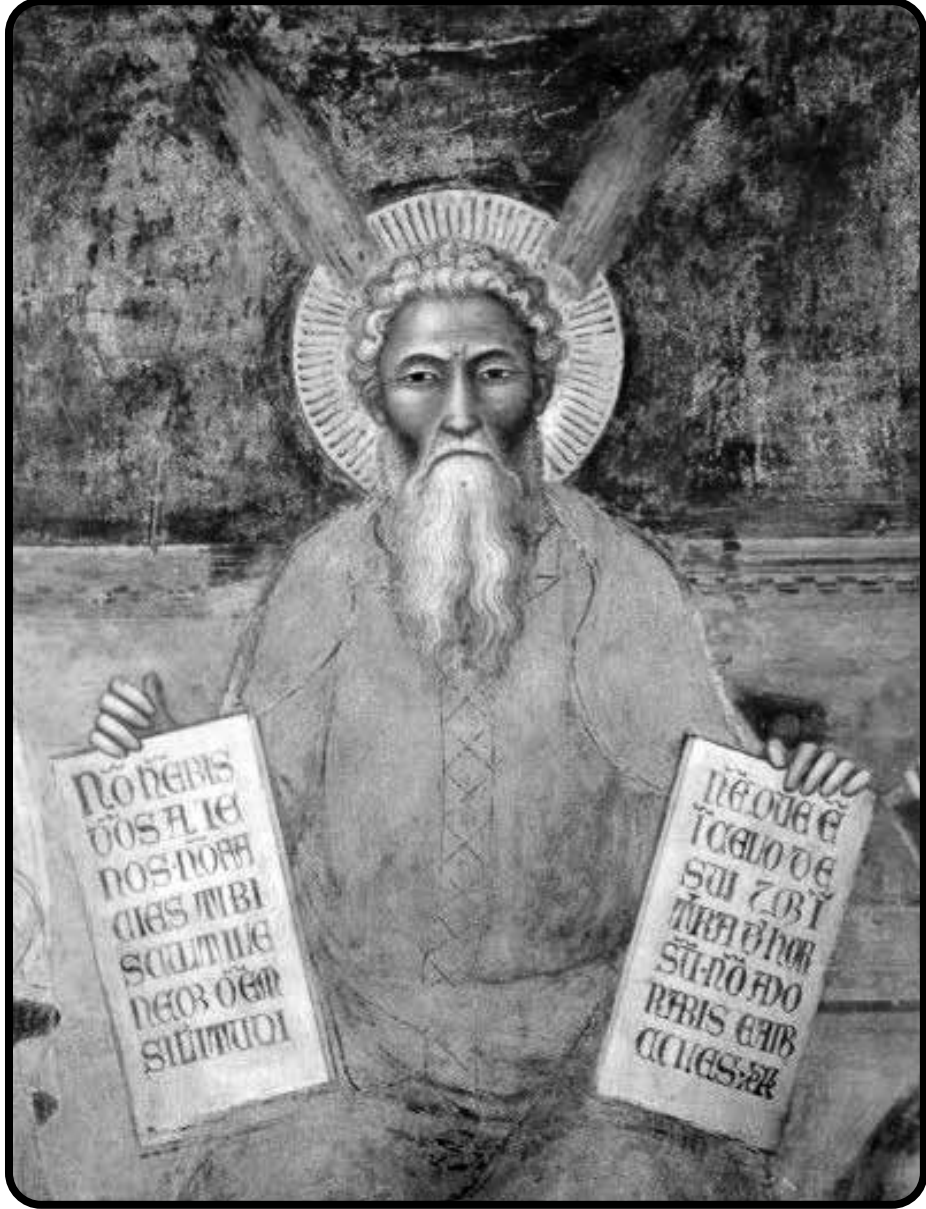
اللوحة رقم ٦٦ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى بقرنين مع الشعبان النحاسي
مرسومة في نسخة للكتاب المقدس تعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي



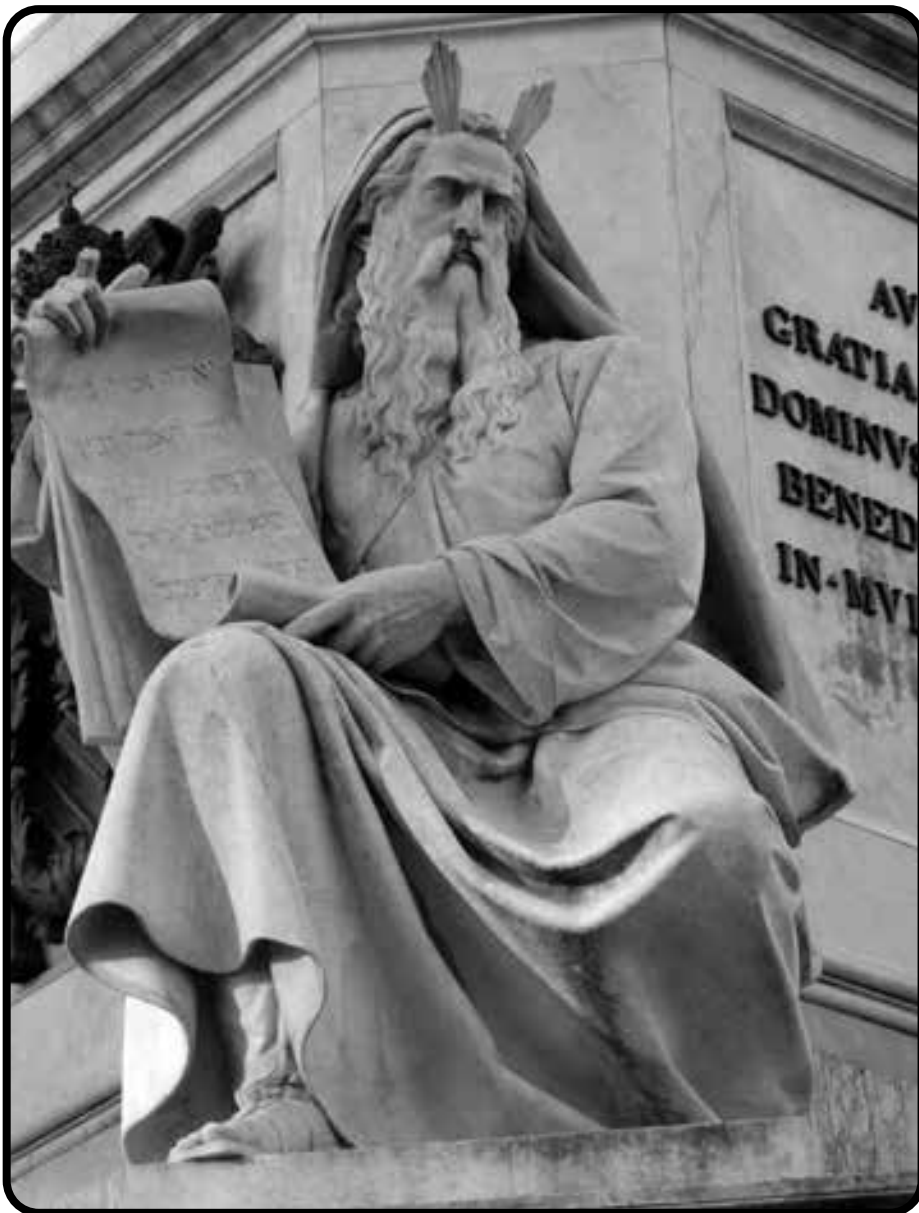
اللوحة رقم ٦٧ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى والألواح، ضمن كتاب يعود إلى القرون الوسطى، ويظهر فيها النبي موسى بقرنين

إلى تصوّر عدد من الفنانين الأوربيين لاحقاً، فصوّروا موسى «عليه السلام» بقرنين! فيما يرى البعض أنّ من الممكن أن يكون هذا أكثر من مجرد خطأ بسيط في الترجمة، وأن الأمر لا يقتصر على الوسط المسيحي فحسب، إذ كان ضمن يهود ذلك العصر من اعتقدوا بالفعل أنه ظهر لموسى قرنان بعد ذلك اللقاء مع الله «سبحانه»، إذ توجد في البين عدد من الابتهالات الدينية (الأناشيد) المدوّنة في ذلك العصر تقريباً واشتملت على ذات التصرّو، ومن بينها ابتهاال (أنشودة) باللغة الآرامية بعنوان (الرب طأطأ السماء إلى سيناء)، والتي وجدت طريقها إلى عدد من كتب الدعاء والصلاة اليهودية في أوروبا الشرقية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، حول لقاء الله مع موسى في سيناء، وتتضمّن عبارة (لقد وضعت قرون العظمة على رأسك حتى إذا اقترب ملكك، فستنطحه بها). في أنشودة أخرى باللغة العبرية تعود إلى القرن التاسع، نجد موسى يهزأ بالملائكة قائلاً: (لن أنزل، لن أنزل، حتى أثبت أنني بطل، حتى أنطح أجسادكم بقروني).

من الواضح -إذاً- أنّ بعض اليهود على الأقل اعتقدوا أن لموسى قُرونًا، لكن من المحتمل أن تكون هذه الفكرة حاصلة بسبب ترجمة متأخرة زمنياً، ولم يكن هذا المضمون معروفاً عند أسلافهم، كما ومن المحتمل -بحسب بعض الباحثين- أنّ للفكرة علاقة بمعتقد قديم للوثنيين يربط بين بعض الآلهة وصورة الثور والعجل والبقرة، وبالتالي بين حالة من الألوهية وامتلاك قرنين، بحيث تغلغل هذا المعتقد إلى اليهود من خلال تأثرهم به. وحيث تمّ تصحيح الترجمة وتغييرها بعد عصور، تمّ استبدال القرنين في اللوحات والمنحوتات الفنية اللاحقة إلى ما يمثل شعاعين من نور [انظر اللوحتين ٦٨-٦٩].



اللوحة رقم ٦٨ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى والألواح، للفنان الإيطالي أندريا دي بونايتو (ت ١٣٧٧ م)



المجسم رقم ٦٩ : منحوتة فنية تخيلية للنبي موسى والتوراة
في روما - إيطاليا (١٨٥٧ م) ويظهر بشعاعين شبيهين بقرنين

• تشريعات تفصيلية:

مع انتهاء سفر الخروج، يبدأ ثالث أسفار التوراة، وهو سفر اللاويين، بعرض التشريعات العديدة التي نزلت على النبي موسى «عليه السلام» وهو في (خيمة الاجتماع)، وهي تشريعات خاصة بتقديم القرابين على أنواعها، وكيفية التصرف فيها، ووظائف النبي هارون -ومن يأتي من بعده- تجاه البيت المقدس، وماهية الأطعمة والأشربة المباحة والمحرمة والمكروهة، وأحكام الطهارة والنجاسة، والحيض والنفاس والعقيقة، والستر والساتر من الملبس وأحكام النظر إلى الجنسين، والنكاح والعلاقات المحرمة، وغير ذلك من المسائل الخاصة بالعلاقات الاجتماعية، والاستعانة بالجن، وأحكام القضاء، والتشريعات الخاصة بالكهنة (رجال الدين)، والأعياد، والديّات، والزراعة، والزكاة، والأراضي، والتجارة، والإجارة، والمكاسب المحرمة، والندورات، وغيرها من الأحكام والتشريعات التفصيلية.

• وعود بالعطايا الإلهية:

ومع بيان هذه التشريعات التفصيلية، تأتي الودود بالعطايا الإلهية الكبيرة التي طامأ انتظروها، وألحوا في طلبها: (٣) «إِذَا سَلَكَتُمْ فِي فَرَائِضِي وَحَفِظْتُمْ وَصَايَايَ وَعَمِلْتُمْ بِهَا):

(١) أُعْطِي مَطَرَكُمْ فِي حِينِهِ

(٢) وَتُعْطِي الْأَرْضُ غَلَّتَهَا، وَتُعْطِي أَشْجَارُ الْحَقْلِ أَثْمَارَهَا، وَيَلْحَقُ دِرَاسُكُمْ بِالْقَطَافِ، وَيَلْحَقُ الْقَطَافُ بِالزَّرْعِ، فَتَأْكُلُونَ خُبْزَكُمْ لِلشَّبَعِ

(٣) وَتَسْكُنُونَ فِي أَرْضِكُمْ آمِنِينَ. وَأَجْعَلُ سَلَامًا فِي الْأَرْضِ، فَتَنَامُونَ وَلَيْسَ مَنْ يُزْعِجُكُمْ. وَأَيِّدُ الْوُحُوشَ الرَّدِيئَةَ مِنَ الْأَرْضِ، وَلَا يَعْزُبُ سَيْفٌ فِي أَرْضِكُمْ.

٤) وَتَطْرُدُونَ أَعْدَاءَكُمْ فَيَسْقُطُونَ أَمَامَكُمْ بِالسَّيْفِ. يَطْرُدُ خَمْسَةٌ مِنْكُمْ مِئَةً، وَمِئَةٌ مِنْكُمْ يَطْرُدُونَ رِبْوَةً^(١)، وَيَسْقُطُ أَعْدَاؤُكُمْ أَمَامَكُمْ بِالسَّيْفِ.

٥) وَاللَّفِثُ إِلَيْكُمْ وَأُنْمِرُكُمْ وَأُكْثِرُكُمْ

٦) وَأَفِي مِيثَاقِي مَعَكُمْ، فَتَأْكُلُونَ الْعَتِيقَ الْمُعْتَقَ، وَتُخْرِجُونَ الْعَتِيقَ مِنْ وَجْهِ الْجَدِيدِ.

٧) وَأَجْعَلُ مَسْكِنِي فِي وَسْطِكُمْ، وَلَا تَرْذُلُكُمْ نَفْسِي. ١٢. وَأَسِيرُ بَيْنَكُمْ وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا. ١٣ أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ كَوْمِكُمْ لَهْمَ عَيْدًا، وَقَطَعَ قُبُودَ نِيرِكُمْ وَسَيَّرَكُمْ قِيَامًا^(٢).

• تهديدات مربعة:

كما وجاءت الآيات بعد ذلك بأشد صور الوعيد والتهديد إن هم خالفوا هذه التشريعات وتغاضوا عنها أو تساهلوا في تطبيقها: (١٤) «لَكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لِي وَلَمْ تَعْمَلُوا كُلَّ هَذِهِ الْوَصَايَا، ١٥ وَإِنْ رَفَضْتُمْ فَرَائِضِي وَكَرِهْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَحْكَامِي، فَمَا عَمِلْتُمْ كُلَّ وَصَايَايَ، بَلْ نَكْتُمُ مِيثَاقِي) فَإِنْ أَوَّلَ مَسْتَوًى مِنَ الْعُقُوبَاتِ سَيَتِمُّ بِالْآتِي:

١) أَسْلَطْتُ عَلَيْكُمْ رُعْبًا وَسِلًّا وَحُمَى تُفْنِي الْعَيْنَيْنِ وَتُتْلِفُ النَّفْسَ.

٢) وَتَزْرَعُونَ بَاطِلًا زَرْعَكُمْ فَيَأْكُلُهُ أَعْدَاؤُكُمْ.

٣) وَأَجْعَلُ وَجْهِي ضِدَّكُمْ فَتَنْهَزِمُونَ أَمَامَ أَعْدَائِكُمْ، وَيَتَسَلَّطُ عَلَيْكُمْ مُبْغِضُوكُمْ، وَتَهْرُبُونَ وَلَيْسَ مَنْ يَطْرُدُكُمْ.

١. يذكرنا هذا بقوله «تعالى» في أجواء معركة بدر الكبرى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥].

٢. الكتاب المقدس، سفر اللاويين، الإصحاح ٢٦، ٣-١٣.

وإن لم تُجِدْ هذه العقوبات فسيترتب عليهم المستوى الثاني منها: (١٨) «وإن كنتم مع ذلك لا تسمعون لي، أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم»:

٤) فَأَحْطَمُ فَخَارَ عِزِّكُمْ، وَأَصِيرُ سَمَاءَكُمْ كَالْحَدِيدِ، وَأَرْضَكُمْ كَالثُّحَاسِ، فَتَفْرُغَ بَاطِلًا قُوَّتُكُمْ، وَأَرْضُكُمْ لَا تُعْطِي غَلَّتَهَا، وَأَشْجَارُ الْأَرْضِ لَا تُعْطِي أَثْمَارَهَا.

أما المستوى الثالث من العقوبات في حالة الاستمرار في التمرد على هذه التشريعات فستتضاعف فيها الضربات: (سبعة أضعاف حسب خطاياكم):

٥) أَطْلِقْ عَلَيْكُمْ وَحُوشَ الْبَرِّيَّةِ فَتُعْدِمُكُمْ الْأَوْلَادَ، وَتَقْرُضَ بِهَائِمَكُمْ، وَتَقْلَلَكُمْ فَتَوْحَشَ طُرْفُكُمْ.

ثم المستوى الرابع من العقوبات: (٢٣) «وإن لم تتأدبوا مني بذلك، بل سلكتم معي بالخلاف، ٢٤ فَإِنِّي أَنَا أَسْلُكُ مَعَكُمْ بِالْخِلَافِ، وَأَضْرِبُكُمْ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ حَسَبَ خَطَايَاكُمْ»:

٦) أَجْلِبْ عَلَيْكُمْ سَيْفًا يَنْتَقِمُ نَقْمَةَ الْمِيثَاقِ، فَتَجْتَمِعُونَ إِلَى مُدُنِكُمْ وَأُرْسِلُ فِي وَسْطِكُمْ الْوَبَاءَ فَتُدْفَعُونَ بِيَدِ الْعَدُوِّ.

٧) بِكَسْرِي لَكُمْ عَصَا الْخُبْزِ. تَخْبِزُ عَشْرُ نِسَاءٍ خُبْزَكُمْ فِي تَنْوَرٍ وَاحِدٍ، وَيَرْدُدَنَّ خُبْزَكُمْ بِالْوَزْنِ، فَتَأْكُلُونَ وَلَا تَشْبَعُونَ.

ثم المستوى الخامس منها: (٢٧) «وإن كنتم بذلك لا تسمعون لي بل سلكتم معي بالخلاف، ٢٨ فَأَنَا أَسْلُكُ مَعَكُمْ بِالْخِلَافِ سَاطِئًا، وَأُودِّبُكُمْ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ حَسَبَ خَطَايَاكُمْ»:

- (٨) فَتَأْكُلُونَ لَحْمَ بَنِيكُمْ، وَلَحْمَ بَنَاتِكُمْ تَأْكُلُونَ.
- (٩) وَأُخْرِبُ مُرْتَفَعَاتِكُمْ
- (١٠) وَأَقْطَعُ شَمْسَاتِكُمْ
- (١١) وَأُلْقِي جُثَثَكُمْ عَلَى جُنْثِ أَصْنَامِكُمْ
- (١٢) وَتَرْدُلُكُمْ نَفْسِي
- (١٣) وَأَصِيرُ مُدْنَكُمْ خَرِبَةً
- (١٤) وَمَقَادِسَكُمْ مُوحِشَةً
- (١٥) وَلَا أَشْتُم رَائِحَةَ سُرُورِكُمْ.
- (١٦) وَأَوْحِشُ الْأَرْضَ فَيَسْتَوْحِشُ مِنْهَا أَعْدَاؤُكُمْ السَّاكِنُونَ فِيهَا.
- (١٧) وَأَذَرِّيْكُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ
- (١٨) وَأَجَرِّدُ وَرَاءَكُمْ السَّيْفَ فَتَصِيرُ أَرْضُكُمْ مُوحِشَةً، وَمُدْنُكُمْ تَصِيرُ خَرِبَةً.
- (١٩) حِينَئِذٍ تَسْتَوِي الْأَرْضُ سُبُوتَهَا كُلَّ أَيَّامٍ وَحْشَتِهَا وَأَنْتُمْ فِي أَرْضِ أَعْدَائِكُمْ.
- حِينَئِذٍ تَسْبِتُ الْأَرْضُ وَتَسْتَوِي سُبُوتَهَا. كُلَّ أَيَّامٍ وَحْشَتِهَا تَسْبِتُ مَا لَمْ تَسْبِتْهُ مِنْ سُبُوتِكُمْ فِي سَكْنِكُمْ عَلَيْهَا.
- (٢٠) وَالْبَاقُونَ مِنْكُمْ أُلْقِيَ الْجَبَانَةُ فِي قُلُوبِهِمْ فِي أَرْضِي أَعْدَائِهِمْ، فَيَهْزِمُهُمْ صَوْتُ وَرَقَةٍ مُنْدَفِعَةٍ، فَيَهْرُبُونَ كَالْهَرَبِ مِنَ السَّيْفِ، وَيَسْقُطُونَ وَلَيْسَ طَارِدٌ. وَيَعْتَرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضٌ كَمَا مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ وَلَيْسَ طَارِدٌ
- (٢١) وَلَا يَكُونُ لَكُمْ قِيَامٌ أَمَامَ أَعْدَائِكُمْ، فَتَهْلِكُونَ بَيْنَ الشُّعُوبِ وَتَأْكُلُكُمْ أَرْضُ أَعْدَائِكُمْ

(٢٢) وَالْبَاقُونَ مِنْكُمْ يَفْنَوْنَ بِذُنُوبِهِمْ فِي آَرَاضِي أَعْدَائِكُمْ. وَأَيْضًا بِذُنُوبِ آبَائِهِمْ مَعَهُمْ يَفْنَوْنَ

ثم يفتح لهم باباً من الرحمة، فإن هم تابوا ورجعوا عن العصيان، فإن الله سيتوب عليهم ويعيدهم إلى الأرض التي أعطاهم إياها من قبل: (٤٠) لَكِنْ إِنْ أَقْرَأُوا بِذُنُوبِهِمْ وَذُنُوبِ آبَائِهِمْ فِي خِيَانَتِهِمِ الَّتِي خَانُونِي بِهَا، وَسَلُّوكِهِمْ مَعِيَ الَّذِي سَلَكُوا بِالْخِلَافِ، ٤١ وَإِنِّي أَيْضًا سَلَكْتُ مَعَهُمْ بِالْخِلَافِ وَآتَيْتُ بِهِمْ إِلَى أَرْضِ أَعْدَائِهِمْ. إِلَّا أَنْ تَخْضَعَ حِينَئِذٍ قُلُوبُهُمُ الْغُلْفُ، وَيَسْتَوْفُوا حِينَئِذٍ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، ٤٢ أَذْكَرُ مِيثَاقِي مَعَ يَعْقُوبَ، وَأَذْكَرُ أَيْضًا مِيثَاقِي مَعَ إِسْحَاقَ، وَمِيثَاقِي مَعَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَذْكَرُ الْأَرْضَ^(١).

• نهاية سفر اللاويين:

مع انتهاء بيان التشريعات، وما استتبع ذلك من وعد ووعيد، ينتهي سفر اللاويين من التوراة، وتنتهي معه مرحلة من سيرة النبي موسى، لتبدأ بعدها مرحلة مهمة ومصيرية ترتبط بالاستعداد للخروج من سيناء والدخول إلى الأرض المباركة المقدسة للاستقرار فيها، وهو ما سيأتي بيانه في الفصل القادم من خلال ما عرضه السفر الرابع من التوراة، وهو سفر العدد، ومقارنة ذلك بما جاء في القرآن الكريم حول هذه المرحلة.

• نتائج الفصل وخلاصته:

○ استلم النبي موسى ألواحاً بديلة عن تلك الألواح التي حطّمها عند غضبه من الجريمة التي ارتكبها قومه بصناعة العجل، وتعبير القرآن الكريم بقوله (وفي نسختها) ما يؤيد ذلك.

١. الكتاب المقدس، سفر اللاويين، الإصحاح ٢٦، ١٤-٤٢.

○ وعد الله بني إسرائيل بنصرهم على أعدائهم إن هم التزموا بسبعة أمور، بدءً من توحيده وانتهاء بعدم تناول لحم الجدي المطبوخ بلبن أمه.

○ أمره الله كليمه بكتابة التشريعات والوصايا النازلة لتكون ميثاقاً وعهداً لازماً بين بني إسرائيل وبينه.

○ انعكست الحالة الروحانية للنبي موسى وطهارة روحه وسموها بعد لقاءاته بالله من خلال بريق النور الذي كانت يتوهج في وجهه، وهو ما تم تأويله وترجمته من النص التوراتي في صورة شعاعين من نور. هذا التصور انعكس بدوره ضمن الفن الكتابي من خلال رسم أو تشكيل شعاعين أو قرنين على رأس النبي موسى.

○ ألزم الله بني إسرائيل بتشريعات كثيرة، ووعدهم بعطاياها الكريمة إن هم عملوا بها بالتمام والكمال، وأما إن عصوا - كما تكرر ذلك منهم - فإن عذابه سيكون شديداً أليماً. ومن تاب منهم بعد عصيانهم، فإن الله يتوب عليه ويغفر له ما سلف من ذنبه.

ادخلوا
الأرض
المقدّسة

ادخلوا الأرض المقدسة

• موضوعات هذا الفصل:

- أحداث السنة الثانية من بعد عبور البحر، وأولها الإعداد للحرب.
- قيام النبي موسى بإعداد اثنتي عشرة كتيبة مقاتلة بحسب عدد أسباط بني إسرائيل، واستثناء سبط لاوي من ذلك لقيامهم بالمهام الدينية، والاستعاضة عنهم بفرعين من سبط يوسف.
- مناقشة السبب وراء إعادة تشكيل نظام وترتيب مساكن بني إسرائيل عند استقرارهم في أية منطقة صحراوية خلال توجههم إلى أرض كنعان، ونفي مجاميع معيّنة من وسط المساكن العامة.
- ماذا جرى عند وصول بني إسرائيل لبرية فاران؟ ولماذا طلبوا تغيير قائمة الطعام؟

- ما قصة زواج النبي موسى بالمرأة الكوشية؟ ولماذا عارضت أخته مريم وأخوه هارون هذا الزواج؟ وكيف كان الردّ الإلهي على موقفهما؟ وما حكاية إصابة مريم بالبرص؟ وكيف شُفيت منه؟
- أوجه التشابه بين معاناة نبيينا محمد ومعاناة النبي موسى من الناحية الاجتماعية. وما تأويل الآيات الخاصة بذلك؟
- جمع المعلومات عن أرض كنعان، واتفاق المبعوثين في شهاداتهم واختلافهم في تقييم الموقف. غضب الله على الشهود العشرة، وإنزال العذاب بالمتمردين.
- أسطورة عوج بن عنق في المرويات الإسلامية، وخلفياتها الإسرائيلية.
- مناقشة ادّعاء حق اليهود الأبدى في الأرض الفلسطينية.

• إحصاء المقاتلين:

مع انتهاء السنة الأولى بكل أحداثها وتحدياتها، دخلت السنة الثانية بصدور الأمر الإلهي لبني إسرائيل -في الشهر الثاني منه على وجه التحديد- بإعداد العدة للخروج من سيناء والانتقال إلى الأرض المباركة المقدسة، أرض كنعان، للاستقرار فيها، والتمتع بخيراتها، على أن يتم ذلك بالقتال واستعمال القوة العسكرية.

ولتحقيق ذلك، كان لابد من إجراء إحصاء لعدد الرجال المؤهلين للمشاركة في المهام القتالية القادمة، وتعيين رؤساء الفرق والفصائل القتالية بحسب تقسيمات الأسباط، وتوزيع المسؤوليات الخاصة بذلك، على أن يترأس هذه المهمة كلاً من النبيين موسى وهارون «عليهما السلام»: (١) وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ، فِي خَيْمَةِ الْجَمَاعِ، فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ الثَّانِي فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لَخُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ قَائِلًا: ٢ «أَخْصُوا كُلَّ

جَمَاعَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعَشَائِرِهِمْ وَبُيُوتِ آبَائِهِمْ، بَعَدَ الْأَسْمَاءِ، كُلُّ ذَكَرٍ بِرَأْسِهِ، ٣ مِنْ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا، كُلُّ خَارِجٍ لِلْحَرْبِ فِي إِسْرَائِيلَ. تَحْسُبُهُمْ أَنْتَ وَهَارُونُ حَسَبَ أَجْنَادِهِمْ. ٤ وَيَكُونُ مَعَكُمْ رَجُلٌ لِكُلِّ سِبْطٍ، رَجُلٌ هُوَ رَأْسُ لِبَيْتِ آبَائِهِ. ٥ وَهَذِهِ أَسْمَاءُ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَفْقُحُونَ مَعَكُمْ^(١).

ومن بين الأسباط الاثني عشر، يُسْتثنى سبط لاوي بن يعقوب مما سبق ويُعْفَوْنَ من (التجنيد الإلزامي) والقيام بالمهام القتالية بلحاظ مسؤولياتهم الخاصة بالخدمة الدينية: (٩) «أَمَّا سِبْطُ لَاوِي فَلَا تَحْسُبُهُ وَلَا تَعُدَّهُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ٥٠ بَلْ وَكُلِّ اللَّاوِيِّينَ عَلَى مَسْكَنِ الشَّهَادَةِ وَعَلَى جَمِيعِ أَمْتِعَتِهِ وَعَلَى كُلِّ مَا لَهُ. هُمْ يَحْمِلُونَ الْمَسْكَنَ وَكُلَّ أَمْتِعَتِهِ، وَهُمْ يَخْدُمُونَهُ، وَحَوْلَ الْمَسْكَنِ يَنْزِلُونَ. ٥١ فَعِنْدَ ارْتِحَالِ الْمَسْكَنِ يُنْزَلُهُ اللَّاوِيُّونَ وَعِنْدَ نُزُولِ الْمَسْكَنِ يُقِيمُهُ اللَّاوِيُّونَ. وَالْأَجْنَبِيُّ الَّذِي يَقْتَرِبُ يُقْتَلُ. ٥٢ وَيَنْزِلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ كُلُّ فِي مَحَلَّتِهِ وَكُلٌّ عِنْدَ رَأْيَتِهِ بِأَجْنَادِهِمْ. ٥٣ وَأَمَّا اللَّاوِيُّونَ فَيَنْزِلُونَ حَوْلَ مَسْكَنِ الشَّهَادَةِ لِكَيْ لَا يَكُونَ سَخَطٌ عَلَى جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَيَحْفَظُ اللَّاوِيُّونَ شُعَائِرَ مَسْكَنِ الشَّهَادَةِ». ٥٤ فَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى كَذَلِكَ فَعَلُوا^(٢). ولكي يكون المجموع اثني عشر سبطاً، يُعَوِّضُ عن سبط لاوي بفرعين من سبط يوسف -لما للنبي يوسف من مكانة خاصة عندهم- سبط أفرايم بن يوسف، وسبط منسى بن يوسف.

وجاءت نتائج الإحصاء -بحسب النص التوراتي- للذكور من بني إسرائيل ممن كانوا في سنِّ العشرين فما فوق، كالتالي:

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ١، ٥-١٠.

٢. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ١، ٤٩-٥٤.

١. بَنُو رَأُوَيْيْنَ، أَكْبَرُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ يَعْقُوبَ: ٤٦,٥٠٠.
 ٢. بَنُو شَمْعُونَ بنِ يَعْقُوبَ: ٥٩,٣٠٠.
 ٣. بَنُو جَادَ بنِ يَعْقُوبَ: ٤٥,٦٥٠.
 ٤. بَنُو يَهُوذَا بنِ يَعْقُوبَ: ٧٤,٦٠٠.
 ٥. بَنُو يَسَّاكَرَ بنِ يَعْقُوبَ: ٥٤,٤٠٠.
 ٦. بَنُو زَبُولُونَ بنِ يَعْقُوبَ: ٥٧,٤٠٠.
 ٧. بَنُو أَفْرَايِمَ بنِ يُوسُفَ بنِ يَعْقُوبَ: ٤٠,٥٠٠.
 ٨. بَنُو مَنَسَّى بنِ يُوسُفَ بنِ يَعْقُوبَ: ٣٢,٢٠٠.
 ٩. بَنُو بَنِيَامِينَ بنِ يَعْقُوبَ: ٣٥,٤٠٠.
 ١٠. بَنُو دَانَ بنِ يَعْقُوبَ: ٦٢,٧٠٠.
 ١١. بَنُو أَشِيرَ بنِ يَعْقُوبَ: ٤١,٥٠٠.
 ١٢. بَنُو نَفْتَالِي بنِ يَعْقُوبَ: ٥٣,٤٠٠.
- (٤٥) فَكَانَ جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمْ مِنْ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا، كُلُّ خَارِجٍ لِلْحَرْبِ فِي إِسْرَائِيلَ ٤٦ كَانَ جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ سِتِّ مِئَةِ أَلْفٍ وَثَلَاثَةِ آلَافٍ وَخَمْسَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ^(١).

أما عدد الذكور من سبط لاوي بن يعقوب الخارجين عن عملية الإحصاء السابقة

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ١، ٢٠-٤٦.

لإعفائهم من المهام القتالية فكان ٢٢,٠٠٠ فرداً: (٣٩) جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ مِنَ اللَّائِيَيْنِ الَّذِينَ عَدَّهُمْ مُوسَى وَهَارُونُ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ بِعَشَائِرِهِمْ، كُلُّ ذَكَرٍ مِنْ ابْنِ شَهْرِ فَصَاعِدًا، اثْنَانِ وَعِشْرُونَ أَلْفًا^(١).

وأجري إحصاء آخر لعدد الذكور (الأبكار) من كل الأسباط، أي أول ولد ذكر من أبناء كل أسرة من بني إسرائيل، فكان المجموع ٢٢,٢٧٣: (٤٢) فَعَدَّ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ كُلَّ بَكْرٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ. ٤٣ فَكَانَ جَمِيعُ الْأَبْكَارِ الذُّكُورِ بَعْدَ الْأَسْمَاءِ مِنْ ابْنِ شَهْرِ فَصَاعِدًا، الْمَعْدُودِينَ مِنْهُمْ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ أَلْفًا وَمِئَتَيْنِ وَثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ^(٢).

وقد تحدثنا في الجزئين الأول والثاني من الكتاب عن المبالغة في تقدير أعداد أفراد بني إسرائيل، والأدلة على ذلك، ولربما كان الأقرب إلى الحقيقة أن نلغي آخر صفرين من كل رقم من الأرقام السابقة، بحيث يكون التعداد الحقيقي للرجال (ممن هم فوق العشرين) من بني رَأُوبَيْنَ ٤٦٥ فرداً بدلاً من ٤٦,٥٠٠، و ٥٩٣ فرداً من بني شِمْعُونَ بدلاً من ٥٩,٣٠٠، وهكذا... ليصبح المجموع الأقرب إلى الرقم الحقيقي هو ٦٠٣٥ فرداً بدلاً من ٦٠٣,٥٥٠. والذي يقوّي هذا الرأي صعوبة تصديق أن أعدادهم كانت خالية من الأرقام الأحادية، بل وحتى العشرية في الأعم الأغلب، إذ كانت: ٤٦,٥٠٠، ٥٩,٣٠٠، ٤٥,٦٥٠، ٧٤,٦٠٠، ٥٤,٤٠٠، إلخ... فهل يُعقل ذلك؟

• توزيع الرايات:

استتبع عملية الإحصاء تحديد مواقع الأسباط حول خيمة الاجتماع، وتعيين رؤسائهم، وتوزيع الرايات عليهم، وكيفية ارتحالهم بالتتابع، وإعادة تشكيل مواضع

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٣، ٣٩.

٢. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٣، ٤٢-٤٣.

منازلهم أينما حلّوا في طريق السفر إلى أرض كنعان، بالإضافة إلى توزيع المهام على اللاويين في خدمة (بيت العبادة/البيت المقدس) الذي يُطلق عليه اختصاراً عنوان (المسكن) ومحتوياته من التابوت والمنارة والمائدة وغير ذلك، بالإضافة إلى خدمة خيمة الاجتماع.

• إجراء وقائي:

يتشكّل مخيم بني إسرائيل -كلّما حلّوا في منزلٍ ما- من تنظيم خاص، إذ تكون هناك ثلاثة معسكرات، الأولى مركزية وبمقابلة النواة التي تلتف حولها ما بعدها، وهو معسكر البيت المقدس (السكينة) وفق التشكيل الذي شرحناه مسبقاً، ثم يلتف من حوله معسكر اللاويين الذين يمثلون حُماة وخدمة المسكن، ثم تلتف من حولهما مساكن بني إسرائيل. [انظر اللوحة ٧٠]

ولربما يأتي هذا متناغماً مع ما ذكره القرآن الكريم من تهيئة بيوتهم -عندما كانوا في مصر- بالطريقة التالية: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٧)^(١)، وقد تعرّضت في الجزء الثاني من هذا الكتاب لبيان المراد من ذلك وغاياته.

وتذكر التوراة نزول تعليمات خاصة بعزل ثلاث فئات من المرتحلين عن سائر الركب: (١) وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: ٢ «أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَنْفُؤُوا مِنَ الْمَحَلَّةِ كُلِّ أْبْرَصَ، وَكُلِّ ذِي سَيْلٍ، وَكُلِّ مُتَنَجِّسٍ لِمَيْتٍ. ٣ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى تَنْفُونَ. إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ تَنْفُونَهُمْ لِكَيْلَا يَنْجَسُوا مَحَلَّاتِهِمْ حَيْثُ أَنَا سَاكِنٌ فِي وَسْطِهِمْ». ٤ فَفَعَلَ هَكَذَا بَنُو

١. سورة يونس: ٨٧.



اللوحة رقم ٧٠ : كيفية توزيع خيام ومعسكرات بني إسرائيل حول المسكن

إِسْرَائِيلَ وَنَفَوْهُمْ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ. كَمَا كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى هَكَذَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ^(١). وقد فُسِّرَ هذا الإجراء بأنَّ الداخلين في هذه الفئات الثلاث من المغضوب عليهم، لأنهم لم يُبتَلَوْا بالبرص أو السَّيْلِ أو لمس الميِّتِ إلا لكونهم من الخاطئين، فالبرص والسَّيْلِ والموت إما ضربات إلهية نتيجة الخطيئة كالبرص بالذات، أو مرض ينشأ عن خطيئة كالإصابة بالسَّيْلِ، أو الموت، وهو عقاب الخطيئة، فالله (السَّاكن في وسط شعبه) لا يقبل أن يكون للخطيئة حضوراً في حضرته أبداً، ولذا فقد حُكِمَ على كل هذه الأنفس بالعزل في خيام خاصة بها خارج المحلة (إذ لا شركة للنور مع الظلمة)^(٢).

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٥، ١-٤.

2. <https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/numbers/chapter-05.html>

وبرأيي أن المسألة لا علاقة لها بما ذكر من العقوبة والخطيئة، بل تأتي كإجراء وقائي من أجل المحافظة على سلامة وعافية الرّكب المرتحل، لاسيّما بلحاظ خطورة وحساسية المرحلة القادمة وما تتطلبه من توافر العافية والصحة والقوة في الأفراد، والمقاتلين منهم على وجه الخصوص، ولذا أمر الله «تعالى» بأن يتم إبعاد المصابين -أو من يُحتمل إصابتهم- بأمراض مُعدية من وسط الناس وعزلهم في خيام خاصة، إذ توجد هنا ثلاثة عناوين موجبة لاتخاذ إجراء حازم بصدد المبتلين بها:

١. (البرص)، ولا يبدو من خلال تتبع النصوص في التوراة أن المراد به ما يُعرف بعنوان (المهق) Albinism والناجم عن فقدان التام لمادة الميلانين المسؤولة عن صبغة الجسم سواء للشعر، أو الجلد، فتكون بشرة المصاب به وشعره فاتحة جداً وقريبة من اللون الأبيض، أو البهاق Vitiligo الناجم عن فقدان الجزئي لمادة الميلانين. [انظر اللوحتين ٧١-٧٢]

بل المراد من البرص خصوص مرض الجذام Leprosy، أو الجذام وأمراض جلدية أخرى معدية. ففي التوراة: (إِنْ كَانَتْ فِي إِنْسَانٍ ضَرْبَةُ بَرَصٍ فَيُؤْتَى بِهِ إِلَى الْكَاهِنِ. فَإِنْ رَأَى الْكَاهِنُ وَإِذَا فِي الْجِلْدِ نَاتِيٌّ أَبْيَضٌ، قَدْ صَيَّرَ الشَّعْرَ أَبْيَضَ، وَفِي الثَّانِي وَضَحٌ مِنْ لَحْمٍ حَيٍّ، فَهُوَ بَرَصٌ مُزْمَنٌ فِي جِلْدِ جَسَدِهِ. فَيَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِنَجَاسَتِهِ) وكأنها إشارة إلى كونه مرضاً معدياً (لَا يَخْجُزُهُ لِأَنَّهُ نَجَسٌ. لَكِنْ إِنْ كَانَ الْبَرَصُ قَدْ أَفْرَحَ فِي الْجِلْدِ، وَعَطَى الْبَرَصُ كُلَّ جِلْدِ الْمَضْرُوبِ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمَيْهِ حَسَبَ كُلِّ مَا تَرَاهُ عَيْنَا الْكَاهِنِ، وَرَأَى الْكَاهِنُ وَإِذَا الْبَرَصُ قَدْ عَطَى كُلَّ جِسْمِهِ، يَحْكُمُ بِطَهَارَةِ الْمَضْرُوبِ. كُلُّهُ قَدْ أْبْيَضَ. إِنَّهُ طَاهِرٌ. لَكِنْ يَوْمَ يَرَى فِيهِ لَحْمٌ حَيٍّ يَكُونُ نَجَسًا. فَمَتَى رَأَى الْكَاهِنُ اللَّحْمَ الْحَيَّ يَحْكُمُ بِنَجَاسَتِهِ. اللَّحْمُ الْحَيُّ نَجَسٌ. إِنَّهُ بَرَصٌ. ثُمَّ إِنْ عَادَ اللَّحْمُ الْحَيُّ وَأَبْيَضَ



اللوحة رقم ٧١ : المهق Albinism



اللوحة رقم ٧٢ : البهاق Vitiligo

يَأْتِي إِلَى الْكَاهِنِ. فَإِنْ رَأَاهُ الْكَاهِنُ وَإِذَا الضَّرْبَةُ قَدْ صَارَتْ بَيَضَاءً، يَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِطَهَارَةِ الْمَضْرُوبِ. إِنَّهُ ظَاهِرٌ^(١).

قال القمص أنطونيوس فكري في شرح الكتاب المقدس حول هذه الآيات: (في هذا الإصحاح نجد عدة أمراض جلدية أطلق على جميعها اسم البرص فلم يكن هناك طبٌّ بالمعنى المفهوم لنا الآن، ولكن الله كان لشعبه كل شيء، هو الطبيب والقاضي والمهندس وكان الكهنة هم رجال الله يعطيهم حكمة للقيام بهذه الأعمال. وهذه الأمراض الجلدية منها ما هو غير معدي كالبهاق وهو مرض مناعي غير معدي، ويظهر على شكل بقع بيضاء في الجلد. وهناك مرض الجذام وهذا معروف باسم Leprosy وهذا المرض معدي بالمعايشة بين المريض ومن حوله، ويجب عزل المريض حتى لا تنتشر العدوى. لكن هناك أمراض أخرى أطلق الكتاب عليها اسم برص أيضاً لإظهار خطورتها وأنهم يجب أن يتعاملوا معها كما يتعاملون مع البرص فيعزلوا المريض، فهي أمراض معدية [أمراض جلدية]... أما مرض الجذام Leprosy وأيضاً هو مسمى هنا برص هو مرض جلدي مخيف معدي وخطير، فهو يشوه جلد الإنسان، ويحدث عاهات بالجسم، وله مضاعفات شديدة في أدواره الخطيرة، لأنه قد يسقط الشعر من الرأس والحواجب، وقد يتسبب في إسقاط عقد الأصابع في اليدين والقدمين الواحدة بعد الأخرى، ثم تتساقط الأظافر والأنف وسقف الحلق، وتتآكل اللثة وتسقط الأسنان وتضيع العينان تدريجياً. ومع أن آلام هذا المرض ليست حادة إلا أنها تجعل المريض في حزن عظيم)^(٢).

١. الكتاب المقدس: سفر اللاويين، الإصحاح ١٣، ٩-١٧.

2. https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/03-Sefr-El-Lawyeen/Tafseer-Sefr-El-Lawyeen__01-Chapter-13.html

٢. السَّيْل: قد يكون المراد من السيل خصوص مرض الزحار The Flux، بحسب بعض شروحات التوراة، وهو عبارة عن عدوى معوية تسبب إسهالاً شديداً، وتنتج -غالباً- عن الإصابة بنوع من البكتيريا تسمى شيجيلا Shigella، وعادة ما يصاب الناس بعدوى هذا المرض عن طريق شرب المياه الملوثة أو الحليب غير المبستر. وقد يكون المراد من السَّيْل كل حالة إسهال شديدة تكون علامة على الإصابة بمرض قد يكون مُعدياً. وهذا مفهوم بلحاظ عدم القدرة على التشخيص الطبي الدقيق، لاسيما في تلك الظروف التي كانوا يعيشونها في الصحراء.

٣. لمس الميت: فالموت قد يكون ناتجاً عن مرض معدي، ولمس الميت قد يؤدي إلى انتقال العدوى منه إلى الفرد الحي السليم، ومن المستبعد أن يكون ذلك بلحاظ البُعد الشرعي في النجاسة والطهارة كما فسره بعض شراح الكتاب المقدس.

ومن خلال ما سبق، يتبين لي أن الأقرب للصحة في تفسير صدور هذه التعليمات أنها تعود إلى اتخاذ إجراء صحي وقائي يستهدف الحفاظ على صحة وعافية وسلامة الركب المقبل على مواجهات عسكرية (محتملة) مع أطراف قوية في أرض كنعان.

• التحرك بإشارة إلهية:

في هذه الرحلة من سيناء إلى أرض كنعان، كان انتقال بني إسرائيل من موقع إلى آخر يأتي وفقاً للإشارة التي يتلقونها من الله، والتي تتمثل في السحابة التي خصصها الله «تعالى» لمرافقة وتظليل البيت المقدس (المسكن) ولخيمة الاجتماع. فعندما تحلّ السحابة في مكان، ينزل بنو إسرائيل فيه ويستقرون، وتنزل السحابة على المسكن والخيمة، وتغطيها، وذلك للدلالة على الأمر الإلهي بالاستقرار في هذا الموقع، مهما

طالت مدة المكوث أو قصرت... وعندما ترتفع السحابة، يرتحل بنو إسرائيل في نفس الاتجاه الذي تتحرك فيه: (١٥.... وَفِي الْمَسَاءِ كَانَ عَلَى الْمَسْكَنِ كَمَنْظَرِ نَارٍ إِلَى الصَّبَاحِ. ١٦ هَكَذَا كَانَ دَائِمًا. السَّحَابَةُ تُعْطِيهِ وَمَنْظَرُ النَّارِ لَيْلًا. ١٧ وَمَتَى ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ عَنِ الْحَيْمَةِ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَرْتَحِلُونَ، وَفِي الْمَكَانِ حَيْثُ حَلَّتِ السَّحَابَةُ هُنَاكَ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَنْزِلُونَ. ١٨ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَرْتَحِلُونَ، وَحَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَانُوا يَنْزِلُونَ)^(١).

ومن المحتمل أن قوله «تعالى»: ﴿وَوَضَعْنَا عَلَى كُمْ الْعَمَامَ....﴾^(٢) يشير -في جانب منه- إلى ذلك، وفي جانب آخر كان الغمام يظللهم من أشعة الشمس أحياناً رحمةً بهم.

• بَرِّيَّةُ فَارَانَ:

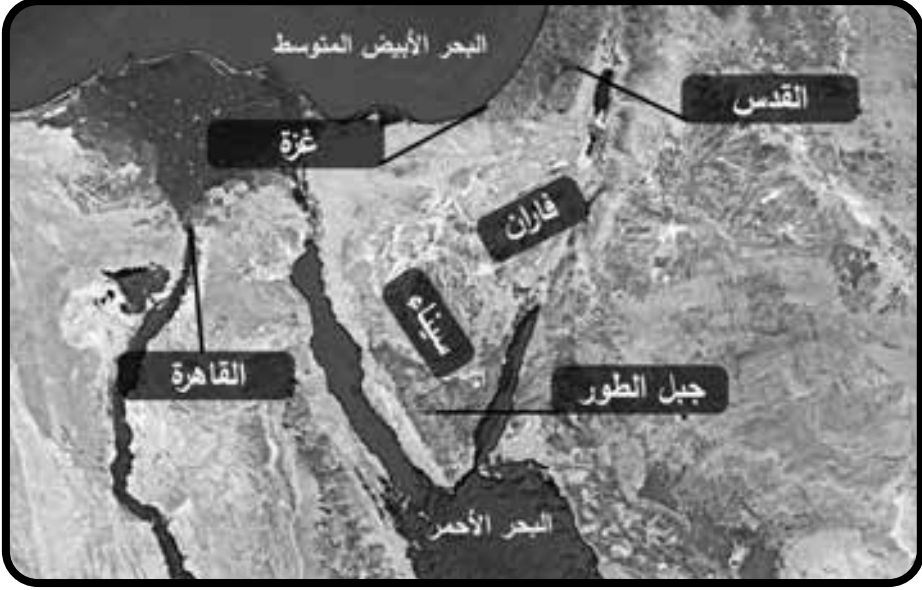
حط الرّحال ببني إسرائيل -تبعاً لحركة السحابة- في بَرِّيَّةِ فَارَانَ: (١١ وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ عَنْ مَسْكَنِ الشَّهَادَةِ. ١٢ فَأَرْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي رِحَالَتِهِمْ مِنْ بَرِّيَّةِ سِينَاءَ، فَحَلَّتِ السَّحَابَةُ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ)^(٣). وقد بحثت في الجزء الثاني من كتابي (في عمق التاريخ) المراد من (بَرِّيَّةِ فَارَانَ) في النصوص التوراتية، وبحسب تتبع مسار حركة بني إسرائيل بقيادة النبي موسى «عليه السلام»، فلن يكون المراد من (بَرِّيَّةِ فَارَانَ) -هنا على الأقل- أرض مكة المكرمة، بل هي جزء من سيناء وأرض كنعان (فلسطين). [انظر اللوحة ٧٣]

ويفاجئنا النص -بعد ذلك- بطلب موسى من (حميه) أن يرافقهم إلى أرض كنعان

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ٩، ١٥-١٨.

٢. سورة البقرة: ٦١.

٣. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٠، ١١-١٢.



اللوحة رقم ٧٣ : موقع برية فاران

لأنه يعرف الطريق ومنازل السفر في هذه المنطقة، من دون أن يوضح متى التحق حموه بركب بني إسرائيل؟ وأين؟ ولماذا؟ لاسيما وأنه كان قد افترق عن بني إسرائيل منذ سنة تقريباً، حين كانوا في رَفِيدِيم وقبل الوصول إلى جبل الطور، وعاد إلى مدين.

الأمر الآخر الذي نتفاجأ به هو تغيير اسمه، ففي حين كانت التوراة تتحدث عنه باسم يثرون، إذا بها تدعوه هذه المرة باسم مختلف: (٢٩) وَقَالَ مُوسَى لِحُوبَابَ بْنِ رَعُوثِيلَ الْمِدْيَانِيِّ حَمِي مُوسَى: «إِنَّا رَاجِلُونَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي قَالَ الرَّبُّ أُعْطِيكُمْ إِيَّاهُ. اذْهَبْ مَعَنَا فَنُحْسِنَ إِلَيْكَ، لَأَنَّ الرَّبَّ قَدْ تَكَلَّمَ عَنْ إِسْرَائِيلَ بِالْإِحْسَانِ»..... ٣١ لَأَنَّهُ بِمَا أَنَّكَ تَعْرِفُ مَنَازِلَنَا فِي الْبَرِّيَّةِ تَكُونُ لَنَا كَعُيُونٍ^(١).

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٠، ٢٩-٣١.

وقد تعرّضت لمسألة اسم والد زوجة النبي موسى في الجزء الأول من هذا الكتاب، وقلت في حينه أن التوراة قد ذكرت الرجل بلقب (يثرון) أي (فضل) بلغة أهل مدين - على ما قيل - وفي بعض المصادر الكتابية أن اسمه (رعوئيل) أي (خليل الله)، وفي بعض النسخ العبرية للتخ أن اسمه حوباب، أي محبوب، بينما في نسخ أخرى أن حوباب هو أخو زوجة موسى، وابن رعوئيل، الذي هو يثرון.

ولهذا فلا تعارض في الأمر، فإما أن يكون المشار إليه في هذا المشهد هو والد زوجته، واسمه حوباب، ويثرון لقبه... أو أن يكون المشار إليه هو أخو زوجته، واسمه حوباب، وهذا مستبعد بلحاظ اعتماد يثرון على ابنتيه في شئون الرعي، ثم طلبه من موسى أن يبقى عنده لسنوات كي يخدمه، ولو كان لديه ولد لما فعل ذلك.

على كل حال، سعى النبي موسى «عليه السلام» أن يُقنع حوباب بالمضي معهم ليكون عيناً في الطريق لمعرفته بها، وللناس القاطنين بها، ووعدّه بأن يحصلَ على نصيبٍ من الغنيمة الموعودة عند فتح الأرض المباركة، إلا أنّ الرجل رفض العرض ابتداءً، وأبدى رغبته في العودة إلى مدين: (٢٩) إِذْهَبْ مَعَنَا فَنُحْسِنَ إِلَيْكَ، لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ تَكَلَّمَ عَنْ إِسْرَائِيلَ بِالْإِحْسَانِ. ٣٠ فَقَالَ لَهُ: «لَا أَذْهَبُ، بَلْ إِلَى أَرْضِي وَإِلَى عَشِيرَتِي أَمْضِي». ٣١ فَقَالَ: «لَا تَتْرُكْنَا، لِأَنَّهُ بِمَا أَنَّكَ تَعْرِفُ مَنَازِلَنَا فِي الْبَرِّيَّةِ تَكُونُ لَنَا كُعْيُونًا. ٣٢ وَإِنْ ذَهَبْتَ مَعَنَا فَيَنْفُسِ الْإِحْسَانِ الَّذِي يُحْسِنُ الرَّبُّ إِلَيْنَا نُحْسِنُ نَحْنُ إِلَيْكَ»^(١).

وحيث جاء العرض مغرياً، وافق الرجل، ورافقهم في مسيرهم نحو أرض كنعان ترافقهم السحابة ودعوات النبي موسى: (٣٣) فَارْتَحِلُوا مِنْ جَبَلِ الرَّبِّ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَتَأْبُوتُ عَهْدِ الرَّبِّ رَاحِلٌ أَمَامَهُمْ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِيَلْتَمِسَ لَهُمْ مَازِلًا. ٣٤ وَكَانَتْ

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٠، ٢٩-٣٢.

سَحَابَةُ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ نَهَارًا فِي ارْتِحَالِهِمْ مِنَ الْمَحَلَّةِ. ٣٥ وَعِنْدَ ارْتِحَالِ الثَّابُوتِ كَانَ مُوسَى يَقُولُ: «قُمْ يَا رَبُّ، فَلْتَتَبَدَّدْ أَعْدَاؤُكَ وَيَهْرُبْ مُبْغِضُوكَ مِنْ أَمَامِكَ». ٣٦ وَعِنْدَ حُلُولِهِ كَانَ يَقُولُ: «ارْجِعْ يَا رَبُّ إِلَى رِبَوَاتِ أُلُوفِ إِسْرَائِيلَ»^(١).

• تجدد الشكوى والتذمر:

مرّ معنا خلال الفصول السابقة تكرر شكوى بني إسرائيل وتذمرهم، تارة بسبب العطش، وأخرى بسبب الجوع، وثالثة بسبب الظروف الحياتية الصعبة في الصحراء والتنقل من موضع إلى آخر، على الرغم من أنهم شاهدوا الرعاية الإلهية المستمرة والمتنوعة التي تمثلت في إنزال المن والسلوى، وانفجار الماء بعدد أسباطهم، وأخبروا أن الشدائد التي يمرّون بها ابتلاء لصالحهم، لأن الله «تعالى» يريد أن يكشف لهم نقاط ضعفهم، ليصلحوا من أنفسهم، وليشتدّ بأسهم، ولكنهم كانوا في كلّ ابتلاء يرتدون على أعقابهم، ثم يطلبون التوبة والمغفرة.

وفي الطريق إلى أرض كنعان، حين حلّوا في برية فاران، عادوا إلى الشكوى والتذمر: (١) وَكَانَ الشَّعْبُ كَانَتْهُمْ يَشْتَكُونَ شَرًّا فِي أُذُنِي الرَّبِّ، فغضب الله عليهم وأرسل عليهم نارا أحرقت طرفاً من المكان الذي كانوا قد استقروا فيه مؤقتاً: (وَسَمِعَ الرَّبُّ فَحَمِي غَضَبُهُ، فَاشْتَعَلَتْ فِيهِمْ نَارُ الرَّبِّ وَأَحْرَقَتْ فِي طَرْفِ الْمَحَلَّةِ. ٢ فَصَرَخَ الشَّعْبُ إِلَى مُوسَى، فَصَلَّى مُوسَى إِلَى الرَّبِّ فَخَدَّتِ النَّارُ)^(٢).

وحتى يصير ما وقع تذكراً عبر الأجيال، أطلق النبي موسى «عليه السلام» على ذلك المكان اسم (تبعيرة) والتي تعني في اللغة العبرية (اشتعال)، ليتذكروا أن التذمر

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٠، ٣٣-٣٦.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١١، ١-٢.

يُغضب المَّتَانِ الوَهَّاب، وأن الغضب والعقاب الإلهي قد ينزل عليهم بسبب ذلك: (٣) فَدُعِيَ اسْمُ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ «تَبْعِيرَةً» لِأَنَّ نَارَ الرَّبِّ اشْتَعَلَتْ فِيهِمْ^(١). وليس في القرآن الكريم إشارة إلى هذه الحادثة على وجه التحديد، إلا أن فيه إشارات إلى حالة التذمر والتمرد والكفر بعد ما رأوا من آيات الله الباهرات، وتنعموا بنعمه، وأقروا بصدق وعده ووعيده، وهو ما استتبع غضب الله عليهم: ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٢).

• اشتقنا للبصل:

ثم تتحدث التوراة عن إعلانهم الضجر من تكرّر طعامهم المتمثل بالمنّ فحسب، وأنهم اشتاقوا إلى ما اعتادوا عليه في مصر من طعام متنوّع، وجاء هذا مع حالة من التذلل والبكاء استجابةً لشهوة بطونهم، وهو ما قد تشير إليه الآية السابقة في قوله «تعالى»: ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ﴾.

تقول التوراة في تصوير هذا المشهد: (٤) وَاللَّيْفُ الَّذِي فِي وَسْطِهِمْ اشْتَهَى شَهْوَةً. فَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَيْضًا وَبَكَوْا وَقَالُوا: «مَنْ يُطْعِمُنَا لَحْمًا؟ ٥ قَدْ تَذَكَّرْنَا السَّمَكَ الَّذِي كُنَّا نَأْكُلُهُ فِي مِصْرَ مِجَنَّا، وَالْقِثَاءَ وَالْبَطِيخَ وَالْكُرَّاثَ وَالْبَصَلَ وَالثُّومَ. ٦ وَالْآنَ قَدْ يَبْسُتْ أَنْفُسُنَا. لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ أَنْ أَعِينَنَا إِلَى هَذَا الْمَنْ»^(٣).

وفي القرآن الكريم في نفس الآية السابقة التي أشرنا إليها قبل قليل حديثٌ عن

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١١، ٢-١.

٢. سورة البقرة: ٦١.

٣. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١١، ٤-٦.

هذا التذمّر والطلب، وعبروا عن ذلك بعدم الصبر على (طعام واحد) متكرر: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ أَنْ تُتَّبِعُوا أَمْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ^(١)﴾.

والتعبير بـ (لن) المفيدة لتأبيد النفي في اللغة العربية، يُرشد إلى إعلانهم عن (شدة) الضجر وبلوغ الكراهية منهم حدّها الذي لا طاقة عنده، فإن التأييد يفيد استغراق النفي في جميع أجزاء الأبد، أوّلها وآخرها^(٢).

ولكن هل وُصف طعامهم بأنه ﴿وَاحِدٍ﴾ يعني خصوص المنّ - كما جاء في النص التوراتي السابق وكما يُفهم من عموم سياق الأحداث في سفري الخروج والعدد من أن الله استمرّ في إنزال المنّ بينما أنزل عليهم السلوى مرة واحدة فقط أو لفترة محدودة جداً - كما مرّ معنا - أم وصفوا الطعام بواحد - وإن كان هو شيئين المنّ والسلوى - لأنّ المراد أنه متكرّر كل يوم؟ إذا قبلنا السردية التوراتية، فسيكون التأويل الأول هو الصحيح.

ثم إنه بحسب التوراة، تتمثّل الأطعمة التي أعلنوا عن اشتياقهم إليها في التالي: اللحم، والسمك، والقثاء (الخيار)، والكراث، والبصل، والثوم.

وأما بحسب القرآن فإنهم أعلنوا عن رغبتهم في الحصول على الخضروات المتمثلة في: البقل^(٣) (كل نبات اخضرت به الأرض، والمراد به أطايبه التي تؤكل، كالبقدونس

١. سورة البقرة: ٦١.

٢. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١، ص ٥٢٢.

٣. في اللهجة الكويتية يقال لخصوص الكراث (بقل).

والكرّاث، والنعناع، والكرفس) والقثاء، والفوم (قيل هو الثوم، وهذا هو الأظهر والموافق لما عُدّ معه من الطعام، ولما في التوراة أيضاً، وقيل الفوم الحنطة، وقيل هو الفول، وقيل الحِمَص)، والعدس، والبصل. ولم يذكر القرآن الكريم اللحوم والأسماك. وقد ووجهوا بالتوبيخ: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ من المحتمل أن يكون القائل هنا هو الله، كما يحتمل أن يكون النبي موسى، وفي الكلام ما لا يخفى من التوبيخ وحتى التهديد، إذ يذكرهم بأيام ذلهم تحت يد فرعون وجنوده، فهل يُفضّلون الرجوع إلى تلك الحالة على ما هم فيه من الحرية وتلقّي النعم الإلهية في طعامهم دون أن يبذلوا لذلك جهداً في الزراعة والحصاد، مع ضمان طعامهم يومياً دون نقص، ودون خوف من انقطاع أو تلف أو آفة.

وأما التوراة فتقول أنّ الكليم موسى «عليه السلام» لم يتحمّل هذا الضغط الذي يمارسه قومه عليه من جهة، وغضب الله عليهم من جهة أخرى، فتوجّه بالكلمات الشاكية إلى الله «تعالى» مفضّلاً الموت على ما هو فيه من ضغوط متوالية بسبب الغضب الإلهي على قومه، وشكاواهم التي ليس لها نهاية: (١٠) فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى الشَّعْبَ يَبْكُونَ بَعْشَائِهِمْ، كُلٌّ وَاحِدٍ فِي بَابِ خِيَمَتِهِ، وَحَمِي غَضَبُ الرَّبِّ جِدًّا، سَاءَ ذَلِكَ فِي عَيْنِي مُوسَى. ١١ فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلَيَّ عَبْدِكَ؟ وَلِمَاذَا لَمْ أَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ حَتَّى أَتَّكَ وَضَعْتَ ثِقْلَ جَمِيعِ هَذَا الشَّعْبِ عَلَيَّ؟ ١٢ أَلَعَلِّي حَبَلْتُ بِجَمِيعِ هَذَا الشَّعْبِ؟ أَوْ لَعَلِّي وَلَدْتُهُ، حَتَّى تَقُولَ لِي احْمِلْهُ فِي حِضْنِكَ كَمَا يَحْمِلُ الْمُرِيّ الرِّضِيعَ، إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي حَلَفْتَ لِآبَائِهِ؟ ١٣ مِنْ أَيْنَ لِي لَحْمٌ حَتَّى أُعْطِيَ جَمِيعَ هَذَا الشَّعْبِ؟ لِأَنَّهُمْ يَبْكُونَ عَلَيَّ قَائِلِينَ: أَعْطِنَا لَحْمًا لِنَأْكُلَ. ١٤ لَا أَقْدِرُ أَنَا وَحْدِي أَنْ أَحْمِلَ جَمِيعَ هَذَا الشَّعْبِ لِأَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَيَّ. ١٥ فَإِنْ كُنْتُ تَفْعَلُ بِي هَكَذَا، فَاقْتُلْنِي قَتْلًا إِنْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ، فَلَا أَرَى

بَلِيَّتِي»^(١). أي إذا كانت لي قيمة عندك من خلال ما فات من عملي الصالح فخذني إليك. فأمره الله بأن يختار سبعين من شيوخ قومه وكبار شخصياتهم، ليعينهم الله «تعالى» معاونين ومستشارين له، فيحملون جزءً من مسؤولياته، ويساعدونه في قيادة القوم: (١٦) فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اجْمَعْ إِلَيَّ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ شُيُوخُ الشَّعْبِ وَعَرَفَاؤُهُ، وَأَقْبِلْ بِهِمْ إِلَى خَيْمَةِ الْجَمْعِ فَيَقِفُوا هُنَاكَ مَعَكَ. ١٧ فَأَنْزَلَ أَنَا وَأَتَكَلَّمْتُ مَعَكَ هُنَاكَ، وَأَخَذَ مِنَ الرُّوحِ الَّذِي عَلَيْكَ وَأَضَعْتُ عَلَيْهِمْ، فَيَحْمِلُونَ مَعَكَ ثِقَلَ الشَّعْبِ، فَلَا تَحْمِلُ أَنْتَ وَحْدَكَ»^(٢).

هذا هو الإجراء الأول، وأما الإجراء الثاني فيخص عامة الناس، إذ أمروا بأن يتطهروا مادياً -بغسل أبدانهم وثيابهم والتنظيف وما شابه- ومعنوياً -بالتوبة وذكر الله- ليوم واحد، وسيرزقهم الله حتى يشبعوا بل وحتى يفيض عن حاجتهم: (١٨) وَلِلشَّعْبِ تَقُولُ: تَقَدَّسُوا لِلْعَدِ أَي تَطَهَّرُوا اسْتِعْدَادًا لِلْعَدِ (فَتَأْكُلُوا لَحْمًا، لِأَنَّكُمْ قَدْ بَكَيْتُمْ فِي أَدْنَى الرَّبِّ قَائِلِينَ: مَنْ يُطْعِمُنَا لَحْمًا؟ إِنَّهُ كَانَ لَنَا خَيْرٌ فِي مِصْرَ. فَيُعْطِيكُمُ الرَّبُّ لَحْمًا فَتَأْكُلُونَ. ١٩ تَأْكُلُونَ لَا يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا يَوْمَيْنِ، وَلَا خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَلَا عَشْرَةَ أَيَّامٍ، وَلَا عَشْرِينَ يَوْمًا، ٢٠ بَلْ شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ مَنَاخِرِكُمْ، وَيَصِيرَ لَكُمْ كَرَاهَةً، لِأَنَّكُمْ رَفَضْتُمُ الرَّبَّ الَّذِي فِي وَسْطِكُمْ وَبَكَيْتُمْ أَمَامَهُ قَائِلِينَ: لِمَاذَا خَرَجْنَا مِنْ مِصْرَ؟»^(٣).

تقول التوراة أن موسى «عليه السلام» تعجب من هذا الوعد الإلهي، فعدد من معه

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١١، ١٠-١٥.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١١، ١٦-١٧.

٣. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١١، ١٨-٢٠.

يبلغ مئات الآلاف، وهذا يتطلب دَبَح كميات كبيرة من المشية طوال هذا الشهر، أو اصطياد عدد هائل من الأسماك، فمن أين ستوفر كل هذه الكمية منها؟ (٢١) فَقَالَ مُوسَى: «سِتُّ مِئَةَ أَلْفَ مَاشٍ هُوَ الشَّعْبُ الَّذِي أَنَا فِي وَسْطِهِ، وَأَنْتَ قَدْ قُلْتَ: أُعْطِيَهُمْ لَحْمًا لِيَأْكُلُوا شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ. ٢٢ أَيُذَبِحُ لَهُمْ غَنَمٌ وَبَقَرٌ لِيَكْفِيَهُمْ؟ أَمْ يُجْمَعُ لَهُمْ كُلُّ سَمَكِ الْبَحْرِ لِيَكْفِيَهُمْ؟»^(١). إلا أن الله وعده بتحقيق ذلك فهو على كل شيء قدير.

وبدأ بنو إسرائيل بتنفيذ الإجراء المطلوب منهم، واختار موسى من قومه سبعين رجلاً، وجمعهم في الغد حول خيمة الشهادة، فأفاض الله «تعالى» عليهم ما أفاض من المواهب الربانية: (٢٥.... فَلَمَّا حَلَّتْ عَلَيْهِمُ الرُّوحُ تَنَبَّأُوا) والتنبؤ هنا معناه أنهم نطقوا بكلمات وأشياء لا دراية لهم بها قبلاً، سواء أمور مستقبلية أو تعاليم ووعظ للشعب لم يكونوا قادرين عليه قبلاً (وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَزِيدُوا)^(٢) أي لم تُعْطَ لهم مواهب أخرى كالمعجزات التي صنعها موسى، بل الموهبة قاصرة على إظهار اختيار الله لهم فتنبأوا فقط^(٣)، وتحقق الوعد الإلهي بأن ساق لهم طائر السلوى بكميات مهولة: (٣٠ ثُمَّ انْحَاذَ مُوسَى إِلَى الْمَحَلَّةِ هُوَ وَشَيْوُخُ إِسْرَائِيلَ. ٣١ فَخَرَجَتْ رِيحٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ وَسَاقَتْ سَلْوَى مِنَ الْبَحْرِ وَأَلْقَتْهَا عَلَى الْمَحَلَّةِ، نَحْوَ مَسِيرَةِ يَوْمٍ مِنْ هُنَا وَمَسِيرَةِ يَوْمٍ مِنْ هُنَاكَ، حَوَالِي الْمَحَلَّةِ، وَنَحْوَ ذِرَاعَيْنِ فَوْقَ وَجْهِ الْأَرْضِ. ٣٢ فَقَامَ الشَّعْبُ كُلُّ ذَلِكَ النَّهَارِ، وَكُلَّ اللَّيْلِ وَكُلَّ يَوْمِ الْعَدِ وَجَمَعُوا السَّلْوَى)^(٤).

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١١، ٢١-٢٢.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١١، ٢٥.

3. <https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/numbers/chapter-11.html#25>

٤. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١١، ٣٠-٣٢.

لقد كانت الكمية المرسلة من السلوى من الكثرة بحيث أنّ المُقَلَّ في جمعها حصل على ما يبلغ حِمْل ١٠ من الحمير. وهنا كانت المشكلة.

فعلى الرغم من أن الله «تعالى» وعدهم بأن يرسل إليهم كميات كافية على مدى شهر، إلا أنّ ضعف الإيمان عند بعضهم دفعهم للتكالب على السلوى وجمع كميات تفوق حاجتهم بكثير جداً، وكأنهم يعبرون بذلك عن عدم ثقتهم بالله «عزَّ وجل» ووعدته، ولذا غضب الله عليهم وأماتهم وهم يتناولون ذلك اللحم، ويرى عددٌ من مفسري التوراة أن تلك الضربة كانت وباءً انتشر بين بني إسرائيل، ففضى على عدد كبير منهم. وتحوّلت تلك المحلّة التي كانوا قد نزلوا بها إلى مقبرة لهم: (٣٢).... الَّذِي قَلَّلَ جَمَعَ عَشْرَةَ حَوَامِرَ^(١). وَسَطَّحُوهَا لَهُمْ مَسَاطِحَ حَوَالِي الْمَحَلَّةِ^(٢). ٣٣ وَإِذْ كَانَ اللَّحْمُ بَعْدُ بَيْنَ أَسْتَانِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَنْقَطِعَ، حَيَّيْ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى الشَّعْبِ، وَضَرَبَ الرَّبُّ الشَّعْبَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً جَدًّا. ٣٤ فَدُعِيَ اسْمُ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ «قَبْرُوتَ هَتَّاءَ»^(٣) لِأَنَّهُمْ هُنَاكَ دَفَنُوا الْقَوْمَ الَّذِينَ اشْتَهَوْا^(٤).

هذه التفاصيل من إرسال السلوى في هذا المشهد، والقضاء بالموت على مَنْ تجاوز الحد في الجمع، وغيرها، لم ترد في القرآن الكريم، ولكن لا نستطيع أن ننفيها، لاحتمال أن يكون هو المراد من قوله «تعالى» بعد شكواهم وإعلان اشتياقهم لتناول الخضروات: ﴿وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ

١. بحسب تفسير الكتاب المقدس، فإن عشرة حوامر: الحומר هو مكيال يقدر بـ ٢٣٠ لتراً تقريباً

وكانوا يقدرّون الحומר بحمل حمار، أي ما يستطيع أن يحمله الحمار الواحد.

٢. أي ملحووا اللحوم وقدّوها ليتمكنوا من أكلها لاحقاً دون أن تفسد.

٣. أي قبور الأهواء والشهوات.

٤. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١١، ٣٢-٣٤.

بَعِيرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١﴾^(١)، فهذا الغضب الإلهي المترتب - في جانب منه - على العدوان الصادر منهم، قد يكون إشارة إلى ذلك التلهّف في جمع السلوى بكميات كبيرة نتيجة عدم ثقتهم بوعده الله، بل و﴿يَأْتَهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ﴾ العديدة التي عايشوها بأنفسهم، ونالوا من خلالها الكثير مما كانوا يحملون بالحصول عليه، في حين أنها بدت لهم عسيرة أو مستحيلة.

والذي يؤخّذ على النص التوراتي تعبيره عن استغراب موسى «عليه السلام» نفسه من الوعد الإلهي بتوفير تلك الكميات من اللحم لقومه: (٢١) فَقَالَ مُوسَى: «سِتُّ مِئَةَ أَلْفَ مَا شِ هُوَ الشَّعْبُ الَّذِي أَنَا فِي وَسْطِهِ، وَأَنْتَ قَدْ قُلْتَ: أُعْطِيهِمْ لَحْمًا لِيَأْكُلُوا شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ. ٢٢ أَيُذْبَحُ لَهُمْ غَنَمٌ وَبَقَرٌ لِيَكْفِيَهُمْ؟ أَمْ يُجْمَعُ لَهُمْ كُلُّ سَمَكِ الْبَحْرِ لِيَكْفِيَهُمْ؟»^(٢)... فهل يُعَقَّل أن يصدر عنه مثل هذا الكلام وهو الرسول الذي امتلأ إيماناً وثقةً بقدرة الله وصدق وعده؟ بل وهو الذي عاين من قبل كيف أنزل الله عليهم المنّ بديلاً عن الخبز، والسلوى بديلاً عن لحوم الماشية والأسماك، وبكميات تكفي حاجاتهم، وتزيد؟

إلا أن نقول أنه كان سؤالاً استفهامياً، ولم يكن استنكارياً على خلاف ما في بعض شروحات التوراة. فقد كان يريد معرفة مصدر هذا اللحم الذي وعده الله «سبحانه وتعالى» به، هل سيكون من بين الماشية التي يرعونها، أم من خلال صيد الأسماك، وإن كان ظاهر العبارة لا يساعد على هذا التوجيه، وأن الأقرب للظاهر أنها تعبر عن الاستغراب والتعجّب.

١. سورة البقرة: ٦١.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١١، ٢١-٢٢.

وهناك احتمال آخر، وهو أن الله «تعالى» لم يُنزل عليهم السلوى في السنة الأولى من هجرتهم، بل أنزل عليهم المنّ فحسب، ولكن وقع خطأ في تدوين التوراة، وتم ذكر إنزال السلوى في تلك السنة، والصحيح أن إنزالها كان في السنة الثانية ضمن الأحداث التي نبينها في هذا الفصل.

• خلاف أسري وعقوبة إلهية:

بحسب التوراة، شدّ بنو إسرائيل رحالهم من (قَبَرُوت هَتَّاءُ) ونزلوا في أرض تسمى (حَضِيرُوت)، وهناك وقعت مشكلة بين أبناء عمران، موسى وهارون ومريم... والسبب امرأة كوشية^(١).

فقد تزوّج النبي موسى من امرأة أخرى، فالأولى كانت من مدين، والثانية كوشية، ولا نعلم هل كانت هذه السيدة ترافقهم من البداية عند خروجهم من مصر، أم أنها التحقت بهم في أثناء الطريق، أم التقى بها في محطته الأخيرة، فقرّر الزواج بها. وقيل أنه طلق زوجته الأولى صفورة المدينية وتزوّج بهذه الكوشية، ومن خلال صفورة علمت مريم بنت عمران بالأمر فأخبرت أخاها الأكبر، هارون: (١) وَتَكَلَّمْتُ مَرِيْمَ وَهَارُونَ عَلَى مُوسَى بِسَبَبِ الْمَرْأَةِ الْكُوشِيَّةِ الَّتِي اتَّخَذَهَا، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ اتَّخَذَ امْرَأَةً كُوشِيَّةً^(٢).

بحسب ظاهر القصة -ونستبعد صحتها من الأساس إذ لا تناسب مقام النبي هارون على الأقل وأخلاقه وشخصيته- فإنّ الدافع وراء إثارة هذا الكلام هو الغيرة والحسد. ففي حين أمر بنو إسرائيل -بمن فيهم هارون ومريم- بالتقشّف والمعاناة طوال أكثر

١. أقيمت مملكة كوش في النوبة التي هي جزء من جنوب مصر وشمال السودان، وقيل أنها الحبشة أو جزء منها.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٢، ١-٢.

من سنة من حين خروجهم من مصر، وبالرضا بما هو متوقّر لهم من طعام وشراب وحياء زاهدة في الصحراء أملاً بالحصول أخيراً على الأرض الموعودة وما فيها من نعيم، ومعاقبة كل من يتمرّد على ذلك ويشتهي شيئاً ممّا قد اعتاد عليه من الطعام، إذا بموسى يُقدّم على تلبية حاجته الغريزية وما رغبت فيه نفسه من خلال الزواج بامرأة ثانية! فلماذا يجرهما موسى من الحصول على ما اشتهدت أنفسهما، ويبيح ذلك لنفسه، في حين أن الوحي ينزل عليهما كما ينزل على موسى: (٢) فَقَالَا: «هَلْ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَحْدَهُ؟ أَلَمْ يَكَلِّمْنَا نَحْنُ أَيْضًا؟»^(١).

ولكن بحسب بعض شراح التوراة، فإنّ موقف هارون ومريم الراض لهذا الزواج قد انطلق -بالإضافة إلى الغيرة- بسبب أن هذه المرأة ليست من بني إسرائيل، وما أكثرهن في هذا الركب، فلماذا لم ينتق واحدةً منهن، ولأنها كانت -مع ذلك- سوداء البشرة، وكان يُنظر إلى ذلك نظرة دونيّة.

وحيث كان النبي موسى صاحب شخصية حليلة، لذا فلم يردّ عليهما بشيء بعد أن بلغه كلامهما واحتجاجهما، ولكن الله تدخل انتصاراً لرسوله: (٢) فَسَمِعَ الرَّبُّ. ٣ وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. ٤ فَقَالَ الرَّبُّ حَالًا لِمُوسَى وَهَارُونَ وَمَرِيمَ: «اخْرُجُوا أَنْتُمُ الثَّلَاثَةُ إِلَى خِيْمَةِ الْجَمَاعِ». فَخَرَجُوا هُمُ الثَّلَاثَةُ. ٥ فَتَنَزَّلَ الرَّبُّ فِي عَمُودٍ سَحَابٍ وَوَقَفَ فِي بَابِ الْخِيْمَةِ، وَدَعَا هَارُونَ وَمَرِيمَ فَخَرَجَا كِلَاهُمَا^(٢).

وهذا يذكرنا بمشهد قرآني يخص رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذ وصفه الله

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٢، ٢.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٢، ٢-٥.

«تعالى» بالحياء الذي كان يمنعه من بيان مشاعره تجاه تصرفات بعض أصحابه داخل بيته، فتدخل الله انتصاراً لرسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾^(١).

وبين الله «تعالى» لهارون ومريم الفرق في المقام بينهما من جهة وبين موسى من جهة أخرى، وعلامة ذلك أنه يوحى إليهما عبر الرؤيا الصادقة، بينما يوحى إلى موسى بالكلام المباشر معه حال اليقظة: (٦ فَقَالَ: «اسْمَعَا كَلَامِي. إِنْ كَانَ مِنْكُمْ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ، فَبِالرُّؤْيَا أَسْتَعْلِنُ لَهُ. فِي الْخُلُمِ أَكَلَّمُهُ. ٧ وَأَمَّا عَبْدِي مُوسَى فَلَيْسَ هَكَذَا، بَلْ هُوَ أَمِينٌ فِي كُلِّ بَيْتِي. ٨ فَمَا إِلَى فِيمَ وَعَيَانًا أَتَكَلَّمُ مَعَهُ، لَا بِالْأَلْغَازِ. وَشَبَّهَ الرَّبُّ يُعَايِنُ)»^(٢).

إنّ هذا يستدعي منكما أن تعرفا حقيقة مقام أخيكما موسى وتحفظا له ذلك وتخشيا من الطعن في تصرفاته، فله من الامتيازات ما ليس لكما، وهو أعرف بما أحل الله له وما حرم: (٨ فَلِمَاذَا لَا تَخْشِيَانِ أَنْ تَتَكَلَّمَا عَلَى عَبْدِي مُوسَى؟) ٩ فَحَمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْهِمَا وَمَضَى^(٣).

وكانت نتيجة هذا الغضب الإلهي أن ضرب البرص -أو الجذام- كل جسد مريم فتغيّر

١. سورة الأحزاب: ٥٣.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٢، ٦-٨.

٣. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٢، ٨-٩.

لون بشرتها تماماً إلى اللون الأبيض المزجج كلون الثلج: (١٠) فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ عَنِ الْحَيْمَةِ إِذَا مَرِيَمُ بَرَصَاءٌ كَالثَّلْجِ. فَالْتَفَتَ هَارُونُ إِلَى مَرِيَمَ وَإِذَا هِيَ بَرَصَاءٌ^(١).

ويعلق بعض شراح التوراة على خصوصية الإصابة بالبرص -أو الجذام- من حيث أنها ستستوجب نفيها مع سائر الفئات التي صدر الأمر الإلهي مسبقاً بنفيها خارج خيام ومعسكرات بني إسرائيل، كما مر معنا من قبل.

ودبّ الرعب في نفس هارون، إذ قد يُعاقب هو أيضاً -بهذه الصورة- بسبب مشاركته في ذلك الكلام السيء: (١١) فَقَالَ هَارُونُ لِمُوسَى: «أَسْأَلُكَ يَا سَيِّدِي، لَا تَجْعَلْ عَلَيْنَا الْخَطِيئَةَ الَّتِي حَقَّقْنَا وَأَخْطَأْنَا بِهَا» وشبه هارون أخته مريم بالميت، ليس فقط لتغير لون جسدها واحتمال فقدان أجزاء منه، ولكن لأنها أصبحت «نجسة» وستُعزل خارج المحلة ولا يمسّها أحد، مثل الموتى الذين لا يلمسهم أحد، وشبهها أيضاً بمجنين قد مات في بطن أمه وفقد بعض أعضائه فيخرج ميتاً وناقصاً: (١٢) فَلَا تَكُنْ كَالْمَيِّتِ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ رَحِمِ أُمِّهِ قَدْ أَكَلَ نِصْفَ حَمِيهِ^(٢).

وتشفّع موسى لأخته: (١٣) فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ قَائِلاً: «اللَّهُمَّ اشْفِهَا» وقُبلت الشفاعة بشرط أن تُنفى سبعة أيام، وبعدها ستشفى وتعود لتكون مع باقي أبناء قومها، لأن عليها أن تشعر بالخجل من فعلتها، ولو عُفي عنها فوراً فلن تشعر بذلك: (١٤) فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «وَلَوْ بَصَقَ أَبُوهَا بَصَقًا فِي وَجْهِهَا، أَمَا كَانَتْ تَحْجُلُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ؟» تُحْجَزُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تُرْجَعُ. ١٥ فَحُجِرَتْ مَرِيَمُ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَلَمْ يَرْتَحِلِ الشَّعْبُ حَتَّى أُرْجِعَتْ مَرِيَمُ^(٣).

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٢، ١٠.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٢، ١١-١٢.

٣. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٢، ١٣-١٥.

على فرض صحة أصل القصة، فلا يبعد أن يكون قد وقع تلاعبٌ في شخصياتها، تماماً كما كشف القرآن الكريم عن التلاعب الواقع في التوراة في قصة العجل، حيث حُمِّل النبي هارون مسئولية الخطيئة التي وقعت، وحُذِف السامري من المشهد تماماً. وهنا أيضاً، قد تكون الحادثة حقيقية، ولكنَّ أبطالها أفراداً آخرون من المنافقين والذين في قلوبهم مرض، أشاعوا حول النبي موسى «عليه السلام» تلك الكلمات، وانساق وراءهم بعض المؤمنين وضعاف الإيمان، ولكن حُذِف كل هؤلاء من المشهد، وجيء بهارون «عليه السلام» -وأخته أيضاً- وأقجما في القصة، وحُمِّلا مسئولية الخطيئة بحق كليم الله موسى.

• هل واجه نبينا إثارة مماثلة؟

ليس في القرآن الكريم ما يدلّ على القصة السابقة بخصوص النبي موسى وأخيه وأخته، ولكن عندما نقرأ سورتي الأحزاب والنور، فإننا سنجد في البين ما يُرشد إلى أنّ النبي «صلى الله عليه وآله» عانى -اجتماعياً- مثل معاناة النبي موسى، إذ أطلق البعض كلماتٍ واتهاماتٍ وأمنياتٍ وتصوّراتٍ أساءت إليه شخصياً وإلى عائلته، فبرّاه الله من بهتانهم وسوء مقولاتهم. ولنلاحظ الآيات التالية:

أذى البعض النبي «صلى الله عليه وآله» وأساءوا إليه في قضية ذات بُعد اجتماعي مرتبط بأزواجه، وبأكثر من ناحية، وسأقسّم ما جاء في الآيات إلى نقاط:

١. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِ إِيَّاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾

٢. ﴿.... وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ....﴾.

٣. ﴿..... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ....﴾.

٤. ﴿.... وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣﴾^(١).

٥. وتحدثت السورة -من قبل- عن المشكلة الخاصة بزيد بن حارثة، ربيب النبي، وزوجه التي هي ابنة عمه النبي، زينب، وزواج النبي منها بعد طلاقها من زيد: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۝٣٧﴾^(٢).

وسياق الكلام في الآيات يُرشد إلى أنَّ الحادثة أثارت الأقاويل في مجتمع المدينة المنورة، فدافع الله عن نبيه، وبيّن أن زواجه منها كان بإرادة إلهية، وأنه لم يخالف شرعه في ذلك، ولا حرج في ما أقدم عليه: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۝٣٨﴾^(٣).

٦. ويبدو أيضاً من سياق الآيات في نفس السورة أنَّ حق تعدّد زوجات النبي «صلى الله عليه وآله» برقم يفوق ما هو مباحٌ لغيره من المسلمين كان يثير غيرة أو حسد البعض، فتكلّموا في ذلك، فجاءت الآية لتوضّح أنَّ ما يصدر عن النبي بهذا الشأن إنما

١. سورة الأحزاب: ٥٣.

٢. سورة الأحزاب: ٣٧.

٣. سورة الأحزاب: ٣٨.

جاء وفقاً لما أحل الله «تعالى» له، وأنه لم يفعل ذلك في مخالفة لشرع الله ولا لجهل بأحكامه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ ولم يكن هذا تصرفاً من تلقاء النبي وتجاوزاً منه ومخالفة لشرع الله كي يثير البعض إشكالية عدد أزواجه، أو أنه يأمرهم بترك الدنيا بينما يُقبل هو عليها، كما أثير على النبي موسى أنه يأمرهم بالصبر على ما هو متوفر من طعام وشراب، ثم يتزوج من امرأة ثانية، فهلاً زهد كما يأمرهم بالزهد؟ ﴿اللّٰتِي آتَيْتِ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللّٰهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (١).

ثم توجّهت الآيات بالتهديد والوعيد لمن يسيء إلى النبي: ﴿إِنْ تُبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ (٢). ولربما يكون هذا هو ما تشير إليه الآية التالية في نفس سورة الأحزاب وبعد الآية السابقة بقليل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللّٰهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللّٰهِ وَجِيهًا﴾ (٣)، فإن موسى بزواجه من المرأة الكوشية وفي تلك الظروف الصعبة، لم يأت بأمرٍ مخالفٍ للإرادة الإلهية، ولذا برّاه الله من هذه التهمة بمعاقبة مُطلقِها.

١. سورة الأحزاب: ٥٠.

٢. سورة الأحزاب: ٥٣-٦١.

٣. سورة الأحزاب: ٦٩.

٧. المورد الآخر في القرآن الكريم نجده في سورة النور إذ يقول «تعالى»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١ ... وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٢﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ١٣﴾^(١).

ولا نستطيع الجزم بأن قضية الإفك تمس بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إلا أنّ هذا هو المشهور بحسب الروايات التفسيرية، ولكن لو كنا نحن والنص القرآني، فلن يكون في البين ما يدلّ على أنها قضية تمس النبي وإحدى أزواجه. فإن صحّ ذلك، فسيكون مورداً آخر من موارد الإساءة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في قضية ذات بُعد اجتماعي، انطلق فيها بعض المنافقين والذين في قلوبهم مرض، وسقط في شراكها بعض المؤمنين أيضاً.

وهناك تأويلات أخرى لقوله «تعالى»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ٦٩﴾^(٢)، ففي تفسير الطبري، عن ابن عباس، قال: (كان أذاهم موسى أنهم قالوا: والله ما يمنع موسى أن يضع ثيابه عندنا إلا أنه آذر)^(٣)، فأذى ذلك موسى فبينما هو ذات يوم يغتسل وثوبه على صخرة، فلما قضى موسى غُسله وذهب إلى ثوبه ليأخذه، انطلقت الصخرة تَسْعَى بثوبه، وانطلق

١. سورة النور: ١١.

٢. سورة الأحزاب: ٦٩.

٣. قال ابن منظور في لسان العرب: الأذرة، بالضم: نفخة في الخُصِيّة.

يسعى في أثرها حتى مرّت على مجلس بني إسرائيل وهو يطلبها، فلما رأوا موسى «صلى الله عليه وسلم» متجّداً لا ثوب عليه قالوا: والله ما نرى بموسى بأساً، وإنه لبريء مما كنا نقول له، فقال الله: ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾^(١).

وروى الطبري عن سعيد، قال: (.... وقالت طائفة: هو أبرص من شدة تسّره، وكان يأتي كلّ يوم عيناً، فيغتسل ويضع ثيابه على صخرة عندها، فعدت الصخرة بثيابه حتى انتهت إلى مجلس بني إسرائيل، وجاء موسى يطلبها فلما رأوه عرياناً ليس به شيء مما قالوا، لبس ثيابه ثم أقبل على الصخرة يضربها بعصاه، فأثرت العصا في الصخرة)^(٢).

وقال الطبري: (وقال آخرون: بل كان أذاهم إياه ادّعاءهم عليه قتل هارون أخيه.... عن عليّ بن أبي طالب «رضي الله عنه» في قول الله: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾... الآية، قال: صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون، فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلتها، وكان أشدّ حباً لنا منك، ولأين لنا منك، فأذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته حتى مرّوا به على بني إسرائيل، وتكلّمت الملائكة بموته، حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات، فبرّاه الله من ذلك، فانطلقوا به فدفنوه، فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرّخم^(٣)، فجعله الله أصمّ أبكم)^(٤).

وفي تفسير الألوسي: (روي أن قارون أغرى مومسة على قذفه «عليه السلام» بنفسها، ودفع إليها مالاً عظيماً، فأقرّت بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون، وفعل به

١. الطبري: جامع البيان، ج ٢٢، ص ٦٣.

٢. الطبري: جامع البيان، ج ٢٢، ص ٦٤.

٣. الرّخم: من الطيور، غزير الريش، أبيض اللون مبّقع بسواد، له منقار طويل قليل التقوّس، رماديّ اللون إلى الحمرة.

٤. الطبري: جامع البيان، ج ٢٢، ص ٦٥.

ما فعل كما فصل في سورة القصص^(١)، ويبعد هذا القول^(٢).

وسنذكر تفصيل القصة كما جاءت في بعض المصادر، ومنها ما روي في بحار الأنوار عن ابن عباس، وذلك في الفصل الخاص بقصة قارون.

وكما ترى، فإنّ في كل خبر من الأخبار السابقة علّة، فأما الخبران الأول والثاني فعلتهما نسبة التعرّي إلى النبي موسى أمام جمع من الناس، وحاشاه أن يفعل ذلك ولو لم يكن عن قصد، وحاشا الله «تعالى» أن يعرضه لمثل هذا الموقف المخزي.

وأما الخبر الثالث فعلته نهايته، فما معنى أن يجعل الله طائراً أصمّ أبكم لأنه اطلع على موقع قبر هارون؟! وهل كان لهذا الطائر أن يتكلّم فيخبر الناس عن موضع القبر أساساً ليصبح أصم وأبكم؟

وسيتبيّن معنا عند عرض تفاصيل القصة الرابعة -التي ترتبط بقارون- أنها من أساطير القصاصين المنطلقة من أسطورة يهودية تلمودية، وفيها تعنيف واتهام إلهي للنبي موسى «عليه السلام» بما لا يليق بشأنه. ولذا لا يُطمأن لشيء منها لتكون تأويلاً لما جاء في آية سورة النور.

والملاحظ في كل الآيات السابقة التي تتحدث عن إساءة البعض إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإلى النبي موسى «عليه السلام» -كما في القصة التوراتية وفي الأخبار السابقة ما عدا الخبر الثالث- أنها تدور حول الغريزة الجنسية وما يرتبط بها من زواج، أو زنا، أو إصابة في العورة، وغير ذلك، بما يدلّ على شدّة حساسية هذا الأمر وخطورته، ولذا بيّن الله «تعالى» في نفس سورة الأحزاب أن التشديد في الأحكام

١. أي اعترفت على قارون بأنه أغراها بالمال فاتّهمت نبي الله زوراً، فخسف الله به وبداره الأرض.

٢. الألوسي: روح البيان، ج ٢٢، ص ٩٥.

الخاصة بنساء النبي يُراد منه الحفاظ على طهارة وسمعة البيت النبوي: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ٣١ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ٣٢ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ٣٣﴾ (١).

وإن صحَّ شيءٌ من تلك التأويلات التي ذكرناها، فإنه لربما يوحى أن إيذاء بني إسرائيل للنبي موسى كان في نفس الإطار الذي أودى فيه رسول الله في ما له علاقة بالقضايا المرتبطة بشئونه الزوجية.

ثم إنَّ في البين احتمالاً آخر لتأويل إيذاء النبي موسى، ولا علاقة له بقضية ذات بُعد جنسي، وسنذكره في الفصل الخاص بقصة قارون. والله أعلم بحقيقة الحال.

• جمع المعلومات عن أرض كنعان:

بعد محطة حَضِرُوت، انتقل ركب بني إسرائيل واستقروا في (قَادَش) (٢) شمال برية فاران، وأمر الله كلمه بأن يُرسل اثني عشر رجلاً ليجمعوا المعلومات على الأرض التي أمرهم الله بفتحها، على أن يختار من كل سبط رجلاً يكون من رؤسائهم -عدا سبط

١. سورة الأحزاب: ٣٠-٣٣.

٢. جاء في تفسير الكتاب المقدس أن قَادَش: معناها مقدس، وهي (قَادَش بَرْنِيع) ودُعيت في سفر التكوين (عين مشفاط) وتقع جنوب فلسطين على بعد ٥٠ ميلاً جنوب بئر سبع، وتبعد مسيرة أحد عشر يوماً من جبل حوريب (جبل الطور). وذكر البعض أن بقاء بني إسرائيل فيها استمر قرابة ٣٨ سنة، وسيأتي معنا لاحقاً أن هذا القول قد لا يكون صحيحاً.

لاوي المستثنين من المشاركة في هذه الرحلة لأنهم خُصَّصوا للمهام الدينية وأرسل من سبط يوسف اثنين من فرعين مختلفين هما أفرايم ومنسى - ويبدو أنّ الهدف من ذلك العمل على إشراك كل الأسباط في العملية العسكرية التي هم مُقبلون عليها، فقد كانت الخلافات بينهم شديدة، والثقة في ما بينهم منعدمة، وقد مرّ معنا كيف أن الله فجّر لهم الماء بضربة العصا ولكن جعله يتفرّع بعدد الأسباط لئلا يقع بينهم التنازع الذي قد يصل إلى حد الاقتتال في ما بينهم... ولو اختير هؤلاء الرجال من بين بعض الأسباط دون آخرين، وأخبروا عن أشياء شاهدها بأنفسهم، فلربما يُشكك الآخرون في نواياهم، أو في مصداقية شهاداتهم، فتفشل العملية ككل.

وكونهم من رؤساء الأسباط سيجعل شهاداتهم ذات قيمة أكبر عند أفراد كل سبط منهم، وتكون كلمتهم مسموعة عندهم: (٣) فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى مِنْ بَرِّيَّةٍ فَارَآنَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. كُلُّهُمْ رِجَالٌ هُمْ رُؤَسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ٤ وَهَذِهِ أَسْمَاؤُهُمْ:

- (١) مِنْ سِبْطِ رَأُوْبَيْنَ: شَمُوْعُ بْنُ زَكُّوْرَ.
- (٢) مِنْ سِبْطِ شِمْعُونَ: شَاقَاظُ ابْنُ حُوْرِي.
- (٣) مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا: كَالِبُ بْنُ يَفْتَّةَ.
- (٤) مِنْ سِبْطِ يَسَّأكَرَ: يَحَالُ بْنُ يُوْسُفَ.
- (٥) مِنْ سِبْطِ أَفْرَايِمَ: هُوْشَعُ بْنُ نُونَ.
- (٦) مِنْ سِبْطِ بَنِيَامِينَ: فَلَطِي بْنُ رَافُو.
- (٧) مِنْ سِبْطِ زَبُولُونَ: جَدِّيْثِيلُ بْنُ سُوْدِي.
- (٨) مِنْ سِبْطِ يُوْسُفَ، مِنْ سِبْطِ مَنَسَّى: جِدِّي بْنُ سُوْسِي.

(٩) مِنْ سِبْطِ دَانَ: عَمِّيئِيلُ بْنُ جَمَلِي.

(١٠) مِنْ سِبْطِ أَشِيرَ: سَتُورُ بْنُ مِيخَائِيلَ.

(١١) مِنْ سِبْطِ نَفْتَالِي: نَحْيِي بْنُ وَفْسِي.

(١٢) مِنْ سِبْطِ جَادَ: جَاوِيئِيلُ بْنُ مَآكِي^(١).

كانت مهمة هذه المجموعة أن ينتقلوا من بلدة إلى أخرى في أرض كنعان وما حولها ليستكشفوا الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية فيها، وليتضح من خلال ذلك ماهية القرار الذي سيُتخذ بشأن فتح هذه الأرض، وكيفية تنفيذ ذلك: (١٧) وَقَالَ لَهُمْ: «اضْعُدُوا مِنْ هُنَا إِلَى الْجَنُوبِ وَاطْلُعُوا إِلَى الْجَبَلِ، ١٨ وَانْظُرُوا الْأَرْضَ، مَا هِيَ: وَالشَّعْبُ السَّاكِنَ فِيهَا، أَقْوَى هُوَ أَمْ ضَعِيفٌ؟ قَلِيلٌ أَمْ كَثِيرٌ؟ ١٩ وَكَيْفَ هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي هُوَ سَاكِنٌ فِيهَا، أَجَيِّدَةٌ أَمْ رَدِيئَةٌ؟ وَمَا هِيَ الْمُدُنُ الَّتِي هُوَ سَاكِنٌ فِيهَا، أَتَحْيِمَاتٌ أَمْ حُصُونٌ؟ ٢٠ وَكَيْفَ هِيَ الْأَرْضُ، أَسَمِينَةٌ أَمْ هَزِيلَةٌ؟ أَفِيهَا شَجَرٌ أَمْ لَا؟ وَتَشَدَّدُوا فَخُذُوا مِنْ ثَمَرِ الْأَرْضِ»^(٢).

لقد أراد موسى -بهذا الأمر الأخير- أن يشجع بني إسرائيل على تنفيذ أمره بالفتح العسكري بعد مشاهدة خيرات تلك الأرض، فقد كانوا يسمعون عن بركاتها، ولكنهم لم يشاهدوا منها شيئاً بعد، وهم يعانون من أوضاع الصحراء، ولو أنه اكتفى بالوعود فلربما سيترددون في الإقدام عندما يفكرون في احتمال القتل والإصابة والخسائر المادية التي قد تلحق بهم نتيجة المواجهات العسكرية مع خصومهم الأشداء... وصادفت تلك الأيام أول موسم حصاد العنب: (٢١) فَضَعِدُوا وَتَجَسَّسُوا الْأَرْضَ مِنْ

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٣، ٣-١٥.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٣، ١٧-٢٠.

بَرِّيَّةٍ صِينَ إِلَى رَحُوبَ فِي مَدْخَلِ حَمَاةَ. ٢٢ صَعِدُوا إِلَى الْجَنُوبِ وَأَتُوا إِلَى حَبْرُونَ^(١).

ولربما (حماة) المذكورة في النص غير مدينة حماة السورية البعيدة عن أرض كنعان، وقيل أن موضع (رحوب) هو حيث (تل البئر الغربي) حالياً والواقعة على مسافة ١٠ كم شرق عكا. وأما (حبرون) فهي مدينة الخليل الفلسطينية [انظر اللوحة ٧٤].

جاء في تفسير الكتاب المقدس أن المبعوثين الإثني عشر قَسَمُوا أنفسهم إلى مجموعات صغيرة، بحيث ذهبت كل مجموعة إلى مكان مختلف واتجاه مغاير حتى يُبعدوا الشُّبهات عن أنفسهم، وبدأوا جمع المعلومات من بَرِّيَّة صِين، الواقعة شمال بَرِّيَّة فاران وتعتبر المدخل الجنوبي لأرض فلسطين، واتجهوا شمالاً حتى بلغوا رحوب أقصى الحدود الشمالية لفلسطين^(٢).

وفي نهاية رحلتهم التي استغرقت أربعين يوماً، مَرَّوا على وادي أشكول الواقع إلى الغرب من بئر سبع (٢٣) وَقَطَفُوا مِنْ هُنَاكَ زَرْجُونَةً^(٣) يُعْنَقُودٌ وَاحِدٌ مِنَ الْعِنَبِ، وَحَمَلُوهُ بِالذُّقْرَانَةِ^(٤) بَيْنَ اثْنَيْنِ، مَعَ شَيْءٍ مِنَ الرُّمَانِ وَالتِّينِ. ٢٤ فَدَعِيَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ «وَادِي أَشْكُولَ» بِسَبَبِ الْعُنْقُودِ الَّذِي قَطَعَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ هُنَاكَ^(٥). ٢٥ ثُمَّ رَجَعُوا مِنْ تَحْسِيسِ الْأَرْضِ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا^(٦). [انظر اللوحتين ٧٥-٧٦]

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٣، ٢١-٢٢.

2. <https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/numbers/chapter-13.html#21>

٣. زرجونة: فرع أو غصن عنب يحمل عنقوداً.

٤. دقارنة: قضيب من الخشب أو عتلة.

٥. أشكول: كلمة عبرية معناها عنقود.

٦. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٣، ٢٣-٢٥.



اللوحة رقم ٧٤: قادش - برية صين - حماة - حبرون (الخليل)

• الانقسام في الموقف:

عاد الاثنا عشر رجلاً مُحَمِّلِينَ بالمعلومات التي كان بعضها مشجّعاً، والآخر مثبِّطاً، وأخبروا النبي موسى وقومهم بما شاهدوه في رحلتهم، وأروهم عنقود العنب الذي جلبوه معهم، إذ كانت حبات العنب كبيرة إلى حدٍّ مدهش: (٢٧)..... وَقَالُوا: «قَدْ ذَهَبْنَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرْسَلْتَنَا إِلَيْهَا، وَحَقًّا إِنَّهَا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا، وَهَذَا ثَمَرُهَا. ٢٨ غَيْرَ أَنَّ الشَّعْبَ السَّاكِنَ فِي الْأَرْضِ مُعْتَزٌّ، وَالْمُدُنُ حَصِينَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا. وَأَيْضًا قَدْ رَأَيْنَا بَنِي عَنَّاكَ هُنَاكَ. ٢٩ الْعَمَالِقَةُ سَاكِنُونَ فِي أَرْضِ الْجَنُوبِ، وَالْحِثِّيُّونَ وَالْيَبُوسِيُّونَ وَالْأَمُورِيُّونَ سَاكِنُونَ فِي الْجَبَلِ، وَالْكَنَعَانِيُّونَ سَاكِنُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ وَعَلَى جَانِبِ الْأَرْضِ»^(١).

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٣، ٢٧-٢٩.



اللوحة رقم ٧٥ : عودة يوشع وكالب بعنقود كبير من العنب



اللوحة رقم ٧٦ : عودة يوشع وكالب بعنقود كبير من العنب

من خلال هذه الشهادة بشقيها، انقسم موقف المبعوثين ما بين مؤيّد للحملة العسكرية ورافض لها، وتبنّى الأول كلّ من يوشع بن نون وكالب بن يفنة، بينما تبنّى بقية الرجال، وهم عشرة، الموقف الثاني خوفاً من أهل الأرض الأشداء الذين لا طاقة لبني إسرائيل في قتالهم... واحتدّ الجدل بين الطرفين: (٣٠) لَكِنْ كَالِبُ أَنْصَتَ الشَّعْبَ إِلَى مُوسَى وَقَالَ: «إِنَّا نَصْعَدُ وَنَمْتَلِكُهَا لَأَنَّا قَادِرُونَ عَلَيْهَا». ٣١ وَأَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ صَعِدُوا مَعَهُ فَقَالُوا: «لَا نَقْدِرُ أَنْ نَصْعَدَ إِلَى الشَّعْبِ، لَأَنَّهُمْ أَشَدُّ مِنَّا». ٣٢ فَأَشَاعُوا مَدَمَّةَ الْأَرْضِ الَّتِي تَحْسَسُوهَا، فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلِينَ: «الْأَرْضُ الَّتِي مَرَرْنَا فِيهَا لِنَتَجَسَّسَهَا هِيَ أَرْضٌ تَأْكُلُ سُكَّانَهَا» لربما كناية عن كثرة الحروب والأوبئة فيها بما يؤدي إلى موت الكثير من سكانها (وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِي رَأَيْنَا فِيهَا أَنْاسٌ طَوَالِ الْقَامَةِ. ٣٣ وَقَدْ رَأَيْنَا هُنَاكَ الْجُبَابِرَةَ، بَنِي عَنَاقٍ مِنَ الْجُبَابِرَةِ. فَكُنَّا فِي أَعْيُنِنَا كَالْجُرَادِ، وَهَكَذَا كُنَّا فِي أَعْيُنِهِمْ»^(١)).

بثّت كلمات أصحاب الموقف الثاني الرعب في قلوب بني إسرائيل أجمع، واتهموا موسى وهارون بتوريطهما في حرب لا طاقة لهم بها، وأنهما يعرضانهم للموت لا محالة، ويا ليتهم لم يخرجوا من مصر، ولم يتخلّصوا من عبودية فرعون لهم، فقد كان ذلك أهون وأقلّ وطأة عليهم ممّا قد يجري لهم على يد العمالقة والحثيين واليبوسيين والأموريين والكنعانيين، أو ليتهم ماتوا حيث هم في الصحراء، فإن ذلك أحبّ إلى قلوبهم من أن يموتوا بحدّ السيوف، وأن يروا أطفالهم ونساءهم قد صاروا غنائم في يد العدو. ثم أعربوا عن تذرّهم على الله، في منتهى انعدام الثقة به «سبحانه»، بل وسوء ظن به، وكلّ ذلك بعد أن أراهم آياته من قبل، وخلّصهم من كلّ ما كان يتهدّد بهم إلى حدّ

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٣، ٣٠-٣٣.

الموت والفناء: (١) فَرَفَعْتُ كُلَّ الْجَمَاعَةِ صَوْتَهَا وَصَرَخَتْ، وَبَكَى الشَّعْبُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. ٢ وَتَذَمَّرَ عَلَى مُوسَى وَعَلَى هَارُونَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ لَهُمَا كُلُّ الْجَمَاعَةِ: «لَيْتَنَا مِتْنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ، أَوْ لَيْتَنَا مِتْنَا فِي هَذَا الْقَفْرِ! ٣ وَلِمَاذَا أَتَى بَنَا الرَّبُّ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ لِنَسْقُطَ بِالسَّيْفِ؟ تَصِيرُ نِسَاؤُنَا وَأَطْفَالُنَا غَنِيمَةً. أَلَيْسَ خَيْرًا لَنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَى مِصْرَ؟» (١).

لقد أخذ الخوف منهم كل مأخذ إلى درجة أنهم بدأوا يفكرون بالانقلاب على موسى وهارون!!! (٤) فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «نُقِيمُ رَئِيسًا وَنَرْجِعُ إِلَى مِصْرَ» (٢).

بدأت الأمور وكأنها تتدحرج بسرعة نحو ما لا يُحمد عقباه: (٥) فَسَقَطَ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَى وَجْهِهِمَا أَمَامَ كُلِّ مَعْشَرِ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٣) في تعبيرٍ فُسر بالسجود لله تذللًا له كي يخلصهما من هذا الموقف العصيب، وقد يكون تعبيرًا مجازيًا عن الشعور بالإحباط الكبير من الموقف المخزي للأغلبية شبه المطلقة من قومهما.

حينئذ انبرى اثنان من بين مَنْ خرجوا لاستكشاف الأوضاع في أرض كنعان لتأييد موقف النبيين موسى وهارون، ومحاولة التأثير على الناس من خلال التركيز على المنافع المتحصلة من وراء الإقدام على فتح الأرض، والانصياع لأمر الله ورسوله: (٦) وَيَشُوعُ بْنُ نُونٍ وَكَالِبُ بْنُ يَفْنَةَ، مِنَ الَّذِينَ تَجَسَّسُوا الْأَرْضَ، مَرْقَا ثِيَابَهُمَا ٧ وَكَلَّمَا كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلَيْنِ: «الْأَرْضُ الَّتِي مَرَرْنَا فِيهَا لِنَتَجَسَّسَهَا الْأَرْضُ جَيِّدَةٌ جِدًّا جِدًّا. ٨ إِنْ سَرَّ بَنَا الرَّبُّ يُدْخِلُنَا إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ وَيُعْطِينَا إِيَّاهَا، أَرْضًا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا. ٩ إِنَّمَا لَا تَتَمَرَّدُوا عَلَى الرَّبِّ، وَلَا تَخَافُوا مِنْ شَعْبِ الْأَرْضِ لَأَنَّهُمْ خُبْرُنَا. قَدْ زَالَ عَنْهُمْ

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٤، ٣-١.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٤، ٤.

٣. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٤، ٥.

ظَلُّهُمْ، وَالرَّبُّ مَعَنَا. لَا تَخَافُوهُمْ) سنهزمهم ونأخذ غنائمهم ونأكلها كما نأكل الخبز (١٠) وَلَكِنْ قَالَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ أَنْ يُرْجَمَا بِالْحِجَارَةِ (١).

• تَضَرَّعَ وَحِرْمَان:

يأصرار القوم على التمرد، أعلن الله «تعالى» عن غضبه الشديد عليهم، وأنهم يستحقون -بعد كل الآيات التي رأوها وانتفعوا بها- أن يُقضى عليهم، ويستبدلهم بآخرين مؤمنين حقيقيين ومطيعين لأمر الله ورسوله، لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يهابون الموت، في بيان قريب من قوله «تعالى»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٧﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٨﴾﴾ (٢)، وقوله «سبحانه»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ (٣)، فهذه هي سُنَّةُ اللَّهِ: ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ (٤).

إلا أن النبي موسى «عليه السلام» تضرَّع لله -كعادته- متشفعاً لقومه، طالباً من الله أن يرحم جهلهم وضعفهم، وأن لا يُشمت بهم الأعداء، ولا يعطيهم الذريعة

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٤، ٦-١٠.

٢. سورة التوبة: ٣٨-٣٩.

٣. سورة المائدة: ٥٤.

٤. سورة الفتح: ٢٣.

لتفسير الأمور على غير حقيقتها: (١٠).... ثُمَّ ظَهَرَ مَجْدُ الرَّبِّ فِي خَيْمَةِ الْاجْتِمَاعِ لِكُلِّ
بَنِي إِسْرَائِيلَ. ١١ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «حَتَّى مَتَى يُهَيِّنُنِي هَذَا الشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لَا
يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ الْآيَاتِ الَّتِي عَمِلْتُ فِي وَسْطِهِمْ؟ ١٢ إِنِّي أَضْرِبُهُمْ بِالْوَيْلِ وَأُبِيدُهُمْ،
وَأَصَيِّرُكَ شَعْبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ». ١٣ فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «فَيَسْمَعُ الْمِصْرِيُّونَ الَّذِينَ
أَصْعَدْتَ بِقُوَّتِكَ هَذَا الشَّعْبَ مِنْ وَسْطِهِمْ، ١٤ وَيَقُولُونَ لِسُكَّانِ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّذِينَ قَدْ
سَمِعُوا أَنَّكَ يَا رَبُّ فِي وَسْطِ هَذَا الشَّعْبِ، الَّذِينَ أَنْتَ يَا رَبُّ قَدْ ظَهَرْتَ لَهُمْ عَيْنًا لِعَيْنٍ،
وَسَحَابَتُكَ وَاقْفَةُ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ سَائِرُ أَمَامَهُمْ بِعَمُودٍ سَحَابٍ نَهَارًا وَبِعَمُودٍ نَارٍ لَيْلًا. ١٥
فَإِنْ قَتَلْتَ هَذَا الشَّعْبَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، يَتَكَلَّمُ الشُّعُوبُ الَّذِينَ سَمِعُوا بِخَبْرِكَ قَائِلِينَ: ١٦
لَأَنَّ الرَّبَّ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَدْخُلَ هَذَا الشَّعْبَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ لَهُمْ، قَتَلَهُمْ فِي الْقَفْرِ)
فإذا حدث وأتممت عقابك بفناء هذا الشعب، ألا يقول المصريون ومعهم كل الشعوب
الذين رأوا وسمعوا عن آياتك السابقة، أن إلههم لم يُنْقِذْ لهم وعده الذي سبق ووعده به
بإدخالهم إلى الأرض، بل على العكس فقد أهلكهم وتخلص منهم في الصحراء؟! (١٧)
فَالآنَ لِيَتَعْظُمَ قُدْرَةُ سَيِّدِي كَمَا تَكَلَّمْتَ قَائِلًا: ١٨ الرَّبُّ طَوِيلُ الرُّوحِ كَثِيرُ الْإِحْسَانِ،
يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَالسَّيِّئَةَ، لَكِنَّهُ لَا يُبْرِي. بَلْ يَجْعَلُ ذَنْبَ الْآبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ إِلَى الْجِيلِ الثَّالِثِ
وَالرَّابِعِ. ١٩ إصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ هَذَا الشَّعْبِ كَعِظَمَةِ نِعْمَتِكَ، وَكَمَا عَفَرْتَ لِهَذَا الشَّعْبِ
مِنْ مِصْرَ إِلَى هَهُنَا»^(١).

استجاب الله من جديد لتضرع كليمه وتوسلاته وشفاعته، ولم يُنزل عليهم عذاب
الفناء العاجل: (٢٠) فَقَالَ الرَّبُّ: «قَدْ صَفَحْتُ حَسَبَ قَوْلِكَ»^(٢).

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٤، ١٠-١٩.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٤، ٢٠.

ولكنه أعلن عن حرمانهم من دخول هذه الأرض، وأن يعودوا إلى الصحراء إلى أن يفتي هذا الجيل بأجمعه: (٢٢) إِنَّ جَمِيعَ الرِّجَالِ الَّذِينَ رَأَوْا مُجْدِي وَآيَاتِي الَّتِي عَمِلْتُهَا فِي مِصْرَ وَفِي الْبَرِّيَّةِ، وَجَرَّبُونِي الْآنَ عَشَرَ مَرَّاتٍ، وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِي، ٢٣ لَنْ يَرَوْا الْأَرْضَ الَّتِي حَلَفْتُ لآبَائِهِمْ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ أَهَانُونِي لَا يَرَوْنَهَا... ٢٨ قُلْ لَهُمْ: حَيَّ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ، لَا أَفْعَلَنَّ بِكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ فِي أُنْذِي. ٢٩ فِي هَذَا الْقَفْرِ تَسْقُطُ جُثَثُكُمْ، جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ مِنْكُمْ حَسَبَ عَدَدِكُمْ مِنْ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا الَّذِينَ تَدَمَّرُوا عَلَيَّ^(١).

وسيمتد هذا القدر الإلهي - مع السنة وبضعة أشهر التي مضت - أربعين سنة، تماماً كما امتدت رحلة الاثني عشر رجلاً أربعين يوماً، ففي قبال كل يوم من الرحلة والانتظار سنة من التيه والمشقة، وخلال هذه السنوات الأربعين، سيستمرون رعاةً للماشية في الصحراء، ولن ينعموا بما في الأرض المباركة من زرع وشجر وثمار ومياه وحدائق وخيرات واستقرار، إلى أن يكبر أبناءهم: (٣٢) فَجُثْتُكُمْ أَنْتُمْ تَسْقُطُ فِي هَذَا الْقَفْرِ، ٣٣ وَبَنُوكُمْ يَكُونُونَ رُعَاةً فِي الْقَفْرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَيَحْمِلُونَ فُجُورَكُمْ حَتَّى تَفْتَى جُثَثُكُمْ فِي الْقَفْرِ. ٣٤ كَعَدَدِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَحْسَسْتُمْ فِيهَا الْأَرْضَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، لِلْسَّنَةِ يَوْمٌ. تَحْمِلُونَ ذُنُوبَكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَتَعْرِفُونَ ائْتِغَادِي. ٣٥ أَنَا الرَّبُّ قَدْ تَكَلَّمْتُ. لَا أَفْعَلَنَّ هَذَا بِكُلِّ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ الشَّرِيرَةِ الْمُتَّفِقَةِ عَلَيَّ. فِي هَذَا الْقَفْرِ يَفْتَنُونَ، وَفِيهِ يَمُوتُونَ^(٢).

واستثني من هذا التقدير الإلهي اثنان، كالب ويوشع، جزاء لموقفهما الإيجابي، إذ ستمتد بهما الحياة بعد أن يموت من حكم عليهم بالتيه، وبعد أن يكبر أبناءهم الذين لن يكونوا أمثالهم، وسيفتح الله الأرض على أيديهم ويورثها إياهم: (٢٤) وَأَمَّا

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٤، ٢٢-٢٩.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٤، ٣٢-٣٥.

عَبْدِي كَالِبُ فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كَانَتْ مَعَهُ رُوحٌ أُخْرَى، وَقَدْ اتَّبَعَنِي تَمَامًا، أُدْخِلُهُ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي ذَهَبَ إِلَيْهَا، وَزَرَعُهُ يَرِثُهَا.... ٣٠ لَنْ تَدْخُلُوا الْأَرْضَ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي لِأُسْكِنَنَّكُمْ فِيهَا، مَا عَدَا كَالِبَ بْنِ يَفْنَةَ وَيَشُوعَ بْنَ نُونٍ. ٣١ وَأَمَّا أَطْفَالُكُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ يَكُونُونَ غَنِيمَةً فَإِنِّي سَادُخِلُهُمْ، فَيَعْرِفُونَ الْأَرْضَ الَّتِي احْتَقَرْتُمُوهَا^(١).

وعلى الرغم من أن العقاب الإلهي بالإفناء المعجل لم يُقدَّر لبني إسرائيل، إلا أنه «سبحانه» أنزل عذابه سريعاً بالعشرة الذين ثبّطوا قومهم وزرعوا في نفوسهم الخوف وأرهبوهم من الدخول إلى الأرض، فكان قضاء الله عليهم سريعاً وجماعياً، إذ أصابهم وباء فماتوا: (٣٦) أَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ مُوسَى لِيَتَجَسَّسُوا الْأَرْضَ، وَرَجَعُوا وَسَجَّسُوا^(٢) عَلَيْهِ كُلُّ الْجَمَاعَةِ بِإِشَاعَةِ الْمَدْمَةِ عَلَى الْأَرْضِ، ٣٧ فَمَاتَ الرِّجَالُ الَّذِينَ أَشَاعُوا الْمَدْمَةَ الرَّدِيئَةَ عَلَى الْأَرْضِ بِالْوَيَا أَمَامَ الرَّبِّ^(٣).

• محاولة يائسة:

تفاجأ القوم بالعقوبة المغلظة التي أوقعت بهم، وندموا أشدَّ الندم، ولات حين مندم: (٣٩) وَلَمَّا تَكَلَّمَ مُوسَى بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَى جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَكَى الشَّعْبُ جِدًّا^(٤)، وحاولوا أن يغيّروا من التقدير الإلهي بأن بادروا في الغد للصعود على جبلٍ مطلقاً على الأرض التي أمروا بفتحها من قبل، وأعلنوا عن استعدادهم الجاد - هذه المرة - للتكفير عن خطاياهم والمضي في تنفيذ أوامر الله ورسوله، ولكن محاولتهم باءت بالفشل، لأن الأمر الإلهي قد صدر لهم بالعودة إلى الصحراء: (٢٥) وَإِذِ الْعَمَلِيقَةُ وَالْكَنْعَانِيُّونَ

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٤، ٢٤-٣١.

٢. سجَّس القوم: أوقع فيهم السجس أي الشغب.

٣. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٤، ٣٦-٣٧.

٤. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٤، ٣٩.

سَاكِنُونَ فِي الْوَادِي، فَأَنْصِرِفُوا عَدَاً وَارْتَحِلُوا إِلَى الْقَفْرِ فِي طَرِيقِ بَحْرِ سُوفَ»^(١)، فكيف يخالفون أمر الله مجدداً من خلال السعي لتنفيذ أمره السابق الذي قد نُسِخ؟

فمن ناحية، يُعتبر هذا التصرف منهم تمرداً بعد تمرّد: (٤٠) ثُمَّ بَكَرُوا صَبَاحاً وَصَعِدُوا إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ قَائِلِينَ: «هُدَا نَحْنُ! نَصْعَدُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ الرَّبُّ عَنْهُ، فَإِنَّا قَدْ أَخْطَأْنَا». ٤١ فَقَالَ مُوسَى: «لِمَاذَا تَتَجَاوَزُونَ قَوْلَ الرَّبِّ؟ فَهَذَا لَا يَنْجَحُ»^(٢).

ومن ناحية أخرى، فقد رفع الله «تعالى» عنهم مدد النصر الغيبي إذ امتنعوا عن الانتصار لله حين وجب عليهم ذلك، وحين تمرّدوا على أمر الله، وخذلوا رسوله... هذه هي سنة النصر الإلهي التي تحدّث عنها القرآن الكريم إذ قال «سبحانه»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٣)، وقال «عزّ اسمه»: ﴿إِن يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

ولذا قال لهم موسى «عليه السلام» محدّراً بكل حزم وحسم من عواقب تمرّدهم وإصرارهم على القتال بعد أن أمرهم الله «تعالى» بالعودة إلى الصحراء، ومنعهم من دخول الأرض المباركة: (٤٢) لَا تَصْعَدُوا، لِأَنَّ الرَّبَّ لَيْسَ فِي وَسْطِكُمْ لِئَلَّا تَنْهَزِمُوا أَمَامَ أَعْدَائِكُمْ. ٤٣ لِأَنَّ الْعَمَالِقَةَ وَالْكَنَعَانِيِّينَ هُنَاكَ قُدَّامَكُمْ تَسْقُطُونَ بِالسَّيْفِ. إِنَّكُمْ قَدْ ارْتَدَدْتُمْ عَنِ الرَّبِّ، فَالرَّبُّ لَا يَكُونُ مَعَكُمْ»^(٥).

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٤، ٢٥.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٤، ٤٠-٤١.

٣. سورة محمد: ٧.

٤. سورة آل عمران: ١٦٠.

٥. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٤، ٤٢-٤٣.

ولكنهم أصرّوا، واستكبروا، ولم يُعيروا تحذيراته أي اهتمام، فانهزموا في مواجهة أعدائهم، وطوردوا إلى أن بلغوا موضعاً أسموه بعد ذلك (حُرمة)، أي المكان الذي قُتِلوا فيه شرّاً قتلة: (٤٤) لِكَيْتَهُمْ تَجَبَّرُوا وَصَعِدُوا إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. وَأَمَّا تَابُوتُ عَهْدِ الرَّبِّ وَمُوسَى فَلَمْ يَبْرَحَا مِنْ وَسْطِ الْمَحَلَّةِ. ٤٥ فَتَزَلَّ الْعَمَالِقَةُ وَالْكَنْعَانِيُّونَ السَّاكِنُونَ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ وَصَرَبُوهُمْ وَكَسَرُوهُمْ إِلَى حُرْمَةٍ^(١).

• القصة في القرآن:

هذا المشهد نجده مختصراً في سورة المائدة، ومن دون ذكر اسم الرجلين اللذين كانا في صفّ موسى وهارون، وحذراً قومهما من التمرّد على الأمر بدخول الأرض المقدّسة، وذلك حيث يقول «تعالى»: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ٢١ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنتَكُمُ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٢٣ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ٢٦﴾^(٢).

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٤، ٤٤-٤٥.

٢. سورة المائدة: ٢٠-٢٦.

ملاحظة: ليس المراد من جعلهم ملوكاً - كما جاء في الآية ٢٠ - أنهم أصبحوا حُكَّاماً للأرض، بل بمعنى أنهم صاروا أحراراً من العبودية في مصر، وباتوا يملكون أمر أنفسهم. ولذا قال العلامة الطباطبائي: (أي مستقلين بأنفسكم خارجين من ذل استرقاق الفراعنة وتحكم الجبابرة، وليس الملك إلا من استقل في أمر نفسه وأهله وماله، وقد كان بنو إسرائيل في زمن موسى يسيرون بسنة اجتماعية هي أحسن السنن، وهي سنة التوحيد التي تأمرهم بطاعة الله ورسوله، والعدل التام في مجتمعهم، وعدم الاعتداء على غيرهم من الأمم من غير أن يتأمر عليهم بعضهم أو يختلف طبقاتهم اختلافاً يختل به أمر المجتمع، وما عليهم إلا موسى، وهو نبيٌ غير سائر سيرة ملك أو رئيس عشيرة يستعلي عليهم بغير الحق)^(١).

ومن يتمن في السردية القرآنية للحدث ويقارنها بالسردية التوراتية، سيجد تقارباً كبيراً في الإطار العام، إلا أن من موارد الاختلاف بينهما ما جاء في قوله «تعالى»:

١. ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

٢. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

حيث لا نجد في السردية التوراتية ما يماثل أو يقارب هذا البيان القرآني.

ولعل في سورة البقرة أيضاً إشارة سريعة إلى ذات الحدث حيث قال «تعالى»: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَزِيدْ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي

قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ (١).

والمعنى الإجمالي للآية أنّ على بني إسرائيل تنفيذ هذا الأمر الإلهي، في مزيج من الشكر له على النعمة العظيمة التي هيّاها لهم، والتذلل له خضوعاً للعبودية، مع الاستغفار والتوبة لما صدر عنهم في أيامهم الماضية من صور الشرك والتمرد والتذمر وفقدان الثقة بالله وإيذاء رسوله الكليم وغير ذلك مما مرّ معنا، فبعد أن أمرهم الله بدخول الباب على وجه الخضوع، أمرهم بأن يقولوا ما يدل على التوبة، وأن يذكرُوا بلسانهم التماس حظ الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان... ومن يفعل ذلك منهم، غفر الله ذنوبه، وكفر عنه سيئاته، وزاده من فضله إحساناً.

وقد اختلف المفسّرون في تحديد القرية المشار إليها في الآية، وهل يرتبط الحدث بعصر النبي موسى أم وصيه يوشع بن نون:

(١) بيت المقدس، ودليلهم على ذلك قوله «تعالى»: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، ولكنهم اختلفوا هل كان ذلك على عهد موسى أم يوشع بن نون.

(٢) أريحا، والآية تخصّ بني إسرائيل على عهد يوشع بن نون.

(٣) مصر.

والأقوى والأولى والأوفق تاريخياً أن يكون المراد من الآية دخول بيت المقدس على عهد النبي موسى، وذلك إن سلّمنا أنّ آية سورة البقرة تتحدّث عن ذات الحدث المشار إليه في سورة المائدة، وهو ما أميل إليه، إذ تمّ التعبير عنها في سورة المائدة بالأرض

المقدسة، وهو عنوان يخص بيت المقدس، لا أريحا ولا مصر.

واختلف المفسرون في المراد من تبديلهم القول:

(١) حين أمروا بالدخول سجداً وأن يقولوا (حِطَّة)، زحفوا على أوراكيهم بدلاً عن السجود، وقالوا (حنطة) أو (حبة)!! وهذه نماذج من هذه الروايات وأقوال المفسرين:

عن ابن عباس عن النبي «صلى الله عليه وسلم» قال: (دَخَلُوا البابَ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا مِنْهُ سُجَّدًا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ يَقُولُونَ حِطَّةٌ فِي شَعِيرَةٍ).

وعن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول: (قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: قال الله لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَادْخُلُوا البابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً تَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾، فَبَدَلُوا وَدَخَلُوا البابَ يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعِيرَةٍ).

وعن مجاهد، قال: (أمر موسى قومه أن يدخلوا الباب سجداً ويقولوا حطة، وطُوطِء لهم الباب ليسجدوا فلم يسجدوا ودخلوا على أدبارهم وقالوا حنطة).

وعن ابن مسعود أنه قال: (إنهم قالوا: «هطي سمقا يا اذبة هزبا»، وهو بالعربية: حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعيرة سوداء. فذلك قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾^(١). وهي روايات ضعيفة وتأويلات غير مقبولة ولا تتوافق مع ما جاء في الآية الشريفة.

(٢) ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ يدل على أنهم لم يفعلوا ما أمروا به، لا على أنهم أتوا له ببدل. والدليل عليه أن تبديل القول قد يستعمل في المخالفة، قال «تعالى»: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ

١. الطبري: جامع البيان، ج ١، ص ٤٣٣-٤٣٤.

لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾^(١)، ولم يكن تبديلهم إلا الخلاف في الفعل لا في القول، فكذا ههنا، فيكون المعنى أنهم لما أمروا بالتواضع وسؤال المغفرة لم يمتثلوا أمر الله ولم يلتفتوا إليه^(٢).

(٣) كان من المفترض بالذين أمروا بجمع المعلومات عن أرض كنعان أن يعودوا بترغيب قومهم في دخول القرية، وتهوين أمر العدو عليهم، إلا أنَّ عشرةً منهم بدّلوا شهادتهم، وثبّطوا عزائم قومهم، وأخبروهم أنهم لا يستطيعون قتال أهل تلك القرية، وهذا هو معنى تبديل القول من قِبَل الذين ظلموا، فنزل بهم العذاب^(٣). ولكن هذا لا يتوافق مع قوله «تعالى»: ﴿قَبَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، فهناك قول طُلب منهم أن يقولوه، أو موقف طُلب منهم أن يتّخذوه، فبدّلوه بآخر، فهل المطلوب من الشهود العشرة أن يقولوا ما يُملَى عليهم، أم أن يشهدوا بما رأوا، وأن يذكروا رأيهم في الأمر؟

وبرأيي أن ما جاء في سورة المائدة بلغة (حقيقية) مع شيء من التفصيل والبيان مبين لما جاء في سورة البقرة وبلغة (مجازية) مع الاختصار: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا

١. سورة الفتح: ١١-١٥.

٢. الفخر الرازي: مفاتيح الغيب، ج ٣، ص ٨٣.

٣. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١، ص ٥١٦.

وَقُولُوا حِطَّةٌ تُغْفِرُ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ إذ لم يكن المطلوب من بني إسرائيل أن يدخلوا باب تلك القرية ويواجهوا عدوهم الجبار وهم في حال سجود، فهذا غير منطقي، كما أنه لم يُطلب منهم أن يقولوا أو يكرروا كلمة (حِطَّة) فقط ليتحقق لهم المراد بمغفرة ذنوبهم ودخول القرية وسقوط العدو أمامهم، بل استعملت الآية أسلوباً بلاغياً للتعبير عن الفكرة.

وبهذا النحو -أيضاً- نفهم المراد من قوله «تعالى»: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، إذ نفهم تبديل القول هنا بالمعنى المجازي، والمراد بذلك تبديل موقفهم من خلال ما صدر عنهم على مستوى القول وعلى مستوى الفعل أيضاً.

ويمكننا أن نعرف المراد من تبديل القول من خلال ما جاء في سورة المائدة حيث يقول «تعالى» على لسان موسى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٦١﴾﴾، فبماذا أجابوا؟ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٦٢﴾﴾... هذا هو القول البديل... أي كان من المفترض بهم أن يستجيبوا لأمر الله ورسوله، وأن يقولوا سمعاً وطاعة، وأن يشكروا الله على هذه النعمة، وأن ما وعدوا به من دخول الأرض المباركة المقدسة على وشك التحقق، وأن يطلبوا من أن يحط عنهم ذنوبهم، ويفتحوا صفحة جديدة من علاقتهم به ورسوله، تتمثل بالإيمان الكامل، والثقة التامة، والانصياع المطلق، إلا أنهم بدّلوا كل هذا بالتمرد والهروب من المسؤولية.

وعلى كل حال، فقد عاقبهم الله «تعالى»، ولكن لا نعرف طبيعة هذا العقاب المعبر عنه بالرجز المنزل من السماء: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا

يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾، وإن كنا نجد وصفاً مشابهاً لذلك في قصة النبي لوط «عليه السلام»، ونعرف طبيعة العذاب المنزل عليهم بصورة إجمالية، وذلك في قوله «تعالى»: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾^(١). فقد وصفت آيات أخرى الطبيعة الإجمالية لعذاب قوم لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾^(٢)، فهل كان عذاب المتمردين على موسى مشابهاً لذلك؟ هذا محتمل، وإن كانت السردية التوراتية تنصّ على أنه كان في صورة إصابتهم بالوباء كما مرّ معنا: (٣٧) فَمَاتَ الرَّجَالُ الَّذِينَ أَشَاعُوا الْمَدْمَةَ الرَّدِيَّةَ عَلَى الْأَرْضِ بِالْوَيْهِ أَمَامَ الرَّبِّ^(٣).

وهل كان العقاب خاصاً بالعشرة - كما في التوراة - أم بجميع رجال بني إسرائيل ما عدا هارون ويوشع وكالب، أم بالذين تكلّموا من بني إسرائيل وأبدوا موقفاً رافضاً؟ اختلف المفسّرون أيضاً في ذلك.

قال الفخر الرازي: (ثم إن تلك العقوبة أي شيء كانت؟ لا دلالة في الآية عليه، فقال ابن عباس: مات منهم بالفجأة أربعة وعشرون ألفاً في ساعة واحدة، وقال ابن زيد: بعث الله عليهم الطاعون حتى مات من الغداة إلى العشي خمس وعشرون ألفاً، ولم يبق منهم أحد)^(٤).

١. سورة العنكبوت: ٣٣-٣٤.

٢. سورة هود: ٨٢-٨٣.

٣. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٤، ٣٧.

٤. الفخر الرازي: مفاتيح الغيب، ج ٣، ص ٨٣.

وفي تفسير الطبري بالسند عن ابن زيد: (بعث الله «جَلَّ وَعَزَّ» عليهم الطاعون، فلم يُبقِ منهم أحداً. وقرأ: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(١). قال: وبقي الأبناء، ففيهم الفضل والعبادة التي توصف في بني إسرائيل والخير، وهلك الآباء كلهم، أهلكهم الطاعون)^(١).

ولا اعتماد على شيء من الأرقام المذكورة أعلاه في عدد من مات بذلك الوباء، وهي أرقام مبالغ فيها جداً، لأن المبالغة تستهوي المستمعين، وكأنهم في بازار للمزايدة.

وهكذا انتهى هذا المشهد بضياح الفرصة التاريخية لبني إسرائيل المعاصرين لموسى بدخول الأرض المقدسة والمباركة بخيراتها الكثيرة والتي كتب الله لهم، وعاشوا معاناة الحياة في الصحراء على مدى أربعين سنة: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢)، إلى أن تبدل ذلك الجيل بجيل آخر مؤمن مطيع لله، فحمل المسؤولية، وقاتل وانتصر ودخل الأرض المقدسة المباركة كما أراد الله، وأرسى فيها من جديد -بعد دعوة إبراهيم الخليل- قواعد الإيمان القائمة على التوحيد والرسالات السماوية.

• قصة عوج بن عنق:

بعض تفاسير القرآن الكريم اشتملت على أخبار غريبة وأساطير عجيبة وتفاصيل تاريخية مغلوطة حول هذا المشهد من مشاهد سيرة النبي موسى، ومن ذلك ما رواه الثعلبي حول أحد مقاتلي الكنعانيين الجبارين واسمه المتخيل (عوج بن عنق).

وحيث أن الأسطورة المذكورة في تفسيره غير مرتبة زمنياً من حيث الأحداث

١. الطبري: جامع البيان، ج ١، ص ٤٣٦.

ولربما تُربك القارئ، لذا فضّلت أن أعيد ترتيبها مع الاحتفاظ بنص الألفاظ التي وردت في الكتاب.

قال الثعلبي: كانت أمّه عنق -ويقال عناق- إحدى بنات آدم، ويقال: إنَّها كانت أوّل مَنْ بغت على وجه الأرض، وكان كل إصبع من أصابعها ثلاثة أذرع وذراعين^(١)، وفي كل إصبع ظفران حديدان مثل المنجلين، وكان موضع مجلسها جريباً^(٢) من الأرض. فلمّا بغت بعث الله «عز وجل» عليها أسداً كالفيلة^(٣)، وذئباً كالإبل، ونسوراً كالخُمر، وسلّطهم عليها فقتلوها وأكلوها.

ويُروى أن عوج بن عنق رأى نوحاً يوم الطوفان، فقال: احملي معك في سفينتك، فقال له: اخرج يا عدو الله، فإنّي لم أوْمرك. وطبق الماء ما على الأرض من جبل وما جاوز رُكبتَي عوج^(٤)!! وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة ثم أهلكه الله على يد موسى.

وكان طوله ثلاثة آلاف وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة وثلاثون ذراعاً وثلاث ذراع^(٥)!! قال ابن عمر: كان عوج يحتجز بالسحاب^(٦)، ويشرب منه، ويتناول الحوت من أقرار^(٧) البحر، فيشويه بعين الشمس، يرفعه إليها ثم يأكله!!

وأما قصة هلاكه فتعود إلى المشهد الزمني للأحداث التي نتناولها من قصة النبي

١. الذراع قرابة النصف متر.

٢. أي المساحة التي تشغلها عند جلوسها. والجريب ١٣٦٦ متراً مربعاً تقريباً.

٣. أي حجمه حجم الفيلة.

٤. هذا مخالف لقصة النبي نوح في القرآن والتي تدل على إهلاك الكافرين ممن لم يركبوا السفينة.

٥. أي أكثر من عشرة آلاف متر. علماً بأن إيفرست التي تعتبر أعلى قمة جبل تقل عن ٩ آلاف متر.

٦. أي يستر وسط جسده بالسحاب.

٧. أقرار البحر: أعماقه.

موسى، فقد وعد الله «تعالى» موسى -واللفظ للثعلبي- أن يورثه وقومه الأرض المقدسة -وهي الشام- وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون، ووعدته أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني إسرائيل، فلما تركت بني إسرائيل الدار بمصر أمرهم الله «تعالى» المسير إلى أريحا أرض الشام وهي الأرض المقدسة.

وقال: يا موسى إني قد كتبتها لكم داراً قراراً، فاخرج إليها وجاهد من فيها من العدو، فإني ناصرهم عليهم، وخذ من قومك اثني عشر نقيباً من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا، به فاختار موسى «عليه السلام» النقباء. فسار موسى ببني إسرائيل حتى إذا قربوا من أرض كنعان -وهي أريحا- بعث هؤلاء النقباء إليها يتجسسوا له الأخبار ويُعلمونه، فلقيهم عوج بن عنق وعلى رأسه حزمة حطب، فأخذ الإثني عشر، فجعلهم في حجزته -وحجزة الإزار معقد السراويل التي فيها التكة^(١)- فانطلق بهم إلى امرأته وقال: انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا. فطرحهم بين يديها، وقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت امرأته: لا، بل خلّ عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا. ففعل ذلك فجعلوا يتعرفون أحوالهم.

وكان لا يحمل عنقود عنبهم إلا خمسة أنفس منهم في خشبة^(٢)!! ويدخل في شطر الرمانة إذا نُزع حبّها خمسة أنفس أو أربعة!!

فلما خرجوا قال بعضهم لبعض: يا قوم، إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل خبر القوم ارتدّوا عن نبي الله، ولكن اكنموا وأخبروا موسى «عليه السلام» وهارون، فيكونان هما يريان رأيهما، فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك. ثم إنهم نكثوا العهد، وكلّ

١. الظاهر أن المؤلف نسي أنه كان يحتجز بالسحاب، فكيف للسحاب أن يحتفظ بهم.

٢. أي عنقود عنب القوم الجبارين. وفي التوراة أن الخشبة كان يحملها شخصان فقط.

واحد منهم نهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى، إلا رجلاً منهم يوشع وكالب. وأما قصة هلاك عوج بن عنق - بحسب الثعلبي - فجاءت كالتالي: وكان لموسى «عليه السلام» عسكرٌ فرسخاً في فرسخ، فجاء عوج حتى نظر إليهم^(١)، ثم جاء فنحت الجبل، فأخذ منه بصخرة على قَدَر العسكر، ثم حملها ليُطبقها عليهم، فبعث الله «تعالى» إليه الهدهد ومعه المص - يعني منقارة^(٢) - حتى نقر الصخرة، فانثقت، فوقعت في عنق عوج، فطوّقته، وأقبل موسى «عليه السلام» - وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وتُرَاقِي السماء عشرة أذرع - فما أصاب إلا كعبه وهو مصروع بالأرض فقتله. قالوا: فأقبلت جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى جَزَوْا رأسه!! فلما قُتِل، وقع في نيل مصر، فجسَّروهم سنة^(٣)!!^(٤)

وأيد الشيخ محمد صالح المنجد على موقع (الإسلام سؤال وجواب) بطلان هذه المرويات مستنداً أيضاً إلى أقوال بعض محققي أهل السنة، فقال: (شخصية وهمية أسطورية لا وجود لها بهذا الوصف الذي وصفه الواصفون، إلا في الخيال الجامح، والإسرائيليات المغرقة في المبالغة والتهويل، وعن هذا الطريق -الإسرائيليات- تلقّاها من حشاها في كتبه من المفسرين والقصاص وأصحاب التاريخ وأهل اللغة، بل وبعض المحدثين، كابن عساكر وأبي الشيخ الأصبهاني وابن المنذر وغيرهم. وما يُذكر من وصفه الهائل... فباطل محال، وقد ردّ ذلك المحققون من أهل العلم.

١. المنقارة: الحفّارة.

٢. نسي المؤلف أن طوله يبلغ أكثر من عشرة آلاف متر، ويمكن أن يرى ويُرَى من على بُعد عشرات الكيلومترات.

٣. أي استفادوا من جثمانه -لمدة سنة- كجسر يقطعون به نهر النيل من ضفة إلى أخرى.

٤. الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٤، ص ٣٦-٣٧.

وغاية ما هنالك أن يقال: إذا كان لهذه الشخصية وجود، فهو من جملة المردة الكفرة، من القوم الجبارين العمالقة، بقية قوم عاد، إلا أن الكذابين والقصاصين هؤلوا من شأنه، وأسرفوا في وصفه، ووضعوا فيه الأقايص المكدوبة والحكايات المزورة؛ ترويحاً لغرضهم الفاسد عند العوام. ولا يمكن أن يكون قد بقي من زمن نوح إلى زمن موسى «عليهما السلام»؛ لأن الله «تعالى» يقول: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ١٢٠ الشعراء. وقال «تعالى»: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾ نوح. قال ابن كثير «رحمه الله»: [والمقصود أن الله لم يبق من الكافرين دياراً، فكيف يزعم بعض المفسرين أن عوج بن عنق -ويقال بن عناق- كان موجوداً من قبل نوح إلى زمان موسى؟ ويقولون كان كافراً متمرداً جباراً عنيداً... أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب الذين بدّلوا كتب الله المنزلة وحرّفوها وأوّلوها ووضعوها على غير مواضعها، فما ظنك بما هم يستقلون بنقله أو يؤتمنون عليه؟ وما أظن أن هذا الخبر عن عوج بن عناق إلا اختلاقاً من بعض زنادقتهم وفجارهم الذين كانوا أعداء الأنبياء والله أعلم^(١)].

وقال ابن القيم «رحمه الله»^(٢): [ومن الأمور التي يعرف بها كون الحديث موضوعاً أن يكون مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه، كحديث عوج بن عنق الذي قصد واضعه الطعن في أخبار الأنبياء... وليس العجب من جرأة مثل هذا الكذاب على الله، إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره ولا يبين أمره^(٣)].

١. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١، ص ٢٦٦-٢٦٨ مع الاختصار.

٢. ابن القيم: المنار المنيف، ص ٧٦-٧٧ مع الاختصار.

عوج بن عنق -شخصية سخرافية- لا وجود لها/ 192799. <https://islamqa.info/ar/answers/>

• العمالقة في التوراة:

وبالعودة إلى التوراة، نجد أن شخصية عوج هذه حاضرة ضمن سيرة النبي موسى وأحداث السنة الأربعين من التيه، حين قرّر العبور في أراضي بعض الممالك التي كانت تحكم أنحاء من الأردن، ومن بينها مملكة باشان التي كان يحكمها الملك عوج، بعد أن اتجه بنو إسرائيل شمالاً باتجاه بحيرة طبرية، فواجهوه وهزموه: (٣٣) ثُمَّ تَحَوَّلُوا وَصَعِدُوا فِي طَرِيقِ بَاشَانَ. فَخَرَجَ عَوْجٌ مَلِكُ بَاشَانَ لِلِقَائِهِمْ هُوَ وَجَمِيعُ قَوْمِهِ إِلَى الْحَرْبِ فِي إِذْرَعِي^(١)، وسنتحدث عن هذا المشهد لاحقاً بحسب تسلسل الأحداث.

وفي قاموس الكتاب المقدس أن عوج: (ملك الأموريين في باشان، من سلالة «الرفائيين»، وامتد ملكه من وادي أرنون إلى جبل حرمون، وكانت قاعدته عشروت وإذري. وكان عوج جبار القامة شديد البأس. وكان له سرير من حديد ضخّم الحجم، وقد حفظه أهل ربة عمون [عمان] في متحفهم)^(٢).

وقيل أن مصطلح الرفائيين أو (רפאים) وتلفظ رفائيم) إشارة إلى القوم الجبارين المذكورين في القرآن الكريم في قصة النبي موسى. وفي التراث اليهودي، فإن هذا المصطلح يشير إلى شعب يتميز بقامته الضخمة (عمالقة). وأحتمل أن جذر الكلمة العبرية يلتقي مع جذر الكلمة العربية (رفع) بما يدل على العلو والطول فيقال: (رفع القامة) أي طوله.

وبتتبع نصوص أسفار التوراة وبعض الأسفار الأخرى ضمن التنخ، يظهر لنا أن

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢١، ٣٣.

2. https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/18_EN/EN_256.html

التصوّر الذي تقدمه هذه النصوص هو أن الذكور من الذرية المؤمنة الصالحة من نسل آدم تزوجوا مع (بَنَاتِ النَّاسِ)^(١) وفُسِّر ذلك بأنهن كن من ذرية قايين (قابيل)، ولربما إشارة إلى البشر من غير ذرية آدم أصلاً، ممّن عاشوا على الأرض من قبل، كإنسان (النياندرتال)، وأن الناتج من هذا التزاوج هم القوم الجبارون الموصوفون بضخامة وطول القامة (عمالقة): (٤) وَبَعْدَ ذَلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللَّهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلَادًا، هَؤُلَاءِ هُمُ الْجَبَّارَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ دُورُ اسْمٍ)^(٢)، والجبارة في العبرية (הגפלים) وتُلفظ هانفليم)، وهي قريبة من كلمة (الأنفال)، فهل لدلالة الكلمة -في اللغة العربية- على ما هو إضافي وفائض دوراً في تسميتهم بذلك بلحاظ أن العربية والعبرية والكنعانية لغات سامية تلتقي في أصولها في لغة واحدة؟

وقد جاء في سفر العدد من التوراة التصريح بطول وضخامة قامتهم: (٣٢) وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِي رَأَيْنَا فِيهَا أَنَا سَطَوَالُ الْقَامَةِ. ٣٣ وَقَدْ رَأَيْنَا هُنَاكَ الْجَبَّارَةَ، بَنِي عَنَاقٍ مِنَ الْجَبَّارَةِ. فَكُنَّا فِي أَعْيُنِنَا كَالْجَرَادِ، وَهَكَذَا كُنَّا فِي أَعْيُنِهِمْ)^(٣). لاحظ المقارنة بالنسبة إلى الحجم: (كَالْجَرَادِ) أي جرادة في مقابل إنسان.

وفي سفر صموئيل الأول ضمن قصة طالوت (شاول) وداود وجالوت (جُلَيَات)، نجد وصفاً لطول قامة هذا الأخير، وكان قد خرج للمبارزة: (٤) فَخَرَجَ رَجُلٌ مُبَارِزٌ مِنْ جِيُوشِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ اسْمُهُ جُلَيَاتُ، مِنْ جَتٍّ، طُولُهُ سِتُّ أَذْرُعٍ وَشِبْرٌ إِذَا كَانَ الذَّرَاعُ ٤٥ سَمَ تَقْرِيْبًا، وَالشِّبْرُ ٢٠ سَمَ تَقْرِيْبًا، فَإِنَّ الْمَجْمُوعَ ٢ مِتر و ٩٠ سَم (٥) وَعَلَى رَأْسِهِ خُوْدَةٌ

١. الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح ٦، ٢.

٢. الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح ٦، ٤.

٣. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ١٣، ٣٢-٣٣.

مِنْ نُحَاسٍ، وَكَانَ لَابَسًا دِرْعًا حَرَشَفِيًّا، وَوَزَنَ الدَّرْعُ خَمْسَةَ آلَافٍ شَاقِلٍ نُحَاسٍ) إذا كان الشاقل ١٢ جم تقريباً، فالمجموع ٦٠ كجم (٦ وَجُزْمُوقًا نُحَاسٍ عَلَى رِجْلَيْهِ^(١)، وَمِزْرَاقُ نُحَاسٍ بَيْنَ كَتِفَيْهِ^(٢)، ٧ وَقَتَاةُ رُحْمِهِ كَنَوَلِ النَّسَاجِينَ، وَسَنَانُ رُحْمِهِ سِتُّ مِئَةِ شَاقِلٍ حَدِيدٍ) أي ٧,٢٠٠ كجم (وَحَامِلُ الثُّرَيْسِ كَانَ يَمِشِي قُدَّامَهُ)^(٣).

وبحسب قاموس الكتاب المقدس: (والأرجح أن جليات لم يكن فلسطيني الأصل، بل كان من سلالة الجبابرة أو القبائل البدائية مثل العناقين والعوين والرفائيين وغيرهم. وقد عاش العوين في أرض فلسطين، والأرجح أن جليات كان من تلك القبيلة)^(٤). [انظر اللوحين ٧٧-٧٨]

وكما ورد اسم (عوج) في التوراة، ورد اسم (عناق / عنق) -الذي جاء ضمن اسم ذلك العملاق المشار إليه في تفسير الثعلبي- ولكن على أنه تسمية لقوم يسكنون أرض فلسطين، وقد مر معنا النص في الأسطر السابقة: (٣٣ وَقَدْ رَأَيْنَا هُنَاكَ الْجَبَابِرَةَ، بَنِي عَنَاقٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ. فَكُنَّا فِي أَعْيُنِنَا كَالْجُرَادِ، وَهَكَذَا كُنَّا فِي أَعْيُنِهِمْ)^(٥).

وهذا يعني أن اسم هذه الشخصية مركّب من اسمين، اسم ملك باشان، واسم القوم. وبتتبع المرويات في باب (عوج بن عنق) يوصلنا رأس الخيط -كثير من الأحيان- إلى وهب بن منبه، ولا غرابة.

١. الجرموق: حذاء خارجي يُلبس فوق الحذاء العادي للدفع أو لمنع التلوث بالطين أو الماء.

٢. المزرّاق: الرمح القصير.

٣. الكتاب المقدس، سفر صموئيل الأول، الإصحاح ١٧، ٤-٦.

4. https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/05_G/G_130.html

٥. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ١٣، ٣٢-٣٣.



اللوحة رقم ٧٧ : لوحة تمثل فارق الحجم بين داود (إلى اليمين) وجالوت



اللوحة رقم ٧٨ : لوحة أخرى تمثل فارق الحجم بين داود وجالوت (المقتول)

قال القاضي والمفتي الأسبق للجمهورية اليمنية محمد بن إسماعيل العمراني الصنعاني (ت ٢٠٢١م) في كتابه (نيل الأمان من فتاوى القاضي محمد بن إسماعيل العمراني): (أما علماء القصص الذين أرخوا لعصر ما قبل الإسلام مثل مؤلف كتاب [نفائس العرائس]^(١) ومؤلف كتاب [بدائع الزهور]^(٢) وغيرها فقد ذكروا بعض أوصافه بصفة مطوّلة وخيالية، وتكلّموا عن العصور التي عاش فيها كلاماً يمجّه السمع، ويخالف نص القرآن والسنة النبوية المطهرة على صاحبها وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، ومع الأسف الشديد أنّ بعض المفسرين قد قلّدوا القصاصين فذكروا تلکم الأوصاف الخيالية التي وضعها القصاص في تفاسيرهم للقرآن الكريم، وذلك مثل الكرمانى وغيره من المفسرين الذين ذكروا قصة [عوج بن عنق أو عوج بن عوق] عن ابن عباس «رضي الله عنه»، ومثل ابن المنذر والشعلبي والقرطبي الذين ذكروا قصته عن ابن عمر «رضي الله عنه»، وهكذا ذكرها من المفسرين أيضاً البغوي والحازن وابن عطية وغيرهم، كما ذكر بعض صفاته الشيخ [ابن حبان] أحد المحدثين المشهورين في كتاب [العظمة] بسند إلى التابعي [وهب بن منبه] «رحمه الله»، وكلها من الإسرائيليات التي أدخلها بعض من أسلم من أهل الكتاب، وروّجها من جاء بعدهم واغترّ بها الكثير من العامة والقليل من المؤلفين)^(٣).

وأعتقد أن كلام القاضي الصنعاني يُغنينا عن الكثير من التعليق وإن حاول البعض تبرئة وهب بن منبه بأنه كان يُكذّب عليه: (وقد ذكر هذه القصة [قصة عوج بن عنق] السيوطي في [الأوج في أخبار عوج] وتعقبها بقوله: هذا الخبر باطل كذب آفته

١. أي نفائس العرائس ويواقيت التيجان في قصص القرآن، والمؤلف هو ذاته الشعلبي.

٢. أي محمد بن إياس الحنفي القاهري صاحب الكتاب التاريخي بدائع الزهور في وقائع الدهور.

[عبد المنعم]، قال الذهبي في الميزان: قَصَّاص، ليس يُعتمد عليه، تركه غير واحد، وأفصح أحمد بن حنبل فقال: كان يكذب على [وهب بن منبه]^(١)، ولكن المرويات عنه في هذا الباب، وما قال بشأنه بعض المحققين، وما عُرف من دور سلمي لبعض رجالات اليهود بعد أن أعلنوا إسلامهم في العصر الإسلامي الأول ككعب الأحبار، كل هذا يجعله في قفص الاتهام ولا يبرؤه من تهمة إشاعة مثل هذه الأساطير التي تلقفها القصاص عنه، وأضافوا عليها ما شاءوا جيلاً بعد جيل.

• الحق التاريخي بالأرض:

ما سبق بيانه يستوجب معالجة إشكالية معاصرة ترتبط بالاحتلال الإسرائيلي للأرض الفلسطينية، فإذا كان القرآن الكريم يقر بأن الله «تعالى» قد كتب هذه الأرض لبني إسرائيل إذ قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٥١﴾﴾ فلماذا نتخذ هذا الموقف المعادي من الكيان الإسرائيلي؟

ألا يرشدنا القرآن الكريم إلى أن لليهود حقاً تاريخياً وشرعياً في هذه الأرض؟ ثم ألم يكونوا هم أصحاب هذه الأرض وحكامها قبل أكثر من ثلاثة آلاف سنة، وقد عادوا إليها ليحكموها بعد تهجيرهم منها قبل ألفي سنة تقريباً؟ ألا يتحدث القرآن الكريم عن حكم داود وسليمان وغير ذلك من القصص المرتبطة بتاريخ بني إسرائيل فيها؟ سأجيب عن هذه الإشكالية ضمن قراءتين، القراءة الأولى تاريخية، وبتعبير البعض

وفق القراءة العلمانية البحتة، التي لا علاقة لها بالدين، ولا بعنوان النبوات والرسالات، ولا غيرها من العناوين الدينية.

فبحسب هذه القراءة، لم تكن هذه الأراضي -عندما حكمها بنو إسرائيل بعد التيه في الصحراء لمدة أربعين سنة- في الأساس براري أو أحراش وأراضي جرداء مهملة، بلا شعب وبلا حكم وبلا حضارة.. ولتوضيح ذلك نقول: بحسب ما هو متفق عليه عند اليهود وغيرهم، فإن إبراهيم «عليه السلام»، وهو جد النبي يعقوب «عليه السلام» -الذي لُقِّب لاحقاً بإسرائيل، وبنو إسرائيل ينتسبون إليه- كان يعيش قبل أقل من ٤٠٠٠ سنة، وكان من أبناء بلاد ما بين النهرين (الرافدين)، وهاجر إلى أرض كنعان، أي فلسطين الحالية، وتوفي فيها، وله قبر معروف في مدينة الخليل جنوب مدينة القدس.

في تلك الأرض كان يعيش الكنعانيون -وهم إما عرب أو فرع من الساميين مختلف عن العرب والعبريين- وقد أقاموا فيها عدة مدن وبلدات. والتوراة تقرّ بذلك بشكل لا ريب فيه، ومن نصوصها التي نستعين بها كنص تاريخي وليس بلحاظ ديني: (وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ....». فَأَتُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ... وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حَيَّيْذٍ فِي الْأَرْضِ)^(١).

بكل وضوح تنص التوراة على أن النبي إبراهيم -ومن معه- وفدوا على أرض عامرة يسكنها الكنعانيون، وعلم التاريخ والآثار يُظهران أنهم استوطنوها قبل هذا الحدث على أقل تقدير بقرابة ١٥٠٠ سنة.

١. الكتاب المقدس: سفر التكوين، الإصحاح ١٢، ١-٥.

بل إن تأسيس مدينة أريحا الفلسطينية يعود إلى ما بين ١١-١٢ ألف سنة، أي قبل عهد إبراهيم بثمانية آلاف سنة تقريباً، واعتُبرت من قبل بعض الباحثين أقدم مدينة في تاريخ البشرية.

ثم رزق الله إبراهيم ولدين، الأول إسماعيل، وعاش في مكة بعد ولادته، والآخر إسحاق الذي رُزق بدوره بـيعقوب (إسرائيل)، وعاش يعقوب -هو وأبناؤه- في الأرض الكنعانية حياةً بدوية -بسبب بعض الخلافات الأسرية- إلى أن نقلهم ابنه يوسف بعد ذلك إلى أرض مصر ضمن القصة المعروفة. وهكذا تناسل بنو يعقوب (إسرائيل) في مصر مُعزّزين وذوي مكانة مرموقة، إلى أن تحوّلوا من موقع الحكم والمُلك إلى موقع العبودية فيها، ويبدو أن ذلك بسبب تبدّل نظام الحكم هناك. والأرجح أن قدومهم كان على عهد من يُطلق عليهم اسم (الهكسوس)، وهم غزاة -لعلهم من بادية الشام والجزيرة العربية- سيطروا على شمال مصر لأقل من قرنين، فلما عاد الحكم إلى المصريين اضْطُهد بنو إسرائيل كما حكى ذلك القرآن الكريم، وخرجوا من مصر بعد بضعة قرون بقيادة النبي موسى.

وأما خروج النبي موسى من مصر مع بني إسرائيل فقد كان قبل ٣٣٠٠-٣٢٠٠ سنة تقريباً، وتنقّل بنو إسرائيل في الصحراء أربعين سنة. وبعد وفاة موسى قادهم يوشع بن نون فسيطروا على بعض المدن والبلدات في فلسطين الحالية، وذلك من قبيل أريحا وعاي وغزة والقدس.

نعود مجدداً إلى التوراة حيث نجد فيها نصاً يبين ما ذكرناه، ونعتمده كنص تاريخي وليس بلحاظ ديني: (وَلَمَّا سَمِعَ جَمِيعُ الْمُلُوكِ الَّذِينَ فِي عِبْرِ الْأَرْضِ فِي الْجَبَلِ وَفِي السَّهْلِ وَفِي كُلِّ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ إِلَى جِهَةِ لُبْنَانَ، الْحِثِّيُونَ وَالْأَمُورِيُّونَ وَالْكَنْعَانِيُّونَ

وَالْفِرِزِّيُّونَ وَالْحَوِّيُّونَ وَالْيَبُوسِيُّونَ، اجْتَمَعُوا مَعًا لِمُحَارَبَةِ يَشُوعَ وَإِسْرَائِيلَ) أي بني إسرائيل (بِصَوْتٍ وَاحِدٍ)^(١).

١. الْحَثِّيُّونَ: غزاة كانوا قد احتلوا جزءً من تلك الأراضي قادمين من الأناضول (تركيا).

٢. الْأُمُورِيُّونَ من بادية سورية.

٣. الْكَنْعَانِيُّونَ سكان المنطقة.

٤. الْفِرِزِّيُّونَ اسم كنعاني معناه أهل الريف، وهم فرع من الكنعانيين القرويين.

٥. الْحَوِّيُّونَ من القبائل التي عاشت في نابلس وجبعون، ثم انتشروا في شمال فلسطين وشمال القدس، وهم بحسب التوراة فرع أيضاً من الكنعانيين.

٦. الْيَبُوسِيُّونَ، كنعانيون أسسوا مدينة القدس. ويابيشي أو يابيشي هو الاسم الأول لمدينة القدس عند تأسيسها (بين ٥٠٠٠ - ٤٢٠٠ سنة تقريباً)، ثم عُرفت المدينة لاحقاً باسم (شاليم) و(أورشاليم).

وفي نص آخر من نفس السفر: (فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ مَدُنِ أَوْلِيكَ الْمُلُوكِ وَجَمِيعَ مُلُوكِهَا وَضَرَبَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ)^(٢). أي كانت هناك مدن، وكان لها حكام، وكان يوشع بن نون -ومن معه من بني إسرائيل- قادمين من خارج تلك الأرض.

ومر معنا في القرآن الكريم ما يؤكد ما ذكرته في القراءة التاريخية حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ

١. الكتاب المقدس: سفر يشوع، الإصحاح ٩، ١-٢.

٢. الكتاب المقدس: سفر يشوع، الإصحاح ١١، ١٢.

الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١١﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ فهم لم يؤسسوا دولة على أرض جرداء.

هذه المعطيات كما نجدتها في (العهد القديم) وفي القرآن، نجدتها أيضاً في أي كتاب تاريخي يستعرض تاريخ تلك المنطقة. وعليه، فإن الحديث عن الملكية التاريخية لهذه الأراضي من قبل بني إسرائيل واليهود باعتبارهم المؤسسين لها كلام بلا أساس علمي. كانت هذه هي القراءة التاريخية المجردة والمختصرة، مع الاستشهاد ببعض النصوص في المصادر اليهودية والإسلامية للتأكيد على هذا البعد التاريخي.

أما القراءة الثانية فهي القراءة الدينية، فقد يحتج البعض بما جاء في القرآن في قوله «تعالى» على لسان موسى «عليه السلام»: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، فهذه الآية تذكر أن الله قد وهب هذه الأرض لبني إسرائيل وكتبها لهم.

فمن المفترض بنا - كمسلمين - أن نلتزم بالإرادة الإلهية لتكون هذه الأرض لبني إسرائيل، أي اليهود. والتوراة تقول مثل ذلك، ففي سفر اللاويين مثلاً: (وَقُلْتُ لَكُمْ: تَرِثُونَ أَنْتُمْ أَرْضَهُمْ، وَأَنَا أُعْطِيكُمْ إِيَّاهَا لِتَرِثُوهَا، أَرْضًا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا) ^(١).

وفي التوراة عدة نصوص تدل على هذا. وقد قال رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق (مناجم بيجن) معقّباً على خطاب الرئيس المصري الأسبق (محمد أنور السادات) أمام الكنيست الإسرائيلي: (إن حق إسرائيل في فلسطين حقٌ أبدي تاريخي تشهد له الكتب، ومنها القرآن نفسه) واستدل بالآية السابقة ثم قال: (إن الله فرض لنا الأرض

١. الكتاب المقدس: سفر اللاويين، الإصحاح ٢٠، ٢٤.

المقدسة دون سائر الخلق، فلا يجوز لأحد دينياً أن ينازعنا فيها^(١).

ولكن، هل كتبت لهم هذه الأرض لأنهم من بني إسرائيل؟ كلا، فهذا العطاء ليس بعنوان الذرية، ليكون مُلكاً عائلياً يُتوارث عبر الزمن، بل هو عطاء بعنوان أنهم أتباع الرُّسل والرسالات السماوية، ومن أجل أن يقيموا دين الله فيها.

ثم إن كثيراً من اليهود الموجودين اليوم في فلسطين ليسوا من بني إسرائيل. فعلم الوراثة المرتبط بدراسة الجينات يُعدُّ من العلوم الحديثة، واستطاع بطريقة علمية دقيقة أن يكشف الخريطة الجينية للبشر... فكما أنَّ لكلِّ إنسان بصمة خاصة به محفورة على أصابعه، كذلك فإن لكل فرد منا بصمة جينية وراثية خاصة به. هذه البصمة الوراثية تحتزن فيها أيضاً مشتركات الفرد مع آبائه وأجداده على مدى مئات القرون، ومن خلال ذلك بات هذا العلم الدقيق جداً قادراً على إثبات نسب ولد لأبيه أو نفي ذلك. ومن خلال نتائج الفحوصات المتراكمة، تم تقسيم الناس على ٢٠ مجموعة فردانية رئيسة، وتتفرع منها مجموعات أصغر وأصغر، تماماً كما تُرسم شجرة العائلة. وقد تفرَّع عن ذلك مؤخراً علم يحمل اسم (جينولوجيا الحمض النووي) أي علم الأنساب الجيني، وهو علم يُعنى بتحديد العلاقات النسبية والقربات وأنواع المجاميع الجينية التي ينقسم إليها الناس.

يستطيع هذا العلم أن يكشف عن وجود روابط قرابة بين شخصين عاشا في أزمنة متباعدة بقدر آلاف السنين، وأن يُقدَّر بشكل تقريبي الزمن الفاصل بينهما، مع نسبة خطأ بسيطة، وأن يحدد وجود نسب -ولو بعيد- بين شخصين متزامنين، وإن لم يوجد أي شيء يوحي بالقرابة بينهما. مؤسس علم (جينولوجيا الحمض النووي)

1. <https://palinfo.com/news/2007/02/22/130992>

البروفسور (أناتولي كليوسوف) الأمريكي السوفييتي الأصل أطلق تصريحاً مهماً مفاده أن (إسرائيل) تمنع دراسة هذا العلم، لأنه يصطدم مع المؤسسات التي تدعو لعودة اليهود لفلسطين، ويفتد هذه العلاقة التي تروج لها الصهيونية. وأشار كليوسوف إلى أن أبحاث هذا العلم تضر بالرواية الخاصة بإسرائيل، وما يثبتته هذا العلم يخالف التصورات التي حاولت الصهيونية ترسيخها عن نقاء الشعب اليهودي، لأن هذا العلم يُثبت أن اليهود خليط من الأجناس والقوميات، وليسوا فقط بني إسرائيل.

وقال أيضاً في كتاب صدر له أنّ من بين ٣٩٩ يهودياً أُجريت عليهم اختبارات الحمض النووي تبين أن ٩٢ فقط يمكن أن يكونوا من ذرية النبي إبراهيم «عليه السلام»، والباقيون الذين يبلغ عددهم ٣٠٧ أفراد ينتمون إلى مجاميع فردانية لا علاقة لها به. وذكر أن رئيس الوزراء الصهيوني (بنيامين نتنياهو) وفقاً للدليل الجيني من سلالة جينية (مجموعة فردانية) أوروبية، وهي R١a، ولا علاقة مطلقاً لهذه السلالة بالمجموعة الفردانية المفترضة لذرية النبيين إبراهيم ويعقوب «عليهما السلام».

إذاً كثير من اليهود الموجودين اليوم في فلسطين ليسوا من بني إسرائيل ليقال أن هذه الأرض مُلّكت لهم بلحاظ أسري. بل هو عطاء إلهي (توريث إلهي بحسب القرآن) في ذلك الزمان بعنوان أنهم أتباع الرُّسل والرسالات السماوية، ليقيموا دين الله. ومتى ما تخلّوا عن النهوض بمسؤولياتهم، لم يستحقوا هذه الوراثة على الأرض. ومما يدل على ذلك النص التوراتي التالي: (٢٥) إِذَا وَلَدْتُمْ أَوْلَادًا وَأَوْلَادَ أَوْلَادٍ، وَأَطَلْتُمْ الزَّمَانَ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَدْتُمْ وَصَنَعْتُمْ تَمَثَالًا مَنحُوتًا صُورَةَ شَيْءٍ مَّا، وَفَعَلْتُمْ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ إِلَهُكُمْ لِإِعَاظَتِهِ، ٢٦ أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ أَنَّكُمْ تَبِيدُونَ سَرِيعًا عَنِ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ الْأَرْضَ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكُوهَا. لَا تُطِيلُونَ الْأَيَّامَ عَلَيْهَا، بَلْ

تَهْلِكُونَ لَا مَحَالَةَ. ٢٧ وَيُبَدِّدُكُمُ الرَّبُّ فِي الشُّعُوبِ، فَتَبْقَوْنَ عَدَدًا قَلِيلًا بَيْنَ الْأُمَمِ الَّتِي يَسُوفُكُمُ الرَّبُّ إِلَيْهَا^(١).

لذا فإننا نجد في تاريخ بني إسرائيل أن الله قد أجلاهم أكثر من مرة عن تلك الأرض التي كتبها لهم عندما عصوا وتمردوا وطغوا. وأهمها ما جرى على يد نبوخذ نصر قبل ٢٦٠٠ سنة تقريباً، ومرة أخرى على يد الرومان قبل ١٩٠٠ سنة تقريباً.

ويؤكد هذا المبدأ قوله «تعالى»: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢). فالله لا يستخلف أحداً على أرض ما لأنهم من الجنس الفلاني أو من الذرية الفلانية، بل بالاستحقاق لإيمانهم وعملهم الصالح. ولنلاحظ القاعدة القرآنية التي جاءت على لسان موسى «عليه السلام»: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣). فالمتقون هم الأحق بها، لا خصوص بني إسرائيل. وهذا أيضاً ما يؤكد النص التالي في التوراة: (٢٣) وَالْأَرْضُ لَا تُبَاعُ بَتَّةً، لِأَنَّ لِي الْأَرْضَ، وَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ وَنُزُلَاءُ عِنْدِي^(٤).

ووفق هذا المبدأ الإلهي، فإن الله «تعالى» فتح لأتباع رسول الله محمد «صلى الله عليه وآله» الأرض المقدسة حين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، واستخلفهم عليها، وجعلهم الوارثين لها والأحق بها من سواهم، لأنهم أتباع

١. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٤، ٢٥-٢٧.

٢. سورة النور: ٥٥.

٣. سورة الأعراف: ١٢٨.

٤. الكتاب المقدس: سفر اللاويين، الإصحاح ٢٥، ٢٣.

آخر رسالة سماوية، ولا رسالة سماوية بعدها.. وبذا تبطل حجج الصهاينة في ادّعاء ملكيّتهم للأراضي الفلسطينية سواء وفق القراءة التاريخية البحتة أو القراءة الدينية، وقد غزوا أهل فلسطين الآمنين، فارتكبوا -وما زالوا يرتكبون- أبشع المجازر، واستباحوا -وما زالوا يستباحون- الحُرّمات، واغتصبوا -وما زالوا يغتصبون- الأرض، وانتهبوا -وما زالوا ينتهبون- الممتلكات والخيرات، وهجّروا أصحاب الأرض في جريمة تُعد واحدة من أكبر جرائم العصر، ووصمة عارٍ وخزيٍّ في جبين العالم الذي إن لم يُساند العدوان فقد صمّت عن الحق، واعترف بكيانٍ غاصب، ونبته خبيثة، ودولةٍ لقيطة، أو تحت عنوان الأمر الواقع الذي لا مفرّ منه... وهل يَسْقُطُ مثلُ هذا الحق بتقادم الزمان، ليُصبح الباطل حقاً والحق باطلاً؟

وقد لفت انتباهي نص تاريخي ليعود لقراءة ١٤٠٠ عام، كتبه الأسقف سيببوس الأرميني^(١)، ويتحدث فيه عن بعض اليهود، ويذكر ما ترجمته: (لقد خرجوا^(٢) من الصحراء وجاءوا إلى جزيرة العرب، عند أبناء إسماعيل. فقد التمسوا العون منهم، وأفهموهم بأنهم أقاربهم بحسب الكتاب المقدس، ومع أنهم^(٣) على استعداد للقبول بهذه القرابة الحميمة، إلا أنهم) أي هؤلاء اليهود (لم يستطيعوا إقناع عامة الناس، لأن عباداتهم كانت مختلفة. في ذلك الوقت، ظهر لهم رجل من أبناء إسماعيل، اسمه [مهميت]^(٤)، تاجر، وكان الله أمره بذلك كبشير، كطريق إلى الحقيقة. وعلمهم كيف

١. سيببوس أو سبيوس، مؤرخ وأسقف بيت باغراتونيس (٦٢٨-٦٦١م) له كتاب (تاريخ أرمينية).

عاصر العديد من الأحداث التي يرويها زمن الفتوحات الإسلامية وينقل كذلك عن شهود عيان.

٢. أي هؤلاء اليهود.

٣. يشير إلى من أسماهم (الإسماعيليون) أي من ذرية إسماعيل، أي العرب.

٤. أي محمد.

يعرفون إله إبراهيم، لأنه كان مطلعاً على قصة موسى وملماً بها للغاية... والآن لأن الأمر كان من أعلى، فقد اجتمعوا جميعاً بأمر واحد في وحدة الدين. وتركوا عباداتهم الباطلة، وتحولوا إلى الإله الحي الذي ظهر لأبيهم إبراهيم. لذلك شرع لهم محمد: ألا يأكلوا الجيفة، ولا يشربوا الخمر، ولا يتكلموا بالكذب، ولا يزنوا. وقال: [لقد وعد الله إبراهيم ونسله من بعده بهذه الأرض بقسم إلى الأبد. وقد حقق ما وعد به خلال تلك الفترة عندما أحب إسماعيل. ولكن الآن أنتم أبناء إبراهيم والله يحقق لكم وعده لإبراهيم ونسله. أحبوا بإخلاص إله إبراهيم فقط، واذهبوا واستولوا على الأرض التي أعطاها الله لأبيكم إبراهيم. لن يتمكن أحد من مقاومتكم في المعركة، لأن الله معكم]^(١).

• نتائج الفصل و خلاصته:

- في بدايات السنة الثانية من بعد عبور البحر، بدأ النبي موسى باتخاذ خطوتين رئيسيتين استعداداً لدخول الأرض المقدسة المباركة، واحتمال وقوع الحرب.
- الخطوة الأولى: إعداد اثنتي عشرة كتيبة مقاتلة بحسب عدد أسباط بني إسرائيل، واستثناء سبط لاوي من ذلك لقيامهم بالمهام الدينية، والاستعاضة عنهم بفرع من سبط يوسف، ثم توزيع الرايات عليهم، ولكل سبط راية، ولكل راية رمزها الخاص.
- الخطوة الثانية: إعادة تشكيل مساكن بني إسرائيل عند استقرارهم في أية منطقة صحراوية خلال توجههم إلى أرض كنعان، ونفي بعض الفئات كإجراء وقائي من انتشار الأوبئة ليكون المقاتلون على أتم الاستعداد الصّحي والبدني.

1.R. W. Thomson (with contributions from J. Howard-Johnson & T. Greenwood), The Armenian History Attributed To Sebeos Part - I: Translation and Notes, 1999, Translated Texts For Historians - Volume 31, Liverpool University Press, pp. 95-96.

○ بوصول بني إسرائيل إلى صحراء فاران الواقعة في الطريق إلى أرض كنعان، اشتكى القوم من تكرار قائمة الطعام المقتصرة على المن والسلوى، وأظهروا اشتياقهم للأطعمة التي اعتادوها في مصر، واستتبع ذلك غضب الله عليهم.

○ اتخذ النبي موسى زوجة ثانية، كوشية -من أرض النوبة أو السودان أو الحبشة- وواجه -بجسب التوراة- معارضة واتهامات من اخته وأخيه، فغضب الله عليهما، وأنزل بمريم داء البرص، ولما تُشَف منه إلا بشفاة النبي موسى.

○ تحدّث القرآن الكريم عن معاناة نبينا الأكرم -اجتماعياً- ونهى عن إيذائه كما أذى بنو إسرائيل موسى، وهناك عدة احتمالات لطبيعة هذا الإيذاء ومصدره.

○ مع الاقتراب من أرض كنعان، أرسل النبي موسى اثني عشر مبعوثاً لجمع المعلومات، فتوغّلوا في الأرض لمدة أربعين يوماً، وعادوا بشهادات متوافقة حول غنى الأرض وبركاتها، وقوة سكانها ومنعة حصونها، فانقسم موقف المبعوثين بين مؤيّد للاستمرار في التقدم نحو الأرض ومعارض لذلك، فغضب الله على المعارضين لأن كلامهم كان مخالفاً لأمره وأنزل بهم العذاب لتمرّدهم.

○ وردت في بعض المصادر التفسيرية والتاريخية الإسلامية ذكر شخصية أسطورية تحمل اسم (عوج بن عنق)، وصوّر على أنه عملاق من عمالقة أرض كنعان، وبلغ في وصفه حتى قيل أن رأسه كان يصل إلى السحاب. مصدر هذه الأسطورة بعض الروايات الواردة في التراث اليهودي، ومنها انتقلت -من خلال مُسلمة اليهود- إلى التراث الإسلامي، وأضيفت عليها الكثير من التفاصيل الخيالية.

○ القرآن الكريم وإن تحدّث عن أن الله كتب الأرض المقدسة لبني إسرائيل، إلا

أن هذا لا يعني أنها ملكية شخصية لهم، ولا أنها ملكية أبدية، بل بلحاظ العنوان الي كانوا يحملونه في ذلك الزمان، من كونهم أتباع الرسالة الإلهية، ومتى ما عصوا وتمردوا على المواثيق القائمة بينهم وبين الله، فلن تعود هذه الأرض لهم، وسيورثها الله لقوم آخرين... وهكذا تحدث التوراة عن هذا الأمر بكل وضوح.

١٠

قارون

قارون

• موضوعات هذا الفصل:

- البحث عن قارون في التوراة والتراث الكتابي. وهل تلتقي شخصية (قورح) التوراتية معه بلحاظ اتحاد خاتمتها بالخسف في الأرض؟
- هل تكفي السردية التوراتية للقول باتحاد الشخصيتين أم نحتاج إلى الاستعانة بمصادر كتابية أخرى؟
- ما هي الأدوار السلبية التي قام بها قارون وفق السردية القرآنية؟ وما هي الأدوار السلبية التي قام بها قورح وفق السردية التوراتية؟
- ما حكاية التمرد الذي قاده قورح ضد النبي موسى؟ وكم عدد الذين انضموا لهذه الحركة؟ وما تأثيرها على قرارات النبي موسى وإجراءاته؟ وكيف انتهى التمرد؟
- محاولة قورح إسقاط شخصية النبي موسى باتهامه بالزنا.

- متى وأين وقع الحسف بقارون؟ هل كان ذلك في مصر خلال الفترة التي نهض فيها النبي موسى بالرسالة، أم خلال الفترة التي عاش فيها بنو إسرائيل في الصحراء؟
- كيف عكست كتب التفسير شخصية قارون؟

• تحديد المقطع الزمني:

أشار القرآن الكريم إلى شخصية قارون في مشهدين رئيسين، الأول في ما له علاقة بمواجهة فرعون وأعوانه مع الرسالة، وهي إشارة مختصرة جداً:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ٢٣ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ٢٤ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ٢٥﴾^(١).

﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ٣٩ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٤٠﴾^(٢).

والمشهد الثاني الذي قدّم وصفاً لشخصيته وثورته وما آل إليه أمره بعد أن أصرّ على الطغيان والاستكبار، وقد جاء في صورة حوار دائر بينه وبين قومه الذين دعوه لإصلاح أمره: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ٧٦ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن

١. سورة غافر: ٢٣-٢٥.

٢. سورة العنكبوت: ٣٩-٤٠.

كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾
 قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ
 مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ
 قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ
 لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ
 يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ
 بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآئِنَ اللَّهُ يُبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ
 اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَآئِنَ لَهُ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾^(١).

الذي يقود إليه التدبر في ظاهر آيات المشهد الثاني من أجل تحديد المقطع الزمني الخاص به، أنَّ أحداثه جرت في مصر، قبل خروج بني إسرائيل إلى سيناء، فهذا هو الأوفق في تصوّر امتلاك قارون لكل هذه الكنوز مقارنةً بوضع بني إسرائيل في الصحراء، لاسيما بضميمة الآيات القرآنية الخاصةً بالمشهد الأول والتي تتحدث عن إرسال موسى بالآيات إلى الثلاثي: فرعون وهامان وقارون، فقد كانت الرسالة والآيات الإلهية خاصةً بعهد ما قبل الخروج من مصر، وهكذا فإنّ صدور الأمر بقتل أبناء المؤمنين من بني إسرائيل: ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ خاصٌ بهذا العهد.

بل لربما يقال بأن تصوّر التحاق قارون بركب موسى وبني إسرائيل في الهجرة من مصر بعد أن كان أحد الأركان الثلاثة في مواجهة الرسالة في مصر والمشاركين في إصدار الأمر بقتل أبناء المؤمنين تصوّرٌ بعيد، ولا يوجد -في البين- ما يدلّ على توبته

وتراجعه عن مواقفه العدائية، فقد كان قارون أحد أعمدة التحالف الثلاثي المتمثل في الحاكم فرعون، والوزير هامان، وكلاهما يمثلان السلطة والقوة التنفيذية، والثاني ربما يمثل أيضاً سلطة الكهنة ورجال الدين الفاسدين، ثم التاجر فاحش الثراء الذي يمثل سلطة المال، وكل هؤلاء في مقابل الرسول.

هذا ما يقود إليه التدبر في ظاهر الآيات القرآنية بصورة متجردة عن أية نصوص ومعلومات أخرى إضافية.

إلا أنّ في التوراة ذكراً لشخصية تحمل اسم (قُورَح) تبدو للوهلة الأولى متوافقة بنحوٍ ما مع شخصية قارون، وذلك بالنظر إلى عاقبته، حيث خُسفت به الأرض، فابتلعتة وأمواله. وعلى الرغم من نقطة الالتقاء والتوافق هذه، إلا أنّ هذه الشخصية -في التوراة- غائبة عن مشاهد الصراع بين النبي موسى وفرعون بمصر، وحاضرة في مشاهد ما بعد الخروج والهجرة، وتحديدًا بعد أن خذل بنو إسرائيل موسى برفضهم دخول الأرض المقدسة، والحُكم عليهم بالتيه مدة أربعين سنة. وهذا يعني أن هلاكه بالخشف تمّ في فترة التيه، وليس في مصر.

بالطبع، وكما ذكرنا من قبل، فإن القرآن الكريم لا يحدّد المقطع الزمني الخاص بالحدث، ولكن القرائن الأولى التي جمعناها من الآيات الشريفة تُساعد على الذهاب إلى القول بأن الأمر يعود إلى عهد ما قبل الخروج، وإن كان احتمال وقوع ذلك بعد الخروج من مصر محتمل، ولاسيّما على افتراض توبته -ولو ظاهرياً- بعد رؤية الآيات المتتالية التي تحققت على يد النبي موسى وانضمامه إلى ركِب بني إسرائيل فراراً من المصير الخطير الذي كان ينتظر فرعون وجنوده.

وعلى هذا، إما أن يكون قد حمل ثروته الطائلة معه، أو أنه كَوْنَهَا -مثلاً- بعد مرور سنواتٍ من الهجرة، استقرّت خلالها أوضاعُ بني إسرائيل، وأوجدوا فيها لأنفسهم فُرْصاً للتربّح عن طريق الرعي والتجارة والتعامل مع سائر القاطنين في تلك الصحراء، والمنتقلين بين مصر وما يليها جهة الشرق.

ومما يُضَعِّف هذا الاحتمال أن الله «تعالى» يذكر استكبار قارون بعد أن جاء موسى بالبينات: ﴿وَقَارُونُ وَفِرْعَوْنُ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ٣٩﴾ فكيف يتوافق هذا مع توبته وانضمامه إلى ركب بني إسرائيل المهاجرين؟ ولذا، فالأرجح -إلى هنا- أن المقطع الزمني الأوفق بظاهر الآيات القرآنية للمشهد الثاني الخاص بنهاية قارون بعد طغيانه أن يكون في مصر قبل الخروج، وأنه لم يهاجر مع موسى وبني إسرائيل، ولكن سنعود لحسم هذه النقطة لاحقاً بعد جمع المعلومات من التوراة والتلمود ومصادر التراث اليهودي، ومقارنتها بظاهر الآيات القرآنية.

• قصة قارون في القرآن:

القرآن الكريم لا يعطينا سوى معلومات محدودة عن هوية وشخصية قارون، ويمكن تلخيصها في الآتي:

١. اسمه: قيل أن قارون اسم معرّب، أصله في العبرانية قُورَح، وقع في تعريبه تغيير بعض حروفه للتخفيف، وأجري وزنه على متعارف الأوزان العربية مثل طالوت، وجالوت، فليست حروفه اشتقاق من مادة قرن^(١). من الواضح أن هذا القول

١. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢١، ص ١٧٥.

منطلق من تطبيق شخصية قارون وقصته في القرآن على ما جاء حول شخصية وقصة قورح في التوراة، وهو ما سنبحثه لاحقاً.

٢. نسبه: كان من قوم موسى، أي من بني إسرائيل، ولم يكن من الأقباط، ويدل على ذلك دون ريب قوله «تعالى»: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾، في مقابل مؤمن آل فرعون الذي تحدّثنا عنه في الجزء الثاني من الكتاب والذي عبّر عنه القرآن الكريم بأنه كان من آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾^(١).

٣. على الرغم من أنه كان من بني إسرائيل إلا أنه بغى عليهم: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ والبغى الاعتداء، ويمكن تصوّر ذلك بطرق متعدّدة، من قبيل الاستخفاف بشريعة قومه والخروج عليها، أكل أموالهم بالباطل، التحالف مع عدوّهم وإعانتهم عليهم، التعالي والاستكبار عليهم، وما يستتبع ذلك من سلوكيات ظالمة وعدوانية، ومنها مشاركته في قتل أبناء المؤمنين بالرسالة الموسوية: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۖ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۖ﴾^(٢) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ....﴿

٤. التحالف مع فرعون وهامان ضد الرسالة: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ۖ﴾^(٣) واتخاذ موقف عداوي من النبي موسى: ﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۖ﴾^(٤).

٥. ثراؤه الفاحش: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾. لقد كانت ثروته طائلة بحيث أن الذين يحملون مفاتيح الصناديق التي تُخزّن فيها تلك

الثروة كانوا يعانون من شدة ثقلها، مع أنهم كانوا عصابة أولو قوة.

حول المراد من العُصبة قال مجاهد: ما بين العشرة إلى خمسة عشر، وقال قتادة: ما بين العشرة إلى أربعين، وقال عكرمة: منهم من يقول أربعون ومنهم من يقول سبعون، وقال الضحاك ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل: هم ستون^(١).

من الواضح أن التباين الكبير بين الأرقام في تحديد عدد أفراد العُصبة يرجع إلى الإفتاء بغير علم من قبل قدماء المفسرين، وأثر هذا بالتبع على أقوال اللغويين. قال ابن فارس: (العصبة، قال الخليل: هم من الرجال عشرة، ولا يقال لما دون ذلك عصابة)^(٢). ويبدو أن هذا راجع إلى ما جاء على لسان إخوة يوسف العشرة: ﴿إِذْ قَالُوا لْيُؤَسِّفْ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٣). وقال الزبيدي: (ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل: ما بين العشرة إلى الأربعين، وقيل: العُصبة: أربعون، وقيل: سبعون. وقد يُقال: أصل معناها: الجماعة مطلقاً، ثم خُصَّت في العُرف، ثم اختلف فيه، أو الاختلاف بحسب الوارد)^(٤).

قال مجاهد: خرج على براذين^(٥) بيض عليها سروج الأرجوان، وعليهم المعصفرات^(٦). وقال عبد الرحمن: خرج في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات. وقال مقاتل: على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليها الأرجوان ومعه أربعة آلاف

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٢٥٤.

٢. ابن فارس: مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٣٣٩.

٣. سورة يوسف: ٨.

٤. الزبيدي: تاج العروس، ج ٢، ٢٣٨.

٥. براذين: جمع برذون: غير العربي من الخيل والبغال.

٦. المعصفر: الثوب الملون بالأصفر.

فارس عليهم وعلى دوابهم الأرجوان، ومعه ثلاثة آلاف جارية بيض عليهن الحلي والשיاب الحمر، على البغال الشهب، فتمنّى أهل الجهالة مثل الذي أوتيّه، كما حكى الله، فوعظهم أهل العلم بالله أن اتقوا الله، فإن ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً^(١).

يشعر القارئ وهو يطالع تصاعد الأرقام والأوصاف لخروج قارون في زينته وكأنه في بازار للمزايدة: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾^(٢).

٦. من انعكاسات ثرائه أنه كان يعيش فرح البطر والزهو، وهو الفرح المفرط المذموم المنهي عنه، لأنه فرح تمحّص للتعلق بمتاع الدنيا ولذات النفس به، حيث أن الانكباب على ذلك يُميت من النفس الاهتمام بالأعمال الصالحة والمنافسة لاكتسابها، فينحدر به التوغل في الإقبال على اللذات إلى حضيض الإعراض عن الكمال النفساني والاهتمام بالآداب الدينية^(٣).

٧. كما أنه كان مفسداً في الأرض، وهو ما يدلّ عليه ضمناً قوله «تعالى»: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾. ويمكن تحقّق هذا الإفساد بصورٍ عديدة، من قبيل القتل بلا مجوّز، ومعاقبة المظلوم، واضطهاد المستضعفين، وأكل حقوقهم، والاستيلاء على أموال الناس من غير وجه حق، وبالحيلة والتزوير، وأخذ الرُشى، ونشر الفواحش، وغير ذلك.

٨. الاستكبار وعدم مراعاة شعور الفقراء: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾. فعلى الرغم من معاناة قومه نتيجة الاضطهاد في مصر، إلا أنه لم يكن يأبه لذلك كله،

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٢٥٤. والمعصفر هو الثوب الملون بالأصفر.

٢. سورة النجم: ٢٨.

٣. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢١، ص ١٧٨.

ولم يكن يعينهم في تخفيف معاناتهم -ولو جزئياً- من خلال إنفاق شيء من أمواله الطائلة التي من الله بها عليه، أو التوسط لدى فرعون والملا لدفع شيء مما يقع عليهم من الظلم والبغي، وذلك من خلال ما كان يتمتع به من مكانة وجاه في البلاط الفرعوني: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

٩. الكفر بنعم الله ونسبة ما عنده من ثروات وجاه وقوة إلى نفسه وجهوده فحسب، وإنكار فضل الله عليه: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾، وجرأته وإصراره على الاستمرار في طغيانه وإفساده في الأرض، وعدم اعتناؤه بكل النصائح التي وجهها إليه المؤمنون والمخلصون من قومه، إذ تعالى عليهم وعلى كلماتهم، وأخذته العزة بالإثم، على الرغم من علمه بما جرى لآخرين ممن سبقوه لما طغوا واستكبروا وأصرّوا على المعصية بعد أن جاءتهم البينات وحذّرتهم آيات الله «سبحانه»: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾.

١٠. كانت خاتمة أمره أن خُسِفَتْ به -وبداره- الأرض وابتلعتة، ولم يتمكن أحد من إنقاذه وتخليصه من هذا المصير البائس: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾.

• قصة قورح في التوراة:

«قورح» وبالعبرية: קורח اسم عبري معناه «الصلع والشلج»، وهو ابن يصهار بن قهات بن لاوي ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل «عليه السلام». ففي الإصحاح

السادس من سفر الخروج: (١٨) وَبَنُو قَهَاتَ: عَمْرَامُ) والد النبي موسى (وَيِصْهَارُ) والد قورح (وَحَبْرُونُ وَعَزِّيئِيلُ..... ٢١) وَبَنُو يِصْهَارَ: قُورَحُ وَنَافِجُ وَذَكْرِي(١). فهو - على هذا - ابن عم النبي موسى، فهو موسى بن عمران - عمام - بن قهات بن لاوي بن يعقوب. وله ثلاثة أولاد: (٢٤) وَبَنُو قُورَحَ: أَسِيرُ وَالْقَانَةُ وَأَبِيَّاسَافُ) ومنهم استمرت ذريته (وَهُمْ عَشَائِرُ الْقُورَحِيِّينَ)(٢).

ومن بين ذرية قورح النبي صموئيل المشار إليه في قصة طالوت وجالوت وداود، إذ لجأ إليه بنو إسرائيل كما في قوله «تعالى»: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَيْنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾(٣)، فبحسب التنخ فإن نبي ذلك الزمان كان: (٣٣.... صموئيل ٣٤ بن الْقَانَةَ بن يَرْوَحَامَ بن إيليئيل بن ثوح ٣٥ بن صوف بن الْقَانَةَ بن مَحْتَّ بن عَمَاسَي ٣٦ بن الْقَانَةَ بن يُوئِيل بن عَزْرِيَا بن صَفْتِيَا ٣٧ بن تَحْتَّ بن أَسِير بن أَبِيَّاسَافَ بن قُورَحَ)(٤)، ونقل التنخ - بالتفصيل - قصة لجوء بني إسرائيل إليه ومحريات الأحداث في تعيين طالوت

١. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٦، ١٨ - ٢١.

٢. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٦، ٢٤.

٣. سورة البقرة: ٢٤٦-٢٤٧.

٤. الكتاب المقدس، سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٦، ٣٣-٣٧.

(شاول) ملكاً، ثم خروجه لقتال الفلسطينيين، وكيف استطاع الشاب داود أن يقتل جالوت (جُلِّيَّات) بضربةٍ من مِقْلَاعِهِ^(١).

هذا، وقد رُوِيَتْ قصة قورح في التوراة ضمن أحداث ما بعد تمرّد بني إسرائيل على أمر الله ورسوله بالدخول إلى الأرض المقدسة ورجوع المبعوثين الاثني عشر من مهمّتهم الخاصة بجمع المعلومات، وما جرى من مواقف وأحداث أدّت بأن يحكم الله «عزّ وجل» على بني إسرائيل بعدم دخول الأرض المقدسة لمدة أربعين سنة.

ويبدو أن القوم حين استقروا في موضع ما من الصحراء لسنوات خلال فترة التيه، أسس خلالها قورح مُلكاً عظيماً، وبني داره، وجمع ثرواته، ثم وقعت الأحداث التي أدّت إلى الخسف به وبداره.

كما ويبدو من التوراة -للهولة الأولى- أن الموقع كان في برية فاران، حيث ستذكر بعد أحداث قورح وهلاكه أن بني إسرائيل انتقلوا من برية فاران إلى برية صين واستقروا في قادش كما سيأتي معنا: (١) وَأَتَى بَنُو إِسْرَائِيلَ، الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا، إِلَى بَرِّيَّةِ صِينَ فِي الشَّهْرِ الْأَوَّلِ. وَأَقَامَ الشَّعْبُ فِي قَادَشٍ^(٢)، وهذا يعني أن قادش من برية صين، وأنهم لم يكونوا مستقرين في هذا الموقع.

بينما الإثنا عشر الذين أرسلوا لجمع المعلومات -من قبل- قد التقوا بالقوم في قادش بعد رحلة الأربعين يوماً: (٢٦) فَسَارُوا حَتَّى أَتَوْا إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَكُلِّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِلَى بَرِّيَّةِ فَارَانَ، إِلَى قَادَشٍ^(٣)، أي أن قادش في برية فاران، لا برية صين،

١. الكتاب المقدس، سفر أخبار الأيام الأول.

٢. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢٠، ١.

٣. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ١٣، ٢٦.

وأن القوم كانوا مستقرين في قادش، بما يرجح أن أحداث قصة قورح وهلاكه قد وقعت هناك... فأيهما الصحيح؟

السبب في هذه الربكة هي أن تحديد موقع قادش -في التوراة- يكون تارة بلحاظ أنها تقع شمال برية فاران، وتارة أخرى بلحاظ أنها تقع جنوب برية صين، ففي الصحراء لا تكون الحدود الجغرافية مميزة أحياناً عن بعضها البعض بشكل دقيق وحاسم، إذ تتداخل المواقع، فتكون نسبة موقع ما بلحاظات مختلفة.

ويبدو أن القوم خلال ٣٨ سنة تقريباً من بعد الحكم عليهم من قبل الله بعدم دخول الأرض المقدسة التي كتبها لهم، كانوا يتنقلون -يتيهون بحسب التعبير القرآني- في هذه البقعة الجغرافية التي تقع في نواح من برية فاران وبرية صين، ولربما لظروف ترتبط بالماء والكلاء وغير ذلك. والأرجح أنهم كانوا يستقرون في بعض نواحيها لسنوات طويلة بما أمكن قورح من تكوين ثروته الضخمة وبناء داره هناك.

وتحدث الرواية التوراتية عن تمرد مجموعة مكوّنة من أكثر من ٢٥٠ شخصية من كبار شخصيات بني إسرائيل على النبي موسى، وعلى رأسهم:

١. قورح بن يصهار

٢. داثان بن أليآب

٣. أبيرام بن أليآب

٤. أون بن فالّت

٥. بنو رَأُوِيْن

وأن المتمردين اتّهموا موسى «عليه السلام» بالتخبّط في قراراته وتعرّض الجماعة لخطر الموت، واجتمعوا ضد موسى وهارون وطالبوهما بالمباهلة قائلين: (٣) «كفّاكُمّا!

إِنَّ كُلَّ الْجَمَاعَةِ بِأَسْرِهَا مُقَدَّسَةٌ وَفِي وَسْطِهَا الرَّبُّ. فَمَا بِالْكُفَّاءِ تَرْتَفِعَانِ عَلَى جَمَاعَةِ الرَّبِّ؟» ٤؛ فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ. ٥ ثُمَّ كَلَّمَ قُورَحَ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ قَائِلًا: «غَدًا يُعْلِنُ الرَّبُّ مَنْ هُوَ لَهُ، وَمَنْ الْمُقَدَّسُ حَتَّى يُقَرَّبَهُ إِلَيْهِ. فَالَّذِي يَخْتَارُهُ يُقَرَّبُهُ إِلَيْهِ» (١).

ودار حوار بين موسى «عليه السلام» وخصومه تضمن خطاباً عنيفاً واتهامات ومحاججات، وتم الاتفاق على أن تُقام المباحلة في الغد على أن تتضمن بعض المراسيم، ومن ثم ينتظرون حكم الله فيها.

في الغد، ولما تلاقى الجمعان للمباحلة، أخذ (١٨.... كُلِّ وَاحِدٍ مَجْمَرَتَهُ وَجَعَلُوا فِيهَا نَارًا وَوَضَعُوا عَلَيْهَا بَخُورًا، وَوَقَفُوا لَدَى بَابِ خِيَمَةِ الْجَمَاعَةِ مَعَ مُوسَى وَهَارُونَ. ١٩ وَجَمَعَ عَلَيْهِمَا قُورَحُ كُلَّ الْجَمَاعَةِ إِلَى بَابِ خِيَمَةِ الْجَمَاعَةِ، فَتَرَاىَ مَجْدُ الرَّبِّ لِكُلِّ الْجَمَاعَةِ. ٢٠ وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: ٢١ «افْتَرَزَا مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ فَإِنِّي أَفْنِيهِمْ فِي لَحْظَةٍ» (٢). توسل موسى وهارون إلى الله أن يعفو عن قومهما، إذ لا تزرر وازرة وزر أخرى، فما ذنب بقية القوم والمخطئون محدّدون؟ (٢٢) فَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِمَا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ، إِلَهَ أَرْوَاحِ جَمِيعِ الْبَشَرِ، هَلْ يُخْطِئُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَتَسْخَطَ عَلَى كُلِّ الْجَمَاعَةِ؟» (٣).

استجاب الله للنبيين الكريمين، على أن يبتعد الجميع عن مسكنٍ ثلاثية من قادة التمرد، وعلى رأسهم قورح، وهكذا كان: (٢٧) فَطَلَعُوا مِنْ حَوَائِي مَسْكَنِ قُورَحَ وَدَاثَانَ وَأَبِيرَامَ، وَخَرَجَ دَاثَانُ وَأَبِيرَامُ وَوَقَفَا فِي بَابِ خِيَمَتَيْهِمَا مَعَ نِسَائِهِمَا وَبَنِيهِمَا وَأَطْفَالِهِمَا (٤).

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٦، ٣-٥.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٦، ١٨-٢١.

٣. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٦، ٢٢.

٤. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٦، ٢٢.

واستفاد النبي موسى من الفرصة لبيان أنّ الحقّ معه، وأنه لم يُقدِّم على شيء إلا بأمرٍ من الله، وأنه «عزّ وجلّ» سيُهْلِك قادة التمرد بخسف الأرض بهم: (٢٨) فَقَالَ مُوسَى: «بِهَذَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي لِأَعْمَلَ كُلَّ هَذِهِ الْأَعْمَالِ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ نَفْسِي. ٢٩ إِنْ مَاتَ هَؤُلَاءِ كَمَوْتَ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَأَصَابَتْهُمْ مَصِيبَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ، فَلَيْسَ الرَّبُّ قَدْ أَرْسَلَنِي. ٣٠ وَلَكِنْ إِنْ ابْتَدَعَ الرَّبُّ بِدَعَةٍ وَفَتَحَتِ الْأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلَعَتْهُمْ وَكُلَّ مَا لَهُمْ، فَهَبْطُوا أَحْيَاءً إِلَى الْهَوَايَةِ، تَعْلَمُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ ازْدَرَوْا بِالرَّبِّ»^(١).

وهكذا كان، إذ ما لبثت الأرض أن انشقت وابتلعت قادة المتمردين، وأرسل الله صاعقةً من نارٍ أحرقت من كان قد انضم إلى التمرد: (٣١) فَلَمَّا فَرَعَ مِنَ التَّكَلُّمِ بِكُلِّ هَذَا الْكَلَامِ، انْشَقَّتِ الْأَرْضُ الَّتِي تَحْتَهُمْ، ٣٢ وَفَتَحَتِ الْأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلَعَتْهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَكُلَّ مَنْ كَانَ لِقُورَحَ مَعَ كُلِّ الْأَمْوَالِ، ٣٣ فَتَزَلُّوا هُمْ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُمْ أَحْيَاءً إِلَى الْهَوَايَةِ، وَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ، فَبَادُوا مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ. ٣٤ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ هَرَبُوا مِنْ صَوْتِهِمْ، لِأَنَّهُمْ قَالُوا: «لَعَلَّ الْأَرْضَ تَبْتَلِعُنَا». ٣٥ وَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَكَلَتِ الْمِثْثَيْنِ وَالْخَمْسِينَ رَجُلًا الَّذِينَ قَرَّبُوا الْبُخُورَ^(٢). [انظر اللوحتين ٧٩-٨٠].

مما سبق يتّضح أن السياق العام للرواية التوراتية حول قورح لا تلتقي مع قصة قارون في القرآن الكريم إلا في خواتيمها حيث تنشق الأرض وتبتلعه (مَعَ كُلِّ الْأَمْوَالِ)، وهي إشارة إلى ثرائه، فهل هذه الخاتمة -مع تطابق الحرف الأول من الاسمين قارون وقورح- كافية للحُكم بتطابق الشخصيتين؟

من الواضح أنّ هذا المقدار لا يكفي للقول بذلك، لاسيما مع وجود اختلافات

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٦، ٢٨-٣٠.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٦، ٣١-٣٥.



اللوحة رقم ٧٩ : الخسف بقورح. نسخة هولمان للكتاب المقدس - ١٨٩٠ م



اللوحة رقم ٨٠ : عقاب قورح لساندرو بوتيتشيلي ١٤٨٠ كنيسة سيستين

عديدة، وأهمها أن السردية القرآنية تُناسب كون أحداث قصة قارون قد وقعت قبل الخروج من مصر، لا في الصحراء كما تذكر الرواية التوراتية الخاصة بقورح.

إلا أن في البين مفردة أخرى منصوص عليها في التراث العبري وتحدث عن كون قورح هذا مسؤولاً عن مفاتيح كنوز وخزائن فرعون!

ففي تفسير (مِدراش) سفر العدد (במדבר רבה) وتُلَفَّظ: بميدبار رباه) وبالإنجليزية Numbers Rabbah أن قورح كان أميناً على خزائن قصر فرعون، وكان يحمل مفاتيح تلك الخزائن. (فقال له «القدّوس تبارك وتعالى»: «ما الفائدة التي تعود عليك من وظيفتك هذه؟ إنك لا تتحكّم في هذه الكنوز... ومُقدَّرٌ لها أن تصبح ركماً». لمن هي مقدّرة؟ إنها مقدّرة لأولئك المنفيين، لبني إسرائيل الذي أُخرجوا من مصر. أما قورح فلن يصبح غنياً، ولن تدوم ثروته، وحتى عندما يموت، فإنّ ثروته لن تدوم»^(١).

وفي الفصل الثالث من (سِدر موعِد) الخاص بعيد الفصح اليهودي برقم (١١٩ أ) من التلمود البابلي: (قال الحاخام لاوي: كانت مفاتيح خزائن قورح حمولة ثلاثمائة بغل أبيض قوية، وكانت كلها مفاتيح وأقفال مصنوعة من جِلْد)^(٢). لاحظ الوصف المقارب لما جاء في القرآن الكريم لبيان حجم ثروة قارون.

وبحسب بعض الدراسات التاريخية والآثارية، فإن المصريين هم من اخترعوا القفل والمفتاح وكانت صناعته البدائية من الخشب، وذلك قبل أربعة آلاف سنة تقريباً، والشيء المثير للاهتمام هو أن مبدأ اختراعهم لا يزال يستخدم في صناعة الأقفال الميكانيكية إلى هذا اليوم. وتذكر هذه المصادر أن طول المفتاح الخشبي للأبواب

1. https://www.sefaria.org/Bamidbar_Rabbah.18.15?lang=bi&with=About&lang2=en

2. <https://www.sefaria.org/Pesachim.119a.12?lang=bi&with=all&lang2=en>

العادية كان يبلغ ١٤ بوصة، أي في حدود ٣٦ سم، وإذا كان القفل على بوابة رئيسية، فقد يبلغ طول المفتاح ٣٠ بوصة، أي في حدود ٧٦ سم. [انظر اللوحات ٨١-٨٤]

وعلى مدى القرون القادمة، تم تضمين البرونز والعاج في التصميم، حيث استمر المخترعون والحرفيون في إنتاج أقفال ومفاتيح بأشكال وأحجام مختلفة. ومنذ حوالي ٨٧٠-٩٠٠ م، تم إنتاج أول أقفال معدنية بالكامل^(١).

من هنا، يمكن أن ندرك كيف يمكن لمجموعة مفاتيح لخزائن قارون (قورح) أن تبلغ من الوزن بحيث تتطلب عُصبة من الرجال حملها، وبحسب التلمود: ثلاثمائة بغل أبيض قوية، في ما لو قارنًا ذلك بحجم ووزن مفاتيح الأقفال في هذا الزمان.

وفي الهجاء التي تمثل قسماً من التراث اليهودي الخاص بالقصص والأساطير العبرية أن هناك أسباباً عديدة لمعارضة قورح لموسى وهارون، ومن بينها استياء قورح من موسى لأنه عبّ ابن عمه (أَلِيصَافَانُ بْنُ عَزِّيئِيلَ) رئيساً لعشيرة بني قهات من ذرية لاوي، كما جاء في سفر العدد من التوراة: (٣٠) وَالرَّئِيسُ لِبَيْتِ أَبِي عَشِيرَةِ الْقَهَاتِيِّينَ أَلِيصَافَانُ بْنُ عَزِّيئِيلَ^(٢)، بينما كان يرى نفسه أولى بهذا المنصب، لاسيما بلحاظ ثرائه الفاحش.

ويشير التلمود إلى دور زوجة قورح في إثارة مشاعره السلبية تجاه النبي موسى، وتحريضه عليه، ومن كلامها: (فقال له امرأة قورح: انظر ماذا يفعل موسى. هو الملك، وقد عبّ أخاه رئيس كهنة، وعيّن أبناء أخيه كهنة نواب. فإذا تمّ تقديم [الترمة]^(٣)

1. <https://citysecuritymagazine.com/security-technology/brief-history-locks-keys>

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ٣، ٣٠.

٣. صنف من الزكاة.



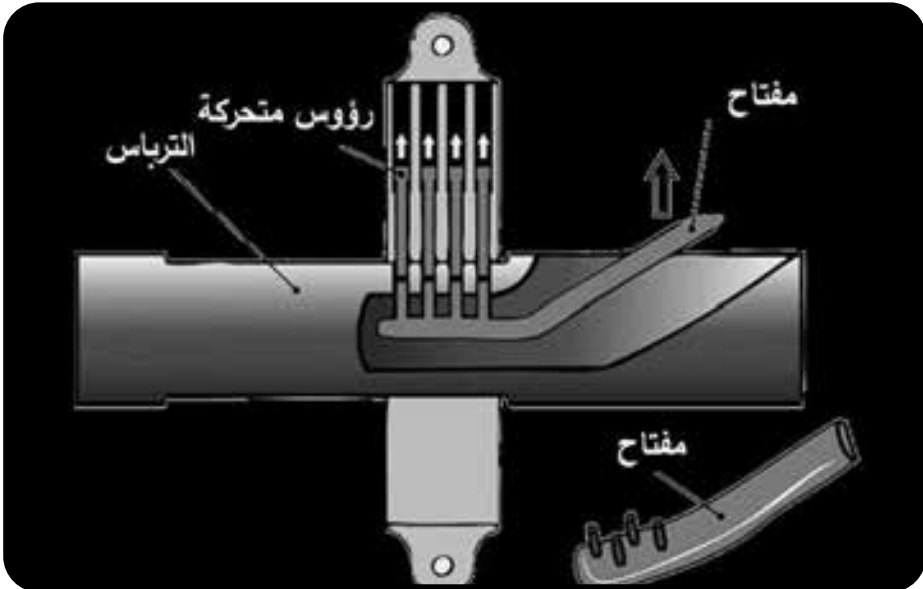
اللوحة رقم ٨١ : باب وقفل خشبي ومفتاح كبير صُنع في مصر القديمة



اللوحة رقم ٨٢ : قفل خشبي صُنع في مصر القديمة



اللوحة رقم ٨٣ : باب وقفل خشبي ومفتاح كبير صُنع في مصر القديمة



اللوحة رقم ٨٤ : فكرة عمل القفل الخشبي والمفتاح الخاص به

قال: فليكن هذا للكهنة، وإذا تم تقديم [أول عُشرية]^(١) وهي خاصة بكم أنتم أيها اللاويون قال: أعطوا العُشر للكهنة. وعلاوة على ذلك، يجرّ شعرك^(٢) ويجرّك كأنك حقير كالبراز! وكأنه يضع شعرك نُصب عينيه، ويريد أن تكون مخلوقاً وقبيح المنظر. فقال لها قورح: ولكن ألم يفعل هو أيضاً هكذا، يخلق شعره مثل بقية اللاويين^(٣)؟ فقالت له: إنه يفعل هذا من أجل شهرته، ولذا قبل أن يُذلّ نفسه من أجل إذلالك^(٤). وتذكر الهجاءه أيضاً أن قورح كان من أشد منتقدي التوراة، فقد أنكر شرائعها، وادّعى أنها شرائع (ظالمة)، والسبب في ذلك أنها تحدّثت عن (الضريبة المالية = الزكاة)، مما يعني أنه سيدفع أكثر من الآخرين بلحاظ ثروته الهائلة، وأن تكرار أخذ الضريبة منه سيجعله -في نهاية المطاف- مُعَدِّماً بلا مال.

لقد حاول موسى يائساً أن يهدئ قورح وأتباعه، ولكنهم أصروا على معارضته. وأخيراً، اضطرّ موسى إلى اتخاذ موقف علني ضدهم، مدركاً أن سلامة التوراة أصبحت على المحك عندما أعلنوا أن التوراة لم تُعْطَ من الله، وأن موسى ليس نبياً، وأن هارون ليس رئيس الكهنة. وفي وقت ابتلاع قورح، أصبحت الأرض مثل القمع، وكل ما كان يخصّه -حتى الملابس في المغسلة والإبر التي استعارها الجيران- تندرج حتى سقطت في الفجوة. لقد عانى قورح من العقوبة المزدوجة حيث احترق وابتلعت الأرض

١. صنف آخر من الزكاة.

٢. مرّ معنا أن قورح بالعبرية يعني القرع والصلع. فهل يشير التلمود إلى أن قورح لقب لهذه الشخصية وقد أطلق عليه من قبل البعض -تعبيراً- بعد أن جز شعره بأمر موسى؟
٣. جاء هذا الإجراء -خلق شعور سبط لاوي- كتعميم بلحاظ مسئوليتهم الدينية التي تحدّثنا عنها من قبل في حماية البيت المقدّس وإدارة شئون ذلك المكان.

4. <https://www.sefaria.org/Sanhedrin.110a.5?lang=bi&with=all&lang2=en>

حياءً، بينما نجا أبناؤه التائبون ومن نسل أحدهم وُلد النبي صموئيل. ولهذا، وغيره من الأسباب، يُقدّم قورح باعتباره النموذج الأولي لمعارض التوراة وسلطة الحاخامات^(١).

• اتحاد الشخصيتين:

من خلال ما سبق، والمشاركات العديدة، تتّضح الصورة أكثر أن لا مجال لإنكار اتحاد الشخصيتين، قارون وقورح، وأننا لو أردنا أن نجمع السريتين -القرآنية والتوراتية- من أجل تقديم رواية متكاملة، فسنصل إلى التصوّر التالي:

كان قورح (قارون) من رجالات بني إسرائيل المنحازين لخدمة فرعون، وعمل في البلاط أميناً على خزائن القصر، وكوّن لنفسه ثروة طائلة، وعندما بُعث موسى «عليه السلام» انضمّ إلى معسكر المنكرين لرسالته، بل وصار ركناً من أركان مواجهته.

إلا أنه بفطنته، وبعد أن رأى الآيات الإلهية المتتالية المتحققة على يد موسى، أيقن أنّ فرعون سيكون هالكاً لا محالة إن هو أصرّ على موقفه، فأثر أن ينجو بنفسه، وخرج مع قومه، حاملاً ثروته الطائلة. ولكنّ نفاقه -أو ضعف إيمانه- جعله يحتفظ بهذه الثروة لنفسه، ولا يوظّفها لتخفيف معاناة قومه في أشدّ الظروف صعوبة، بل وكان يخرج عليهم في كامل زينته، محاطاً بحاشيته، مما كان يُدخل الحسرة في قلوبهم، ويزرع الحسد في نفوسهم، متمنّين لو أنهم امتلكوا مثل هذه الثروة الطائلة.

كما امتلأ قلبه حسداً وغيظاً حين لم يقم النبي موسى باختياره رئيساً على عشيرة بني قهات. ولم تنفع معه نصيحة الناصحين، وتحذيرات المنذرين من قومه، للمواقف السلبية التي صدرت عنه، بل استعلى واستكبر، ورفض أن يُخرج زكاة أمواله، مدّعياً

1. <https://www.encyclopedia.com/religion/encyclopedias-almanacs-transcripts-and-maps/korah>

أنه اكتسبها بمجده الشخصي، وليس لأحدٍ حقٌّ فيها، فعلى أيِّ أساسٍ ومبدأ يُطالب بتوزيع قسمٍ منها على المحتاجين؟

وجرّه ذلك إلى إنكار التشريعات التوراتية والتمرد عليها، وخصوصاً تلك التشريعات المتعلقة بركة المال، إلى أن بلغ به الأمر أن يُنكر رسالة موسى من الأساس، فكان مصداقاً لقوله «تعالى»: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاؤُوا السَّوْءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١).

وهكذا، اجتمعت الأسباب السابقة لتنفجر في لحظة بلبلةٍ وتمردٍ جمعت أكثر من ٢٥٠ شخصية من بني إسرائيل، تضامنوا على إنكار رسالة موسى «عليه السلام» ونبوّته، واتّهموه بضعف قيادته وتخبّط قراراته وتعريض قومه للفناء، وطالبوا بعزله وأخيه هارون من موقع القيادة، وتعيين قورح رئيساً وقائداً لبني إسرائيل في المرحلة الحساسة القادمة.

وانتهى الموقف بالدعوة للمباهلة، فخُسف به وبداره وثروته، وابتلعت الأرض، ولعلّ ذلك جرى في برية فاران أو قادش برنيع -بحسب ترتيب الأحداث المذكورة في التوراة- فعلم الذين تمتّوا مكانه من قبل أنهم كانوا مخطئين، وأن الثروة ابتلاءٌ عسير، وأن الله حكيمٌ في توزيع رزقه، وعلى الإنسان أن يسعى ثم يرضى بما قسم الله له.

• أسطورة تلمودية:

وفي التلمود البابلي حكاية أسطورية لأحد الحاخامات يروي فيها كيف استطاع الوصول إلى موضع الخسف بقورح عن طريق رجل عربي يقطن تلك النواحي من

صحراء سيناء: (قال ربّا^(١)) «بربر حنا»: كنا نسير في الصحراء، وكان معنا رجل من العرب، فكان يأخذ التراب فيشمه، ويقول: هذا طريق كذا وكذا، وهذا طريق كذا وكذا، فقلنا له: كم نحن من الماء؟ فقال لنا: ائتوني بالتراب، فجئناه به، فقال: ثمانية فراسخ، ثم قلنا ذلك ثانية، فأتيناه بالتراب، فقال لنا: نحن على ثلاثة فراسخ، فغيرت نوع التراب لأختبره، فلم أستطع أن أخدعه، وكان خبيراً بهذا الأمر.

ثم قال لي ذلك العربي: تعال فأريك موقى البرية، أي الشعب اليهودي الذي خرج من مصر ومات في البرية. فذهبت ورأيتهم، فإذا بالواحد منهم في هيئة رجل مخمور، وكانوا مستقلقين على ظهورهم، وكانت ركبة أحدهم مرتفعة، وكان الميت ضخماً إلى درجة أن العربي دخل تحت ركبته وهو على بعيره ورمحه منتصب، فلم يمسه. وقطعت طرفاً من ثوب أحدهم، وكان ثوباً خاصاً بالطقوس، لونه أزرق سماوي وفيه أهداب، فلم نستطع أن نمشي! فقال لي العربي: لعلك أخذت منهم شيئاً؟ ردّه، فقد تعلمنا في عاداتنا أنّ مَنْ أخذ منهم شيئاً لا يمكنه أن يمشي. فرددتُ طرف الثوب، فمشينا....

ويتابع ربّا بربر حنا روايته: قال لي ذلك العربي أيضاً: تعال، سأريك جبل سيناء. فذهبت فرأيت العقارب تحيط به، وكانت واقفة كالحمير البيضاء. وسمعت صوتاً من الغيب يقول: ويلٌ لي أنّي أقسمت، والآن بعد أن أقسمت، من يبطله عني؟....

ويتابع ربّا بربر حنا روايته. قال لي العربي أيضاً: تعال أريك من ابتلعتهم الأرض بسبب خطيئة قورح. رأيت شقّين في الأرض يخرج منهما الدخان. أخذ العربي جرّارة صوف وغمسها في الماء وأدخلها على رأس رمح ووضعها هناك. فلما نزع الصوف

١. هذه الكلمة تعني العظيم أو الكبير، وهو لقب يُؤتى به قبل ذكر اسم الحاخام أو الشخصية المعظمة التي يُنقل عنها النص في التلمود البابلي.

احترق. قال لي: أنصت. فسمعتهم يقولون: موسى وتوراته حق، وهم -أي الذين تحت الأرض- كاذبون. قال لي العربي أيضاً: كل ثلاثين يوماً تعيدهم جهنم إلى هنا، كاللحم في قدر يحركه الماء المغلي أثناء طبخه^(١). وفي كل مرة يقولون هذا: موسى وتوراته حق، وهم -أي نحن الذين تحت الأرض- كاذبون^(٢).

• استمرار التمرد:

على الرغم من كل ما جرى، لم يهدأ التمرد على النبي موسى وأخيه هارون «عليهما السلام»، بل ازدادت رقعته، وواجهها تهمة التسبب في قتل من أهلكهم الله بالخسف والصاعقة: (٤١) فَتَدَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْغَدِ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلِينَ: «أَنْتُمَا قَدْ قَتَلْتُمَا شَعْبَ الرَّبِّ». ٤٢ وَلَمَّا اجْتَمَعَتِ الْجَمَاعَةُ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ انْصَرَفَا إِلَى خِيَمَةِ الْاجْتِمَاعِ وَإِذَا هِيَ قَدْ غَطَّتْهَا السَّحَابَةُ وَتَرَأَى مَجْدُ الرَّبِّ. ٤٣ فَجَاءَ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى قُدَامِ خِيَمَةِ الْاجْتِمَاعِ. ٤٤ فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: ٤٥ «إِظْلَعَا مِنْ وَسْطِ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ، فَإِنِّي أَفْنِيهِمْ بِلَحْظَةٍ»^(٣).

جاء هذا التدخل الإلهي حاملاً نُذْرَ الشؤم على بني إسرائيل، فبادر النبيان بالشفاعة والتذلل لله كي يغفر لقومهما جهلهم وحقاقتهم، وإلا فإنّ الوباء سيعمهم ويقضي عليهم: (٤٥) فَخَرَّا عَلَى وَجْهَيْهِمَا. ٤٦ ثُمَّ قَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «خُذِ الْمِجْمَرَةَ وَاجْعَلْ فِيهَا نَارًا مِنْ عَلَى الْمَذْبُوحِ، وَضَعْ بِحُورًا، وَاذْهَبْ بِهَا مُسْرِعًا إِلَى الْجَمَاعَةِ وَكَفِّرْ عَنْهُمْ، لَأَنَّ السَّخَطَ

١. التصور المفترض هنا أن جهنم تقع حالياً في أعماق الأرض، ولذا فإن هؤلاء القوم من المعذبين يمكنون في أعماق الأرض -حيث جهنم- لمدة ثلاثين يوماً، ثم يُدْفَعُ بهم إلى الأعلى فيقتربون من سطح الأرض فيسمع الناس قوْلهم: (موسى وتوراته حق).

2. https://www.sefaria.org/Bava_Batra.74a.6?lang=bi

٣. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٦، ٤١-٤٥.

قَدْ خَرَجَ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ. قَدْ ابْتَدَأَ الْوَبَاءُ. ٤٧ فَأَخَذَ هَارُونُ كَمَا قَالَ مُوسَى، وَرَكَضَ إِلَى وَسْطِ الْجَمَاعَةِ، وَإِذَا الْوَبَاءُ قَدْ ابْتَدَأَ فِي الشَّعْبِ. فَوَضَعَ الْبُخُورَ وَكَفَّرَ عَنِ الشَّعْبِ ٤٨ وَوَقَفَ بَيْنَ الْمَوْتَى وَالْأَحْيَاءِ^(١).

ونجحت المحاولة ولكن بعد أن قضى الوباء على الآلاف منهم: (٤٨) فَأَمْتَنَعَ الْوَبَاءُ. ٤٩ فَكَانَ الَّذِينَ مَاتُوا بِالْوَبَاءِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَسَبْعَ مِئَةٍ، عَدَا الَّذِينَ مَاتُوا بِسَبَبِ قُورَح. ٥٠ ثُمَّ رَجَعَ هَارُونُ إِلَى مُوسَى إِلَى بَابِ خِيَمَةِ الْجَمَاعَةِ وَالْوَبَاءُ قَدْ امْتَنَعَ^(٢).

وإن صحت هذه الرواية التوراتية للأحداث، فقد يكون هذا احتمال آخر من احتمالات الإيذاء المشار إليه في سورة الأحزاب في قوله «سبحانه وتعالى»: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا»^(٣) ليكون الإيذاء هنا متحققاً من خلال اتهام النبي موسى بالتعالي على قومه، والتسبب في قتلهم، وتعريضهم للمخاطر، كل ذلك حياً للسلطة، وجهلاً بكيفية إدارة أمور القوم -حاشاه- فبرَّاهُ الله مِمَّا قَالُوا بالخسف والصاعقة أولاً، ثم بالوباء ثانياً، ليدرك القوم أن الحق مع موسى، وأن كل ما صدر عنه إنما صدر بأمرٍ من الله، ولم يكن ذلك منه طلباً للدنيا، ولا تحبُّطاً في إدارة الأمور.

فإن كان هذا هو تأويل إيذاء موسى، فسيكون النهي والتحذير من إيذاء النبي محمد «صلى الله عليه وآله» في نفس هذا الإطار، أي اتَّهامه مِنْ قِبَلِ بعض المنافقين وضعاف الإيمان -حاشاه- بالتفرد بالقرارات لتصب في صالح قيادته، وتعريض

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٦، ٤٥-٤٧.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٦، ٤٨-٥٠.

٣. سورة الأحزاب: ٦٩.

المسلمين للقتل، والتخبط في القيادة نتيجة ضعف الخبرة، وما إلى ذلك، وهو ما نجد بعض مواردِه بشكل جليّ في الآيات التالية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصْبِهِمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصْبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ٧٨﴾^(١)، فاتهامهم النبي بأنه سبب إصابتهم بالسيئة مماثل لكلام المتمردين على موسى.

وكذلك في الآيات التالية حيث يقول «سبحانه»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ١٥٧﴾ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾^(١)، حيث نجد هنا حديثاً عن:

- (١) الحسرة لمقتل مَنْ قُتِلَ في معركة أُحُد
 - (٢) عدم الرضا عن مسار الأحداث، ولربما التعجّب من عدم تحقّق النصر في المعركة على العدوّ في حين أنهم يمثّلون الطرف المؤمن بالله، والعدوّ من المشركين المحاربين
 - (٣) مفهوم النصر الإلهي وما يقابله من خذلان
 - (٤) نفي صدور الغُلُول والخيانة من قبل النبي محمد «صلى الله عليه وآله»
 - (٥) إرشاد النبي لضرورة استشارة القوم في اتخاذ القرارات، ومن أهداف ذلك ردّ آية اتهامات له بالتفرد بالرأي، وأخذ الناس إلى المجهول، وتحميله مسؤولية الهزيمة في أُحُد، والخسائر في الأرواح، وغير ذلك.
- إنّ كلّ ما سبق يُرشد إلى وجود حالة من التذمّر وعدم الرضا، بل واتهام النبي بخيانة جماعته، والعياذ بالله. وما سبق يشبه -أيضاً- موقف بني إسرائيل من نبيهم موسى بعد الأحداث التي تناولناها، وهي من صور الإيذاء كما ذكرت آية سورة الأحزاب.
- وأما ما قيل من أن اتّهام النبي بالغُلُول والخيانة لحادثة ترتبط بقطيفة حمراء كانت جزءاً من الغنائم ثم فُقدت يوم بدر، فاتّهم بعضُ الناس النبيّ بأخذها، وأكثروا في ذلك، فأُنزل الله «عزّ وجلّ» الآية^(٢)، فهو تأويلٌ باردٌ لا يُأبّه به، ويُخفي وراءه حقيقة مؤلّة ترتبط بنظرة بعض (الذين آمنوا) إلى مواقف النبي وقراراته المرتبطة بالحرب والسلام، وإلى عودته بالنصر وتحقيق الإنجازات الكبرى لصالح الفئة المؤمنة.

١. سورة آل عمران: ١٥٦-١٦١.

٢. الطبري: جامع البيان، ج ٧، ص ٣٤٩.

• الاتهام بالزنا:

المورد الآخر المحتمل لإيذاء النبي موسى - كما أشرت إليه في فصل سابق - يتمثل في اتّهامه «عليه السلام» بارتكاب فاحشة الزنا، وعلاقة ذلك بقارون الذي شعر بالتهديد في ثروته من خلال تشريع فريضة الزكاة، فقرّر التخلص من موسى بتأجيج الناس عليه من خلال تشويه سمعته وإسقاط اعتباره اجتماعياً.

فعن ابن عباس: (ثم إن الله «سبحانه وتعالى» أنزل الزكاة على موسى «عليه السلام»، فلما أوجب الله «سبحانه» الزكاة عليهم، أبى قارون، فصالحه عن كل ألف دينار على دينار، وعن كل ألف درهم على درهم، وعن كل ألف شاة على شاة، وعن كل ألف شيء شيئاً، ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيراً، فلم تسمح بذلك نفسه، فجمع بني إسرائيل وقال لهم: يا بني إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم. فقالوا له: أنت كبيرنا وسيدنا، فمرنا بما شئت، فقال: أمركم أن تحيثوا بفلانة البغي فنجعل لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فاسترحنا منه، فأتوا بها، فجعل لها قارون ألف درهم، وقيل ألف دينار، وقيل طستاً من ذهب، وقيل: حكّمها وقال لها: إني أمولك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل. فلما أن كان الغد جمع قارون بني إسرائيل، ثم أتى موسى، فقال له: إن بني إسرائيل قد اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم أعلام دينهم وأحكام شريعتهم، فخرج إليهم موسى وهم في براج^(١) من الأرض، فقام فيهم خطيباً ووعظهم فيما قال: يا بني إسرائيل، من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة، ومن زنا وله امرأة

١. البراج: المتسع من الأرض لا شجر فيه ولا بناء.

رجمناه حتى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قال قارون: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة، قال: أنا؟! قال: نعم، قال: ادعوها، فإن قالت فهو كما قالت، فلما أن جاءت قال لها موسى: يا فلانة، إنما أنا فعلت لك ما يقول هؤلاء؟ وعظم عليها، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت، فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها: لئن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤدي رسول الله، فقالت: لا، كذبوا، ولكن جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي، فلما تكلمت بهذا الكلام سقط في يده قارون، ونكس رأسه، وسكت الملاء، وعرف أنه وقع في مهلكة، وخر موسى ساجداً يبكي ويقول: يا رب إن عدوك قد آذاني وأراد فضيحتي وشيني، اللهم فإن كنت رسولك فاغضب لي وسلطني عليه، فأوحى الله «سبحانه» أن ارفع رأسك ومر الأرض بما شئت تطعك، فقال موسى: يا بني إسرائيل إن الله «تعالى» قد بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معه فليثبت مكانه، ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا قارون ولم يبق معه إلا رجلان، ثم قال موسى «عليه السلام»: يا أرض خذهم، فأخذتهم إلى كعابهم، ثم قال: يا أرض خذهم، فأخذتهم إلى حقوهم، ثم قال: يا أرض خذهم، فأخذتهم إلى أعناقهم، وقارون وأصحابه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى «عليه السلام» ويناشده قارون الله والرحم، حتى روي في بعض الأخبار أنه ناشده سبعين مرة، وموسى في جميع ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه، ثم قال: يا أرض خذهم، فانطبقت عليهم الأرض، فأوحى الله «سبحانه» إلى موسى: يا موسى، ما أفظك! استغاثوا بك سبعين مرة فلم ترحمهم ولم تغثهم، أما وعزتي وجلالي لو إياي دعوني مرة واحدة لوجدوني قريباً مجيباً^(١).

وتفاصيل القصة -لاسيما في خواتيمها- وما فيها من تعنيف واتهام إلهي للنبي موسى «عليه السلام» بما لا يليق بشأنه يجعلنا نشك في مصداقيتها، والقول بعدم صلاحيتها لتأويل ما جاء في آية سورة الأحزاب، لاسيما وأن تتبع جذورها في التراث الإسرائيلي التلمودي يوحي بأنها من أساطير القصاصين المنطلقة من ذلك التراث.

ففي ضمن النص التوراتي الذي مرّ معنا في قصة قورح جاءت العبارة التالية: (فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ)^(١)، وهذا يعني أن موسى سمع كلاماً صاعقاً بحقه دفعه لمثل ردّة الفعل هذه، وأنها ليست لمجرد ما وقع من تمرّد، فما الذي سمعه؟

في السنهدرين (١١٠ أ) من التلمود البابلي طُرِحَ التساؤل التالي: (تسأل الجمارا: ما الخبر الذي سمعه وأثار رد الفعل هذا؟ يقول الحاخام «شموئيل بار نحمان» أن الحاخام «يوناتان» يقول: سمعوا أنهم اشتبهوا به في زنا مع امرأة متزوجة، إذ قيل: «وكانوا يغارون من موسى في المخيم» [مزمر ١٠٦: ١٦]. يقول الحاخام «شموئيل بار يتسحاق»: هذا يعلمنا أن كلّ رجل قد حدّر زوجته لتناي بنفسها عن موسى، وألا تدخل معه في عزلة، وكما قيل: «ويأخذ موسى الخيمة وينصبها خارج المحلة» [خروج ٣٣: ٧]. وبسبب هذا الافتراء انسحب من المخيم)^(٢).

• قارون في التفاسير:

(١) تفسير القمي، حول قصة قارون وكنوزه وتمردّه بعد أن تحدّث عن رفض بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم: (وحرّمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض، فكانوا يقومون من أوّل الليل يأخذون في قراءة التوراة والدعاء

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ١٦، ٤.

2. <https://www.sefaria.org/Sanhedrin.110a.5?lang=bi&with=all&lang2=en>

والبكاء، وكان قارون منهم، وكان يقرأ التوراة ولم يكن فيهم أحسن صوتاً منه، وكان يُسمّى المنّون لحُسن قراءته، وقد كان يعمل الكيمياء^(١)، فلما طال الأمر علي بني إسرائيل في التيه والتوبة - وكان قارون قد امتنع أن يدخل معهم في التوبة وكان موسى يحبه - فدخل إليه موسى فقال له: يا قارون، قومك في التوبة وأنت قاعدٌ ههنا؟! ادخل معهم وإلا نزل بك العذاب، فاستهان به واستهزأ بقوله، فخرج موسى من عنده مغتماً، فجلس في فناء قصره وعليه جُبّة شعر، ونعلان من جلد حمار شراكهما من خيوط شعر، بيده العصا، فأمر قارون أن يُصبّ عليه رماد قد خُلط بالماء، فُصّب عليه، فغضب موسى غضباً شديداً، وكان في كتفه شعرات، كان إذا غضب خرجت من ثيابه وقَطَر منها الدم، فقال موسى: يا رب، إن لم تغضب لي فلست لك بنبي! فأوحى الله إليه: قد أمرتُ السماوات والأرض أن تُطعك، فمرهما بما شئت، وقد كان قارون أمر أن يُغلق باب القصر^(٢).

فأقبل موسى فأوماً إلى الأبواب فانفرجت ودخل عليه، فلما نظر إليه قارون علم أنه قد أوتي بالعذاب، فقال: يا موسى، أسألك بالرحم التي بيني وبينك، فقال له موسى: يا ابن لاوي، لا تردني من كلامك، يا أرض خذيه! فدخل القصر بما فيه في الأرض، ودخل قارون في الأرض إلى الركبة، فبكى وحلفه بالرحم، فقال له موسى: يا ابن لاوي لا تردني من كلامك، يا أرض خذيه، فابتلعت به قصره وخزائنه.

وهذا ما قال موسى لقارون يوم أهلكه الله، فعيره الله بما قاله لقارون، فعلم موسى

١. المراد من الكيمياء القيام بعمليات كيميائية من أجل تحصيل الذهب من التراب مثلاً.
٢. من الصعب تصوّر تأسيس قصر في حال التنقل في الأربعين سنة إلا مع الاستقرار لزم من طويل في مكان واحد.

أن الله قد عبّره بذلك، فقال: يا رب، إن قارون دعاني بغيرك، ولو دعاني بك لأجبتّه، فقال الله: يا ابن لاوي، لا تردّني من كلامك، فقال موسى: يا رب، لو علمت أن ذلك لك رضى لأجبتّه، فقال الله «تعالى»: يا موسى وعزتي وجلالي وجودي ومجدي وعلوّ مكاني، لو أن قارون كما دعاك دعاني لأجبتّه^(١)، ولكنه لما دعاك وكتبه إليك...^(٢).

٢) وللقمي رواية غريبة المضمون لا تصحّ من عدّة جهات، وهي بالسند عن جميل عن الإمام الصادق «عليه السلام» تجمع بين قصتي النبي يونس وقارون كالتالي: (...) فدخل الحوت في بحر القلزم^(٣)، ثم خرج إلى بحر مصر^(٤)، ثم دخل إلى بحر طبرستان، ثم خرج في دجلة الغوراء^(٥). قال: ثم مرّت به تحت الأرض^(٦) حتى لحقت بقارون، وكان قارون هلك في أيام موسى ووكلّ الله به ملكاً يُدخله في الأرض كل يوم قامّة رجل^(٧)، وكان يونس في بطن الحوت يسبّح الله ويستغفره، فسمع قارون صوته فقال

١. هذه الملامة والغضب الإلهي أشبه بما مرّ معنا من نصوص التوراة في أكثر من مورد حول غضب الله على النبي موسى، ولا نجد مثيلاً له في القرآن الكريم، كما استبعدنا مثل ذلك في قصة محاولة اتهام النبي موسى بالزنا.

٢. القمي: تفسير القرآن، ص ٤٩١-٤٩٣.

٣. أي الحوت الذي التقم النبي يونس. وبحر القلزم هو البحر الأحمر.

٤. قد يكون المراد بذلك البحر الأبيض المتوسط، أو نهر النيل، حيث كان العرب يطلقون على النهر اسم البحر أيضاً.

٥. بحر طبرستان أي بحر قزوين. ودجلة الغوراء: نهر دجلة. ولا شك أن هذا التصور جغرافياً باطل، حيث أن الانتقال بينهما -بدهاءة لكل من ينظر إلى خارطة العالم- أمر غير ممكن، ولا يصح أن يقال باتصال بحر قزوين بتلك الأبحر قبل ثلاثة أو أربعة آلاف سنة.

٦. كيف يمرّ الحوت تحت الأرض في اليابسة؟

٧. أي أن الملك يدخل قارون كل يوم في عمق الأرض بمقدار ١٥٠ - ١٦٠ سم تقريباً. والرواية تشير إلى أنه حي تحت الأرض.

للملِك الموكل به: أنظرني، فإنِّي أسمع كلام آدمي، فأوحى الله إلى الملك الموكل به: أنظره، فأنظره، ثم قال قارون: من أنت؟ قال يونس: أنا المذنب الخاطيء يونس بن متى، قال: فما فعل شديد الغضب لله، موسى بن عمران؟ قال: هيهات! هلك، قال: فما فعل الرؤوف الرحيم على قومه، هارون بن عمران؟ قال هلك، قال: فما فعلت كلثم بنت عمران التي كانت سُميت لي^(١)؟ قال: هيهات، ما بقي من آل عمران أحد. فقال قارون: وا أسفاه على آل عمران، فشكر الله له ذلك، فأمر الله الملك الموكل به أن يرفع عنه العذاب أيام الدنيا، فرفع عنه^(٢).

٣) في تفسير الثعلبي: (وروي عن خثيمة قال: وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقرستين بغلاً غراء محجلة، ما يزيد منها مفتاح على إصبع^(٣))، لكل مفتاح منها كنز، ويقال: كان أينما يذهب تُحمل معه، وكانت من حديد، فلما ثقلت عليه جعلها من خشب، فثقلت عليه، فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع، فكانت تُحمل معه على أربعين بغلاً^(٤)). لاشك أن ليس في الإنجيل شيئاً من هذا القبيل، ولا ذكر فيه لقورح، وإن كانت رسالة يهوذا في العهد الجديد تشتمل على العبارة التالية: (وَيْلٌ لَهُمْ! لِأَنَّهُمْ سَلَكُوا طَرِيقَ قَايِينَ، وَأَنْصَبُوا إِلَى ضَلَالَةٍ بَلْعَامَ لِأَجْلِ أُجْرَةٍ، وَهَلَكُوا فِي مُشَاجَرَةِ قُورَح)^(٥)، ولكن هذه الرسالة ليست من الإنجيل، كما أنها لم تذكر قصة قورح كما ادّعي في الخبر السابق عن خثيمة. وقد مرّ معنا ما جاء في التلمود من

١. أي كان يُفترض أن تكون زوجة للقارون.

٢. القمي: تفسير القرآن، ص ٢٩٤.

٣. أي مقدار كل مفتاح لا يزيد على إصبع، فكم عدد المفاتيح التي يبلغ وزنها ستين بغلاً؟

٤. الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٧، ص ٢٦٤.

٥. الكتاب المقدس: رسالة يهوذا، الإصحاح ١، ١١.

ذكر البغال في تحديد وزن وكمية مفاتيح كنوز قارون، وكذلك مقولة أن كل المفاتيح والأقفال كانت مصنوعة من جلد. مما يرشد إلى أن مصدر الخبر هو التلمود لا الإنجيل.

٤) وفيه أيضاً: (وقال عبد الرحمن: ... ثم إن الله أوحى إلى نبيه موسى أن يأمر قومه أن يعلّقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة في كل طرف خيطاً أخضر لونه لون السماء، فدعا موسى بني إسرائيل وقال لهم: إن الله «تعالى» يأمركم أن تعلّقوا في أرديتكم خيوطاً خضراً كلون السماء لكي تذكروا ربكم إذا رأيتموها، وإنه «تعالى» ينزل من السماء كلامه عليكم، فاستكبر قارون وقال: إنما تفعل هذه الأرباب بعبيدهم لكي يميزوا من غيرهم. ولما قطع موسى «عليه السلام» ببني إسرائيل البحر جعل الحبورة -وهي رئاسة المذبح وبيت القربان- لهارون، فكان بنو إسرائيل يأتون بهديتهم ويدفعونه إلى هارون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله، فوجد قارون في نفسه من ذلك وأتى موسى وقال: يا موسى، لك الرسالة، ولهارون الحبورة، ولست في شيء من ذلك، وأنا أقرأ للتوراة منكما. لا صبر لي على هذا. فقال موسى: والله ما أنا جعلتها في هارون بل الله «تعالى» جعلها له. فقال قارون: والله لا أصدّقك في ذلك حتى تريني بيانه، قال: فجمع موسى رؤساء بني إسرائيل وقال: هاتوا عصيّكم، فجاءوا بها فحزمها وألقاها في قُبته التي كان يعبد الله «تعالى» فيها، وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا، فأصبحت عصا هارون قد اهتزّ لها ورق أخضر، وكانت من ورق شجر اللوز، فقال موسى: يا قارون ترى هذا؟ فقال قارون: والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر. فذهب قارون مغاضباً واعتزل موسى بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما، وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم إلا كبراً ومخالفة ومعاداة لموسى «عليه السلام» حتى بنى داراً، وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملاء

من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه^(١).
في مفردات هذا الخبر ما يتناغم مع بعض ما نقلناه من التراث اليهودي حول قصة
قورح بما يُرشد إلى مصدره الإسرائيلي.

• نتائج الفصل و خلاصته:

- أشار القرآن الكريم إلى شخصية قارون في مشهدين رئيسين، الأول في ما له علاقة بمواجهة فرعون وأعوانه مع الرسالة، وهي إشارة مختصرة جداً، بينما قدّم المشهد الثاني وصفاً لشخصيته وثروته وما آل إليه أمره بعد أن أصرّ على الطغيان.
- التدبّر في ظاهر آيات المشهد الثاني يقود إلى أنّ أحداثه جرت في مصر، إلا أن القراءة المتكاملة لقصة قورح في التوراة والتلمود وغيرهما من المصادر اليهودية تقودنا إلى القول بأن الأحداث جرت بعد الخروج من مصر.
- كان قورح (قارون) من رجالات بني إسرائيل المنحازين لخدمة فرعون، وكوّن لنفسه ثروة طائلة، وعندما بُعث موسى انضمّ إلى معسكر المنكرين والمحاربين لرسالته، إلا أنه بفطنته -لاحقاً- انضمّ إلى بني إسرائيل، وخرج معهم منافقاً، ومارس دوراً سلبياً على أكثر من صعيد، واتّخذ مواقف متمرّدة ضد التشريعات التوراتية وخاصة تشريع الزكاة المفروضة، ثم أنكر رسالة موسى.
- انفجرت الأوضاع في وجه النبي موسى بقيادة قورح وأكثر من ٢٥٠ شخصية من بني إسرائيل ممّن تضامنوا معه على إنكار رسالة موسى ونبوّته، واتّهموه بضعف قيادته وتخبّط قراراته وتعريض قومه للفناء، وطالبوا بعزله وأخيه هارون من موقع

١. الشعلي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٧، ص ٢٦٤-٢٦٥.

- القيادة، وتعيين قورح رئيساً وقائداً لبني إسرائيل في المرحلة الحساسة القادمة.
- انتهى الموقف بالدعوة للمباهلة، فحُسف به وبداره وثروته، وابتلعت الأرض، فعلم الذين تمنّوا مكانه من قبل أنهم كانوا مخطئين، وأن الثروة ابتلاءً عسير، وأن الله حكيمٌ في توزيع رِزقه، وعلى الإنسان أن يسعى ثم يرضى بما قسم الله له.
- تتحدث التوراة عن مواجهة النبيين موسى وهارون تهمة التسبّب في قتل مَنْ أهلكهم الله بالحسف والصاعقة، وازدياد رقعة التمرد، فغضب الله على القوم، وأراد أن يفنيهم، فبادر النبيان الكريمان بالشفاعة والتذللّ لله كي لا يعمّ الوباء الجميع ويقضي عليهم، فتوقف الوباء بعد أن قضى على الآلاف منهم.
- تأثرت كتب التفسير -حين تناولت قصة قارون- بمرويات القصاصين ومُسلمة اليهود، الذين أقحموا الكثير من التفاصيل التي لا أصل لها، ولا يصدّقها عقل عاقل.

البقرة الصفراء

البقرة الصفراء

• موضوعات هذا الفصل:

- كيف عرض القرآن الكريم قصة البقرة الصفراء؟ وهل يشير القرآن إلى وجود علاقة بين الأمر بذبحها وبين كشف جريمة قتل وقعت في وسط بني إسرائيل؟
- هل في التوراة أية إشارات يمكنها أن تنسجم مع ما جاء في القصة القرآنية من حيث الأمر بذبح البقرة، ووقوع جريمة قتل؟ وهل الكلام الوارد في التوراة عن البقرة الحمراء هو ذاته المذكور في القرآن حول البقرة الصفراء؟
- أحكام ذبح البقرة كما جاءت في المشناة من التلمود.
- سوق الأدلة على أن أمر الله بذبح بقرة صفراء - كما في القرآن الكريم - وليس حمراء كما في التوراة الحاضرة.
- عرض التاويلات المحتملة للأمر بالضرب ببعض البقرة المذبوحة.

- ما الغاية من تشريع سبت البقرة الحمراء؟ وما علاقة ذلك بإعادة بناء الهيكل الثالث في القدس؟ وهل عثر اليهود اليوم على هذه البقرة؟
- المصدر الإسرائيلي لروايات وأخبار الولد البار بوالدته وعلاقته بالبقرة المذبوحة.

• القصة في القرآن:

من بين ما روي في القرآن الكريم من سيرة النبي موسى «عليه السلام» أحداث قصة البقرة الصفراء: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ٦٧﴾^(١)، ولم يرد ذكر هذه القصة إلا في هذا المورد، ويلقها الغموض -قرآنيًا- من حيث تحديد الزمان والمكان والظروف المحيطة بها، وسندجاً للتوراة -بعد استعراض الآيات القرآنية- لنبحث عن هذه القصة، فإن وجدنا لها أثراً، فسنعمل على البحث عن إمكانية ملء هذه الفراغات، علاوة على عقد المقارنات بين تفاصيل السرديتين بحثاً عن نقاط الالتقاء والاختلاف.

تبدأ أحداث القصة في القرآن الكريم من خلال الآية السابقة... أمرٌ إلهي بذبح بقرة... لماذا؟ وهل هو أمرٌ يرتبط بتشريع يخص تقديم النذورات أو القرابين أو الكفارات أو الزكاة أو ما شابه ذلك؟ أم أن لهذا الأمر متعلّقاً آخر؟

يمكن أن يقال أن الأمر بذبح البقرة لم يأت كتشريع عام، بل هو في إطار العمل على حلّ جريمة غامضة والكشف عن مرتكبها، وهو ما أشارت إليه الآيات بعد ذلك: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ٧٢﴾^(٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٧٣﴾^(٢).

١. سورة البقرة: ٦٧.

٢. سورة البقرة: ٧٢-٧٣.

والذي يُؤيد هذا الفهم قولهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾، فلو لم يكن للأمر علاقة بجل جريمة القتل لما كان هناك ما يستدعي منهم ردّة الفعل هذه، فقد اعتادوا على أن يقدّموا القرابين والندورات وزكاة الأنعام، فلماذا يتهمون موسى باتخاذهم هزواً هذه المرة سوى أن يكون ذلك بسبب استغرابهم واستهجانهم أن يكون لذبح البقرة مدخلاً في حلّ القضية الغامضة واكتشاف الفاعل.

إذاً، بناء على ما سبق، سيكون في سرد الأحداث تقديم وتأخير، فذكر وسط القصة أولاً، ثم أشير إلى بدايتها ونهايتها. قال العلامة الطباطبائي: (ثم إنه أخرج فصلاً منها من وسطها، وقدم أولاً، ووضع صدر القصة وذيلها ثانياً)^(١).

وإذا أردنا إعادة ترتيب القصة، فستكون كالتالي: وقعت جريمة قتل في وسط بني إسرائيل، وكانت الأطراف المشتبه بها تدفع التهمة عن نفسها ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾، وفي البين من يكتّم الحقيقة ويخفيها، سواء أ كان هو الفاعل أو الشهود أو من يمتلك شيئاً من المعلومات التي تساعد في حلّ القضية ولكنه اختار السكوت، تعصّباً لعشيرته، أو خوفاً من الفاعل، أو لغير ذلك من الأسباب.

لكل ما سبق، لم يتمكنّ القوم من حلّ القضية، وأراد الله «سبحانه» كشف الجاني وإظهار ما كتموه ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾. فأمرهم الله بذبح بقرة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾... لقد أثار هذا الأمر تعجبهم، ولم يحملوه إلا على أن نبي الله موسى يستهزئ بهم، فما علاقة ذبح بقرة بكشف الجاني؟ ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾.

١. الطباطبائي، الميزان، ج ١، ص ١٩٩.

قال العلامة الطباطبائي: (وإنما قالوا ذلك لفقدهم روح الإطاعة والسمع واستقرار ملكة الاستكبار والعتوّ فيهم، وقولهم: إنا لا نخوم حول التقليد المذموم، وإنما نؤمن بما نشاهده ونراه..... وزعموا أن نبيّهم موسى مثلهم يتهوّس كتهوسهم، ويلعب كلعبهم، فرموه بالاستهزاء والسّفه والجهالة حتى ردّ عليهم، و﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللّٰهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، وإنما استعاذ بالله ولم يخبر عن نفسه بأنه ليس يجهل لأن ذلك منه «عليه السلام» أخذ بالعصمة الإلهية التي لا تتخلف، لا الحكمة الخلقية التي ربما تتخلف)^(١).

وبعد أن اقتنعوا بمجديّة الأمر، بدأت أسئلتهم تتوالى. فهل كان هذا محاولةً منهم للتهرّب من تنفيذ الأمر بتعقيد مقدّماته، أم بسبب المعهود من لجأهم وعنادهم؟ أم لزعمهم أن كلّ حكم يجب العثور على دليله تفصيلاً، ولا يكفي في ذلك الإجمال، ومن أجل ذلك طالبوا تفصيل أوصاف البقرة، إذ ليس من شأن أية بقرة كشف المستور، إذ لا بدّ أنّ الله يريد منهم بقرة ذات مواصفاتٍ خاصّة يكون لها شأنٌ في تحقيق المراد؟ كل ذلك محتمل.

ولذلك ﴿قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ فشَدَّ الله عليهم حيث اختاروا التشديد على أنفسهم، وبدلاً من أن يذبحوا أية بقرة يتحقّق من خلالها المراد في كشف الجاني: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ أي لم تبلغ سنّاً متقدّمة بحيث لم تُعدّ قادرة على الحمل والولادة ﴿وَلَا بِكُرٌّ﴾ أي التي لم تحمل ولم تلد من قبل ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي في منتصف ما بين كونها فارض وبكر، وهذا يكفي لتنفيذ الأمر، فلا تستغرقوا في طلب المزيد من التحديد، ولا تلتحوا في السؤال، ولا تُشَدّدوا على

١. الطباطبائي، الميزان، ج ١، ص ٢٠١.

أنفسيكم، واكتفوا بما ذكر، وبادروا لتنفيذ الأمر: ﴿فَاعْمَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ (٦٨).^(١)
 لكنهم لم يرتدعوا بذلك، وعادوا للسؤال وطلب التفصيل: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ
 يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ شديدة الصفرة، ولذا
 فهي ﴿تَسُرُّ النَّاطِرِينَ﴾ (٦٩).^(٢)

ومع اتضاح المطلوب بمقدار كافٍ، عادوا للسؤال مجدداً: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ
 لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ (٧٠).^(٣)

قال العلامة ابن عاشور: (وفي كلامهم هذا اعتذار عن إعادة السؤال، وإنما لم يعتذروا
 في المرتين الأوليين واعتذروا الآن لأن للثالثة في التكرير وقعاً في النفس في التأكيد
 والسامة وغير ذلك، ولذلك كثر في أحوال البشر وشرائعهم التوقيت بالثالثة)^(٤)...
 وقولهم ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ تنشيط لموسى ووعد له بالامتثال، لينشط إلى
 دعاء ربه بالبيان، ولتندفع عنه سامة مراجعتهم التي ظهرت بوارقها في قوله ﴿فَاعْمَلُوا
 مَا تُؤْمَرُونَ﴾، ولإظهار حسن المقصد من كثرة السؤال، وأن ليس قصدهم الإعانات.
 تفادياً من غضب موسى عليهم. والتعليق بـ ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ للتأدب مع الله في ردّ
 الأمر إليه في طلب حصول الخير)^(٥).

١. سورة البقرة: ٦٨.

٢. سورة البقرة: ٦٩.

٣. سورة البقرة: ٧٠.

٤. سورة البقرة: ٧٠.

٥. في المثل المصري: (الثالثة ثابتة).. وفي حديث نبوي: (أملك ثم أملك ثم أملك) وعن أنس بن مالك:
 (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وسلم» يعيد الكلمة ثلاثاً لثُعَقَلَ عَنْهُ)، وعن عبد الله بن مسعود قال:
 (قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: هلك المتنطعون. قالها ثلاثاً).

وجاءهم الجواب حاملاً معه المزيد من التشديد الذي سعوا إليه بأيديهم: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ أي ليست مُدَلَّلَةٌ لأعمال الحرث بحيث تثير الأرض بالمحراث، ولا هي مُدَلَّلَةٌ لسقي الحرث، وذلك بلحاظ سنّها الذي لا يناسب ذلك، كما أنها سليمة من عيوب نوعها ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ وليس فيها علامة تميّزها عن غيرها ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ لونها الأصفر خالص من تداخل أي لون آخر.

فلما تمّ عليهم البيان، ولم يجدوا ما يسألونه ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ قَوْلَ مَنْ يعترف بالحقيقة بالإلزام والحجّة من غير أن يجد إلى الرد سبيلاً، فيعترف بالحق اضطراراً، ويعتذر عن المبادرة إلى الإنكار بأنّ القول لم يكن مبيناً من قبل، ولا بيناً تاماً، والدليل على ذلك قوله «تعالى»: ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١).

وبعد أن وجدوا البقرة المحدّدة بتلك الصفات وذبحوها، أمرهم الله «تعالى» بأن يضربوا جثمان الميت ببعض أجزاء تلك الذبيحة ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ ولما فعلوا ذلك، عاد الميت إلى الحياة ونطق وبين القاتل ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢).

هذا ما يُرشد إليه ظاهر الكلام، وتدلّ عليه بعض الروايات من قبيل ما في عيون أخبار الرضا وتفسير العياشي عن البنظري قال: (سمعت الرضا «عليه السلام» يقول: إن رجلاً من بني إسرائيل قتل قرابة، له ثم أخذ وطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل، ثم جاء يطلب بدمه. فقالوا لموسى: إنّ سبط آل فلان قتلوا فلاناً، فأخبر، من قتله؟ قال: ائتوني ببقرة. ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ

١. سورة البقرة: ٧١.

٢. سورة البقرة: ٧٢.

مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى بَقَرَةٍ أَجْزَأَتْهُمْ، وَلَكِنْ شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى بَقَرَةٍ أَجْزَأَتْهُمْ، وَلَكِنْ شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى بَقَرَةٍ أَجْزَأَتْهُمْ، وَلَكِنْ شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٦٩﴾﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ﴾، فَطَلَبُوهَا فَوَجَدُوهَا عِنْدَ فَتَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ: لَا أُبِيعُهَا إِلَّا بِمِائَةِ مِائَةِ ذَهَبٍ، فَجَاءُوا إِلَى مُوسَى وَقَالُوا لَهُ ذَلِكَ، قَالَ: اشْتَرُوهَا، فَاشْتَرَوْهَا، وَجَاءُوا بِهَا، فَأَمَرَ بِذَبْحِهَا، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُضْرَبُوا الْمِيتَ بِذَنْبِهَا، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ حَيَّ الْمَقْتُولَ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ عَمِّي قَتَلَنِي، دُونَ مَنْ ادْعَى عَلَيْهِ قَتْلِي، فَعَلِمُوا بِذَلِكَ قَاتِلَهُ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ مُوسَى بَعْضُ أَصْحَابِهِ: إِنَّ هَذِهِ الْبَقَرَةَ لَهَا نَبَأٌ. فَقَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: إِنَّ فَتًى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ بَاراً بِأَبِيهِ، وَأَنَّهُ اشْتَرَى بَيْعاً، فَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ -وَالْأَقَالِيدُ^(١) تَحْتَ رَأْسِهِ- فَكَرِهَ أَنْ يَوْقِظَهُ، فَتَرَكَ ذَلِكَ الْبَيْعَ، فَاسْتَيْقِظَ أَبُوهُ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: أَحْسَنْتَ، خَذْ هَذِهِ الْبَقَرَةَ فَهِيَ لَكَ عَوْضاً لَمَّا فَاتَكَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ مُوسَى: انْظُرْ إِلَى الْبَرِّ مَا بَلَغَ بِأَهْلِهِ^(٢).

وَقَالَ الْآلُوسِي: (وَاخْتُلِفَ بِمِ ضَرْبِهِ، فَقِيلَ: بِلِسَانِهَا أَوْ بِأَصْغَرِهَا^(٣)) أَوْ بِفَخْذِهَا الِیْمَنِ أَوْ بِذَنْبِهَا أَوْ بِالْغُضْرُوفِ أَوْ بِالْعِظَمِ الَّذِي يَلِيهِ أَوْ بِالْبُضْعَةِ الَّتِي بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ أَوْ

١. الأقاليد: المفاتيح.

٢. الصدوق: عيون الأخبار، ص ١٨٦ - ١٨٧.

٣. الأصغران: القلب واللسان.

بالعَجَب^(١) أو بعظم من عظامها، ونُقل أن الضرب كان على جِدِّ القَتِيل، وذلك قبل دفنه، ومن قال: إنهم مكثوا في تطلُّبها أربعين سنة، أو أنهم أمروا بِطلبها ولم تكن في صُلب ولا رَجَم. قال: إن الضرب على القبر بعد الدفن، والأظهر أنه^(٢) المباشر بالضرب لا القبر، وفي بعض الآثار أنه قام وأوداجه تشخب دمًا؛ فقال: قتلتني ابنُ أخي، وفي رواية فلان وفلان -لابني عمّه- ثم سقط ميتًا، فأخذوا وقْتِلا، وما وُرث قاتل بعد ذلك، وفي بعض القصص أن القاتل حلف بالله «تعالى» ما قتلت، فكذَّب بالحقِّ بعد معاینته^(٣). وهناك احتمال آخر سيَتضح معنا لاحقاً عند استعراض ما جاء في التوراة والمصادر اليهودية.

• القصة في التوراة:

إجمالاً، نجد في التوراة بعض الإشارات التي يمكنها أن تنسجم مع ما جاء في القصة القرآنية من حيث الأمر بذبح البقرة، ووقوع جريمة قتل، إلا أنَّ التطابق بين السرديتين غير متحقّق.

ولربما احتجنا للرجوع إلى بعض المصادر اليهودية الأخرى التي يمكنها أن تُحقّق تقارباً أكبر مع ما ذُكر في القرآن الكريم، كما قمنا بذلك من قبل في مقارنة قصة قارون في القرآن بقصة قورح في التوراة ثم في المصادر اليهودية.

فبعد الانتهاء من قصّة قورح، وسرد بعض التشريعات، تعرّضت التوراة لبيان أحكام تخصُّ ذبح بقرة ذات مواصفات خاصة، لتكون كفّارة عند ارتكاب خطيئة (١) وكَلَمَ

١. العَجَبُ: أصلُ الدَّنَب.

٢. أي نفس المقتول.

٣. الألوسي: روح البيان، ج ١، ٢٩٤.

الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: ٢ «هَذِهِ فَرِيضَةُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ قَائِلًا: كَلَّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذُوا إِلَيْكَ بَقَرَةً حُمْرَاءَ صَحِيحَةٍ لَا عَيْبَ فِيهَا، وَلَمْ يَغْلُ عَلَيَّهَا نِيرٌ.... ٩.... إِنَّهَا ذَبِيحَةُ خَطِيئَةٍ. ١٠.... فَتَكُونُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلِلْغَرِيبِ النَّازِلِ فِي وَسْطِهِمْ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً»^(١)، ولم تحدّد التوراة في هذا المقطع ماهيّة هذه الخطيئة، وهل جاء التشريع ابتداءً أم على أثر ارتكاب تلك الخطيئة فعلياً، إلا أنها أكّدت أن هذا التشريع -عند ارتكاب هذه الخطيئة- أبدي، غير قابل للنسخ والتبديل، وأنه يُطبّق على بني إسرائيل وعلى مَنْ يعيش في وسطهم وإن كان لا ينتمي إليهم.

من المقطع السابق نستنتج أنّ الصفات المطلوب توافرها في هذه البقرة عبارة عن:

١. لون جلدها كله أحمر وليس بها بقعة أو حتى شعرة من أي لون آخر.
 ٢. صحيحة ولا عيب فيها، فليست مريضة، وليس بها عيب ظاهر أو لون آخر.
 ٣. ألا تكون استُخدمت في الحرث، أو أعمال الحقل، أو نقل الحموله.
- وبعد الحصول عليها تُقام الطقوس التالية:
- (١) فَتُعْطُونَهَا لِأَلْعَازَارَ الْكَاهِنِ، فَتُخْرَجُ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ وَتُدْبَحُ قُدَّامَهُ.
 - (٢) وَيَأْخُذُ أَلْعَازَارُ الْكَاهِنُ مِنْ دَمِهَا بِإَصْبَعِهِ وَيَنْضِجُ مِنْ دَمِهَا إِلَى جِهَةِ وَجْهِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

(٣) وَتُحْرَقُ الْبَقَرَةُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ. يُحْرَقُ جِلْدُهَا وَلَحْمُهَا وَدَمُهَا مَعَ فَرْثِهَا^(٢).

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ١٩، ١-١٠.

٢. الفرث: فضلات الطعام الموجودة في البطن.

٤) وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ خَشَبَ أَرْزٍ وَزُوفًا^(١) وَقِرْمِزًا^(٢) وَيَطْرَحُهُنَّ فِي وَسْطِ حَرِيقِ الْبَقَرَةِ.
[انظر اللوحتين ٨٥-٨٦]

٥) ثُمَّ يَغْسِلُ الْكَاهِنُ ثِيَابَهُ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَدْخُلُ الْمَحَلَّةَ. وَيَكُونُ الْكَاهِنُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ.

٦) وَالَّذِي أَحْرَقَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ بِمَاءٍ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ.
٧) وَيَجْمَعُ رَجُلٌ طَاهِرٌ رَمَادَ الْبَقَرَةِ وَيَضَعُهُ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ فِي مَكَانٍ طَاهِرٍ، فَتَكُونُ لِحِمَاةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي حِفْظٍ، مَاءَ نَجَاسَةٍ: (أَيُّ يُحْفَظُ الرَّمَادُ جَافًا، وَلَكِنْ عِنْدَ اسْتِخْدَامِهِ يُخْلَطُ بَعْضٌ مِنْهُ بِالْمَاءِ لِرَشِّهِ عَلَى الْمُنْتَجَسِ. وَيُسَمَّى هَذَا الْمَاءُ مَاءَ نَجَاسَةٍ وَإِنْ كَانَ يُسْتَعْمَلُ لِلتَّطْهِيرِ)^(٣).

٨) وَالَّذِي جَمَعَ رَمَادَ الْبَقَرَةِ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ^(٤).

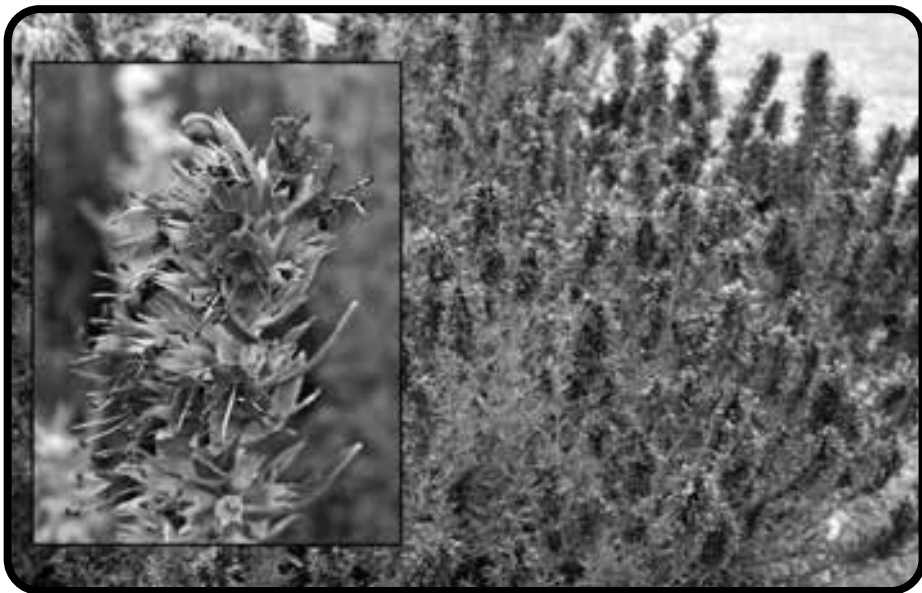
• في المشناه:

المشناه أو المثناة هي الشريعة (أو التوراة) الشفوية المروية عن النبي موسى ضمن التراث اليهودي، وهي بمثابة السّنة والأحاديث النبوية في الإسلام. وهي المتن الذي

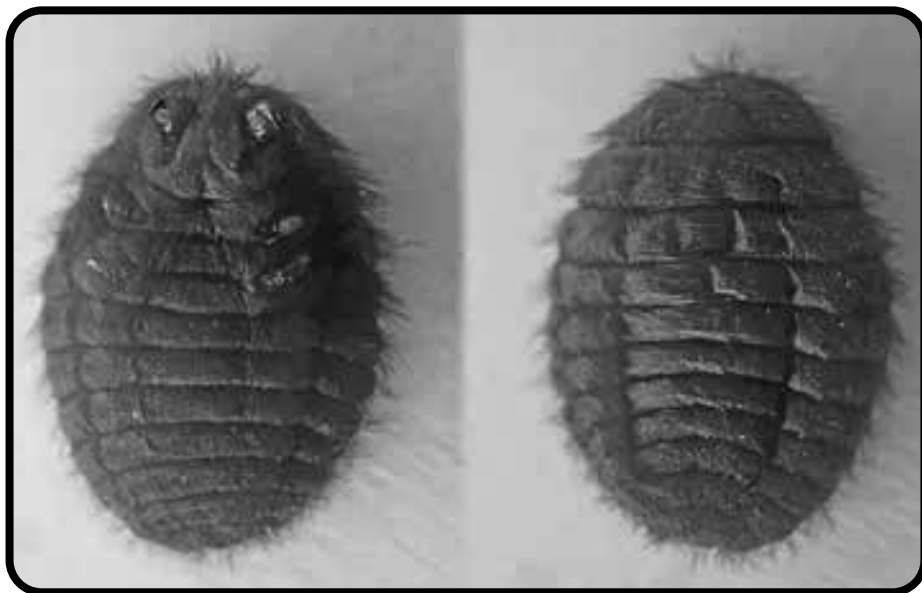
١. نبات عشي مرمعنا ذكره في الجزء الثاني من هذا الكتاب، وهو يرمز للتطهير.
٢. القرمز: مادة صبغية تستخدم في العديد من المجالات أبرزها والأكثر استخداماً لتلك المادة هو مجال مستحضرات التجميل وبالتحديد في صبغ الشعر، ويأتي القرمز من مادة تتركها إحدى الحشرات على شجر البلوط، وبعد أن تجف تلك المادة يتم جمعها على شكل حجر أسود اللون أو حبيبات صغيرة ملتصقة، وتتواجد بكثرة لدى محلات العطار.

3. <https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/numbers/chapter-19.html>

٤. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ١٩، ٣-١٠.



اللوحة رقم ٨٥ : نبات الزوفا



اللوحة رقم ٨٦ : حشرة القرمز

يعتمد عليه كتاب التلمود، الذي يشتمل على شروحات ومناقشات حول المشناه هذه. ولأهمية هذا التشريع عند اليهود، ذُكرت أحكام ذبيحة البقرة هذه في المشناه في القسم (أو الكتاب) المسَمَّى פָּרָה وتُلَفَّظ Parah أي بقرة، وذلك ضمن القسم الأخير من المشناه والتلمود، وهو كتاب الطهارة טְהוֹרוֹת وتُلَفَّظ Tohorot. وهذا القسم خاص بأحكام ذبح البقرة (الحمراء)، ويتكون من ١٢ فصلاً خاصاً بالتشريعات المتعلقة بهذه الذبيحة فحسب، وتم تأليفه ما بين سنة ١٩٠-٢٣٠ م.

وتبدأ فيه المناقشات الفقهية حول تحديد عمر هذه البقرة، وهل يجوز ذبحها في حال كونها ذات حمل، وما له علاقة بلون لسانها وقرونها وصفات حوافرها، والتفاصيل الخاصة بكونها لم تُستعمل في حمل الأشياء، وهل يبطل الشرط لو ظهرت عليها شعرتان بلونٍ مختلف، وتفاصيل أخرى عديدة تتعلق بكيفية الذبح والطقوس والمراسيم اللاحقة الخاصة بالتكفير عن خطيئة القتل.

• صفراء أم حمراء؟

هناك تشابه كبير بين مواصفات البقرة في السردية القرآنية وتلك التي في التوراة، من حيث مدخلية اللون، وخلوها من العيوب، وأنها لم تُسخر في أعمال الحقول بلحاظ سنّها غير المناسب لذلك. ويبقى اللون هو العنصر الأوضح في الاختلاف بين السرديتين، فهل يمكن -بطريقة ما- التوفيق بين السرديتين من هذه الناحية؟

في قصة النبي يعقوب مع أخيه عيسو كما جاءت في سفر التكوين من التوراة، نجد النص التالي: (٢٩) وَطَبَخَ يَعْقُوبُ طَبِيخًا، فَأَتَى عَيْسُو مِنَ الْحَقْلِ وَهُوَ قَدْ أَغْيَا. ٣٠ فَقَالَ عَيْسُو لِيَعْقُوبَ: «أَطْعِمْنِي مِنْ هَذَا الْأَحْمَرِ لِأَنِّي قَدْ أَغْيَيْتُ». لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهُ «أَدُوم».....

٣٤ فَأَعْطَى يَعْقُوبُ عَيْسُو خُبْزًا وَطَبِيخَ عَدَسٍ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ وَقَامَ وَمَضَى^(١).

فالطعام ذو اللون الأحمر في النص السابق هو العدس، وجاء في تفسير الكتاب المقدس: (خرج عيسو في رحلة صيد بذل فيها مجهوداً كبيراً في الجري وراء الوحوش، ولما عاد إلى خيمته وكان مرهقاً جداً وجد يعقوب أخاه، الذي كان وقتذاك ساكناً بجواره، يطبخ عدساً أحمر، أي أصفر يميل إلى الإحمرار، وكانت رائحته جميلة. أما عيسو فكان في تعب وجوع شديد)^(٢).

وحيث أن الكلمة العبرية (أدوم *ADOM*) تُترجم إلى (أحمر)، لذا كتب المتخصص في مجال دراسة أصول الكلمات العبرية الدكتور ميتشل فيرست^(٣) مقالاً بعنوان (أفكار حول لون «أدوم» في التنخ) يقول فيه: (لقد حصلت للتو على كتاب علمي عن الألوان في التنخ، لذا فأنا مستعد لمناقشة بعض القضايا حول هذا الموضوع. الكتاب هو: «مصطلحات الألوان في العهد القديم»، Athalya Brenner «١٩٨٢»).

ويسترسل الكاتب في بحثه وهو يناقش المراد من كلمة (أدوم *ADOM*) عند استعمالها في التنخ، وفي خصوص البقرة التي تُقدّم كفارة للخطيئة، وهل تعني هذه الكلمة -هناك- اللون الأحمر كلون الدم على سبيل المثال، إلى أن يقول: (تكتب برينر «ص ٦٣» أنه لا يوجد جلد بقري طبيعي أحمر. «من الواضح أن البقرة لا يمكن أن تكون

١. الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح ٢٥، ٢٩-٣٤.

2. <https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/genesis/chapter-25.html#32>

٣. Mitchell First حاصل على دكتوراه في القانون وماجستير في التاريخ اليهودي. نشر مقالات عن التاريخ اليهودي والطقوس الدينية وأصول الكلمات العبرية.

[حمرأ]. اليوم ربما نطلق عليها [بني] أو [كستنائي] بالإنجليزية، חמר [بني] في العبرية الحديثة. لا يوجد مصطلح معاصر يشير إلى [بني] في العبرية في العهد القديم. يشير برلين وكاي إلى هذه الظاهرة عندما يصفان المرحلة الثانية، على سبيل المثال، ثلاث لغات مصطلحية: يشمل مصطلح الأحمر في هذه المرحلة كل الألوان الحمراء والبرتقالية ومعظم الأصفر والبني والوردي والأرجواني..... كما تشير برينر «ص ٥٩-٦٢» إلى قصة عيسو التي تشير إلى العدس المطبوخ الذي هو «أدوماه». وكتبت أنه مهما كان لون العدس في الأصل، فإنه يميل إلى فقدان لونه المميز عند طهيه في قدر (דִּיר) ومن المرجح أن يتحول إلى اللون الأصفر الباهت أو البني الباهت^(١).

ويؤكد ما سبق أنّ الحاخام المشهور (سعديا/سعيد بن يوسف الفيومي)^(٢) في ترجمته للتوراة إلى العربية قبل أكثر من ١١٠٠ سنة، وكتبها بالأحرف العبرية، حيث ترجم الصفة الخاصة بلون البقرة بكلمة (صفراء). قال: (١) ثم كلم الله موسى وأهرون تكليماً. هذا رسم الشريعة، التي أمر الله بها قائلاً، مُر بني إسرائيل، وأن يأتوك ببقرة صفراء صحيحة، ما ليس فيها عيب، ما لم يطلع عليها نير^(٣). [انظر اللوحة ٨٧]

وأكد الحاخام اليميني (يوسف قافيه: ت ٢٠٠٠ م) في ترجمته وتعليقه باللغة العبرية على ترجمة الفيومي، صحة وصف البقرة باللون الأصفر، لأن هذا هو اللون الطبيعي للبقر.

1. <https://jewishlink.news/thoughts-on-the-color-adom-in-tanach>

٢. سعيد بن يوسف الفيومي المشهور بـ «سعديا» (ت ٩٤٢/هـ ٣٣٠ م) حاخام وفيلسوف يهودي مصري. تأثر بالمدرسة الكلامية ومذهب المعتزلة. ودافع عن شرعية النبوة ووحداية الله، كما رفض الإيمان بالأسرة والمنجمين. وهو أول شخصية عبرية مهمة تكتب على نطاق واسع بالعربية، ويعتبر مؤسس الأدب العربي اليهودي. له عدة مؤلفات أهمها ترجمة الكتاب المقدس العبري، وهدفه تقديم صورة صحيحة - من وجهة نظره - عن التوراة بالعربية، وتبسيط الكلام وتقريبه للقارئ العربي.

٣. الفيومي: التوراة، التفسير الأصلي، ص ٣٧٨.

Chapter 19 مَقْطَع

١ ثُمَّ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى وَآخَرُونَ تَكْلِيمًا ٢ هَذَا رَسْمُ الشَّيْطَانِ
الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا قَالُوا: مَرْئِي يَسْرِيلَ، وَأَنْ يَأْتِيَكَ بِفَرَسٍ صَفْرَاءَ
صَاحِبَةٍ، مَا لَيْسَ فِيهَا عَيْتٌ، مَا لَمْ يُطْلَعْ عَلَيْهَا بَرٌّ ٣ وَادْفَعُوهَا
إِلَافِزَارَ الْإِمَامِ، وَنُخْرِجْهَا إِلَى خَارِجِ الْمُعْشَكَمِ، وَتَذْنُجْهَا بِخَضْرَاءِ
٤ وَتَأْخُذْ مِنْ دُمِهَا بِأَصْبَعِهِ، وَتَنْطِخْ، مُقَابِلَ وَجْهِ خَبَاءِ الْعَضْطَرِ
بِنْتِ، شَيْعِ مِرَارِ ٥ وَتَأْمُرْ بِإِخْرَاقِهَا بِخَضْرَاءِ، مَعَ جَلْدِهَا وَلُحْمِهَا،
وَدُمِهَا وَفَرْيَها ٦ وَتَأْخُذْ عُودَ أُرْزَرٍ، وَزَعْفَرًا وَشَيْعَ قُرْمَرٍ، وَتَزِيْمِي ذَلِكَ
فِي وَسْطِ خَرِيْها ٧ وَتَغْسِلْ هَذَا الْإِمَامَ ثِيَابَهُ، وَتَزَحْضِ بِدَنَةِ الْبَاءِ،
وَتَعْدُ ذَلِكَ يَدْخُلُ إِلَى الْمُعْشَكَمِ، وَتَنْجُسُ إِلَى النَّبْلِ ٨ وَتُخْرِقْهَا،

378

اللوحة رقم ٨٧ : صورة عن ترجمة الحاخام سعديا الفيومي

وعليه، فإن المراد من اللون الأحمر في التوراة، في النص الخاص بقصة يعقوب، وكذلك ذبيحة البقرة، هو اللون الشبيه بلون العدس بعد طبخه، لا لون الدم مثلاً، ولذا قال في شرح الكتاب المقدس: (أي أصفر يميل إلى الإحمرار)، وفي المقال السابق للدكتور فيرست: (اللون الأصفر الباهت أو البني الباهت)، وهذا يقارب المراد من قوله «تعالى»: «إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ»، فالعدس عند طبخه لا يصبح بلون الدم، بل يكون أميل إلى الأصفر، وحيث أن لون البقرة لم يكن أصفر باهتاً كما هو حال طيخ العدس، أضافت الآية أن الأصفر كان فاقعاً ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ﴾.

وما يؤكد ما سبق، ترجمة الحاخام سعديا الفيومي للتوراة إلى العربية، حيث وصف البقرة المطلوب ذبحها بكونها صفراء، وليس حمراء كما في الترجمة العربية الحالية.

وبذا تلتقي السرديتان وتتوافقان في اللون المطلوب توافره في البقرة التي ستُقدّم ذبيحة (كفارة) خطيئة. [انظر اللوحة ٨٨]

• الارتباط بخطيئة القتل:

إلى هنا -توراتياً- لم يتّضح الارتباط بين تقديم هذه الذبيحة، وبين ارتكاب جريمة قتل لا يُعرَف مرتكبها، فالنص الوارد في سفر العدد ربط بينها وبين ارتكاب خطيئة، دون تحديد ماهيتها.

إلا أننا بالانتقال إلى السفر الأخير من التوراة، وهو سفر التثنية سنجد الارتباط بين الأمرين ماثلاً أمامنا: ١) «إِذَا وُجِدَ قَتِيلٌ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ لَتَمْتَلِكَهَا وَاقِعًا فِي الْحَقْلِ، لَا يُعْلَمُ مَنْ قَتَلَهُ، ٢ يَخْرُجُ شُيُوخُ وَقُضَاتُكَ وَيَقِيسُونَ إِلَى الْمَدِينِ الَّتِي حَوْلَ الْقَتِيلِ. ٣ فَالْمَدِينَةُ الْقُرْبَى مِنَ الْقَتِيلِ، يَأْخُذُ شُيُوخُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ عِجْلَةً مِنَ الْبَقَرِ لَمْ يُحَرِّثْ عَلَيْهَا، لَمْ تَجَرَّ بِالْبَثِيرِ. ٤ وَيَنْحَدِرُ شُيُوخُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِالْعِجْلَةِ إِلَى وَادٍ دَائِمِ السَّيْلَانِ لَمْ يُحَرِّثْ فِيهِ وَلَمْ يُزْرَعْ، وَيَكْسِرُونَ عُنُقَ الْعِجْلَةِ فِي الْوَادِي»^(١).

وهذا يعني أن الخطيئة المشار إليها في سفر العدد هي خصوص جريمة القتل التي لا يُعرَف مرتكبها، مع ربط ذلك بالمستقبل عندما يستقر بنو إسرائيل في الأرض الموعودة، والذي لن يتحقق على عهد موسى، بل بعد وفاته.

وفي تفسير الكتاب المقدس أنه يجب أن تُنتخب مجموعة من شيوخ الشعب وقضاته لقياس المسافة من المكان الذي وُجدت فيه الجثة إلى المدن المحيطة لتحديد المدينة الأقرب لمكان الحادث، حيث الاحتمال الأقرب أن يكون القاتل من تلك المدينة. بعد تحديد المدينة الأقرب، يُصبح من الواجب على شيوخها أن يأتوا ببقرة صغيرة في السن

١. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٢١، ١-٤.



اللوحة رقم ٨٨ : لوحة تعبر عن عملية فحص البقرة الحمراء للتأكد منها

لم تُستخدم بعدُ في أية أعمال زراعية، ولم يوضع عليها نير -أي الخشبة التي توضع على عنق الحيوان الذي يجرّ المحراث أو يدير الساقية- فتذبح، وكأنّ العملية عبارة عن تنفيذ رمزي لعقوبة الإعدام التي من الواجب تنفيذها في القاتل المجهول؛ لذلك كان شرط عدم استخدامها من قبل يُشير إلى شخص القاتل الذي هو غير نافع لمجتمعه وشعبه ولا يأتي منه أي عمل صالح. يأخذون البقرة الصغيرة ويذهبون بها إلى وادي به نبع ماء جارٍ لم يحرث أو يزرع به أحد، ويذبحونها هناك. ويشير الوادي الذي لم يحرث أو يزرع به أحد -أيضاً- إلى القاتل الذي لا يُنتظر منه شيء نافع ونبع الماء الجاري يشير إلى غسل الخطية والمغفرة لأهل المدينة^(١).

1. <https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/deuteronomy/chapter-21.html#1>

وتعقب ذلك عدة إجراءات وطقوس: (٥) ثُمَّ يَتَقَدَّمُ الْكَهَنَةُ بَنُو لَآوِي.... ٦ وَيَغْسِلُ
جَمِيعَ شُيُوخِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ الْقَرِيبِينَ مِنَ الْقَتِيلِ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْعِجْلَةِ الْمَكْسُورَةِ الْعُنُقِ
فِي الْوَادِي، ٧ وَيُصْرِّحُونَ وَيَقُولُونَ: أَيْدِينَا لَمْ تَسْفِكْ هَذَا الدَّمَ، وَأَعَيْنُنَا لَمْ تُبْصِرْ.
٨ اغْفِرْ لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الَّذِي قَدَيْتَ يَا رَبُّ، وَلَا تَجْعَلْ دَمَ بَرِيٍّ فِي وَسْطِ شَعْبِكَ
إِسْرَائِيلَ. فَيُغْفَرُ لَهُمُ الدَّمُ. ٩ فَتَنْزِعُ الدَّمَ الْبَرِيَّ مِنْ وَسْطِكَ إِذَا عَمِلْتَ الصَّالِحَ فِي
عَيْنِي الرَّبِّ (١).

وفي تفسير الكتاب المقدس أنَّ غَسْلَ اليد هو عمل يرمز إلى إعلان براءة من
يغسل يديه من دم القتل، ويصاحب ذلك إقرارهم بصوت عالٍ أنهم لم يتوصلوا إلى
معرفة الجاني، ولا شاهدوا حادثة القتل أثناء وقوعها. ثم يتجهون بالصلاة إلى الله،
طالبين المغفرة، متضرعين ألا يجعل عليهم مسئولية دم مَنْ قُتِلَ، ذاكرين أنهم الشعب
الذي اختاره الربّ وخلصه من عبودية فرعون. وعند اتباع هذا الطقس بكامله،
يستجيب الرب لصلاة الشيوخ، ويغفر لشعبه، ولا يُحْمَلُ تهمة سفك دم القتل على
أهل المدينة (٢).

إذًا، إلى هنا يتّضح الارتباط بين تقديم ذبيحة البقرة وبين ارتكاب جريمة قتل
من قِبَلِ شَخْصٍ مجهول الهوية، إلا أن الارتباط عام، لا يتعلّق بحادثةٍ بخصوصها، ولا
يتعلّق بكشف الجاني، ولا بحدّث جرى على عهد النبي موسى، بل -بحسب سفر
العدد- يرتبط الأمر بتطهير المجتمع من تبعات ارتكاب خطيئة، وبحسب سفر
التثنية بارتكاب جريمة قتل، وهذه نقطة اختلاف بين السردية القرآنية والتوراتية.

١. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٢١، ٥-٩.

2. <https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/deuteronomy/chapter-21.html#1>

وكيف تفيد هذه الطقوس والمراسيم في معالجة موضوع القتل من قِبَل مُجْرِم مجهول الهوية؟ يجيب الحاخامات بأن الحكمة غير معلومة، بل إنهم يتساءلون كيف يمكن لرماد الحيوان الذي يتم التضحية به أن يُطَهَّر من الخطيئة والنجاسة، وأنه في نفس الوقت الذي يقوم فيه بالتطهير، فإنه ينجس المتطهِّر به كما جاء في التوراة؟

ولذا يعتبر الحاخامات أن البقرة الحمراء من أعظم أسرار التوراة، وفي المدرش (تفسير التوراة) عن (الملك الحكيم سليمان) أنه صاح قائلاً: (لقد نجحْتُ في فهم التوراة بأكملها، ولكن بمجرد وصولي إلى هذا الفصل عن البقرة الحمراء، بحثْتُ وفحصْتُ وتساءلتُ وقلت إنني سأحصل على الحكمة، لكنها كانت بعيدة عني)^(١).

لقد اعتبر كلُّ من التلمود والمدرش أن الطقوس الخاصة بذبح هذه البقرة هي المثال الأبرز لذلك النوع من الوصايا التوراتية التي يجب التعبد بالالتزام بها دون فهم مغزاها وكيفية عملها، بل ويستحيل أن يفهمها حتى أحكم العلماء، كما لم يفهمها النبي موسى نفسه، بحسب الحاخامات.

ومع هذا، فإن بعض حاخامات اليهود يعتقدون أن فريضة البقرة الحمراء مرتبطة بخطيئة العجل الذهبي، أي أن تشريعات البقرة الحمراء جاءت بطريقةٍ ما كنوع من التكفير عن العواقب الرهيبة التي ترتبت على عبادة بني إسرائيل للعجل الذهبي عندما خرجوا من مصر.

• اضربوه ببعضها:

الجزئية الأخرى التي تستدعي التوقُّف عندها هي تلك المتعلقة بالمقارنة الخاصة

1. https://www.sefaria.org/Yalkut_Shimoni_on_Torah.759?lang=bi

بكيفية الاستفادة من هذه الذبيحة عند ارتكاب جريمة قتل من قبل شخص مجهول. وفي البين أقوال:

(١) المطلوب -بحسب ظاهر السياق والنص القرآني- هو ضرب جسد ذلك المقتول ببعض أجزاء الذبيحة، وعندها أحيى الله الميت، وكشف الجاني. هذا هو المعنى الظاهر، وعليه الروايات وجمهور المفسرين. وقد نقلتُ كلام العلامة الطباطبائي بهذا الخصوص عند عرض الآيات وشيء من تفسيرها وتأويلها، وأقوال عددٍ من المفسرين وما جاء في بعض الروايات بهذا الخصوص.

(٢) وذَهَبَ البعض إلى أنَّ المطلوب منهم في حالة ارتكاب جريمة من هذا القبيل أن يعملوا بالتشريع المبين في التوراة، والذي يبدأ بذبح بقرة تحمل مواصفات خاصة، وأن يقوموا ببعض الطقوس، ومن ثَمَّ سيكتشف القاتل بطريقةٍ أو بأخرى، من دون أن يكون في البين إحياءٌ للميت، كأن يخاف القاتل من نزول الغضب الإلهي عليه فيعترف بذنبه، أو بأن تظهر عليه علاماتُ الخوف، فينفذ، وأمثال ذلك، أو بأن يكون هذا رادعاً لمن تُسَوَّل له نفسه في المستقبل تكرارَ مثل هذه الجريمة. إلى هذا الرأي أشار العلامة الطباطبائي بقوله: (فالمراد بإحياء الموتى: العثور بوسيلة تشريع هذا الحكم على دم المقتول، نظير ما ذكره «تعالى» بقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(١)، من دون أن يكون هناك إحياء بنحو الإعجاز)^(٢).

إلا أنه لم يرتضِ هذا التأويل واعتبر أنَّ سياق الآيات يدلُّ على وقوع الإحياء بصورة إعجازية، قال: (وأنت خبير بأن سياق الكلام، وخاصة قوله «تعالى»: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ

١. سورة البقرة: ١٧٩.

٢. الطباطبائي، الميزان، ج ١، ص ٢٠٢.

بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» (يأبى ذلك) (١).

والتأويلان لا ينطبقان على ما في التوراة التي نفهم من نصوصها بشكل واضح أن المسألة تتعلق بالتكفير عن الجريمة المرتكبة، لا باكتشاف الجاني، وأن هذه المراسيم والطقوس لا تخصّ زمن النبي موسى، بل هي شريعة أبدية، وعلى اليهود الالتزام بذلك كلما وقعت جريمة مشابهة، فهل يُعقل أن تتحقّق معجزة إحياء المقتول في كل زمان؟ بل هل يمكن أن يجدوا بقرة بهذه المواصفات في كل زمان ومكان تقع فيه جريمة من هذا القبيل؟

٣) علي آغا ئي من أكاديمية برلين براندنبورغ للعلوم والإنسانيات في ورقة بحثية بعنوان (التناص القرآني مع التراث اليهودي الحاخامي: قضية البقرة في سورة البقرة الآيات ٦٧-٧٤) (٢) اقترح قراءة الجزء الثاني من القصة القرآنية الخاصة بالبقرة بطريقة رمزية، وليست حرفية، وعندها سيتبيّن أن الآيات القرآنية ليست بصدد تقديم وسيلة لكشف قاتل مجهول الهوية، بل لتوظيف بقايا البقرة المذبوحة في إعادة شخص منفيّ إلى أحضان مجتمعه الإسرائيلي بعد أن كان قد ارتكب خطيئة وأقيمت عليه عقوبة النفي بسبب ذلك، وتلك الخطيئة عبارة عن مسّ إنسانٍ ميّت والدخول إلى المسكن (بيت العبادة) من دون أن يتطهّر من ذلك المسّ.

حيث اعتبر أنه يمكن فهم آية ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ على أنه انعكاس لما جاء في الآية ١٣ من الإصحاح ١٩ من سفر العدد، والذي ينصّ على أن: (١٣) كُلُّ مَنْ مَسَّ مَيْتًا مَيِّتَةً إِنْسَانٍ قَدْ مَاتَ وَلَمْ يَتَطَهَّرْ، يُنَجِّسْ مَسْكَنَ الرَّبِّ. فَتُقَطَّعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيلَ).

١. الطباطبائي، الميزان، ج ١، ص ٢٠٢.

2. Qur'anic Intertextuality with Jewish-Rabbinic tradition: The Case of 'the Cow'

إنَّ قطع شخص ما عن المجتمع بسبب نجاسته قد يعني رمزياً قتله، لأنه لن يكون لديه أي اتصال بعائلته وأصدقائه، والأهم من ذلك مجتمعه. وأضاف آغاّي أنه يمكن رؤية إشارة مثيرة للاهتمام لهذه الفكرة في سفر العدد، الذي يساوي بين (الموت) كعقاب لأولئك الذين يدخلون المسكن (بيت العبادة) وهم ملوثون، وبين (قطعهم عن مجتمع بني إسرائيل).

وبعبارة أخرى، فإن عقوبة (الموت) هذه تشير إلى نوع من الاستئصال الروحي، وليس الإعدام الحقيقي. ويبدو أن هذا الإجراء غير محبَّب ويسبب مشاعر سلبية، ليس فقط على مستوى الفرد المعاقب، ولكن أيضاً داخل المجتمع نفسه، الذي يبحث بعد ذلك عن حلٍّ لإعادة هذا العضو المطرود إلى أحضانه. وهذا ما عبّرت عنه الآية ٧٢ من سورة البقرة كحلٍّ مقدّم من قبل الله: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

والجزء الأول من الآية ٧٣ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ يمكن أن يشير إلى ما جاء في الآية ١٩ من الإصحاح ١٩ من سفر العدد، ويتحقق التوفيق بين النصّين كالتالي: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ أي الرجل النجس المنفي ﴿بِبَعْضِهَا﴾ أي برماد البقرة المحروقة الذي يضاف إلى الماء العذب. وبالتالي، يجعل الله من الممكن تطهير الشخص النجس وإعادةه إلى المجتمع: ﴿كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُوتَى﴾^(١).

تعليق: على الرغم من محاولة هذا الباحث الإتيان بمؤيدات أخرى لهذا التأويل، إلا أنه يواجه أكثر من إشكال. من ذلك:

1. <https://static1.squarespace.com/static/5ab2686bcef37284f39cbe8b/t/5ed3d1b-de080e33f63af6e83/1590940096370/Qur%E2%80%9999anic+Intertextuality+with+-Jewish-Rabbinic+tradition-Ali+Aghaei+%281%29.pdf>

١. أننا لا نرفع اليد عن المعنى الحقيقي إلى المجازي إلا بوجود قرينة تستدعي ذلك، ولست أرى قرينة واضحة -ضمن النص القرآني- يمكن الركون إليها.

٢. جملة ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ تدلّ على وقوع حدثٍ خارجيٍّ بعينه، وليست في مقام افتراض وقوع ذلك، سواء بالمعنى الحقيقي للقتل، أو المعنى المجازي الذي يعني النفي بحسب الباحث، إلا أن يكون مراد الباحث أن هذه الحادثة صارت منطلقاً لتشريع دائم.

٣. إخراج ما كانوا يكتُمون في قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ لا يتناسب مع التأويل الذي قدّمه الباحث، أي إخراج المشاعر السلبية من نفوس أبناء المجتمع الإسرائيلي الذي وقعت فيه الجريمة، والكشف عن الرغبة في تخليص هذا الفرد من النفي، لاسيما وأنه أغفل دلالة جملة ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ التي تُرشد إلى محاولة الأفراد التخلص من التهمة وتبرئة أنفسهم، فكيف يُفهم ذلك وفق السياق التأويلي الذي قدّمه؟ وما علاقة هذا بنفي فرد من مجتمع بعد ارتكابه خطيئة الدخول إلى بيت العبادة دون التطهّر من نجاسة مسّ الميت؟ كما أن القرآن الكريم استعمل كلمة النفي في مقابل القتل في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، فلماذا لم يستعملها هنا أيضاً؟

٤. بناء على هذا التأويل، يصعب فهم سبب سؤالهم الاستنكاري: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾ فقد اعتادوا على التشريعات الخاصة بتقديم القرايين، ومارسوها، فلماذا

يستهلجون ذبح تلك البقرة ويماطلون في تنفيذ الأمر إن كان ذلك مجرد تشريع يخص تقديم القرابين أو الكفارات. بل إن نفس التوراة في سفر التثنية تربط بين ذبح هذه البقرة وبين ارتكاب جريمة قتل يُجهل الجاني فيها كما مر معنا. فلو طلب منهم ذبح البقرة من أجل إعادة شخص منفي والتكفير عن ذنبه، لفعلوا ذلك دون استهجانٍ منهم واستنكار. ولا يصح صدور ذلك منهم إلا لعدم فهمهم العلاقة بين اكتشاف القاتل وبين ذبح البقرة.

٥. ظاهر الآيات - كما جاء في تنمة الآية ٧٣- يُرشد إلى وقوع شيء مُعجز وخارق للعادة والقوانين المعهودة: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وهو ما يتناسب مع عودة المقتول إلى الحياة، ولا يتناسب مع عودة المنفي إلى مجتمعه، فأية آية يُتصور تحققها ورؤيتها من خلال ذلك؟

وخلاصة الكلام، أنّ المستفاد من القرائن الموجودة في القرآن الكريم هو وقوع جريمة على عهد النبي موسى، وتم توظيف تلك الذبيحة لحلّ المعضلة وكشف مرتكب الجريمة، وأما ظاهر النصوص التوراتية في سفر العدد والتثنية، وما جاء في المדרاش والمشناه والتلمود فلا يدلّ على ذلك.

ومن هنا، اعتبر العلامة الطباطبائي أن يد التحريف امتدّت إلى النص التوراتي، وأن القرآن الكريم كشف ذلك لبني إسرائيل، قال: (قصة البقرة غير مذكورة في التوراة الموجودة عند اليهود اليوم^(١))، فكان من الحرّي أن لا يُخاطبوا بهذه القصة أصلاً، أو

١. كان الأولى بالعلامة الطباطبائي أن يقول: (قصة جريمة القتل غير مذكورة في التوراة الموجودة عند اليهود اليوم) وليس (قصة البقرة)، فالبقرة -بصفاتها المميزة- والأمر بذبحها كل ذلك مذكور في التوراة الحاضرة، ولكن الخلاف على وقوع جريمة قتل بعينها أدّت إلى التشريع الخاص بالذبح والإحياء بضرب القتل ببعضها كما هو مفهوم ظاهر الآيات.

يُحَاطَبُوا بِهَا بَعْدَ بَيَانِ مَا لَعَبَتْ بِهِ أَيْدِيهِمْ مِنَ التَّحْرِيفِ، فَأَعْرَضَ عَنْ خُطَابِهِمْ أَوَّلًا بِتَوْجِيهِ الْخُطَابِ إِلَى النَّبِيِّ فِي إِشَارَةٍ مِنْهُ إِلَى قَوْلِهِ «تَعَالَى»: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ (ثم بعد تثبيت الأصل، عاد إلى ما جرى عليه الكلام من خطابهم المتسلسل) أي قوله «تعالَى»: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (نعم في هذا المورد من التوراة حُكْمٌ لَا يَخْلُو عَنْ دَلَالَةٍ مَا عَلَى وَقْعِ الْقِصَّةِ)^(١).

وَإِذَا لَمْ نَلْتَزِمْ بِوُقُوعِ جَرِيمَةِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى وَإِحْيَاءِ لِمَيْتٍ، فَسَيَكُونُ لَدَيْنَا اِحْتِمَالٌ آخَرٌ أَضْيَفُهُ إِلَى مَا سَبَقَ، وَهُوَ أَنَّ الْإِرْتِبَاطَ بَيْنَ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ وَبَيْنَ ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ غَيْرٌ مُوجُودٌ بِشَكْلِ مُبَاشَرٍ.

فَالْأَمْرُ قَدْ صَدَرَ عَلَى عَهْدِ مُوسَى بِذَبْحِ بَقَرَةٍ، وَتَمَّ تَحْقِيقُ ذَلِكَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي، وَأُحْرِقَتْ جِثَّةُ الْبَقَرَةِ وَخُلِطَ بَعْضُ رَمَادِهَا مَعَ الْمَاءِ وَاسْتُعْمِلَ لِلتَّكْفِيرِ عَنِ الْقَوْمِ حِينَ ارْتَكَبُوا خَطِيئَةً كَبِيرَةً.

وَإِذَا قِيلَ أَنَّ جُمْلَةَ ﴿أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ لَا تَتَلَاءَمُ مَعَ دَلَالَةِ رَشِّ مَاءِ الرَّمَادِ عَلَى الْفَرْدِ كَمَا وَرَدَتْ فِي التَّوْرَةِ، قُلْنَا أَتُنَجِدُ مِثْلَ هَذَا الِاسْتِعْمَالِ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ، فِي التَّهْذِيبِ لِلطُّوسِيِّ بِالسَّنَدِ عَنْ جَعْفَرٍ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»: (لَا تَضْرِبُوا وُجُوهَكُمْ بِالْمَاءِ إِذَا تَوَضَّأْتُمْ، وَلَكِنْ شَوْا الْمَاءَ شَنًّا)^(٢).

وَأَمَّا الْجَرِيمَةُ فَقَدْ وَقَعَتْ فِي زَمَنِ لَاحِقٍ، وَكَانَتْ التَّوْرَةُ قَدْ وَجَّهَتْهُمْ أَيْضًا إِلَى ذَبْحِ مِثْلِ هَذِهِ الْبَقَرَةِ فِي حَالِ ارْتِكَابِ جَرِيمَةِ قَتْلِ غَامِضَةٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ -بَعْدَ الْإِسْتِقْرَارِ

١. الطَّبَاطِبَائِيُّ، الْمِيزَانُ، ج ١، ص ٢٠٠.

٢. الطُّوسِيُّ: تَهْذِيبُ الْأَحْكَامِ، ح ١٠٧٢.

في الأرض الموعودة- وهو ما وقع بالفعل لاحقاً، وجاءت الإشارة إليه في قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾، وتم العمل بالمراسيم الخاصة بذلك، مما أدى إلى الكشف عن الجاني باعترافه أو باعتراف البعض عليه نتيجة الخوف من تبعات السكوت عن الجريمة في ظل هذه الإجراءات (المقدّسة)، وهو ما كان بمثابة ﴿يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ وفيه بيان لفائدة وتأثير هذا التشريع الإلهي الذي لم يتعامل معه مجديّة في البدء، بل ووقعت الماطلة في تنفيذه وهو معنى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وعلى هذا الاحتمال، ليس في الآيات القرآنية تقديم وتأخير، بل عرض متسلسل، فبدأت بذكر ما جرى على عهد موسى «عليه السلام»، ثم أشارت إلى وقوع جريمة قتل من بعده، ولذا لا نجد ذكراً لوقوع هذه الجريمة ضمن القصص والأحداث المذكورة في التوراة نفسها، لأن نصوص التوراة تنتهي مع وفاة موسى. والله «تعالى» أعلم.

• ترابط مدهش:

في القرآن إشارات خفية لعلماء أهل الكتاب تؤكّد لهم سماوية مصدره، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يأت بهذا الكتاب من عنده، وغالباً ما لا يُمثّل ذلك بالنسبة إلينا - كمسلمين - دلالة على شيء خاص سوى ظاهر المعنى ورسالة الآيات، بينما يكون الأمر أكثر عمقاً من ذلك. وقد أثرت هذا الموضوع أكثر من مرّة في كتاباتي.

واحدة من أمثلة ذلك قوله «تعالى»: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢١٣﴾﴾^(١)، فإنّ ذكرها قبيل قصة طالوت وجالوت وداود

لم يأت من فراغ، وذلك حيث يقول «تعالى»: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَرَمُوهُمْ يَأْذِنُ اللَّهُ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾^(١) بل هي

إشارة لعلماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فما هي هذه الإشارة؟

لقد ارتبطت قصة ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ بالنبي

حزقيل الذي كان من المسيبين خلال الهجوم البابلي الأول على أرض كنعان التي كان يحكمها بنو إسرائيل آنذاك، وذلك في سنة ٥٩٧ ق.م.

وفي فترة وجود بني إسرائيل في السبي، بعث الله «تعالى» حزقيل نبياً ورسولاً لهم قائلاً له: (يَا ابْنَ آدَمَ، أَنَا مُرْسِلُكَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ)^(١). ثم أخذه الله إلى وادٍ ملئ بالعظام اليابسة لأناس قد ماتوا: (فَأَخْرَجَنِي بِرُوحِ الرَّبِّ وَأَنْزَلَنِي فِي وَسْطِ الْبُقْعَةِ وَهِيَ مَلَأَتْهُ عِظَامًا..... فَقَالَ لِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، أَتَحْيَا هَذِهِ الْعِظَامُ؟» فَقُلْتُ: «يَا سَيِّدُ الرَّبِّ أَنْتَ تَعْلَمُ. فَقَالَ لِي: «تَنْبَأْ عَلَى هَذِهِ الْعِظَامِ...» بَأَن يَقُولُ بَعْضُ الْكَلِمَاتِ بِأَمْرِ اللَّهِ فَيَعُودُ هَؤُلَاءِ الْمَوْتَى إِلَى الْحَيَاةِ (فَتَنْبَأْتُ كَمَا أُمِرْتُ. وَبَيْنَمَا أَنَا أَتَنْبَأُ كَانَ صَوْتُ، وَإِذَا رَعَشُ، فَتَقَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ. وَنَظَرْتُ وَإِذَا بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ كَسَاهَا، وَبُسِطَ الْجِلْدُ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقَ، وَلَيْسَ فِيهَا رُوحٌ...) وَيَسْتَمِرُّ الْأَمْرُ هَكَذَا حَتَّى عَادُوا لِلْحَيَاةِ مِنْ جَدِيدٍ (وَقَامُوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ جَدًّا جَدًّا)^(٢).

ولماذا أدخل الله «تعالى» هذا النبي في هذه التجربة؟ تأتي الإجابة في أسطر لاحقة من سفره... لقد عاش بنو إسرائيل حالة من اليأس في الخلاص مما هم فيه من السبي والعبودية، ومن التشردم، والضعف، والبُعد عن الأرض المقدسة. من هنا، جاء التأكيد الإلهي على أن الجماعة الميتة معنوياً يمكنها أن تعود إلى الحياة من جديد، تماماً كما عادت الحياة إلى أولئك الموتى بعد أن غدوا مجرد عظام متناثرة.

ولمزيد من التأكيد على قدرة الله على إنقاذ بني إسرائيل مما هم فيه، يذكر الله «تعالى» النبي حزقيل بتجربة سابقة تتمثل في قصة النبي داود، فقد عانى بنو إسرائيل قبل

١. الكتاب المقدس، سفر حزقيل، الإصحاح ٢، ٣.

٢. الكتاب المقدس، سفر حزقيل، الإصحاح ٣٧، ١-١٠.

حُكْمِهِ من نفس هذه الحالة من اليأس والضعف والتشردم، فجعله الله عليهم ملكاً من بعد طالوت، فأخرجهم مما هم فيه، وصارت مملكتهم مملكة قوية ذات نفوذ وسلطان عظيمين. إنه ذات الترتيب الذي جاء في سورة البقرة... قصة وادي العظام، ثم قصة طالوت وداود وجالوت... هل جاء هذا محض صُدْفَة؟ أبداً... بل المسألة تتضمن إشارة خفية لأهل الكتاب بمصادقية الرسول في ما جاء به من القرآن الكريم، وأنه من عند الله «تعالى» الذي أنزل الكتب السماوية السابقة.

ثم إنها رسائل للمسلمين في ذات الاتجاه الذي جاءت فيه الرسائل لحزقيل وقومه، فقد نزلت سورة البقرة في بدايات العهد المدني، وقد كان المسلمون آنذاك يعيشون حالة من الضعف المعنوي بعد هجرتهم من مكة، وشعورهم بتكالب المشركين عليهم، وحصارهم اقتصادياً واجتماعياً من خلال تحركات قريش ضدهم في تحالفاتها مع القبائل المحيطة بالمدينة وبالطرق التجارية. وبالإضافة إلى ما سبق، فقد قامت قريش ومن تحالف معها من الأعراب بتحرّشات عسكرية عدوانية، وإن كان ذلك في نطاق محدود وليس بصورة حرب شاملة، كما سبق ذلك عدوان آخر تمثل في التهجير القسري، أو بممارسة الضغط بصورة كبيرة دفعت المسلمين إلى الهجرة حفاظاً على الدين وعلى أنفسهم، فصدر الإذن الإلهي بمواجهة القوة بالقوة.

مجموع هذه الظروف شكّلت وضعاً صعباً وخانقاً للمسلمين وباعثاً على اليأس، لاسيما وأن قسماً منهم ما كانوا يفضلون خيار القتال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ هذا تكليفكم الفعلي، لا استعمال للعنف في هذه الفترة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ المطلوب منكم حالياً هو الإعداد الروحي ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ

كَتَبَتْ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴿١﴾.

من هنا، جاءت قصة ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ لتقول لهم: اتعظوا بها كما أراد الله «تعالى» من بني إسرائيل أن يتعظوا بها، لأنها تنطبق عليكم أنتم أيضاً. أنتم الآن في ديار الهجرة والتهجير القسري كما كان حال بني إسرائيل في ديار التهجير القسري، تتساءلون فيما بينكم: هل يمكن لنا أن نهض بقوة لنحقق الوعد الإلهي بانتصار الحق على الباطل؟ هل يمكننا أن نعود إلى مكة من جديد منتصرين؟ هل يمكن لهذه الأوضاع السلبية وتكالب المشركين علينا أن تتغير إلى الأفضل وأن ننصر عليهم؟

نعم، إن الذي أحيا تلك العظام، لقادر على أن يث فيكم الحياة لتقفوا على أقدامكم من جديد كما وقف أصحاب تلك العظام على أقدامهم من جديد: (وَقَامُوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ جِدًّا جِدًّا) ... وما السبيل إلى ذلك؟

جاءت الآية اللاحقة لقصة وادي العظام لتبين السبيل لتحقيق ذلك من خلال مواجهة العدوان بالقوة: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾، والمساهمة والتضحية المالية في هذا الطريق: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ (٢).

وكما ذكر الله «تعالى» النبي حزقيل بقصة داود، وكيف انقلبت أحوال بني إسرائيل بنصر الله لما ثبتوا مع طالوت، جاءت الآيات اللاحقة من (٢٤٦-٢٥٢) لتحكي للمسلمين قصة طالوت وجالوت وداود، بياناً لنفس الفكرة السابقة.

١. سورة النساء: ٧٧.

٢. سورة البقرة: ٢٤٤-٢٤٥.

إنه مثال عملي من التاريخ للأمة التي تعيش الضعف، فتنتشل نفسها باللجوء إلى الله «تعالى»، وطاعته، والثقة به، واستمداد القوة منه، ومن ثم الأخذ بأسباب القوة، ومواجهة الباطل، وتقديم التضحيات في هذا الطريق لتحقيق النصر في نهاية المطاف. إن رسالة الآيات السابقة هي أنّ الله قادر على أن يحْيِيَكُم -أيها المسلمون- معنوياً كما أحيا تلك العظام مادياً، وقادر على أن ينصركم مع قلة عددكم وضعفكم مادياً وعسكرياً، كما نصر طالوت وداود من قبل مع قلة العدد والضعف المادي والعسكري. إن كل المطلوب منكم هو أن تثقوا بالله «تعالى» ووعده، وأن تطيعوه، وتقدّموا التضحيات.

كان هذا مثالاً من الأمثلة على تلك الإشارات الخفية في القرآن الكريمة، والتي يمكن أن ينتبه إليها مَنْ درس الكتاب المقدّس، فيكون ذلك من أسباب هدايته إلى الإيمان برسالة محمد «صلى الله عليه وآله».

المثال الآخر يرتبط بقصة البقرة، والنبي حزقيل مجدداً. ففي حين أن التوراة ربطت بين تقديم هذه الذبيحة عند ارتكاب جريمة قتل ومجهولية الفاعل، وبين تطهير المجتمع من دنس ونجاسة هذه الجريمة برشّ الماء الممزوج برماد الذبيحة بعد حرقها، فإن سفر حزقيل ربط بين عملية التطهير بالماء وبين وصف قلوب بني إسرائيل بأنها أصبحت كاللحجارة. وهكذا الأمر في القرآن الكريم، فبعد ذكر قصة البقرة وجريمة القتل، وصف الله «تعالى» قلوب بني إسرائيل بأنها أصبحت كاللحجارة أو أشدّ قسوة!! هل الأمر مجدداً محض صدفة؟ فلنستعرض ما جاء في سفر حزقيل:

(٢٢) «إِنَّكَ فَقُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: لَيْسَ لِأَجْلِكُمْ أَنَا صَانِعٌ

يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، بَلْ لِأَجْلِ اسْمِي الْقُدُّوسِ الَّذِي نَحْسُبُهُ فِي الْأُمَمِ حَيْثُ جِئْتُمْ.....
 ٢٥ وَأَرُسْ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِرًا فَنُطَهِّرُوكَ. مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكَ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكَ
 أَطَهَّرُكُمْ. ٢٦ وَأُعْطِيَكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا، وَأَجْعَلَ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ
 قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكَ وَأُعْطِيَكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ. ٢٧ وَأَجْعَلَ رُوحِي فِي دَاخِلِكُمْ،
 وَأَجْعَلُكُمْ تَسْلُكُونَ فِي فَرَائِضِي، وَتَحْفَظُونَ أَحْكَامِي وَتَعْمَلُونَ بِهَا^(١).

وفي القرآن الكريم بعد ذكر قصة بني إسرائيل مع البقرة وجريمة القتل: ﴿فَقُلْنَا
 اضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ
 قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا
 يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ
 خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾^(٢).

يبدو أنها إشارة أخرى من الإشارات القرآنية لعلماء أهل الكتب بأن يزداد يقينهم
 وتُقام الحجة عليهم بأن من جاء بالقرآن هو الذي جاء بالتوراة والكتب السماوية،
 لاسيما وأن اليهود في (سبت البقرة الحمراء) من كل عام يقرأون الآيات الخاصة
 بالتطهير بالماء الواردة في سفر حزقيل، بما يؤكد الارتباط بين كل من: ذبيحة البقرة
 (الحمراء/الصفراء)، التطهير بالماء، القلوب المتحجرة كما ذكرنا تماماً... فما حكاية
 هذا السبت؟ وما خطورته في العصر الراهن؟

• سبت البقرة الحمراء:

سبت البقرة، وبالعبرية (שַׁבַּת פָּרָה) وتُلفظ شبت باراه) أو سبت البقرة (الحمراء)

١. الكتاب المقدس، سفر حزقيل، الإصحاح ٣٦، ٢٢-٢٧.

٢. سورة البقرة: ٧٣-٧٤.

-بحسب وصفهم- هي من بين الطقوس والمراسيم اليهودية السنوية الخاصة بالتمهيد لعيد الفصح، ويتعلّق باتخاذ سبتٍ يسبق العيد، تخليداً لمناسبة ذبيحة البقرة (الحمراء) الواردة في التوراة، وللمراسيم والتشريعات التي عمل بها الكهنة واليهود لتطهير أنفسهم. بالطبع، فإن هذا لا يعني أن اليهود يقومون في كل سنة في مثل هذه المناسبة بذبح بقرة حمراء، بل إنهم يحيون هذه الذكرى التي ترمز إلى تطهير النفس.

وتحديد هذا السبت يختلف من سنة إلى أخرى، بلحاظ أن التقويم العبري مزيج من الأشهر القمرية والشمسية كما شرحت ذلك في الجزء الثاني من الكتاب، ولذا فإنه في سنة ٢٠٢٤ للميلاد -على سبيل المثال- كانت بداية عيد الفصح اليهودي غروب شمس يوم الإثنين ٢٢ أبريل، وابتداء سبت البقرة من غروب شمس يوم الجمعة ٢٩ مارس، واستمر إلى غروب يوم السبت ٣٠ مارس. وأما في سنة ٢٠٢٥م، فإن بداية عيد الفصح اليهودي غروب شمس يوم السبت ١٢ أبريل، وبداية سبت البقرة من غروب شمس يوم الجمعة ٢١ مارس إلى غروب شمس يوم السبت ٢٢ مارس.

وفي سبت البقرة، يتم إخراج مخطوطتين من (تابوت العهد)، إحداهما لقراءة الإصحاح ١٩ من سفر العدد، والتي جاء فيها تشريع ذبح البقرة ضمن مراسيم خاصة وكيفية تطهير المتنجسين بالماء الممزوج برماد البقرة بعد ذبحها وحرقها، والثانية لقراءة الإصحاح ٣٦ من سفر حزقيال والتي تشتمل على الآيات الخاصة بالتطهير بالماء. تأتي هذه المراسيم في هذا الوقت من العام، وقبل بضعة أسابيع من عيد الفصح، لأن اليهود كانوا مطالبين بتطهير أنفسهم قبل أن يحجّوا إلى مدينة القدس وهيكل سليمان، للمشاركة في مراسيم عيد الفصح التي تُقام هناك^(١).

1. <https://www.ou.org/holidays/parshat-parah>

منذ عام ١٩٦٧، كانت هناك حركة في الكيان الصهيوني ومن قبل مجموعة من المؤسسات الصهيونية حول العالم لإعادة بناء هيكل سليمان (المعبد المقدس عند اليهود) في بيت المقدس بعد هدم بعض المعالم الإسلامية في ذلك الموضع، وعلى رأسها المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

وفي السنوات الأخيرة، تم الانتهاء بالفعل من العديد من الاستعدادات لإعادة تأسيس الهيكل الثالث، فقد هُدم الهيكل على عهد نبوخذ نصر قبل ميلاد المسيح بقرابة ٦ قرون، ثم أعيد بناؤه، ثم هُدم مجدداً على يد الرومان في سنة ٧٠م.

ومن بين هذه الاستعدادات التي تم الانتهاء منها: تدريب أكثر من ٥٠٠ شاب يهودي من المنحدرين من سبط لاوي للعمل كهنةً في المعبد، والقيام بواجباتهم في العبادة والتضحية في الهيكل، كما تم الانتهاء من إعداد ملابسهم الكهنوتية التي سيرتدونها لهذا الغرض.

إلا أن إعادة بناء الهيكل يتطلب التضحية ببقرة (حمراء) تحمل تلك الصفات المذكورة في التوراة من حيث السن وعدم استخدامها من قبل في الحرث والسقي وغير ذلك مما مر معنا، ويأتي هذا الاشتراط بلحاظ أن ذبح هذه البقرة هو السبيل الوحيد لتحقيق الطهارة للنفس اليهودية، واستعادة النقاء التوراتي اللازم لإعادة بناء الهيكل.

وبعد ذبح البقرة، يجب القيام بالمراسيم المذكورة في التوراة: (٤) وَيَأْخُذُ أَلْعَازَارُ الْكَاهِنُ مِنْ دَمِهَا بِإَصْبَعِهِ وَيَنْضِجُ مِنْ دَمِهَا إِلَى جَهَةِ وَجْهِ حَيْمَةِ الْاجْتِمَاعِ سَبْعَ مَرَّاتٍ. ٥ وَتُحَرَّقُ الْبَقَرَةُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ. يُحَرَّقُ جِلْدُهَا وَلَحْمُهَا وَدَمُهَا مَعَ فَرْثِهَا. ٦ وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ خَشَبَ أَرْزٍ وَزَوْفًا وَقِرْمَزًا وَيَطْرَحُهُنَّ فِي وَسْطِ حَرِيقِ الْبَقَرَةِ، ٧ ثُمَّ يَغْسِلُ الْكَاهِنُ ثِيَابَهُ

وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَدْخُلُ الْمَحَلَّةَ. وَيَكُونُ الْكَاهِنُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٨ وَالَّذِي أَحْرَقَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ بِمَاءٍ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٩ وَيَجْمَعُ رَجُلٌ طَاهِرٌ رَمَادَ الْبَقَرَةِ وَيَضَعُهُ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ فِي مَكَانٍ طَاهِرٍ، فَتَكُونُ لِلْجَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي حِفْظٍ، مَاءَ نَجَاسَةٍ. إِنَّهَا ذَبِيحَةُ خَطِيئَةٍ. ١٠ وَالَّذِي جَمَعَ رَمَادَ الْبَقَرَةِ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ^(١).

وفقاً لمعهد الهيكل The Temple Institute، وهي المنظمة المخصصة للتحضير لبناء الهيكل الثالث في القدس، فإن مياه التطهير هذه ضرورية لتطهير منطقة جبل الهيكل، والأواني المقدسة، والكهنة اللاويين بالكامل، وذلك قبل دخولهم ساحات الهيكل.

وقد حدّد معهد الهيكل -في وقت سابق- بقرتين كمرشحتين لتكون إحداها الذبيحة الخاصة بإعادة بناء الهيكل. وتم اختيار الأولى في سنة ١٩٩٧م، والأخرى في سنة ٢٠٠٢م، إلا أنه تبين لاحقاً -في كل مرة على حدة- أن البقرة المختارة لا تجمع الصفات المطلوبة وفق ما جاء تفصيله في التوراة والتلمود.

ولذا عمد مربّو الماشية من أتباع المسيحية الصهيونية في تكساس الأمريكية للقيام بإنتاج بقرة حمراء -عبر الاصطفاء الجيني- بحيث تجمع الصفات المطلوبة، ومن ثمّ يتمّ نقلها إلى (فلسطين المحتلة).

ومع ذلك، لا تزال الجهود المبذولة لإنتاج هذه البقرة مستمرة، وفي البين بعض الأفاويل بأنهم نجحوا فعلاً في توليد هذه البقرة النادرة، ولذا فإن مشروع إعادة بناء الهيكل الثالث سيبدأ قريباً. [انظر اللوحتين ٨٩-٩٠]

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ١٩، ٤-١٠.



اللوحه رقم ٨٩ : بقرة حمراء من سلالة أنجوس يتم تصديرها إلى الكيان الصهيوني كمصدر للبقرة (العجلة) الحمراء

وقد أثير في سنة ٢٠٢٤م، وفي أجواء أحداث (طوفان الأقصى) والحرب الصهيونية على غزة، أنّ القائمين على هذا المشروع قد نقلوا -فعلاً- هذه البقرة المولدة بالانتقاء الجيني إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة، وأنهم سيدمجونها قبل عيد الفصح اليهودي، وهو ما أثار مخاوف من بدء المشروع الصهيوني لهدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة، إلا أن شيئاً من ذلك لم يقع، وهناك تشكيكات في كون البقرة المولدة (حمراء) بالتمام وليس فيها أية شعرة من لون آخر.

والحقيقة أنّ مثل هذا المخلوق المثالي بعيد المنال لدرجة أنّ حرقه الاحتفالي نادراً ما حدث في كل تاريخ اليهود، إذ تشير المشناه إلى أنه لم يتم التضحية إلا بتسع بقرات



اللوحة رقم ٩٠ : يهودي في تكساس يفحص عجلة معدلة جينياً للتأكد من انطباق الشروط والموصفات عليها وإعدادها قبل بناء الهيكل

حمراء فقط، ابتداء من عهد النبي موسى عندما كان بيت العبادة (المسكن) في التيه، إلى عهد تدمير الهيكل الثاني في عام ٧٠ م.

وكان الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون يعتقد أن البقرة الحمراء العاشرة لن يتم العثور عليها والتضحية بها إلا عندما يكون المسيح مستعداً للظهور. وهذا أحد الأسباب التي تجعل العديد من اليهود والمسيحيين ينتظرون بفارغ الصبر اكتشاف تلك البقرة الحمراء الكاملة الخالية من العيوب بما يسمح للبدء بإعادة الهيكل الثالث وتدشين الخدمة فيه^(١).

1. <https://www.messianicbible.com/feature/the-red-heifer-and-the-third-temple-in-end-time-prophecy>

• البقرة الصفراء في التفاسير:

تناولت كتب تفسير القرآن والأحاديث والتاريخ الإسلامية قصة البقرة الصفراء ضمن سيناريوهات متقاربة، وتدور حول فتى بارٍ يمتلك بقرة صفراء، وبيعها على أهل المقتول يكون لنفسه ثروة كبيرة. ولعل هذه المرويات تعود في نهاية المطاف إلى ما حكاه وهب بن منبه -وهو راوي النموذج الثالث الآتي- وأخذ عنه، وروي بعد ذلك على لسان فلان وفلان. وهذه نماذج منها:

(١) تفسير القمي بالسند عن ابن أبي عمير، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله -الإمام جعفر الصادق- «عليه السلام» قال: (إن رجلاً من خيار بني إسرائيل وعلمائهم خطب امرأة منهم، فأنعمت له^(١)، وخطبها ابن عم لذلك الرجل، وكان فاسقاً رديئاً، فلم ينعموا له، فحسد ابن عمه الذي أنعموا له، فقعد له فقتله غيلة، ثم حمله إلى موسى «عليه السلام»، فقال: يا نبي الله، هذا ابن عمي فقد قُتل، فقال موسى «عليه السلام»: مَنْ قتلته؟ قال: لا أدري، وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً جداً، فعُظم ذلك على موسى، فاجتمع إليه بنو إسرائيل فقالوا: ما ترى يا نبي الله؟ وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة، وكان له ابنٌ بار، وكان عند ابنه سلعة، فجاء قوم يطلبون سلعته، وكان مفتاح بيته تحت رأس أبيه، وكان نائماً، وكره ابنه أن ينبّهه وينغص عليه نومه فانصرف القوم فلم يشتروا سلعته، فلما انتبه أبوه قال له: يا بني، ماذا صنعت في سلعتك؟ قال: هي قائمة لم أبيعها، لأن المفتاح كان تحت رأسك فكرهت أن أنبّهك وأنغص عليك نومك^(٢)، قال له أبوه: قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عما فاتك من ربح سلعتك، وشكر الله لابنه

١. أي وافقت.

٢. مر معنا أثناء شرح الآيات رواية عن الإمام علي الرضا تدل على مثل هذا.

ما فعل بأبيه، وأمر موسى بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها، فلما اجتمعوا إلى موسى وبكوا وضجّوا...) ثم تحكي الرواية كيف أنهم ماطلوا إلى أن استقرّ بهم الأمر أن يذبحوا البقرة الصفراء ذات المواصفات الخاصة، وأنها (بقرة فلان، فذهبوا ليشتروها فقال: لا أبيعها إلا بملء جلدها ذهباً، فرجعوا إلى موسى «عليه السلام» فأخبروه، فقال لهم موسى: لا بدّ لكم من ذبحها بعينها، فاشتروها بملء جلدها ذهباً فذبحوها، ثم قالوا: يا نبي الله ما تأمرنا؟ فأوحى الله «تبارك وتعالى» إليه قل لهم: اضربوه ببعضها وقولوا: مَنْ قتلك؟ فأخذوا الدّنب فضربوه به وقالوا: مَنْ قتلك يا فلان؟ فقال: فلان ابن فلان ابن عمي الذي جاء به»^(١).

٢) قصص الأنبياء للراوندي بإسناده عن عكرمة، عن ابن عباس «رضي الله عنه» قال: (كان في مدينة اثنا عشر سبطاً أمة أبرار، وكان فيهم شيخ له ابنة وله ابن أخ خطبها إليه، فأبى أن يزوّجها فزوّجها من غير. فقعد له في الطريق إلى المسجد فقتله وطرحه على طريق أفضل سبط لهم، ثم غدا يخاصمهم فيه، فانتهاوا إلى موسى «صلوات الله عليه» فأخبروه، فأمرهم أن يذبحوا بقرة...) وتستمر الرواية في وصف حالة اللجاج والمماطلة عند بني إسرائيل إلى أن قال: (فرجعوا إلى موسى وقالوا: لم نجد هذا النعت إلا عند غلام من بني إسرائيل، وقد أبى أن يبيعها إلا بملء مسكها)^(٢) دنانير، قال: فاشتروها، فابتاعوها فدُبحَت، قال: فأخذ جذوة من لحمها فضربه فجلس، فقال موسى: مَنْ قتلك؟ فقال: قتلي ابن أخي الذي يخاصم في قتلي، قال: فقتل. فقالوا: يا رسول الله إن لهذه البقرة لنبأ، فقال «صلوات الله عليه»: وما هو؟ قالوا: إنها كانت لشيخ من بني

١. القمي: تفسير القرآن، ص ٤١-٤٢.

٢. مسكها: جلدها.

إسرائيل وله ابن بار به، فاشترى الابن بيعاً، فجاء لينقدهم الثمن فوجد أباه نائماً، فكره أن يوقظه والمفتاح تحت رأسه، فأخذ القوم متاعهم فانطلقوا، فلما استيقظ قال له: يا أبت، إني اشتريت بيعاً كان لي فيه من الفضل كذا وكذا. وإني جئت لأنقدهم الثمن فوجدتك نائماً، وإذا المفتاح تحت رأسك، فكرهت أن أوقظك، وإن القوم أخذوا متاعهم ورجعوا، فقال الشيخ: أحسنت يا بني، فهذه البقرة لك بما صنعت، وكانت بقية كانت لهم، فقال رسول الله «عليه السلام»: انظروا ماذا صنع به البر^(١).

(٣) وقد جاء عن وهب بن منبه في هذا الباب ما يشبه هذه الروايات مع تفاصيل أخرى عديدة، ونقله عنه الثعلبي وغيره في تفاسيرهم، قال الثعلبي: (قال ابن عباس ووهب وغيرهما: كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل، وكان له عجل، فأتى بالعجل الى غيضة، وقال: اللَّهُمَّ إِنِّي استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر. ومات الرجل فُسببت العجلة في الغيضة، وصارت عواناً، وكانت تهرب من كل من رامها. فلما كبر الابن كان باراً بوالده وكان الليلة يقسم ثلاثة أثلاث: يصلي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً، فإذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي والدته ثلثاً، وقالت له أمه يوماً: إن أباك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا واستودعها الله «عز وجل»، فانطلق إليها فادعُ إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق بأن يردها عليك، وإن من علامتها إنك إذا نظرت إليها يخيل إليك إن شعاع الشمس يخرج من جدها، وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها وصفاء لونها).

فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى وقال: أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق

١. الراوندي: قصص الأنبياء، ج ١، ص ١٦٢.

ويعقوب. فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبضَ على عنقها وقادها، فتكلمت البقرة بإذن الله وقالت: أيها الفتى البارِّ بوالدته، اركبني، فإنَّ ذلك أهون عليك.

فقال الفتى، إنَّ أُمِّي لم تأمرني بذلك، ولكن قالت: خذها بعنقها.

فقالت البقرة: ياله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر عليَّ أبداً، فانطلق فإنَّك لو أمرتَ الجبلَ أن ينقلَ من أصله وينطلق معك لفعل، لبرَّك بوالدتك.

وسار الفتى فاستقبله عدوُّ الله إبليس في صورة راجٍ فقال: أيها الفتى إنِّي رجلٌ من رعاة البقر، اشتقت إلى أهلي، فأخذت ثوراً من ثيراني، فحملت عليه زادي ومتاعي حتى إذا بلغت شَطْرَ الطريق ذهبْتُ لأقضي حاجتي فعدا وسط الجبل، وما قدرت عليه، وإنِّي أخشى على نفسي الهلاك، فإن رأيت أن تحملني على بقرتك وتنجني من الموت وأعطيك أجرها بقرتين مثل بقرتك.

فلم يفعل الفتى وقال: اذهب فتوكِّل على الله، فلو علم الله منك اليقين بلَّغك بلا زاد ولا راحلة.

فقال إبليس: فإن شئت فبعنيها بحُكمك، وإن شئت فاحملني عليها وأعطيك عشرة مثلها فقال الفتى: إنَّ أُمِّي لم تأمرني بهذا.

فبينما الفتى كذلك، إذ طار طائر من بين يدي البقرة، ونفرت البقرة هاربة في الفلاة، وغاب الرَّاعي، فدعاها الفتى باسم إله إبراهيم، فرجعت إليه البقرة، فقالت: أيها الفتى البارِّ بوالدته، أ لم تر إلى الطائر الذي طار؟ إنَّه إبليس عدوُّ الله، اختلسني. أمَّا إنَّه لو ركبني لما قدرت عليَّ أبداً. فلما دعوت إله إبراهيم، جاء ملكٌ فانتزعني من يد إبليس وردَّني إليك، لبرَّك بوالدتك وطاعتك لها.

فجاء بها الفتى إلى أمّه، فقالت له: إنّك فقير لا مال لك ويشقّ عليك الاحتطاب بالتهار والقيام بالليل، فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها. قال بكم أبيعها؟ قالت: بثلاثة دنانير، ولا تبعها بغير رضاي ومشورتي. وكانت ثمن البقرة في ذلك الوقت.

فانطلق بها الفتى إلى السوق، فبعث الله ملكاً إنساناً خلقه بقدرته^(١) ليُخبر الفتى كيف برّه بوالدته، وكان الله به خبيراً، فقال له الملك: بكم تباع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير. واشترط عليك رضا والدتي.

فقال الملك: ستّة دنانير ولا تستأمر أمك.

فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضا أمي، فردّها إلى أمّه وأخبرها بالثمن فقالت: ارجع فبعها ستّة على رضاي.

فانطلق الفتى بالبقرة إلى السوق وأتى الملك وقال: استأمرت والدتك؟

فقال الفتى: إنّها أمرتني أن لا أنقصها من ستة على أن أستأمرها.

قال الملك: فإنني أعطيك اثني عشر على أن لا تستأمرها.

فأتى الفتى ورجع إلى أمّه وأخبرها بذلك قالت: إنّ ذلك الرجل الذي يأتيك ويعطيك هو ملك من الملائكة، يأتيك في صورة آدمي ليجرّبك، فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟

ففعل ذلك، فقال له الملك: اذهب إلى أمك وقل لها بكم هذه البقرة؟ فإنّ موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيلٍ يُقتل من بني إسرائيل، فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير.

١. أي من غير أب ولا أم.

فأمسكوا البقرة، وقدّر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها وأمرهم بها، فقالوا يستوصفون ويصف لهم حتّى وصف تلك البقرة بعينها موافاة له على برّه بوالدته فضلاً منه ورحمة^(١).

إن هذه الأسطورة، وما جاء أيضاً في التفسير المنسوب للإمام العسكري، وهي رواية طويلة جداً تُعرض عن ذكرها لما فيها من تفاصيل كثيرة وغريبة تبتعد بشكل كبير عن أسلوب الأئمة في البيان، لتقترب من أسلوب قصص ألف ليلة وليلة، وتصلح أن تكون حكاية من تلك التي تُلقى على الأطفال ليلاً قبل النوم، لا أن يؤتى بها في معرض تفسير القرآن الكريم وتأويله كما فعل الثعلبي وأمثاله من قدماء المفسرين، فكتاب الله «عزّ وجل» أعلى شأنًا من أن تخالطها أساطيرهم الواهية. وليس ببعيد أن تكون قصة وهب بن منبه هي الأصل في ما روي بعد ذلك أو حُكي على لسان ابن عباس أو بعض الأئمة «عليهم السلام»، والله أعلم.

• نتائج الفصل و خلاصته:

○ ظاهر القرآن أن الأمر بذبح البقرة لم يأت كتشريع عام، بل هو في إطار العمل على حلّ جريمة قتل غامضة والكشف عن مرتكبها، إذ كانت الأطراف المشتبه بها تدفع التهمة عن نفسها.

○ بعد الانتهاء من عرض قصّة قورح، وعرض بعض التشريعات، تعرّضت التوراة لبيان أحكام تخصّ ذبح بقرة ذات مواصفات خاصة، لتكون كفّارة عند ارتكاب خطيئة، ووجدنا تشابهاً كبيراً بين مواصفات البقرة في القرآن والتوراة، من حيث

١. الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ١، ص ٢١٥-٢١٦..

مدخلية اللون، وخلوّها من العيوب، وأنها لم تُسَخَّر في أعمال الحقول بلحاظ سنّها غير المناسب لذلك. ويبقى تحديد اللون هو العنصر الأوضح في الاختلاف بين السرديتين، فالتوراة تتحدث عن بقرة حمراء، والقرآن عن بقرة صفراء.

○ في البين عدّة أدلة على أن الله قد أمر بذبح بقرة صفراء - كما في القرآن الكريم - وليس حمراء كما في التوراة الحاضرة.

○ ذُكرت أحكام ذبيحة البقرة هذه في المشناه من التلمود في نهاية كتاب الطهارة. وفيه اثنا عشر فصلاً خاصاً بالتشريعات المتعلقة بهذه الذبيحة فحسب.

○ اختلف المفسرون والباحثون في تأويل الأمر بضرب الميت ببعض البقرة، كما اختلفت المرويات في هذا الباب، فمنهم من أخذ بالمعنى الظاهر ومنهم من اعتبر أن الآية تتحدث بلغة المجاز، وأنها لا تختلف - من حيث التكليف - عمّا جاء في التوراة من تشريعات تخص التعامل مع الذبيحة لتطهير المذنبين.

○ يعتقد اليهود بأن إعادة بناء الهيكل الثالث في القدس يحتاج في البدء إلى الحصول على بقرة حمراء كما جاء وصفها في التوراة، وذبحها وحرقتها وخلط رمادها بالماء، ومن ثم تطهير كل العاملين على إعادة بناء الهيكل بهذا الماء ضمن مراسيم وطقوس محددة. وسرت بعض الأقاويل بنجاح إحدى المؤسسات على تخليق هذه البقرة بالتعديل الجيني، وأن موعد التضحية بها بات قريباً، وهو ما أثار مخاوف من بدء المشروع الصهيوني لهدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

أحداث متفرقة

أحداث متفرقة

• موضوعات هذا الفصل:

- وفاة مريم بنت عمران أخت النبيين موسى وهارون، في برية صين.
- فقدان الماء، وحديث التوراة الحاضرة عن وقوع النبي موسى في إشكالية عدم تنفيذ الأمر الإلهي للخلاص من هذه المعضلة، مما أدى إلى غضبه «سبحانه» عليه وعلى أخيه هارون، والحكم عليهما بعدم دخول الأرض المباركة إلى حين وفاتهما.
- فشل النبي موسى في إقناع ملك الأدوميين بالعبور من أراضيه باتجاه شمال الأردن، والاضطرار إلى البحث عن طرق بديلة.
- وفاة النبي هارون في اليوم الأول من الشهر الخامس في السنة الأربعين من التيه، واتهام بني إسرائيل النبي موسى بقتله!
- العراديون يغزون بني إسرائيل، فيردّون لهم الصاع صاعين.

○ ما قصّة الراية والحية النحاسية المسماة (نخشان)؟

○ حروب بني إسرائيل في أنحاء من الأردن، والملك بالاق بن صفور يلجأ إلى بلعام ابن بعور ليخلصه منهم.

• وفاة مريم:

بعدما تعرّض سفر العدد من التوراة لقضية ذبح البقرة، والتشريعات الخاصة بذلك، أشار إلى وفاة مريم، أخت موسى وهارون، وذلك بعد الانتقال من برية فاران، والاستقرار إلى الشمال منها في برية صين التي تعتبر المدخل الجنوبي لأرض فلسطين كما ذكرنا من قبل: (١) وَأَتَى بَنُو إِسْرَائِيلَ، الْجُمَاعَةُ كُلُّهَا، إِلَى بَرِّيَّةِ صِينَ فِي الشَّهْرِ الْأَوَّلِ. وَأَقَامَ الشَّعْبُ فِي قَادَشَ. وَمَاتَتْ هُنَاكَ مَرْيَمُ وَدُفِنَتْ هُنَاكَ^(١).

وإذا كان النص السابق قد حدّد البعد الجغرافي للحدث، إلا أن شراح التوراة اختلفوا في تحديد السنة التي توفيت فيها مريم، حيث أن التوراة كانت تستعرض أحداث السنة الثانية من بعد عبور البحر، ثم تحدثت عن قضية قورح والبقرة دون تحديد زمني لهما، ثم بدأ هذا الإصحاح بالحديث عن وفاة مريم في الشهر الأول، ولم يتم بيان السنة، لذا استظهر البعض أن وفاة مريم كانت في الشهر الأول من السنة الثالثة، استصحاباً لكون أحداث قورح والبقرة قد وقعت في السنة الثانية من الخروج.

وحيث أن التوراة -بعد ذلك- ستنتقل إلى عرض أحداث السنة الأربعين للخروج، لذا استظهر آخرون أنّ وفاتها كانت في الشهر الأول من السنة الأربعين.

وبرأيي أن أحداث قصة قورح والبقرة لم تكن في السنة الثانية، حيث أن استقرار

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢٠، ١.

بني إسرائيل وقورح في منطقة من الصحراء بحيث يتم فيها بناء داره وتراكم ثروته الطائلة بذلك الحجم الموصوف، كل ذلك يحتاج إلى وقت، وهو ما وقع ضمن الـ ٣٨ سنة تقريباً بعد الحكم الإلهي على بني إسرائيل بعدم دخول الأرض المباركة. ولا بد أن قورح راكم تلك الثروة أكثر وأكثر من خلال التعاملات التجارية مع القبائل الموجودة في المنطقة، ومع بني إسرائيل أيضاً. ثم أعقب ذلك نزول التشريع بذبح البقرة ضمن تلك الفترة من التيه، حتى إذا حلت السنة الأخيرة -الأربعين- توفيت مريم في الشهر الأول منه، ثم ستعقب ذلك مجموعة من الأحداث التي سنذكرها تباعاً.

• تذرّ جديد:

واجه بنو إسرائيل خلال استقرارهم في برية صين مشكلة العثور على الماء، ولذا علا صوئهم تذرماً وشكوى من تجدد هذه المعاناة، وأبدوا اشتياقهم -مرة أخرى- إلى مصر وأنهارها وأشجارها وثمارها ونعيمها: (٢) وَلَمْ يَكُنْ مَاءٌ لِلْجَمَاعَةِ فَاجْتَمَعُوا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ. ٣ وَخَاصَمَ الشَّعْبُ مُوسَى وَكَلَّمُوهُ قَائِلِينَ: «لَيْتَنَا فِينَا فَنَاءَ إِخْوَتَنَا أَمَامَ الرَّبِّ. ٤ لِمَاذَا أَتَيْتُمَا بِجَمَاعَةِ الرَّبِّ إِلَى هَذِهِ الْبَرِّيَةِ لِكَيْ نَمُوتَ فِيهَا نَحْنُ وَمَوَاشِينَا؟ ٥ وَلِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِنَأْتِيَا بِنَا إِلَى هَذَا الْمَكَانِ الرَّدِيِّ؟ لَيْسَ هُوَ مَكَانَ زَرْعٍ وَتِينٍ وَكَرْمٍ وَرُمَّانٍ، وَلَا فِيهِ مَاءٌ لِلشُّرْبِ!»^(١).

لجأ النبيان موسى وهارون -كعادتهما- إلى الله «تعالى»، وذهبا إلى خيمة الاجتماع وسجدا له تذلاً وخضوعاً، طالبين منه الفرج، وأن لا يؤاخذ قومهما، فإنهم جاهلون. بحسب التوراة، أمر الله «تبارك وتعالى» نبيه موسى أن يأخذ عصاه ويتجه نحو صخرة، ربما كانت عالية بمقدار معتدّ به، ولها شكل مميز، وأن يصطحب معه كل بني

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢٠، ٢-٥.

إسرائيل، ويتكلم مع الصخرة، وعندها سينبع الماء منها لتسقي القوم. (٩) فَأَخَذَ مُوسَى الْعَصَا مِنْ أَمَامِ الرَّبِّ كَمَا أَمَرَهُ، ١٠ وَجَمَعَ مُوسَى وَهَارُونُ الْجُمْهُورَ أَمَامَ الصَّخْرَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: «اسْمَعُوا أَيُّهَا الْمَرَدَّةُ، أَمِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ تُخْرِجُ لَكُمْ مَاءً؟»^(١) لقد انطلقت هذه الكلمات الغاضبة من موسى «عليه السلام» تعبيراً عن انزعاجه الشديد من جزع قومه وتكرارهم التذمر واضطراره في كل مرة للتشفع عند الله كي لا يعاقبهم على تمردهم هذا، ولكن -في لحظة غضب- وبدلاً من أن يكلم موسى الصخرة، ضربها بعصاه مرتين مخالفاً بذلك أمر الله: (١١) وَرَفَعَ مُوسَى يَدَهُ وَضَرَبَ الصَّخْرَةَ بِعَصَاهُ مَرَّتَيْنِ، فَخَرَجَ مَاءٌ غَزِيرٌ، فَشَرِبَتِ الْجَمَاعَةُ وَمَوَاشِيهَا^(٢).

وتدعي القصة التوراتية أن الله غضب من موسى وهارون بسبب ذلك، وأن هذا التصرف منهما أضاع الفائدة المرجوة من نبع الماء، إذ كان من المفترض ببني إسرائيل أن يشهدوا معجزة جديدة يسبّحون الله من خلالها، بينما معجزة العصا صارت مكررة ولن تكون ذات أثر روحي كبير، ولذا كان عقاب الله لموسى وهارون -بحسب هذه القصة- شديداً وحاسماً... لقد حكم عليهما بالحرمان الأبدي من دخول الأرض التي طال الاشتياق إليها: (١٢) فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: «مِنْ أَجْلِ أَنْتُمَا لَمْ تُؤْمِنَا بِي حَتَّى تُقَدِّسَانِي أَمَامَ أَعْيُنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِذَلِكَ لَا تُدْخِلَانِ هَذِهِ الْجَمَاعَةَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»^(٣).

وحيث لا يتوافق هذا مع إيماننا كمسلمين بمقام هذين النبيين الكريمين، لذا كان

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢٠، ٩-١٠.

٢. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢٠، ١١.

٣. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢٠، ١٢.

من المحتمل أنَّ القصة برُمَّتْها مخلّقة، أو دخلها شيءٌ من التحريف.

وقد ناقش بعض المعاصرين بشأن الصخرة المشار إليها في هذه القصة، إن كانت هي الصخرة ذات الشكل الغريب والموجودة في جبل اللوز شمال الجزيرة العربية على بعد ٢٠٠ كم غرب مدينة تبوك. كما طرح آخرون احتمال أن تكون هي الصخرة التي نبتت منها العيون الاثنتي عشرة في السنة الأولى من الخروج. [انظر اللوحة ٩١]

إلا أن الأدلة المقدّمة لإثبات هذين الاحتمالين غير كافية، والآثار العديدة الموجودة في المنطقة -والتي تحتوي على رسومات لأبقار وحيوانات أخرى- لا علاقة بها بتاريخ بني إسرائيل، بل تعود إلى ما يقرب من عشرة آلاف سنة.

وعلى أية حال، تقول التوراة أن الوحي أعلن أن الأمر كان ابتلاءً إلهياً، فشل فيه بنو إسرائيل من خلال تذرهم وشكواهم وشكّهم في عناية الله بهم، وفشل فيه موسى وهارون من خلال تضییع المعجزة الجديدة، إلا أن الله أظهر آيات قدرته وعظمته وقوته ورحمته ورأفته عندما أخرج الماء من الصخرة وسقى كل القوم: (١٣ هذا ماء مَرِيبة) ابتلاء وتجربة واختبار (حَيْثُ خَاصَمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الرَّبَّ، فَتَقَدَّسَ فِيهِمْ)^(١).

• مراسلة ملك أدوم:

في قadesh برنيع الواقعة شمال برية فاران، وجنوب برية صين، راسل النبي موسى ملك أدوم في محاولة منه للسماح لقومه بالمرور عبر أراضي مملكته^(٢) باتجاه شمال الأردن. وتدلّ بعض القرائن على أنَّ ذلك كان في الأشهر الأولى من السنة الأربعين لخروج بني إسرائيل من مصر.

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢٠، ١٣.

٢. كانت مملكة أدوم في نواحي من جنوب الأردن وفلسطين.



اللوحه رقم ٩١ : الصخرة الموجودة في جبل اللوز

وبحسب التوراة، يُنسب الأدوميّون إلى جدّهم (عيسو/عيسو) أخي النبي يعقوب جدّ بني إسرائيل. ولذا فالطرفان يلتقيان في جدّ واحد هو النبي إسحاق.

من هنا، خاطب النبي موسى ملك الأدوميين بعبارة تدلّ على وجود صلة القرابة هذه من خلال استعمال كلمة (أخ)، ومن الواضح أنها محاولة للتأثير على هذا الملك لئلا يرفض الطلب احتراماً وتقديراً لهذه الصلة مهما كانت بعيدة، ومشقّة ذلك بذكر معاناة قومه بعد أن هاجر يعقوب وذريته إلى مصر وإلى هذا اليوم، ولمجموعة الضمانات التي سيقدمها موسى بعدم التعدي على الممتلكات، وعدم الإضرار بها: (١٤) وَأَرْسَلَ مُوسَى رُسُلًا مِنْ قَادَشَ إِلَى مَلِكِ أَدُومَ: «هَكَذَا يَقُولُ أَخُوكَ إِسْرَائِيلُ: قَدْ عَرَفْتُ كُلَّ الْمَشَقَّةِ الَّتِي أَصَابْتَنَا. ١٥ إِنَّ آبَاءَنَا انْحَدَرُوا إِلَى مِصْرَ، وَأَقَمْنَا فِي مِصْرَ أَيَّامًا

كثيرةً وأساءَ المِصْرِيُّونَ إِلَيْنَا وَإِلَى آبَائِنَا، ١٦ فَصَرَخْنَا إِلَى الرَّبِّ فَسَمِعَ صَوْتَنَا، وَأَرْسَلَ مَلَكَاً وَأَخْرَجَنَا مِنْ مِصْرَ. وَهَذَا نَحْنُ فِي قَادَشَ، مَدِينَةٍ فِي طَرْفِ ثُحُومِكَ. ١٧ دَعْنَا نَمُرَّ فِي أَرْضِكَ. لَا نَمُرُّ فِي حَقْلٍ وَلَا فِي كَرْمٍ، وَلَا نَشْرَبُ مَاءَ بئرٍ. فِي طَرِيقِ الْمَلِكِ نَمْشِي، لَا نَمِيلُ يَمِينًا وَلَا يَسَارًا حَتَّى نَتَجَاوَزَ ثُحُومَكَ»^(١). إنها مجرد مسألة عبور لا أكثر.. لا نية للاستقرار في مملكتك، ولا محاولة اعتداء عليها، ولا رغبة في التعدي أو استغلال شيء من خيراتها. إلا أن ملك أدوم رفض الاقتراح رفضاً تاماً، كما رفض مقترحاً بديلاً بدفع قيمة الماء إذا شربوا وشربت أنعامهم منه، وهدد النبي موسى بالحرب إن اجتاز دياره عنوة، ثم خرج بجمع غفير من شعبه مسلحين ووقفوا في وجه بني إسرائيل للحد من احتمال اجتياز الأرض: (١٨) فَقَالَ لَهُ أَدُومُ: «لَا تَمُرُّ بِي لِئَلَّا أَخْرُجَ لِلِقَائِكَ بِالسَّيْفِ». ١٩ فَقَالَ لَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ: «فِي السَّكَّةِ نَصْعَدُ، وَإِذَا شَرِبْنَا أَنَا وَمَوَاشِي مِن مَائِكَ أَدْفَعُ ثَمَنَهُ. لَا شَيْءَ. أَمُرُّ بِرَجُلِي فَقَطْ». ٢٠ فَقَالَ: «لَا تَمُرُّ». وَخَرَجَ أَدُومُ لِلِقَائِهِ بِشَعْبٍ غَفِيرٍ وَبِيَدٍ شَدِيدَةٍ^(٢).

ومع تطوّر الموقف العدائي، قرّر النبي موسى تغيير مسار حركته، واتجه إلى جبل يُعرف باسم (هور): (٢١) وَأَبَى أَدُومُ أَنْ يَسْمَحَ لِإِسْرَائِيلَ بِالْمُرُورِ فِي ثُحُومِهِ، فَتَحَوَّلَ إِسْرَائِيلُ عَنْهُ. ٢٢ فَأَرْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا، مِنْ قَادَشَ وَأَتَوْا إِلَى جَبَلِ هُورِ^(٣).

• وفاة النبي هارون:

مع استقرار بني إسرائيل عند جبل هور، وفي اليوم الأول من الشهر الخامس من

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢٠، ١٤-١٧.

٢. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢٠، ١٨-٢٠.

٣. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢٠، ٢١-٢٢.

السنة الأربعين، أمر الله كليمه موسى بالصعود على هذا الجبل، بمرافقة هارون وابنه أليعازار، لكي تتم مراسيم تحويل رئاسة الخدمة الكهنوتية لبيت العبادة المقدس من الأب إلى ابنه، فقد حانت ساعة وفاة الأخ الكبير: (٢٥) خُذْ هَارُونَ وَأَلْعَازَارَ ابْنَهُ وَاصْعِدْ بِهِمَا إِلَى جَبَلِ هُورٍ، ٢٦ وَاخْلَعْ عَنْ هَارُونَ ثِيَابَهُ، وَأَلْبَسْ أَلْعَازَارَ ابْنَهُ إِيَّاهَا. فَيُضْمُّ هَارُونَ وَيَمُوتُ هُنَاكَ»^(١).

فُجِعَ القوم بوفاة النبي هارون، وحزنوا لذلك حزناً شديداً: (٢٨) فَمَاتَ هَارُونَ هُنَاكَ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ، ثُمَّ انْحَدَرَ مُوسَى وَأَلْعَازَارُ عَنِ الْجَبَلِ. ٢٩ فَلَمَّا رَأَى كُلُّ الْجَمَاعَةِ أَنَّ هَارُونَ قَدْ مَاتَ، بَكَى جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى هَارُونَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا^(٢).

اختُلف في تحديد موقع هذا الجبل، ومرقد النبي هارون بالتبع:

(١) فقييل: هو الجبل المعروف باسم جبل (مديرة) الواقع شمال شرق قادش برنيع داخل الأراضي الفلسطينية.

(٢) وقيل: هو جبل هارون الواقع جنوب الأردن، وفيه مقام وقبر منسوب للنبي هارون «عليه السلام»، أقيم في العصر المملوكي على أنقاض كنيسة، والمكان عبارة عن غرفة تعلوها قبة بيضاء، وفي الخارج ساحة صغيرة، وقد كُتب على أعلى باب المقام تاريخ تجديده سنة ٧٠٩ هجري. المقام مقدس منذ أن سكن الأنباط البتراء قبل ميلاد المسيح بقرون، كما كان يقصده اليهود بالزيارة، ووُجدت بعض الصوامع المسيحية بالقرب منه.

ويمكن التشكيك في صحة نسبة هذا القبر لهارون إذا لاحظنا الموقع من الناحية

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢٥، ٢٦-٢٥.

٢. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢٠، ٢٨-٢٩.

الجغرافية وقارنائه بالنص التوراتي لوصف تسلسل الأحداث -على فرض صحّة ودقّة الرواية التوراتية- إذ أن النبي موسى كان في قادش حين راسل ملك أدوم، وقد تحرّك الملك بجنوده إلى حيث يتواجد بنو إسرائيل لتخويفهم ومنعهم من التقدم نحو مملكته، فكيف يتصوّر أن القوم تحرّكوا باتجاه تلك المملكة واستقروا حيث الجبل الذي يضم ما يُعرّف باسم مقام النبي هارون، لاسيما وأنهم سيغزون من قبل ملك مملكة عراد -كما سيأتي معنا- وهي تقع جنوب بئر السبع؟ [انظر اللوحتين ٩٢-٩٣]

لم يتحدث القرآن عن وفاة النبي هارون، ولكن طُرِح هذا الأمر في التراث الروائي للمسلمين، ومن ذلك ما في قصص الأنبياء للراوندي عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: (قال موسى «عليه السلام» لهارون «عليه السلام»: امض بنا إلى جبل طور سيناء، ثم خرجا فإذا بيتٌ على بابه شجرة عليها ثوبان، فقال موسى لهارون: اطرح ثيابك وادخل هذا البيت والبس هاتين الحلتين ونم على السرير، ففعل هارون، فلما أن نام على السرير قبضه الله إليه، وارتفع البيت والشجرة، ورجع موسى إلى بني إسرائيل فأعلمهم أن الله قبض هارون ورفعته إليه، فقالوا: كذبت أنت قتلته، فشكا موسى «عليه السلام» ذلك إلى ربه، فأمر الله «تعالى» الملائكة أننزله على سرير بين السماء والأرض حتى رآته بنو إسرائيل فعلموا أنه مات^(١).

وفي تاريخ الطبري عن عبد الله بن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» أن: (الله «تبارك تعالى» أوحى إلى موسى: إني متوف هارون، فائت به جبل كذا وكذا، فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل، فإذا هما بشجرة لم يُر مثلها، وإذا هما ببيت مبني، وإذا هما فيه بسرير عليه فرش، وإذا فيه ريح طيبة،

١. الراوندي: قصص الأنبياء، ج ١، ص ١٧٨.



اللوحة رقم ٩٢ : موقع جبل هارون وعراد وقادش ومملكة أدوم



اللوحة رقم ٩٣ : مقام هارون جنوب الأردن

فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه، فقال: يا موسى، لأحب أن أنام على هذا السرير، فقال له موسى: فتم عليه، قال: إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب عليّ، قال له موسى: لا ترهب، أنا أكفيك رب هذا البيت، فتم. قال: يا موسى، بل نم معي، فإن جاء رب البيت غضب عليّ وعليك جميعاً. فلما ناما، أخذ هارون الموت، فلما وجد حسّه^(١) قال: يا موسى خدعتني! فلما قُبض رُفِع ذلك البيت، وذهبت تلك الشجرة، ورُفِع السرير إلى السماء، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون قالوا إن موسى قتل هارون وحسده لحبّ بني إسرائيل له، وكان هارون أكفّ عنهم وألين لهم من موسى، وكان في موسى بعض الغلظ عليهم، فلما بلغه ذلك قال لهم: ويحكم! كان أخي، أفتروني أقتله؟! فلما أكثروا عليه، قام فصلى ركعتين ثم دعا الله، فنزل بالسرير حتى نظروا إليه^(٢) بين السماء والأرض، فصدقوه^(٣). والروایتان ضعيفتان ومن أساطير القصاصين والوضّاعين لا أكثر.

• غزوة ملك عراد:

تقع مدينة عراد الكنعانية التاريخية في صحراء النقب على بُعد ٣٠ كم تقريباً إلى الشمال الشرقي من بئر السبع، وقد سُكنت منذ ٤٠٠٠ سنة قبل ميلاد المسيح.

وفي ظل تحركات بني إسرائيل في المنطقة، قام ملك عراد بغزوهم في ضربة خاطفة، ولعلها جاءت كإجراء وقائي غرضه تخويف بني إسرائيل وتحذيرهم من التقدّم باتجاه مملكته: (١) وَلَمَّا سَمِعَ الْكَنْعَانِيُّ مَلِكُ عَرَادَ السَّاكِنُ فِي الْجَنُوبِ أَنَّ إِسْرَائِيلَ جَاءَ فِي

١. أي أحسّ بالموت.

٢. أي نظروا إلى هارون وهو على السرير.

٣. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٣٠٣-٣٠٤.

طريق أثاريم، حارب إسرائيل وسبى منهم سبياً^(١)، فقرّر بنو إسرائيل الانتقام من هؤلاء القوم، ونذروا -بحسب التوراة- نذراً لله إن هم انتصروا على عدوّهم أن يدمّروا مدنهاهم بأجمعها: (٢) فنذر إسرائيل نذراً للربّ وقال: «إِنْ دَفَعْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ إِلَى يَدَي أُحَرِّمُ مَدَنَهُمْ». ٣ فَسَمِعَ الرَّبُّ لِقَوْلِ إِسْرَائِيلَ، وَدَفَعَ الْكَنْعَانِيِّينَ، فَحَرَّمُوهُمْ وَمُدُنَهُمْ. فَدَعِيَ اسْمُ الْمَكَانِ «حُرْمَة»^(٢).

• نَحْشَتَان... الحية النحاسية:

بعد انتهاء الحرب مع مملكة عراد، قرّر النبي موسى أن يتوجّه بقومه إلى شمال الأردن من خلال سلوك طريق طويلة التفافية عبر صحراء جنوب الأردن تجنباً للمرور بمملكة الأدوميين، وإن كان ذلك سيعرضهم إلى بعض المخاطر، وعلى رأسها فقدان الماء، وهو ما أثار تذمّر بني إسرائيل بشدة، وارتفعت أصواتهم بالشكوى مجدداً.

غضب الله «تعالى» على بني إسرائيل، فسلب عليهم الحيات السامة بأعداد ضخمة: (٦) فَأَرْسَلَ الرَّبُّ عَلَى الشَّعْبِ الْحَيَّاتِ الْمُحْرِقَةَ، فَلَدَغَتِ الشَّعْبَ، فَمَاتَ قَوْمٌ كَثِيرُونَ مِنْ إِسْرَائِيلَ^(٣)... وكالعادة، ندم القوم وراجعوا نبيهم موسى يسألونه الشفاعة عند ربّهم، فاستجاب لهم.

ولكن الغريب في الأمر أن آلية الشفاء من لدغات الحيات تمثّل في صنّع تمثال حيّة من النحاس، بحيث إذا نظر إليها المدعوغ، شفي ونجا من الموت: (٨) فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْنَعْ لَكَ حَيَّةً مُحْرِقَةً وَضَعْهَا عَلَى رَايَةٍ، فَكُلُّ مَنْ لُدِغَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا يَحْيَا». ٩ فَصَنَعَ

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢١، ١.

٢. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢١، ٢-٣.

٣. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢١، ٦.

مُوسَى حَيَّةً مِنْ نُحَاسٍ وَوَضَعَهَا عَلَى الرَّايَةِ، فَكَانَ مَتَى لَدَعَتْ حَيَّةً إِنْسَانًا وَنَظَرَ إِلَى حَيَّةِ
النُّحَاسِ يَحْيَا^(١). [انظر اللوحتين ٩٤-٩٥]

وبحسب بعض النصوص اليهودية، فقد احتفظ بنو إسرائيل بهذه الحية تخليداً
لدورها المشار إليه ولأنها باتت ترمز للبركة، ثم ما لبث أن تطوّر الأمر ليتحوّل التمثال
(المبارك) الذي صار يُعرَف باسم (نَحْشَتَان) إلى إله يُعبد ويُتَقَرَّب إليه، وهو ما دفع
بالمملك اليهودي (حَزَقِيَّا) (٦٨٧ ق.م) لتدمير هذا الصنم: (١) وَفِي السَّنَةِ
الثَّالِثَةِ لِهَوْشَعَ بْنِ أَيْلَةَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ مَلَكَ حَزَقِيَّا بْنُ أَحَازَ مَلِكِ يَهُوذَا... ٣ وَعَمِلَ
الْمُسْتَقِيمُ فِي عَيْنِي الرَّبِّ حَسَبَ كُلِّ مَا عَمِلَ دَاوُدُ أَبُوهُ. ٤ هُوَ أَزَالَ الْمُرْتَفَعَاتِ، وَكَسَرَ
الْتَّمَائِيلَ، وَقَطَعَ السَّوَارِي، وَسَحَقَ حَيَّةَ النُّحَاسِ الَّتِي عَمِلَهَا مُوسَى لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ
كَانُوا إِلَى تِلْكَ الْأَيَّامِ يُوقِدُونَ لَهَا وَدَعَوْهَا «نَحْشَتَان»^(٢).

إلا أن لبعض الباحثين المتأخرين آراء أخرى في المسألة، نعرضها كالآتي:

١. عبادة الحيات والشعابين كانت راسخة في بعض بلاد المنطقة ككل. ففي كنعان
في العصر البرونزي، اكتشف علماء الآثار ما يدلّ على جذور هذه العبادة في طبقات
العصر البرونزي في العديد من المدن قبل أن يؤسّس بنو إسرائيل دولتهم فيها. وعُثر
على ذلك أيضاً في معبد مردوخ ببابل من بلاد ما بين النهرين، حيث تم نصب أزواج
من الشعابين البرونزية بجانب كل مدخل للمعبد.

واحتمل البعض أن (نَحْشَتَان) يمثّل رمزاً للإله خاص بعلاج المصابين بلدغات
الشعابين. ويمكن أن نضيف إلى ذلك، ما جاء في أسطورة ملحمة جلجامش، حيث

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢١، ٨-٩.

٢. الكتاب المقدس، سفر الملوك الثاني، الإصحاح ١٨، ١-٤.



اللوحة رقم ٩٤ : تمثال في كاتدرائية بكرواتيا للنبي موسى والحية النحاسية



اللوحة رقم ٩٤ : (اليمن) الحية النحاسية على جبل نيبو في الأردن

أكلت الحية عشبة الحياة التي استخرجها الملك ليبقى شاباً خالداً، فصارت الحية -بدلاً عنه- (حية) لا تموت، فالحية -في تراث بلاد ما بين النهرين- إله أو رمز للدواء والشفاء من الأمراض، والبقاء على قيد الحياة، ثم انتشرت هذه الفكرة في حضارات عديدة.

وقد أشار إلى جانب من ذلك الآثاري آرثر فروثينجهام Arthur Frothingham (ت ١٩٢٣م) في بحث له، حيث اقترح أن الإله الشعبان اتخذ -في البدء- في بابل، ومنه اتخذت لاحقاً عصا الإله هرمس المعروفة باسم (القادوسوس Caduceus - القادوس - صَوْلْجَانْ هَرْمِس) والتي تُرسم عادة على شكل قضيب وقد التفت عليها حيتان مجدولتان. وهذا الصولجان من الرموز التي تدل على الخصب والازدهار وعلى قدرة الإله وطاقته القوية. وهناك روايات تذكر أن القادوس -بحسب التصورات الإغريقية- كانت لإله الطب (أسقليبيوس Asclepius) أو للإله (أبولو Apollo).

وتحدّث الكاتب والباحث الأمريكي ويليام هايز وارد William Hayes Ward (ت ١٩١٠م) عن الأختام الأسطوانية التي عُثر عليها في بلاد ما بين النهرين، والتي تتضمّن هذا الرمز، واقترح نشوء هذا المعتقد في وقت ما بين ٤٠٠٠ و ٣٠٠٠ قبل الميلاد، وأنه ربما كان مصدر فكرة عصا هرمس.

وإلى هذا اليوم، نجد أن رمز الدواء والصيدليات هو الحية. [انظر اللوحات ٩٦-٩٩] ولعل هذه الرموز والمفاهيم التي كانت منتشرة في المنطقة قد أثّرت في إعادة كتابة التوراة بعد السبي البابلي^(١)، وأدخلت عليها -في ما أدخلت- قصة الحية النحاسية.

١. فُقدت التوراة الأصلية ضمن أحداث السبي البابلي، وأعيدت كتابتها بقيادة عزرا الكاتب القادم من الأسر البابلي، وهناك مؤشرات على أنه أدخل في النص الأصلي بعض المفردات والقصص والمفاهيم الدخيلة، ولاسيما تلك التي أخذها عن البابليين.

وتحوّلت القصة إلى واقع، حيث تم صياغتها بصورة متوافقة مع الخبر، وتوارث القوم هذا التمثال المصطنع، وتم تقدّسه إلى درجة الصنمية والعبادة والتقرب إليه، وهو ما دفع بالملك حزقيّا إلى تحطيمه، كما حطّم النبي موسى العجل الذهبي من قبل.

٢. ذهب المتخصّص في التنخ (العهد القديم من الكتاب المقدس) هارولد هنري رولي Harold Henry Rowley (ت ١٩٦٩م) إلى أن أصول (نحشتان) ليست يهودية، ولم يكن -لهذه الحية النحاسية- وجود على عهد النبي موسى، ولكنه احتمل أن بني إسرائيل -باحثكاكهم بالكنعانيين لاحقاً- أخذوا عنهم ذلك الإله وتبنّوه، وقدّسوه وعبدوه وتوارثوا تمثاله إلى زمن الملك حزقيّا، الذي قام بتدميره والتخلّص منه.

وقد حدّد عالم اللاهوت الألماني وولف بوديسين Wolf Baudissin (ت ١٩٢٦م) زمان هذا التكيّف مع العقيدة الكنعانية، وأنه قد وقع بين ٨٥٠-٧٥٠ قبل الميلاد، وذلك بعد استيطان القدس من قبل بني إسرائيل.

٣. واتفق عالم المصريات هنري هول Henry Hall (ت ١٩٣٠م) مع مقولة أن نحشتان الذي دمره حزقيّا لم يكن مرتبطاً بالتعاليم الإلهية اليهودية، إلا أنه اقترح رجوع هذه القصة والمعتقد إلى قدماء المصريين، وأن أسلاف بني إسرائيل حملوا معهم مجسماً من مجسمات الحيات التي كان يقدّسها قدماء المصريين، واحتفظوا بها إلى ما بعد عهد النبي موسى، ثم عادوا لتقدّسها مجدداً في أزمنة لاحقة. ومما يدعم هذا الرأي استخدام المصريين لمثل هذه التماثيل بغرض حماية أو علاج أنفسهم من لدغات الحيات والثعابين، كشكلٍ من أشكال السحر الوقائي والعلاجي.

ويمكن القول أن كل الآراء السابقة محتملة، ولكن قد يعارضها ما جاء في إنجيل



اللوحة رقم ٩٦ : الحيتان على إناء القربان للملك السومري كوديا (٢١٠٠ ق.م)



اللوحة رقم ٩٧ : (اليمين) هرمس حاملاً صولجانه (٤٧٥ ق.م تقريباً)



اللوحة رقم ٩٨ : عملة من سرديس (تركيا) عليها عصا هرمس (١٤٠-١٤٤ م)



اللوحة رقم ٩٩ : الحية في شعار منظمة الصحة العالمية التابعة للأمم المتحدة

يوحنا على لسان السيد المسيح «عليه السلام» والذي يدل على أن الحية النحاسية كانت موجودة بالفعل على عهد النبي موسى: (١٤) وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الْإِنْسَانِ^(١)، فإن قلنا بصحة نسبة المقولة للمسيح «عليه السلام»، فإن هذا سيعني أن القصة واقعية، وأن التفسيرات السابقة لا محل لها من الإعراب.

ويشير المدراس إلى أن الابتلاء بالحيات السامة جاء عقاباً على ارتكاب بني إسرائيل لخصوص الذنوب اللسانية: (٥) وَتَكَلَّمَ الشَّعْبُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: «لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ لَأَنَّهُ لَا خُبْرَ وَلَا مَاءَ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا الطَّعَامَ السَّخِيفَ»^(٢). وفي التراث الحاخامي أن المتشكّين حيث اعتبروا أن هذا الطعام سخيّف في حين أن طعمه كان يتغيّر بحسب مشتهاهم، لذا فقد (أذاقهم) الله طعاماً جديداً... طعم لدغات الحيات عقاباً على كفرهم بالنعمة.

وتشير المشناه من التلمود أن عبارة: (فَكَانَ مَتَّى لَدَغَتْ حَيَّةً إِنْسَانًا وَنَظَرَ إِلَى حَيَّةِ التُّحَاسِ يَحْيَا) لا ينبغي أن تؤخذ حرفياً، فهي عبارة رمزية تعني أنه ينبغي للناس أن يتطلّعوا إلى إله السماء، لأن الحية ليست هي التي تبعث الحياة أو تموت، بل الله. ولكن -مع مرور الوقت- غاب عن الناس المعنى الرمزي، واعتبروا الحية نفسها سبباً للقوة الشافية، وعبدوها لذلك، حتى وجد حزقيّا ضرورة تدميرها.

• حربان وانتصاران:

كانت مملكة الأردن الحالية عبارة عن مجموعة من الممالك الصغيرة، وقد تتشكل المملكة الواحدة من عدة مدن، كما قد تتشكل من مدينة واحدة فقط يحكمها ملك.

١. الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٣، ١٤.

٢. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢١، ٥.

وقد اتجه بنو إسرائيل شمالاً في حدود الأراضي الأردنية حتى وصلوا إلى ما يقابل منتصف الضفة الشرقية للبحر الميت تقريباً. وهناك، راسل النبي موسى ملك الأموريين (سيحون) طالباً منه السماح له ولقومه بالعبور في مملكته، ولكنه رفض ذلك رفضاً قاطعاً، بل وجمع رجال مملكته، وخرج لمحاربة بني إسرائيل في مكان يُعرف باسم (ياهص)، فهزم: (٢٤) فَضَرَبَهُ إِسْرَائِيلُ بِحَدِّ السَّيْفِ وَمَلَكَ أَرْضَهُ مِنْ أَرُتُونَ إِلَى يَبُوقَ إِلَى بَنِي عَمُونَ. لِأَنَّ تَحْمَ بْنَ عَمُونَ كَانَ قَوِيًّا. ٢٥ فَأَخَذَ إِسْرَائِيلُ كُلَّ هَذِهِ الْمُدُنِ وَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي جَمِيعِ مُدُنِ الْأَمُورِيِّينَ فِي حَشْبُونَ وَفِي كُلِّ قَرَاهَا. ٢٦ لِأَنَّ حَشْبُونَ كَانَتْ مَدِينَةَ سِيحُونَ مَلِكِ الْأَمُورِيِّينَ^(١). [انظر اللوحة ١٠٠]

ثم اتجه بنو إسرائيل بعد ذلك شمالاً باتجاه بحيرة طبرية، وواجهوا (عوج) ملك (باشان) فهزموه: (٣٣) ثُمَّ تَحَوَّلُوا وَصَعِدُوا فِي طَرِيقِ بَاشَانَ. فَخَرَجَ عَوْجُ مَلِكُ بَاشَانَ لِلِقَائِهِمْ هُوَ وَجَمِيعُ قَوْمِهِ إِلَى الْحَرْبِ فِي إِذْرَعِي. ٣٤ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «لَا تَخَفْ مِنْهُ لِأَنِّي قَدْ دَفَعْتُهُ إِلَى يَدِكَ مَعَ جَمِيعِ قَوْمِهِ وَأَرْضِهِ، فَتَفَعَّلْ بِهِ كَمَا فَعَلْتَ بِسِيحُونَ مَلِكِ الْأَمُورِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي حَشْبُونَ». ٣٥ فَضَرَبُوهُ وَبَنِيهِ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ شَارِدٌ، وَمَلَكَوا أَرْضَهُ^(٢). [انظر اللوحة ١٠١]

• مع بالاق وبلعام:

عاد بنو إسرائيل مجدداً نحو الجنوب، ونزلوا في منطقة صحراوية تابعة لمملكة موآب التي كان يحكمها (بالاق بن صقور) أي الأبلق^(٣) بن الأصفر، وذلك على الضفة الشرقية لنهر الأردن قبالة مدينة أريحا التاريخية الواقعة في الضفة الغربية للنهر.

١. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢١، ٢٤-٢٦.

٢. الكتاب المقدس، سفر العدد، الإصحاح ٢١، ٣٣-٣٥.

٣. الأبلق: في لونه سواد وبياض.



اللوحة رقم ١٠٠ : موقع ياهص وبعض الممالك في الأردن قديماً



اللوحة رقم ١٠١ : موقع باشان ومملكتي الأموريين والعمونيين

خاف الملك من أن يلاقي نفس المصير الذي لاقته مملكتنا الأموريين وباشان، فاجتمع بشيوخ قومه في (مَدِين)، وقرّر أن يستعين بالقدرات الغيبية لبلعام بن بعور، وهي الشخصية الغامضة التي من المحتمل جداً أن تكون هي المقصودة في قوله «تعالى»: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾^(١).

والذي يمكن استخلاصه من الآية الشريفة أنه شخص لم ينتفع بما يملك من المعرفة، ومن النعم الخاصة التي أنعم الله بها عليه، فانحرف عن الخط المستقيم، وهوى إلى الأرض في حالة انخراط على المستوى الروحي والفكري، وصار مضرباً للمثل في تحلي العلماء عن مقتضى علمهم، وعن مسئولية هذا العلم، وعن الانهيار الأخلاقي والسلوكي الذي قد يُبتلى به أصحاب المعرفة والدين والمقامات الإيمانية المميزة.

أما بحسب النصوص والشروح الكتابية فإن «بلعام» وبالعبرية **בְּלַעַם** وإن لم يكن من بني إسرائيل، إلا أنه كان من «أولياء الله» وصاحب كرامات، وقيل بل كان نبياً وفق المفهوم الكتابي للنبوّة، وعلى رأي آخر أنه كان عرافاً، بل ساحراً.

وفي بعض عبارات الكتاب المقدس ما يشير إلى أنه كان يوحى إليه أو يُلهم أو يُحدّث، إذ نجد في التوراة تعابير من قبيل: (فَأَتَى اللَّهُ إِلَى بَلْعَامَ)^(٢) .. (فَقَالَ اللَّهُ لِبَلْعَامَ)^(٣) .. (ثُمَّ

١. سورة الأعراف : ١٧٥.

٢. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ٢٢، ٩.

٣. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ٢٢، ١٢.

كَشَفَ الرَّبُّ عَنْ عَيْنَيْ بَلْعَامَ، فَأَبْصَرَ مَلَكَ الرَّبِّ وَاقِفًا فِي الطَّرِيقِ وَسَيْفُهُ مَسْلُورٌ فِي يَدِهِ، فَخَرَّ سَاجِدًا عَلَى وَجْهِهِ^(١).

جاء في قاموس الكتاب المقدس: (بلعام اسم عبري، ربما كان معناه «الملتهم») أي مشتق من كلمة «بلع» (وهو ابن بعور، من «فتور» وهي قرية فيما بين النهرين)^(٢). بحسب نفس هذا القاموس فإن «فتور» مدينة قرب الفرات، عند جبال أرام النهرين. استولى عليها «שלמנصر» الثاني ملك آشور بعد قتالٍ مع الحثيين الذين كانوا يسمونها «پترو». وقد ظهر اسمها قبل ذلك بزمان طويل في جدول «تحتمس» الثالث للمدن السورية، وكانت تقع على الشاطئ الغربي من الفرات قرب نهر الساجور على بعد بضعة أميال من «قرقميش». وكما هو معروف فإن قرقميش أو كركميش أو جرابلس، مدينة أثرية سورية اعتُبرت -لموقعها الحساس- بوابة بلاد الشام إلى الأناضول، وبوابة الأناضول إلى بلاد الرافدين.

ولكن -برأيي- أن المسافة بين موقع الأحداث ومسقط رأس بلعام بعيدة جداً، والانتقال عادة لا يكون ضمن هذه المسافات عن طريق «الأتان» أي أنثى الحمار كما سيأتي في السردية التوراتية، لا سيما بلحاظ أن الأمر عاجل، فإما أن نقول بأنه قد انتقل للسكن في منطقة قريبة من موقع الأحداث، وأن فتور هي مسقط رأسه، أو أنّ فتور في النص السابق ليست القريبة من جرابلس، بل اسم مكان آخر قريب من مدين وضمن مملكة الموآبيين. [انظر اللوحتين ١٠٢-١٠٣]

وكان بلعام -بحسب التراث الكتابي- على دين إبراهيم الخليل «عليه السلام»، شأنه

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ٢٢، ٣١.

٢. مجمع الكنائس الشرقية: قاموس الكتاب المقدس، ص ١٨٩.



اللوحة رقم ١٠٢ : موقع قرقميش (كركميش = جربلس)



اللوحة رقم ١٠٣ : موقع جربلس مقارنة بمملكة موآب

في ذلك شأن قريْنَيْه المعاصرين له، وهما - كما في التلمود- أيّوب، ويثرون والد زوجة النبي موسى، وأنهم بأجمعهم لم يكونوا من ذرية النبي يعقوب «عليه السلام»، أي لم يكونوا من «بني إسرائيل»، وأن بلعام كان يعاني من العَرَج^(١).

• قصة بلعام في الكتاب المقدس:

إنْ كان القرآن الكريم قد أشار إلى هذه الشخصية مرة واحدة، إلا أنه يُعدّ من الشخصيات الكتابية المشهورة، وجاء ذكره في مواضع عدة من من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، كما جاء ذكره في التلمود وفي مصادر يهودية أخرى، وقد تناولت هذا الموضوع بالتفصيل ضمن الجزء الثاني من كتابي (في عمق التاريخ).

وخلاصة القصة بحسب النص التوراتي تتمثل في امتناع بلعام -عدة مرات- عن الاستجابة لطلب الملك بتسخير قدراته الغيبية للقضاء على موسى وبني إسرائيل على الرغم من الإغراءات المتنوعة التي أغراه بها، وإن كان في قرارة نفسه -ولربما بدافع الغيرة والحسد وحب المال- يرغب في تأييد الملك والاستجابة لطلبه، وإنما منعه من ذلك أن الله «عز وجل» كان يُبين له خطيئة الوقوف في وجه موسى «عليه السلام» ومَن معه، ويحذّره من ذلك.

وتعرض القصة كيفية خروج بلعام في نهاية المطاف باتجاه مملكة موآب، وأن الله وضع في طريقه عدة عقبات وعلامات تؤكّد له جريمة الانتصار للملك، وأرسل ملكاً لهذه الغاية، كما كشف له عن الانتصارات التي ستتحقق لبني إسرائيل مستقبلاً، فكاد أن يعود أدراجه، لكنه ضعّف في نهاية المطاف، والتفّ على النهي الإلهي بالحيلة.

١. التلمود: ج ٩، القسم الثالث نشيم، ص ٢٥٥.

لقد قرّر بلعام أن يمتنع عن الاستجابة لطلب الملك بلعن موسى ومن معه، ولكنه في نفس الوقت اقترح على الملك أن يرسل نساء مملكته ليرتكبوا الزنا مع رجال بني إسرائيل، فيضرب بذلك عصفورين بحجر واحد: أولاً، سيلتهي الرجال بالنساء عن القتال... وثانياً، سيُنزل الله عذابه -حتماً- على بني إسرائيل.

ونجحت الحيلة، وتفشّى الوباء فيهم، ولعله كان نوعاً من الأمراض الجنسي المعدية والشديدة: (١) وَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي شِطِّيمَ^(١)، وَأَبْتَدَأَ الشَّعْبُ يَزْنُونَ مَعَ بَنَاتِ مُوَابَ. ٢ فَدَعَوْنَ الشَّعْبَ إِلَى ذَبَائِحِ آلِهَتِهِنَّ، فَأَكَلَ الشَّعْبُ وَسَجَدُوا لِآلِهَتِهِنَّ. ٣ وَتَعَلَّقَ إِسْرَائِيلُ بِبَعْلِ فُغُورَ^(٢)، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ غَضَباً شَدِيداً، وَكَانَتِ الْعُقُوبَةُ الْمِيدَانِيَّةُ -بالإضافة إلى الوباء- كالآتي:

١. إعدام جميع رؤساء أسباط بني إسرائيل لتواطئهم أو تخاذلهم أو سكوتهم عما جرى، ثم تعليقهم في منطقة مفتوحة أمام الناس ليكونوا عبرة للجميع: (٤) فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «خُذْ جَمِيعَ رُؤُوسِ الشَّعْبِ وَعَلِّقْهُمْ لِلرَّبِّ مُقَابِلَ الشَّمْسِ، فَيَزْتَدَّ حُمُومُ غَضَبِ الرَّبِّ عَنْ إِسْرَائِيلَ».

٢. الأمر بقتل كل من يستمر ويصرّ على الشرك بالله بعبادة بعل فغور والتقرب إليه: (٥) فَقَالَ مُوسَى لِقَضَاةِ إِسْرَائِيلَ: «اقْتُلُوا كُلَّ وَاحِدٍ قَوْمَهُ الْمُتَعَلِّقِينَ بِبَعْلِ فُغُورَ»^(٤).

أمام هذا الموقف القاطع والشديد للنبي موسى، قام أحد بني إسرائيل بموقف

١. جاء في قاموس الكتاب المقدس أنه من سهول موآب في شرق الأردن مقابل أريحا.

٢. إله وثني عبده الموابيون ويعني «إله الفتح» وقيل بل هو إله الفجور أو نسبة إلى مدينة «فغور».

٣. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ٢٥، ١-٣.

٤. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ٢٥، ٣-٥.

معارض ووقع، وكأنه يتحدّى بذلك قراره «عليه السلام»، إذ قدّم امرأة من زانيات مدين لإخوته ليزنوا بها: (٧) فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ فِينَحَاسُ بْنُ أَلْعَازَارِ بْنِ هَارُونَ الْكَاهِنِ، قَامَ مِنْ وَسْطِ الْجَمَاعَةِ وَأَخَذَ رُحْمًا بِيَدِهِ، ٨ وَدَخَلَ وَرَاءَ الرَّجُلِ الْإِسْرَائِيلِيِّ إِلَى الْقُبَّةِ وَطَعَنَ كُلَّيْهِمَا، الرَّجُلَ الْإِسْرَائِيلِيَّ وَالْمَرْأَةَ فِي بَطْنِهَا^(١). وبهذا يُسدّل الستار على هذا المشهد، إذ يتوقف الوباء، وتتداركهم الرحمة الإلهية ولكن بعد أن قُضي على ٢٤ ألفاً من بني إسرائيل في وقت قصير. ثم يتخذ النبي موسى قراراً بمهاجمة مدين بأمرٍ من الله انتقاماً مما جرى. وكان موقف بلعام في القصة -وما زال- مضرباً للمثل عند أهل الكتاب في مَنْ ينحرف ويضلّ بعد أن كان من أهل العلم والإيمان والمقامات العالية عند الله. [انظر اللوحات ١٠٤-١٠٦]

• نهاية بلعام:

جهّز النبي موسى قوّة مشكلة من اثني عشر ألف مقاتل من أسباط بني إسرائيل، من كل سبط ألف مقاتل، يقودهم الكاهن (فينحاس بن أليعازار بن هارون). وقد ناقش بعض الباحثين حول قيادته للجيش وهو كاهن ومن لاوي، وأجيب عن ذلك بأن مهمّته لم تكن عسكرية بل كان (كاهن حرب) ويُدعى (الكاهن الممسوح للحرب)، وأن المفهوم من النص التوراتي أنه سيتقدم الجيش لا أنه يقودهم عسكرياً، وأن كاهن الحرب -بحسب التراث اليهودي- كان مسؤولاً قبل المعارك عن إعداد المحاربين، والتأكد من جهوزيتهم للمعركة، واستثناء أي شخص يراه غير لائق للقتال، كما أنه يقوم بمباركتهم والدعاء لهم وأمثال ذلك من مهام ليست عسكرية صرفة وإن جاءت في أجواء الحرب والقتال.

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ٢٥، ٧-٨.



اللوحة رقم ١٠٤ : تحيّل للملك وهو يجذّر بلعام من التقدّم وحوار مع الأتان



اللوحة رقم ١٠٥ : بلعام يدعو لموسى وبني إسرائيل وبجانبه بالاق الغاضب



اللوحه رقم ١٠٦ : بالاق الغاضب يحاور بلعام

يقول النص: (٧ فَتَجَنَّدُوا عَلَى مِديَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ. ٨ وَمُلُوكُ مِديَانَ قَتَلُوهُمْ فَوْقَ قَتْلَاهُمْ: أَوِي وَرَاقِمَ وَصُورَ وَحُورَ وَرَابعَ. خَمْسَةَ مُلُوكٍ مِديَانَ. وَبَلْعَامُ بْنُ بَعُورَ قَتَلُوهُ بِالسَّيْفِ)^(١)، وأكّد سِفر يشوع قتل بلعام بالسيف: (وَبَلْعَامُ بْنُ بَعُورَ الْعَرَّافُ قَتَلَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالسَّيْفِ مَعَ قَتْلَاهُمْ)^(٢).

كما عمل بنو إسرائيل على إحراق كل المدن والمساكن في مدين، وسبوا النساء والأطفال، وأخذوا الغنائم من البهائم وغيرها من الممتلكات، إلا أن النبي موسى غضب واعترض على عدم قتل النساء المشاركات في المؤامرة التي خطط لها بلعام، بل

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ٣١، ٧-٨.

٢. الكتاب المقدس: سفر يشوع، الإصحاح ١٣، ٢٢.

وغير العذراوات مطلقاً، علاوة على الأطفال الذكور أيضاً: (١٥) وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أَنْثَى حَيَّةً؟ ١٦ إِنَّ هَؤُلَاءِ كُنَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، حَسَبَ كَلَامِ بَلْعَامَ، سَبَبَ خِيَانَةِ لِلرَّبِّ فِي أَمْرِ فَعُورَ، فَكَانَ الْوَبْأُ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. ١٧ فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الْأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلًا بِمُضَاجَعَةٍ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. ١٨ لَكِنَّ جَمِيعَ الْأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ. ١٩ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَانْزِلُوا خَارِجَ الْمَحَلَّةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَتَطَهَّرُوا كُلُّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا، وَكُلُّ مَنْ مَسَّ قَتِيلًا، فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَفِي السَّابِعِ، أَنْتُمْ وَسَبْيُكُمْ. ٢٠ وَكُلُّ ثَوْبٍ، وَكُلُّ مَتَاعٍ مِنْ جِلْدٍ، وَكُلُّ مَصْنُوعٍ مِنْ شَعْرِ مَعْزٍ، وَكُلُّ مَتَاعٍ مِنْ خَشَبٍ، تُطَهَّرُونَهُ»^(١).

وبررت بعض شروح التوراة القرار الخاص بقتل النساء الشيبات والأطفال الذكور بأنهم: (إذا كبروا، صاروا رجالاً يقاومون الشعب، وقد يتأثرون لما حدث لآبائهم، وكذلك كل النساء الغير عذاري واللواتي تلوثن بعضهن ياغواء بنى إسرائيل سابقاً، بالإضافة إلى أنهم تحملن شعور انتقام لقتل أزواجهن أو آبائهن وأبنائهم، أما الأطفال من البنات والفتيات العذاري فأبقى موسى عليهن كسبايا وعطايا لرجال شعبه. ومن المعروف أن المسيبات كن تتهودن وتنضمن للشعب، ومع الوقت يتزوج منهن الرجال وتعتبر زوجة وليس جارية)^(٢).

وهل يتوافق هذا النوع من القرارات مع القاعدة الإلهية: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٣)، ومع قوله «تعالى»:

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ٣١، ١٥-٢٠.

2. <https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/numbers/chapter-31.html#23>

٣. سورة البقرة: ١٩٠.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١)؟ لا أعتقد ذلك، ولا أعتقد أن الله يأمر نبياً من أنبيائه بفعل مثل ذلك، وهي على كل حال من بين النصوص التي (تُلهِم) الإسرائيليين اليوم في ارتكاب المجازر بحق المدنيين الفلسطينيين وغيرهم، بما في ذلك الأطفال، وتعتبرها أمراً مشروعاً ومتناغماً مع تعاليم التوراة، واستباقاً لما قد يحدث في المستقبل إذا ما كبروا، فقد يتحوّلون إلى رجال مقاومين، ينتقمون لِعُصَب أراضهم، وقَتْل آبائهم وأمهاتهم، وهو نفس المنطق الذي قُدِّم لتبرير الأوامر التي صدرت عن النبي موسى -بزعم النص التوراتي الفعلي- بحق النساء والأطفال المديانيين.

• روايات وأخبار متضاربة:

سعى مفسّرو (مأولو) القرآن الكريم للتحقق من الشخصية المعنيّة في الآيتين «١٥٦-١٥٧» من سورة الأعراف، فتخبّط كثير منهم، وقَدِّموا القصة التوراتية محرّفة، ومضاف إليها الكثير من التفاصيل التي لا يعلم مصدرها إلا الله.

قال الطبري: (واختلف أهل التأويل فيه. فقال بعضهم: هو رجل من بني إسرائيل). ثم سرّد أسماء بعض مَنْ قال ذلك، مع تحديد اسم الشخصية وموطنها أحياناً:

١. بلعم: (حدثنا حميد بن مسعدة، قال: حدثنا بشر بن المفضل قال: حدثنا شعبة، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله) أي عبد الله بن مسعود (في هذه الآية: ﴿وَائْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال: هو بلعم).

٢. بلعم بن أبر: (قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله قال: هو بلعم بن أبر. حدثنا ابن حميد قال: حدثنا جرير، عن

١. سورة الأنعام: ١٦٤.

منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود، في قوله: ﴿وَأْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ قال: رجل من بني إسرائيل يقال له: بلعم بن أبر. ثم ذكر الطبري أنه روي عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود أنه ذكر نفس الكلام دون أن يقول: «بن أبر».

٣. بلعم بن أبر: (حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا الشوري، عن الأعمش، عن منصور عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود، مثله، إلا أنه قال ابن أبر، بضم «الباء»).

٤. بلعم بن باعر: (حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا عمران بن عيينة، عن حصين، عن عمران بن الحارث، عن ابن عباس قال: هو بلعم بن باعر).

٥. بلعم بن باعر من بني إسرائيل: (حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال: بلعام بن باعر، من بني إسرائيل).

٦. بلعام: (حدثنا ابن المثنى قال: حدثنا عبد الرحمن وابن أبي عدي، عن شعبة، عن حصين، عن عكرمة قال في الذي ﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال: هو بلعام).

٧. بلعم من أهل اليمن: (حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال: هو رجل يدعى بلعم، من أهل اليمن).

٨. بلعم من مدينة الجبارين: (حدثني المثنى قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال: حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا

فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال: هو رجل من مدينة الجبارين يقال له: بلعم).

٩. بلعم من بني إسرائيل وكان يملك الاسم الأعظم ووقعت قصته على عهد نبوة وحكم يوشع بن نون: (حدثني موسى قال: حدثنا عمرو قال: حدثنا أسباط، عن السدي قال: إن الله لما انقضت الأربعون سنة = يعني التي قال الله فيها: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾^(١)، بعث يوشع بن نون نبياً، فدعا بني إسرائيل، فأخبرهم أنه نبي، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين، فبايعوه وصدّقوه. وانطلق رجل من بني إسرائيل يقال له: بلعم، وكان عالماً يعلم الاسم الأعظم المكتوم، فكفر، وأتى الجبارين، فقال: لا ترهبوا بني إسرائيل، فإني إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوةً فيهلكون. وكان عندهم فيما شاء من الدنيا، غير أنه كان لا يستطيع أن يأتي النساء من عِظْمِهِنَّ) ضخامة أجسادهن (فكان ينكح أتاها له) لاحظ تحريف القصة التوراتية عند ذكر الأتان (وهو الذي يقول الله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾، أي تبصّر، فانسلك منها، إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾).

١٠. بلعم من بني إسرائيل وكان نبياً: (حدثني الحارث قال: حدثنا عبد العزيز قال: حدثنا أبو سعد، عن غيره، قال: الحارث: قال عبد العزيز: يعني: عن غير نفسه، عن مجاهد قال: هو نبي في بني إسرائيل، يعني بلعم، أوتي النبوة، فرشاه قومه على أن يسكت، ففعل وتركهم على ما هم عليه).

١١. بلعام بن باعر وكان قد أوتي كتاباً سماوياً: (حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثنا أبو تميلة، عن أبي حمزة، عن جابر، عن مجاهد، وعكرمة، عن ابن عباس قال: كان في بني إسرائيل بلعام بن باعر أوتي كتاباً).

١٢. أمية بن أبي الصلت: (حدثنا ابن المثنى قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثنا سعيد بن السائب، عن غطيف بن أبي سفيان، عن يعقوب ونافع بن عاصم، عن عبد الله بن عمرو قال في هذه الآية: ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال: هو أمية بن أبي الصلت).

(حدثنا ابن المثنى قال: حدثنا ابن أبي عدي قال: أنبأنا شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن نافع بن عاصم قال: قال عبد الله بن عمرو: هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت) وإنما قال «صاحبكم» لأنه كان يتحدث إلى بعض الرجال من «ثقيف»^(١).

وبعد أن جاء الطبري بكل هذه التأويلات علّق قائلاً: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله «تعالى ذكره» أمر نبيه «صلى الله عليه وسلم» أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حُجَجَه وأدلته، وهي «الآيات». وقد دللنا على أن معنى «الآيات»: الأدلة والأعلام، فيما مضى، بما أغنى عن إعادته. وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك بلعم، وجائز أن يكون أمية. وكذلك «الآيات» إن كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كُتُب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه، فتعلّمها الذي ذكره الله في هذه الآية، وعناه بها، فجائز أن يكون الذي كان أوتيها بلعم، وجائز أن يكون أمية، لأن أمية كان، فيما يقال، قد قرأ من كتب أهل الكتاب. وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على مَنْ أمر نبيّ الله «عليه الصلاة والسلام» أن يتلو على قومه نبأه، أو بمعنى اسم الله الأعظم، أو بمعنى النبوة، فغير جائز أن يكون معنياً به أمية، لأن أمية لا

١. شاعر جاهلي ومن رؤساء ثقيف، اشتهر بالحنيفية والتوحيد وروي أنه كان نصرانياً. كان من الدعاة إلى نبذ الأصنام. كما أنه أحد شعراء ثقيف وشرفائها كما كان أبوه من قبله أحد زعماء ثقيف بالطائف. عايش أمية بن أبي الصلت ظهور دعوة النبي محمد، وروي أنه التقاه وتجاوز معه وسمع منه القرآن لكنه أبى أن يسلم حسداً.

تختلف الأمة في أنه لم يكن أوتي شيئاً من ذلك). وختم الطبري كلامه برأي علمي دقيق حيث قال: (ولا خبر بأيّ ذلك المراد) أي ليس لدينا حديث معتبر مروي عن النبي «صلى الله عليه وآله» يبيّن حقيقة الآيات التي أوتيها هذا الرجل (وأَيّ الرجلين المعنيّ، يوجب الحجة) لأن كل ما سبق مجرد أقوال وتأويلات اجتهدية من أصحابها، وليست أحاديث مروية عن النبي «صلى الله عليه وآله» (ولا في العقل دلالة على أيّ ذلك المعنيّ به من أيّ). فالصواب أن يقال فيه ما قال الله، ونُفِرَ بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله^(١).

هذا، ويُضاف إلى الشخصيتين الأنفتين ثلاث احتمالات أخرى ذكرها القرطبي في تفسيره:

(١) أن يكون المراد بالرجل أبو عامر الراهب، واسمه عبد عمرو بن صيفي بن مالك ابن النعمان الأوسي، أحد بني ضبيعة بن زيد من الأوس، وكنيته أبو عامر ولقبه الراهب، لأنه كان من رهبان النصارى، وهو والد حنظلة غسيل الملائكة. كان يطمح أن يصبح الشخصية الدينية الأولى في يثرب قبل هجرة النبي، فجاءت الهجرة النبوية فأفسدت عليه تطلعاته، فما كان منه إلا أن اتخذ موقفاً عدائياً من النبي «صلى الله عليه وآله» وحالف قريشاً وشارك في بعض غزواتها ضد المسلمين، وتحالف مع منافقي المدينة وخطط معهم للانقلاب على النبي والمسلمين، وباعت كل خطئه بالفشل. سمّاه الرسول أبو عامر الفاسق.

قال سعيد بن المسيب: (نزلت في أبي عامر بن صيفي، وكان يلبس المسوح) لباس خاص يصنع من نسيج خشن، وعادة يكون من شعر الماعز، يلبسه الرهبان دلالة على

١. الطبري: جامع البيان، ج ٦، ص ١١٧-١٢٢.

الزهد (في الجاهلية، فكفر بالنبي «صلى الله عليه وسلم». وذلك أنه دخل على النبي المدينة فقال: يا محمد، ما هذا الذي جئت به؟ قال: جئت بالحنيفية، دين إبراهيم. قال: فأني عليها. فقال النبي «صلى الله عليه وسلم» لستَ عليها، لأنك أدخلت فيها ما ليس منها. فقال أبو عامر: أَمَاتَ اللهُ الكاذبَ مَتًّا طَرِيداً وحيداً. فقال النبي «صلى الله عليه وسلم»: نعم، أَمَاتَ اللهُ الكاذبَ مَتًّا كذلك - وإنما قال هذا يُعَرِّضُ برسول الله حيث خرج من مكة - فخرج أبو عامر إلى الشام ومَرَّ إلى قيصر وكتب إلى المنافقين: استعدّوا، فَإِنِّي آتِيكُمْ من عند قيصر بجند لُخْرَجَ مُحَمَّدًا مِنَ المدينة، فَمَاتَ بالشام وحيداً. وفيه نزل: ﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾^(١).

(٢) عن عبادة بن الصامت: (نزلت في قريش، آتاهم الله آياته التي أنزلها الله «تعالى» على محمد «صلى الله عليه وسلم» فانسَلَخُوا منها، ولم يقبلوها).

(٣) وقيل: (نزلت في اليهود والنصارى، انتظروا خروج محمد فكفروا به)^(٢).

ثم قدّم القرطبي في تفسيره تفاصيل إضافية غير تلك التي نقلها الطبري من قَبْلُ، وهذه التفاصيل لا تَقَلُّ غرابة عن بعض سابقاتها، وقد اعتدنا من بعض الرواة والمفسرين أن يضيفوا شيئاً على روايات مَنْ سبقهم. ومن بين هذه الإضافات:

١. قال القرطبي: (واختلف في تعيين الذي أوتي الآيات، فقال ابن مسعود وابن عباس: هو بلعام بن باعوراء، ويقال ناعم، من بني إسرائيل في زمن موسى «عليه السلام»، وكان بحيث إذا نظر رأى العرش!).

٢. وقال في ادّعاء انحرافه إلى الإلحاد: (وكان في مجلسه اثنتا عشرة ألف محبرة

١. سورة التوبة: ١٠٧.

٢. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ٢٠٣-٢٠٤.

للمتعلمين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث إنه كان أول من صنّف كتاباً في أن «ليس للعالم صانع».

٣. ونقل عن ابن دينار تفصيلاً آخر لم نجده في الأصل التوراتي ولا في ما سبق من مرويات المفسرين، قال: (بعث بلعام بن باعوراء إلى ملك مدين ليدعوه إلى الإيمان، فأعطاه وأقطعه، فاتّبع دينه وترك دين موسى «عليه السلام»، ففيه نزلت هذه الآيات).

٤. وعن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: (كان بلعام قد أوتي النبوة، وكان محاب الدعوة، فلما أقبل موسى في بني إسرائيل يريد قتال الجبارين، سأل الجبارون بلعام بن باعوراء أن يدعو على موسى، فقام ليدعو فتحولّ لسانه بالدعاء على أصحابه! فقليل له في ذلك، فقال: لا أقدر على أكثر مما تسمعون. واندلع لسانه على صدره! فقال: قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، فلم يبق إلا المكر والخديعة والحيلة، وسأمكر لكم، فإني أرى أن تُخرجوا إليهم فتياتكم، فإن الله يُبغض الزنى، فإن وقعوا فيه هلكوا. ففعلوا فوقع بنو إسرائيل في الزنى، فأرسل الله عليهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفاً).

٥. ثم نجده يقدّم لنا رواية أخرى غريبة، تذكر أن وجود موسى في التيه هو نتيجة استجابة دعاء بلعام عليه! قال القرطبي: (وروي أن بلعام بن باعوراء دعا ألا يدخل موسى مدينة الجبارين، فاستجيب له وبقي في التيه. فقال موسى: يا رب، بأي ذنب بقينا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعام. قال: فكما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه. فدعا موسى أن ينزع الله عنه الاسم الأعظم، فسلخه الله ما كان عليه).

٦. ونقل القرطبي عن أبي حامد الغزالي عن بعض العرفاء قولاً فيه تحريف للقصة ولدلالة الآية القرآنية، قال: (وسمعتُ بعض العارفين يقول: إن بعض الأنبياء سأل

الله «تعالى» عن أمر بلعام وطُرْده بعد تلك الآيات والكرامات، فقال الله «تعالى»: لم يشكرني يوماً من الأيام على ما أعطيته، ولو شكرني على ذلك مرة لما سلبته).

٧. وعن مجاهد: (إنه أوتي النبوة، فرشاه قومه على أن يسكت، ففعل وتركهم على ما هم عليه. قال الماوردي: وهذا غير صحيح، لأن الله «تعالى» لا يصطفي لنبوته إلا مَنْ علم أنه لا يخرج عن طاعته إلى معصيته).

٨. أما الرواية الآتية فهي أشبه بقصص «ألف ليلة وليلة» أو ما يُحكي للأطفال قبل النوم، قال القرطبي: (وقال ابن عباس في رواية: نزلت في رجل كان له ثلاث دعوات يستجاب له فيها، وكانت له امرأة يقال لها «البسوس» فكان له منها ولد، فقالت: اجعل لي منها دعوة واحدة. فقال: لك واحدة، فما تأمرين؟ قالت: ادعُ الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل. فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه، فدعا الله عليها أن يجعلها كلبة نبّاحة. فذهب فيها دعوتان، فجاء بنوها وقالوا: لا صبر لنا عن هذا، وقد صارت أمنا كلبة يُعَيِّرنا الناس بها، فادع الله أن يردها كما كانت، فدعا فعادت إلى ما كانت، وذهبت الدعوات) أي الثلاثة (فيها)^(١).

ولا يبتعد ما جاء في بعض المصادر الإمامية عن تلك التي أشرنا إليها من حيث التفاصيل الغربية والتأويلات التي نُسبت إلى بعض الأئمة. فنجد في تفسير علي بن إبراهيم القمي أنّ الآيتين نزلتا في بلعم بن باعورا، وكان من بني إسرائيل. والرواية قريبة المضمون من الفكرة الإجمالية للقصة التوراتية مع بعض الاختلاف، من قبيل كون الملك هو فرعون مصر وليس ملك موآب. كما أن في نهاية الرواية قصة غريبة وغير منطقية تدفعنا إلى أن نشك في صحتها، وهي كالتالي:

١. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص ٢٠٣-٢٠٤.

قال: (وحدثني أبي، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا «عليه السلام» أنه أعطي بلعم بن باعورا الاسم الأعظم، وكان يدعو به فيستجيب له، فمال إلى فرعون، فلما مرّ فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون لبلعم: ادع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمرّ في طلب موسى فامتنعت عليه حمارته، فأقبل يضربها فأنطقها الله «عز وجل» فقالت: ويلك، على ماذا تضربني؟ أتريد أن أجيئ معك لتدعو على نبي الله وقوم مؤمنين؟ فلم يزل يضربها حتى قتلها، وانسلخ الاسم من لسانه، وهو قوله: ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ... (١٧٦) وهو مثل ضربه. فقال الرضا «عليه السلام»: فلا يدخل الجنة من البهائم إلا ثلاثة: حمارة بلعم، وكلب أصحاب الكهف، والذئب، وكان سبب الذئب أنه بعث ملك ظالم رجلاً شرطياً ليحشر قوماً من المؤمنين ويعذبهم، وكان للشرطي ابن يحبّه، فجاء ذئب فأكل ابنه فحزن الشرطي عليه، فأدخل الله ذلك الذئب الجنة لما أحزن الشرطي! (١).

بينما في قصص الأنبياء للراوندي ما يدل على أن الأحداث وقعت على عهد يوشع ابن نون، كما جاء في إحدى روايات الطبري، وتفصيلها الأخرى متماشية مع مجمل القصة التوراتية سوى ما سيأتي في آخرها، عند ذكر عدد الذين ماتوا بالوباء، والمدة التي استغرقها الأمر، والرواية كالتالي: (بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد ومحمد العطار، عن ابن عيسى عن البرنطي، عن عبد الرحمن بن سيابة، عن معاوية ابن عمار رفعه قال: فُتحت مدائن الشام على يوشع بن نون، ففتحتها مدينة مدينة

حتى انتهى إلى البلقاء، فلقوا فيها رجلاً يقال له بالق، فجعلوا يخرجون يقاتلونه لا يقتل منهم رجل، فسأل عن ذلك فقيل: إن فيهم امرأة عندها علم، ثم سألوا يوشع الصلح، ثم انتهى إلى مدينة أخرى فحصرها وأرسل صاحب المدينة إلى بلعم ودعاه، فركب حماره إلى الملك، فعثر حماره تحته، فقال: لم عثرت؟ فكلمه الله: لم لا أعثر وهذا جبرئيل بيده حربة ينهاك عنهم؟ والصحيح أن يقال «أنطقه الله» وليس «كلمه» (وكان عندهم أن بلعم أوتي الاسم الأعظم، فقال الملك: ادعُ عليهم -وهو المنافق الذي روي أن قوله «تعالى»: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ نزل فيه - فقال لصاحب المدينة: ليس للدعاء عليهم سبيل، ولكن أشير عليك أن تزين النساء وتأمرهن أن يأتين عسكرهم فيتعرضن للرجال، فإن الزنى لم يظهر في قوم قط إلا بعث الله عليهم الموت فلما دخل النساء العسكر وقع الرجال بالنساء، فأوحى الله إلى يوشع: إن شئت سلطت عليهم العدو، وإن شئت أهلكتهم بالسنين، وإن شئت بموت حثيث عجلان، فقال: هم بنو إسرائيل، لا أحب أن يسلط الله عليهم عدوهم، ولا أن يهلكهم بالسنين، ولكن بموت حثيث عجلان، قال: فمات في ثلاث ساعات من النهار سبعون ألفاً بالطاعون^(١).

من كل ما سبق نستطيع القول أن حسم تأويل آيتي سورة الأعراف بكونها تتحدث عن بلعام بن بعور على وجه التحديد أمر يصعب تأكيده بشكل قاطع، ولكنه هو الأرجح بلحاظ عدة قرائن، كما أنني لا أميل إلى القول بأن الآية تُقدّم مثلاً رمزياً وأنها ليست في مورد الحديث عن شخصية معينة، وذلك بلحاظ مضمون الخطاب: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ ولم يقل «سبحانه»: «واضرب لهم

١. الراوندي: قصص الأنبياء، ص ١٧٧.

مثلاً....» أو ما شابه ذلك، مما يوحي بأن الحديث هنا عن شخصية حقيقية عاشت في زمنٍ ما، وعرف الناس موقفها، ولو بشكل إجمالي، والله العالم.

• نتائج الفصل وخلاصته:

○ توفيت مريم بنت عمران أخت النبيين موسى وهارون، في بركة صين، واختُلف في تحديد المقطع الزمني لهذا الحدث، واستقرب بعض شراح التوراة أنه كان في الشهر الأول من السنة الأربعين من الخروج من مصر.

○ وفي الشهر الخامس من نفس هذه السنة، التحق بها أخوها هارون، وفي بعض مرويات اليهود والأخبار في المصادر الإسلامية أن بعض بني إسرائيل اتهموا النبي موسى بقتل أخيه.

○ أذى فقدان الماء في الموقع الجديد الذي انتقل إليه بنو إسرائيل إلى التشكي والتمرد مجدداً، فأمره الله نبيه أن يتكلم مع صخرة محدّدة لينبع منها الماء، إلا أن الكليم - في لحظة غضب - ضرب الصخرة بعصاه فانفجر الماء، وسقي القوم، فغضب الله عليه وعلى أخيه، وحرّمهما إلى الأبد - كما تقول التوراة - من دخول أرض كنعان.

○ حاول النبي موسى أن يعبر إلى شمال الأردن من خلال مملكة أدوم الواقعة جنوب البحر الميت، إلا أن الملك رفض ذلك، وهدد بالقتال، مما اضطر بني إسرائيل إلى تأجيل الأمر والبحث عن طرق بديلة.

○ مع استقرار بني إسرائيل بالقرب من الحدود الجنوبية لفلسطين، غزاهم ملك عراد خوفاً منهم، فقتل منهم جمعاً، وسبى آخرين، فما كان من بني إسرائيل إلا أن غزوا القوم في عقر دارهم، وقتلوا ودمّروا من مدنهم ما شاءوا.

○ تُخبر التوراة عن ابتلاء بني إسرائيل بهجوم أعداد ضخمة من الحيات السامة، فأمر الله كليمه بصُنع حَيَّة من النحاس، وثبتَّها على عصا مرتفعة ومكان عالٍ، فمَنى نظر إليها الملدوغ، شفاه الله ونجا من الموت.

○ خاض بنو إسرائيل حربان في الأردن، ثم واجها مَكْر الملك بالاق بن صفور الذي لجأ للاستعانة بمخدمات مستجاب الدعوة: بلعام بن بعور. وحيث كرّر رفضه الدعاء على النبي موسى ومَن معه، أرشد الملك إلى حيلة خبيثة للتخلّص من بني إسرائيل، ولما نجحت الخطة، أعلن الكليم حربه على القوم، وانتصر عليهم، وقُتل بلعم فيمن قُتل في تلك المواجهة.

الوصية والوفاء

الوصية والوفاة

• موضوعات هذا الفصل:

- ما هي الإجراءات الخمسة التي اتخذها النبي موسى عند إحساسه بقرب وفاته؟
- ما وجه الشبه بين تعيين الوصي يوشع وما جرى يوم غدير خم؟
- كيف توفي النبي موسى؟ متى؟ وأين؟ ومن الذي دفنه؟
- عَرَض الآراء المتعددة حول موضع دفن الكليم وسبب الغموض في ذلك.
- إقامة المآتم على رحيل كليم الله على مدى ثلاثين يوماً متتالية.
- قراءة في بعض مرويات المسلمين حول وفاة النبي موسى ودفنه وموضع قبره، وتأثيرها بالروايات اليهودية، ومن بينها ادّعاء هروب الكليم من الموت، وضربه ملك الموت، وما إلى ذلك.
- من هو الملك سمائيل الذي تحدث عنه التراث اليهودي؟ وما علاقته بوفاة الكليم؟

• وصايا سفر التثنية:

بعد سلسلة المعارك التي خاضها بنو إسرائيل في أواخر حياة النبي موسى، ومع شعوره «عليه السلام» بدنو أجله، اتخذ عدة إجراءات لضمان استمرار مسيرة التوحيد في قومه، وتحقيق الوعد الإلهي بدخولهم الأرض المباركة المقدسة. وأولى هذه الإجراءات تمثل في إعادة تذكيرهم بشرائع الله التي بلغها من قبل، لا سيما بلحاظ أنه لم يبق من الجيل الذي خرج من مصر، وعاصر نزول تلك التشريعات في السنوات الأولى من الهجرة، سواء «عليه السلام» وكالب ويشوع (يوشع) بن نون.

لقد ألقى النبي موسى على مسامع قومه أحكام الشريعة الإلهية التي نقلها إليهم من قبل، وأثبّعها بنصيحته بأن لا يجحدوا عنها، وحذّره من مغبة مخالفتها، وذكرهم بالأحداث التي مروا بها إلى أن استقرّ بهم المقام مؤقتاً حيث هم، وبشّرهم بالانتصارات التي سيحقّقها الله لهم بعد عبورهم نهر الأردن نحو الضفة الغربية بقيادة وصيه يشوع، إذ لم يكتب الله «تعالى» له أن يدخلها: (١) فَذَهَبَ مُوسَى وَكَلَّمَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ، ٢ وَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا الْيَوْمَ ابْنُ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً. لَا أَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ وَالْدُّخُولَ بَعْدُ، وَالرَّبُّ قَدْ قَالَ لِي: لَا تَعْبُرْ هَذَا الْأُرْدُنَّ. ٣ الرَّبُّ إِلَهُكَ هُوَ عَابِرٌ قُدَّامَكَ. هُوَ يُبِيدُ هَؤُلَاءِ الْأُمَمَ مِنْ قُدَّامِكَ فَتَرْتَهُمْ. يَشُوعُ عَابِرٌ قُدَّامَكَ، كَمَا قَالَ الرَّبُّ. ٤ وَيَفْعَلُ الرَّبُّ بِهِمْ كَمَا فَعَلَ بِسِيحُونَ وَعُوجَ مَلِكِي الْأَمُورِيِّينَ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمَا، وَبَارِضِهِمَا» (١).

لقد كانت تلك الوصايا والتعاليم تمهيداً لرحيله عن هذه الدنيا، وتسليم القيادة الدينية والدينية لوصيه يشوع (يوشع) بن نون.

١. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣١، ١-٤.

من حيث الزمان، كانت البداية في اليوم الأول من الشهر الحادى عشر من السنة الأربعين من التيه، ومن حيث المكان، كان مستقرهم: (هـ) فِي عَبْرِ الْأَرْدُنِّ، فِي أَرْضِ مُوآبَ^(١) أي في الضفة الشرقية لنهر الأردن قبالة أريحا. وحيث أن ما قام به النبي موسى عبارة عن إعادة وتذكير بما شُرِعَ مِن قَبْل، لذا عُرف السَّفر الخاص بنقل مضامين هذه التعاليم باسم (سفر التثنية). ويميل بعض شراح التوراة إلى أن إعادة التذكير هذه جاءت لمجموعة من شيوخ بني إسرائيل خاصة، ولم يكن أمام كل القوم.

• تعيين الوصي يشوع:

الإجراء الثاني الذي قام به الكليم موسى «عليه السلام» -أمام بني إسرائيل- تمثّل في الإعلان عن تعيين يشوع (يوشع) بن نون قائداً للمسيرة من بعده: (٧ فَدَعَا مُوسَى يَشُوعَ، وَقَالَ لَهُ أَمَامَ أَعْيُنِ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ: «تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ، لِأَنَّكَ أَنْتَ تَدْخُلُ مَعَ هَذَا الشَّعْبِ الْأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لِأَبَائِهِمْ أَنْ يُعْطِيَهُمْ إِيَّاهَا، وَأَنْتَ تَقْسِمُهَا لَهُمْ. ٨ وَالرَّبُّ سَائِرُ أَمَامِكَ. هُوَ يَكُونُ مَعَكَ. لَا يُهْمِلُكَ وَلَا يَتْرُكُكَ. لَا تَخَفْ وَلَا تَرْتَعِبْ»^(٢)).

كما أمر الله «تعالى» كلمه «عليه السلام» أن يستدعي يشوع ليتلقّى وصايا الله الخاصة بقيادته في المرحلة المقبلة، ولاسيما أنها ستشهد أكثر من تحدّي: (١٤ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هُوَذَا أَيَّامُكَ قَدْ قُرِبَتْ لِيَكُنَّ تَمُوتَ. اذْغُ يَشُوعَ، وَفَقًا فِي حَيَمَةِ الْجَمْعِ لِيَكُنْ أَوْصِيَهُ». فَانْطَلَقَ مُوسَى وَيَشُوعُ وَوَقَفَا فِي حَيَمَةِ الْجَمْعِ، ١٥ فَتَرَاءَى الرَّبُّ فِي الْحَيَمَةِ فِي عَمُودِ سَحَابٍ، وَوَقَفَ عَمُودُ السَّحَابِ عَلَى بَابِ الْحَيَمَةِ^(٣)).

١. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ١، ٥.

٢. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣١، ٧-٨.

٣. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣١، ١٤-١٥.

لم تكن المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتق يشوع ومن بعده من أنبياء وقادة بني إسرائيل منحصرة في إدارة أمور الشعب الدنيوية للمرحلة القادمة التي ستشهد فتوحات أرض كنعان، فالأمر أخطر من ذلك.

لقد أخبر الله نبيه أن بني إسرائيل سيشهدون حركة ردّة واسعة، وسيعودون إلى الشّرك من جديد، من خلال تأثرهم بالشعوب الوثنية المنتشرة في أرض كنعان، وسيكون ذلك مدعاة لغضب الله «عزّ وجل» مرّة بعد مرّة، وسيمثّل هذا تحدياً كبيراً ليشوع ومن سيأتي من بعده من الأنبياء والرسل، وعليهم -مهما مرّ الزمان- أن يتحمّلوا مسؤوليتهم تجاه مسألة التوحيد في الألوهية والربوبية التي هي الركيزة الأولى والأهم للإيمان في الرسالات السماوية: (١٦) وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هَا أَنْتَ تَرَقُدُ مَعَ آبَائِكَ^(١)، فَيَقُومُ هَذَا الشَّعْبُ وَيَفْجُرُ وَرَاءَ آلِهَةِ الْأَجْنَبِيِّينَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا فِي مَا بَيْنَهُمْ، وَيَتْرُكُنِي وَيَنْكُثُ عَهْدِي الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَهُ. ١٧ فَيَسْتَعِلُّ عَضِي عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَتْرُكُهُ وَأَحْجُبُ وَجْهِي عَنْهُ، فَيَكُونُ مَأْكَلَةً^(٢)، وَتُصِيبُهُ سُرُورٌ كَثِيرَةٌ وَشَدَائِدٌ حَتَّى يَقُولَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: أَمَا لَأَنَّ إِلَهِي لَيْسَ فِي وَسْطِي أَصَابَتْنِي هَذِهِ السُّرُورُ^(٣).....»^(٤).

وأوصى الله يشوع -كما أوصاه موسى من قبل- قائلاً له: (٢٣).... «تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ، لِأَنَّكَ أَنْتَ تَدْخُلُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمْتُ لَهُمْ عَنْهَا، وَأَنَا أَكُونُ مَعَكَ»^(٥).

[انظر اللوحين ١٠٧-١٠٨]

١. أي تموت وتدفن.

٢. أي يتكالب عليهم الناس فيتناوشونهم.

٣. أي أن هذه التبعات ستفتح عيونهم على موطن الخلل، وهو أنهم نسوا الله فنسيهم.

٤. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣١، ١٦-١٧.

٥. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣١، ٢٣.



اللوحة رقم ١٠٧ : لوحة تعبّر عن الوصية ليوشع بن نون



اللوحة رقم ١٠٨ : لوحة تعبّر عن مباركة يوشع بن نون عند الوصية له

• تدوين التوراة:

الإجراء الثالث الذي اتخذته النبي موسى تمثّل في تدوين الشريعة الإلهية التي نزلت عليه والتي يُطلق عليها اسم (التوراة)، كما كان لوحا الشهادة (الألواح) يشتملان على الوصايا العشر، كما استقربنا ذلك من قبل، واللوحان بدورهما محفوظان في تابوت العهد: (٩) وَكَتَبَ مُوسَى هَذِهِ التَّوْرَةَ أَي الشريعة، فكلمة توراة كما قلنا من قبل بمعنى الشريعة والقانون (وَسَلَّمَهَا لِلْكَهَنَةِ بَنِي لَأَوِي حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ، وَلِجَمِيعِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ ٢٤ فَعِنْدَمَا كَمَلَ مُوسَى كِتَابَةَ كَلِمَاتِ هَذِهِ التَّوْرَةِ فِي كِتَابٍ إِلَى تَمَامِهَا، ٢٥ أَمَرَ مُوسَى اللاَّوِيِّينَ حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ قَائِلًا: ٢٦ «خُذُوا كِتَابَ التَّوْرَةِ هَذَا وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ، لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ. ٢٧ لِأَنِّي أَنَا عَارِفٌ تَمَرُّدَكُمْ وَرِقَابَتَكُمْ الصُّلْبَةَ. هُوَذَا وَأَنَا بَعْدُ حَيٌّ مَعَكُمْ الْيَوْمَ، قَدْ صِرْتُمْ تُقَاوِمُونَ الرَّبَّ، فَكُمْ بِالْحَرِيِّ بَعْدَ مَوْتِي»^(١).

وأمر موسى قومه بأن يجتمعوا كل سبع سنين مرّة، وهي السنة التي تُعرف في الشريعة اليهودية باسم (سنة الإبراء)، وتُسمى أيضاً (سبت الأرض) لأن الأرض لا تُحرث فيها، وعلى الدائن أن يتنازل فيها عن دينه، وأن يكون موعدهم في (عيد المظال / العرش)، ليقوموا بقراءة هذه التوراة على مسامع كل الناس، وحتى الوافد الغريب، وذلك في مكان الاحتفال، وهو الموضع المقدّس الذي يُقام فيه بيت الله: (١٢).... لِكَيْ يَسْمَعُوا وَيَتَعَلَّمُوا أَنْ يَتَّقُوا الرَّبَّ إِلَهُكُمْ وَيَخْرِصُوا أَنْ يَعْمَلُوا بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هَذِهِ التَّوْرَةِ. ١٣ وَأَوْلَادُهُمُ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا، يَسْمَعُونَ وَيَتَعَلَّمُونَ أَنْ يَتَّقُوا الرَّبَّ إِلَهُكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ الَّتِي تَحْيُونَ فِيهَا عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ الْأَرْضَ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكُوهَا»^(٢).

١. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣١، ٩-٢٧.

٢. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣١، ١٢-١٣.

إن الإجراء المتمثل بتعيين يشوع وصياً وقائداً (ولياً) من بعد موسى أمام بني إسرائيل في الأيام الأخيرة من حياته بعد أن أنبأهم عن قرب وفاته، ثم قيامه بتدوين التوراة والأمر بالأخذ بها، يذكرنا بمشهد يوم غدیر خم في التاريخ الإسلامي، حين وقف رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمام المسلمين بعد حجة الوداع ليلبغهم بقرب وفاته، وأنه تارك فيهم القرآن الكريم وعترته أهل بيته، وأوصاهم بالتمسك بهما، وأن يكونا المرجع لهما في ما له علاقة بأمر دينهم، ثم أعلمهم بولاية وصيه علي بن أبي طالب، فقد: (قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ وقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال: إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بلّغت ونصحت فجزاك الله خيراً، قال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق؟ قالوا: بلى نشهد ذلك. قال: اللهم اشهد. ثم قال: ألا تسمعون؟ قالوا: نعم، قال: يا أيها الناس، إني قرط^(١) وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضّه ما بين بصرى إلى صنعاء، فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، طرف بيد الله، وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلّوا ولا تبدّلوا، وعترتي أهل بيتي، وقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، سألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فهم أعلم منكم. ثم قال: أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: أستم تعلمون -أو تشهدون- أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى يا رسول الله. ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب

١. أي سابقكم إلى الموت.

-بَضْبَعِيهِ^(١) - فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما، ثم قال: أيها الناس، الله مولاي وأنا مولاكم، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه. اللَّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحب من أحبه، وابغض من أبغضه. ثم قال: اللَّهُمَّ اشهد^(٢).

• أنشودة روحانية:

الإجراء الرابع الذي قام به النبي موسى -بحسب التوراة- كتابة (أنشودة روحانية/ ابتهاج) تتضمن مفاهيم توحيدية، وإلقائها على قومه، وأمرهم بتدوينها وحفظها على مدى الأجيال، لتكون ضماناً ووسيلة أخرى للحفاظ على مسيرة التوحيد بينهم. وقد جاء هذا الإجراء استجابةً لكلام الله «تعالى»: (٢٢) فَكَتَبَ مُوسَى هَذَا النَّشِيدَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ..... () وقال: (٢٨) اجْمَعُوا إِلَيَّ كُلَّ شُبُوحِ أَسْبَاطِكُمْ وَعُرَفَاءَكُمْ لِأَنْطَقَ فِي مَسَامِعِهِمْ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَأُشْهِدَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ. ٢٩ لَأَنِّي عَارِفٌ أَنَّكُمْ بَعْدَ مَوْتِي تَفْسِدُونَ وَتَزِيغُونَ عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ، وَبُصِيْبُكُمْ الشَّرُّ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ لِأَنَّكُمْ تَعْمَلُونَ الشَّرَّ أَمَامَ الرَّبِّ حَتَّى تُغِيْظُوهُ بِأَعْمَالِ أَيْدِيكُمْ». ٣٠ فَنَطَقَ مُوسَى فِي مَسَامِعِ كُلِّ جَمَاعَةٍ إِسْرَائِيلَ بِكَلِمَاتِ هَذَا النَّشِيدِ إِلَى تَمَامِهِ^(٣). وفي نص لاحق أَنَّ قراءة النشيد تمت بمحضر موسى ووصيه معاً: (٤٤) فَأَتَى مُوسَى وَنَطَقَ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هَذَا النَّشِيدِ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ، هُوَ وَيَشُوعُ بْنُ نُونٍ^(٤).

وجاءت مقدمة الابتهاج كالتالي: (١) «إِنْصِتِي أَيْتُهَا السَّمَاوَاتُ فَأَتَكَلَّمُ، وَلِتَسْمَعَ

١. الضَّبْعُ: العضد، أو ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه.

٢. العسكري: معالم المدرستين، ج ١، ص ٣٠٢-٣٠٤.

٣. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣١، ٢٢، ٢٨-٣٠.

٤. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣٢، ٤٤.

الأَرْضُ أَقْوَالَ فَمَي. ٢ يَهْطِلُ كَالْمَطَرِ تَعْلِيمِي، وَيَقْطُرُ كَالنَّدَى كَلَامِي. كَالظَّلِّ عَلَى الْكَلَاءِ، وَكَالْوَابِلِ عَلَى الْعُشْبِ. ٣ إِنِّي بِاسْمِ الرَّبِّ أَنْادِي. أَعْطُوا عَظْمَةً لِإِلَهِنَا....^(١).

وتعود السردية التوراة لتذكّرنا بأن حرمان موسى من دخول الأرض المقدسة المباركة، أرض كنعان، لم يكن بسبب ما فعله قومه فحسب، بل لأنه -بمعية أخيه هارون- لم ينفذ الأمر الإلهي كما هو، وذلك حين واجه بنو إسرائيل العطش، وكان المطلوب من موسى أن يتكلم مع صخرة محدّدة، لينبع منها الماء، ولكنه ضربها بعصاه بدلاً عن ذلك، فغضب الله منه ومن هارون، فعاقبهما بالحرمان من دخول تلك الأرض، وقد استبعدنا صحّة الحادثة بهذه الصورة المروية في التوراة الحاضرة.

جاء هذا التذكير في نهايات سفر التثنية بعد خبر إلقاء النبي موسى الأنشودة الروحانية على مسامع قومه: (٤٨) وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي نَفْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَائِلًا: ٤٩ «إِصْعَدْ إِلَى جَبَلِ عِبَارِيمَ هَذَا، جَبَلِ نُبُو الَّذِي فِي أَرْضِ مُوآبَ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا، وَانْظُرْ أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مُلْكًا، ٥٠ وَمَتَّ فِي الْجَبَلِ الَّذِي تَصْعَدُ إِلَيْهِ، وَانْظُرْ إِلَى قَوْمِكَ، كَمَا مَاتَ هَارُونُ أَخُوكَ فِي جَبَلِ هُورٍ وَضُمَّ إِلَى قَوْمِهِ. ٥١ لِأَنَّكُمْ خُنْتُمَنِي فِي وَسْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ مَاءِ مَرِيَبَةِ قَادَشَ فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ، إِذْ لَمْ تُقَدِّسَانِي فِي وَسْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ٥٢ فَإِنَّكَ تَنْظُرُ الْأَرْضَ مِنْ قُبَالَتِهَا، وَلَكِنَّكَ لَا تَدْخُلُ إِلَى هُنَاكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ»^(٢).

• دعاء وتوديع:

ومع اقتراب الرحيل عن الدنيا، بعد كل هذا العمر الحافل بالأحداث العظيمة،

١. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣٢، ١-٣.

٢. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣٢، ٤٨-٥٢.

والتحديات الكبيرة، جاء دور الإجراء الخامس... الدعاء لقومه دعاء توديع وفراق، حيث بدأ الدعاء بتمجيد الله: (١) وَهَذِهِ هِيَ الْبَرَكَةُ الَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى، رَجُلُ اللَّهِ، بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ، ٢ فَقَالَ: «جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سَيْنَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرٍ، وَتَلَأَلَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبَوَاتِ الْقُدُسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ. ٣ فَأَحَبَّ الشَّعْبَ. جَمِيعُ قَدَيْسِيهِ فِي يَدِكَ، وَهُمْ جَالِسُونَ عِنْدَ قَدَمِكَ يَتَقَبَّلُونَ مِنْ أَقْوَالِكَ...» (١).

ثم بالدعاء لكل سبط من أسباط بني إسرائيل على حدة: (٦) لِيَخِي رَأُوِيْنُ وَلَا يَمُتْ، وَلَا يَكُنْ رِجَالُهُ قَلِيلِينَ». ٧ وَهَذِهِ عَنْ يَهُودَا قَالَ: «اسْمَعْ يَا رَبُّ صَوْتَ يَهُودَا، وَأَتِ بِهِ إِلَى قَوْمِهِ. بِيَدَيْهِ يُقَاتِلُ لِنَفْسِهِ، فَكُنْ عَوْنًا عَلَى أَضْدَادِهِ»....» (٢).

• الوفاة:

وقبل الوفاة، وفي مشهدٍ دراميٍّ يختتم الرحلة الرسالية الطويلة التي امتدت أكثر من أربعين سنة، توجه النبي موسى من موقعه الصحراوي في الضفة الشرقية لنهر الأردن إلى جبلٍ مطَّلٍّ على الأرض المباركة في الضفة الغربية قبالة مدينة أريحا، ليصعد فيريه الله بركات الأرض الموعودة التي سينعم فيها قومه من بعده، وقد جاهد طوال العقود الماضية كي يرشدهم ويهديهم ويعلمهم ويأخذ بأيديهم إلى أن يغدو أهلاً لهذا العطاء الإلهي العظيم.

(١) وَصَعِدَ مُوسَى مِنْ عَرَبَاتِ مُوآبَ إِلَى جَبَلِ نَبُو، إِلَى رَأْسِ الْفِسْجَةِ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا، فَأَرَاهُ الرَّبُّ جَمِيعَ الْأَرْضِ.... ٤ وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «هَذِهِ هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي أَقْسَمْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلًا: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا. قَدْ أَرَيْتُكَ إِيَّاهَا بَعَيْنِكَ، وَلَكِنَّكَ إِلَى هُنَاكَ

١. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣٣، ١-٣.

٢. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣٣، ٦-٧.

لَا تَعْبُرُ»^(١).... لاشك أنها كانت لحظات عظيمة تمتزج فيها المشاعر... سعادة، وأمل، وشكر، وامتنان، وتذلّل أمام عظمة الله «تعالى» وعظيم منّه.

وفي ذلك الموقف، وبعيداً عن أعين قومه، توفّي الكليم موسى «عليه السلام»، وخفي موضع جثمانه عليهم، ولم يُعثر على مرقدِهِ إلى هذا اليوم، وفي التوراة أن الله تكفل بدفن جثمانه سرّاً: (٥ فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. ٦ وَدَفَنَهُ فِي الْجَوَاءِ^(٢) فِي أَرْضِ مُوآبَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فَعُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ)^(٣).

جاء في المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم أنّ (بيت فَعُور): (بيت الإله بَعْل فَعُور. بلدة موآبيّة قرب الأردنّ.... اليوم وحسب بعض الشّراح : خربة الشيخ جائل التي تبعد ١٠ كلم إلى الغرب من حسان)^(٤).

وإلى الغرب من حسان -حشبون التي مرّ ذكرها معنا في التوراة- موضع يُعرف باسم (مقام النبي موسى) ويقع على جبل نيبو الذي يبعد ٤٠ كم تقريباً عن العاصمة الأردنية عمّان، وهو مطل على البحر الميت، ويعلو هذا الجبل عن سطح الأرض ٦٨٠ م تقريباً، ويستطيع أي شخص عند الصعود إلى قمته أن يشاهد بعض أنحاء أرض فلسطين، وتحديداً المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

والمقام المذكور يخلّد موقف النبي موسى الذي أشرنا إليه مسبقاً وهو في ساعاته

١. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣٤، ١-٤.

٢. الجواء: السهل.

٣. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣٤، ٥-٦.

٤. الفغالي: المحيط الجامع، ص ٣٠٢.

الأخيرة قبل وفاته حيث أطلّ من هناك على أرض كنعان، وقد تم بناء كنيسة صغيرة هناك في القرن الرابع الميلادي، ولا تزال بعض الحجارة من تلك الكنيسة في مكانها الأصلي في الجدار المحيط بمحرابها الحالي. كما تمّت توسعة تلك الكنيسة في القرنين الخامس والسادس الميلاديين. [انظر اللوحات ١٠٩-١١٢]

• إقامة العزاء:

وفي نهاية سفر التثنية، تُذكّر التوراة بعمر النبي موسى عند وفاته، وتشير إلى حالته الصحية عندما غادر هذه الدنيا الفانية: (٧ وَكَانَ مُوسَى ابْنُ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ، وَلَمْ تَكِلْ عَيْنُهُ وَلَا ذَهَبَتْ نَصَارَتُهُ)^(١).

تباينت الأقوال -عند المسلمين- في مدة عمر موسى «عليه السلام»، فنصّ عدد من المؤرخين كالطبري وابن كثير واليعقوبي - كما في التوراة - أنه توفي عن ١٢٠ سنة، بينما قال المسعودي في كتابه إثبات الوصية بأنه توفي عن ١٢٦ سنة، وفي كتاب كمال الدين للشيخ الصدوق ما يتفق مع ذلك، حيث روى بالسند عن محمد بن يوسف التميمي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده «عليهم السلام» عن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (عاش موسى مائة وستاً وعشرين سنة، وعاش هارون «عليه السلام» مائة وثلاثاً وثلاثين سنة)^(٢).

وقد كانت لنا وقفة في الجزء الأول من الكتاب تناولنا فيها مناقشة عمر النبي موسى عند خروجه من مصر بعد قتل الذي هو من عدوّه، وما تبع ذلك من أحداث، واستبعدنا أن يكون قد بُعث وهو في الثمانين، وقلنا بأن استقراره في مدين كان في بدايات العقد

١. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣٤، ٧.

٢. الصدوق: إكمال الدين، ص ٢٨٩.



اللوحة رقم ١٠٩ : موقع حسبان وأريحا ومقام النبي موسى على جبل نيبو



اللوحة رقم ١١٠ : جبل نيبو



اللوحة رقم ١١١ : مقام النبي موسى على جبل نيبو



اللوحة رقم ١١٢ : كنيسة قديمة حيث مقام النبي موسى على جبل نيبو

الثاني من عمره، ولمدة عشر سنوات تقريباً، ثم استمرت رحلة الرسالة بضعا وأربعين سنة، فالمجموع يتجاوز السبعين ببضع سنين، ولربما شارف على الثمانين، والله أعلم. أقيمت المآتم على رحيل كليم الله على مدى ثلاثين يوماً متوالية: (٨ فَبَكَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوَابَ ثَلَاثِينَ يَوْماً. فَكَمَلْتُ أَيَّامَ بُكَاءِ مَنَاحَةِ مُوسَى.... ١٠ وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لَوَجْهِهِ، ١١ فِي جَمِيعِ الْآيَاتِ وَالْعَجَائِبِ الَّتِي أَرْسَلَهُ الرَّبُّ لِيَعْمَلَهَا فِي أَرْضِ مِصْرَ بِفِرْعَوْنَ وَجَمِيعِ عِبِيدِهِ وَكُلِّ أَرْضِهِ، ١٢ وَفِي كُلِّ يَدِ الشَّدِيدَةِ وَكُلِّ الْمَخَافِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي صَنَعَهَا مُوسَى أَمَامَ أَغْنِي جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ) (١). وتسلم يشوع المسئولية من بعده وفقاً لأمر الله ووصية الكليم، ليبدأ بنو إسرائيل من بعد ذلك رحلتهم نحو الأرض الموعودة: (٩ وَيَكْشُوعُ بْنُ نُونٍ كَانَ قَدْ أَمْتَلَأَ رُوحَ حِكْمَةٍ، إِذْ وَضَعَ مُوسَى عَلَيْهِ يَدَيْهِ، فَسَمِعَ لَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَعَمِلُوا كَمَا أَوْصَى الرَّبُّ مُوسَى) (٢).

• الوفاة في مصادر المسلمين:

في هذا الباب أكثر من رواية تلتقي من نواح وتختلف من نواح أخرى، بعضها يختص ببيان تفاصيل الحدث، وبعضها يتحدث عن المكان والزمان وعمر النبي موسى عند الوفاة، والله أعلم بحقيقة مضامينها، ومدى صحتها. واللافت في البين أنها تركز على رفض النبي موسى استقبال الموت، وإن اختلفت في تقديم صورة ذلك، وهي فكرة مطروحة في الأساس ضمن التراث اليهودي، ولا أظن أنها تتناسب وشأن رسولٍ من أولي العزم. وهذه نماذج مما روي حول وفاة النبي موسى «عليه السلام».

١. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣٤، ٨-١٢.

٢. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣٤، ٩.

(١) في تفسير القمي أنّ الله خاطب النبي موسى قائلاً: (.... يا ابن عمران لا تجزع من الموت فإني كتبت الموت على كل نفس، وقد مهّدت لك مهاداً لو قد وردت عليه لقرّت عيناك. فخرج موسى إلى جبل طور سيناء^(١) مع وصيه، فصعد موسى الجبل فنظر إلى رجل قد أقبل ومعه مكمل ومسحاة، فقال له موسى: ما تريد؟ قال: إن رجلاً من أولياء الله قد توفّي فأنا أحفر له قبراً، فقال له موسى: أفلا أعينك؟ عليه؟ قال: بلى، قال: فحفر القبر فلما فرغ أراد الرجل أن ينزل إلى القبر، فقال له موسى: ما تريد؟ قال: أدخُل القبر فأنظر كيف مضجعه؟ فقال موسى: أنا أكفيك، فدخله موسى فاضطجع فيه، فقبض ملك الموت روحه وانضمّ عليه الجبل^(٢).

هذا النص القصير تطوّر إلى نص أكثر تفصيلاً - كالنص التالي - أو العكس صحيح، بأن جاء ما في تفسير القمي مختصراً عن نص مطوّل.

(٢) كمال الدين وأمالى الصدوق بالسند عن ابن عمارة، عن أبيه قال: (قلت للمصادق جعفر بن محمد «عليه السلام»: أخبرني بوفاة موسى بن عمران «عليه السلام»، فقال له: إنه لما أتاه أجله واستوفى مدّته وانقطع أكله، أتاه ملك الموت فقال له: السلام عليك يا كليم الله، فقال موسى: وعليك السلام، من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال: ما الذي جاء بك؟ قال: جئت لأقبض روحك، فقال له موسى «عليه السلام»: من أين تقبض روحي؟ قال: من فمك، قال له موسى «عليه السلام»: كيف وقد كلّمت ربي «جل جلاله»؟ قال: فمن يديك، قال: كيف وقد حملت بهما التوراة؟ قال: فمن رجلك، قال: كيف وقد وطئت بهما طور سيناء؟ قال: فمن عينيك، قال: كيف ولم تنزل إلى ربي

١. هذا يخالف مسار حركة النبي موسى مع بني إسرائيل والذي انتهى قبالة أريحا كما بيّنا، إلا أن يقال أنه عندما غادر جماعته غادر بمعية يوشع ورجع إلى جبل الطور، وهو بعيد.

٢. القمي: تفسير القرآن، ص ٤٩٣.

بالرجاء ممدودة؟ قال: فمن أذنك، قال: وكيف وقد سمعت بهما كلام ربي «عز وجل»؟ قال: فأوحى الله «تبارك وتعالى» إلى ملك الموت: لا تقبض روحه حتى يكون هو الذي يريد ذلك. وخرج ملك الموت فمكث موسى ما شاء الله أن يمكث بعد ذلك، ودعا يوشع بن نون فأوصى إليه وأمره بكتمان أمره وبأن يوصي بعده إلى من يقوم بالأمر، وغاب موسى «عليه السلام» عن قومه، فمرّ في غيبته برجل وهو يحفر قبراً، فقال له: ألا أعينك على حفر هذا القبر؟ فقال له الرجل: بلى، فأعانه حتى حفر القبر وسوى اللحد، ثم اضطجع فيه موسى بن عمران «عليه السلام» لينظر كيف هو، فكشف له عن الغطاء فرأى مكانه من الجنة، فقال: يا رب، اقبضني إليك، فقبض ملك الموت روحه مكانه، ودفنه في القبر، وسوى عليه التراب، وكان الذي يحفر القبر مَلَكٌ في صورة آدمي، وكان ذلك في التيه، فصاح صائح من السماء: مات موسى كليم الله، فأى نفس لا تموت؟ فحدثني أبي، عن جدي، عن أبيه «عليهم السلام» أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» سئل عن قبر موسى «عليه السلام» أين هو؟ فقال: عند الطريق الأعظم، عند الكثيب الأحمر^(١).

٣) في صحيح البخاري ومسلم والنسائي، واللفظ للأخير عن أبي هريرة قال: (أُرسل ملك الموت إلى موسى «عليه السلام»، فلما جاءه صكّه، ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فقال: أُرسلتني إلى عبدٍ لا يريد الموت! فردّ الله «عز وجل» إليه عينه. قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة. قال^(٢): أي رب، ثم مَهْ^(٣)؟ قال: الموت. قال: فالآن. فسأل الله «عز وجل» أن يُدنيه من الأرض

١. الصدوق: كمال الدين، ص ٩١-٩٢.

٢. القائل هو موسى، وفي النص اختصار.

٣. أي ماذا بعد كل هذه السنين من الحياة في هذه الدنيا؟

المقدّسة رميّةً بحَجَر^(١). قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: فلو كنت ثمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، تحت الكثيب الأحمر^(٢).

٤) تاريخ الطبري: (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً^(٣)، حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه. قال: فرجع فقال: يا رب، إنّ عبدك موسى فقأ عيني، ولولا كرامته عليك لشققت عليه. فقال: ائت عبدي موسى فقل له فليضع كفّه على متن ثور، فله بكل شعرة وارت يده سنة، خيرّه بين ذلك وبين أن يموت الآن. قال: فأتاه فخيرّه فقال له موسى: فما بعد ذلك؟ قال: الموت. قال: فالآن إذاً. قال: فشّمه شمةً فقبّض روحه^(٤). قال: فجاء^(٥) بعد ذلك إلى الناس خفياً^(٦)).

تعليق: في البين أصولٌ يهودية لهذه المرويات الخاصة برفض النبي موسى الموت، والتحايل على أمر الله، والموقف العنيف تجاه ملك الموت. والنص التالي المنقول من مدرّاش (تفسير) سفر التثنية يكشف عن ذلك بكل وضوح، والنص وإن كان طويلاً، ولكن وجدت من الضروري نقله بكامله تقريباً لأن مطالعته التفصيلية تكشف عن هذه الحقيقة وتقدّم تفاصيل عديدة تؤكّد فكرة فرار النبي موسى من الموت، والتي قدّمت في النصوص الروائية عند المسلمين بطرق مختلفة.

١. أي قدر ما يبلغه.

٢. النسائي: صحيح سنن النسائي، ح ٢٠٨٨.

٣. يبدو أن هذه الإضافة في الرواية لرفع إشكال قد طُرِح أو احتمله الراوي حول كيفية رؤية النبي موسى لملك الموت، بينما المعروف أنه لا يُرى.

٤. أي دنا واقترب منه فقبض روحه، أو أن ملك الموت أخذ نفساً فقبض روحه بهذا النّفس.

٥. أي ملك الموت.

٦. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٣٠٥.

إن فكرة الخوف من الموت والفرار منه ماثلة في السلوك اليهودي بنص القرآن الكريم كما في قوله «عز وجل»: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْجَحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾^(١)، وقوله «تعالى»: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوَنَّهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾^(٢)، وهي لم تأت من فراغ، ولها مسبباتها المتوارثة عبر الأجيال من خلال مؤثرات عقدية وتربوية ونفسية وسلوكية متعددة كشفت الآيات السابقة جانباً منها، وتعززها الأسطورة التالية لخوف موسى «عليه السلام» نفسه من الموت وهروبه منه!!

يقول مدرّاش سفر التثنية حول الساعات الأخيرة من حياة النبي موسى حيث أتم ١٢٠ سنة من عمره، وهي المدّة المقرّرة له في هذه الحياة، وقد صدر الأمر الإلهي بقبض روحه، ما ترجمته: (١] وَهَذِهِ هِيَ الْبَرَكَةُ الَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى، رَجُلُ اللَّهِ، بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ^(٣)]. ما المقصود بـ «قبل موته»؟ يقول الحاخامات: ماذا فعل موسى؟ لقد قبض على ملك الموت وألقاه أمامه، وبارك القبائل، كل حسب ما يناسبه من البركة.

١. سورة البقرة: ٩٤-٩٦.

٢. سورة الجمعة: ٦-٨.

٣. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٣٣، ١.

قال الحاخام مائير: جاء ملك الموت إلى موسى وقال له: «لقد أرسلني الله إليك، لأنك ستغادر هذه الحياة اليوم». أجابه موسى: «اذهب، فأنا أريد أن أثني على القدوس، تبارك اسمه». فقال ملاك الموت لموسى: «موسى، لماذا أنت متكبر هكذا؟ هناك آخرون في الخليقة يستطيعون أن يمدحوا الله. السماء والأرض تسبحان الله طوال الوقت». أجابه موسى: «سأجعل السماء والأرض يصمتان، وأنا أسبح الله». ثم جاء ملاك الموت إلى موسى مرة ثانية. ماذا فعل موسى؟ لقد نطق باسم الله الذي لا يوصَف، بالاسم الذي لا يوصَف^(١)، ففرّ ملاك الموت. وعندما جاء إليه للمرة الثالثة، قال موسى: «بما أن هذا الأمر من الله، يجب أن أقبل عدل حكمه».

يضيف المدرّش أنه بعد أن اقتنع موسى بأن يُسلم روحه، جاء دور الروح لترفض أن تخرج من جسده، علماً بأن المراد من كلمة (نفس) في النص التالي هو الروح:

(قال الحاخام إسحاق: جاهدت نفس موسى للخروج. كان موسى يتحدث مع نفسه قائلاً: «يا نفسي، ربما تظنين أن ملاك الموت يسعى إلى السيطرة عليك؟». فقال لها موسى: «إن الله لن يسمح بذلك». فقال موسى لنفسه: «لعلك رأيت إسرائيل يبكون فبكيت معهم؟». فقالت: لقد أنقذت عيني من الدموع^(٢). فقال لها موسى: «فهل تظنين أنهم طلبوا أن يزجّوك في جهنم؟». فقالت له: لقد أنقذت رجلي من العثرة^(٣). فقال لها موسى: «وأين أنت ذاهبة؟». فقالت: أمشي أمام الرب في أراضي الأحياء. فلما سمع موسى هذا أذن لها بالخروج قائلاً لها: ارجعي يا نفسي إلى راحتك، لأن الله

١. مصطلح الاسم الذي لا يوصَف يقابل اسم الله الأعظم في تراث المسلمين.

٢. أي خلصتني من تبعة وتعب البكاء عليك.

٣. أي خلصتني -بتوضيحك لهذا الأمر- من التردد في قبول الخروج من جسدي.

قد أحسن إليك. ويضيف المدرّاش نصّاً آخر يوضّح بعض أساليب النبي موسى في المماثلة والمساومة كي لا يموت: حين كان موسى على وشك مغادرة هذا العالم، قال له القدوس تبارك اسمه: [هُوَذَا أَيَّامُكَ قَدْ قَرُبَتْ لِيَكُنِّي تَمُوتَ^(١)]. أجاب موسى أمام الله: «يا سيد الكون، بعد كل تعبي من أجلك ومن أجل إسرائيل، تقول لي: [هُوَذَا أَيَّامُكَ قَدْ قَرُبَتْ لِيَكُنِّي تَمُوتَ]؟ لن أموت، بل أعيش وأخبر بأعمال الرب». عندئذ قال الله: «لا يمكنك أن تنجح في هذا الأمر، لأن هذا هو مصير جميع البشر». ثم قال موسى: «يا سيد الكون، أطلب منك نعمة واحدة قبل أن أموت، أن أدخل أرض إسرائيل وأن تُفتح جميع أبواب السماء وفي أعماق الأرض حتى يرى الناس أنه لا يوجد أحد غيرك». فأجابه الله: «أنت قلت عني: [لَيْسَ سِوَاهُ^(٢)]. أنا أيضاً أقول: [وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلَ مُوسَى^(٣)].

قال الله لموسى: [هُوَذَا أَيَّامُكَ قَدْ قَرُبَتْ لِيَكُنِّي تَمُوتَ^(٤)]. قال الحاخام إيفو: قال موسى: «يا سيد الكون، بكلمة [هُوَذَا] التي استخدمتها لتمجيدك بين ستمائة ألف من بني إسرائيل الذين قدّسوا اسمك، تقضي بعقوبة الموت عليّ! ألا تكافئ الكيل بالكيل؟ لماذا إذن تكافئني كيلاً رديئاً بكيل جيد، وكيلاً ناقصاً بكيل كامل، وكيلاً ضيقاً بكيل واسع؟». أجاب القدوس، تبارك اسمه: «موسى، إن استخدائي لتعبير [هُوَذَا] هو أيضاً كَيْلٌ جَيِّدٌ..... فكّر موسى: «عندما دعوت الله ليرحم إسرائيل، استجاب الله لطلبي. بما أنني لم أخطئ منذ شبّابي، ألا يكون من المنطقي أن يستجيب الله لدعائي عندما

١. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٣١، ١٤.

٢. أي: لا إله إلا الله. وهو جزء من الآية ٣٩ من الإصحاح ٤ من سفر التثنية.

٣. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٣٤، ١٠.

٤. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٣١، ١٤.

أصلي من أجل نفسي؟». وعندما رأى الله أن موسى استخفّ بالأمر، وأنه لم يكن منخرطاً في الدعاء، اغتنم الفرصة ليُقسم باسمه العظيم أن موسى لا ينبغي أن يدخل أرض إسرائيل. عندما رأى موسى أن التقدير الإلهي ضده قد تمّ ختمه، قرّر أن يصوم، ورسم دائرة صغيرة، ووقف داخلها. فقال: «لن أنتقل من هنا حتى تُبطل هذا الأمر».

ثم يتحدث المدرّش عن إضراب موسى عن الطعام: (فماذا فعل موسى بعد ذلك؟ لقد لَفَّ نفسه بِمِسْح^(١)، وتدرّج في التراب، ووقف للدعاء والتضرع أمام القدوس، تبارك اسمه، حتى اهتزت السماوات ونظام الطبيعة. فقالوا: «ربما كانت رغبة القدوس، تبارك اسمه، أن يُجَدِّد عالمه». وعندئذٍ سُمع صوت سماوي ينادي: «ليست رغبة القدوس، تبارك اسمه، أن يجدد عالمه».

فماذا فعل القدوس تبارك اسمه في ذلك الوقت؟ لقد أعلن في كل باب من أبواب السموات السبع، وفي كل محكمة، أنه لا ينبغي لهم أن يقبلوا صلاة موسى، ولا أن يحضروها أمامه، لأن الحكم ضده كان محتوماً. واستدعى الله على عجل الملاك المسؤول عن الإعلانات، الذي كان اسمه أخريزيل، وأمر الملائكة الخادمين: «انزلوا بسرعة، وأغلقوا جميع أبواب كل سماء، لأن صوت صلاة موسى يهدّد بشقّ طريقه إلى السماء». وسعت الملائكة إلى الصعود إلى السماء بسبب صوت صلاة موسى، لأن صلاته كانت مثل السيف الذي يمزّق ويقطع طريقه عبر كل شيء، ولا يدخر شيئاً، لأن صلاته كانت من طبيعة الاسم الذي لا يوصف، والذي تعلمه من [زغراغييل] كاتب أبناء السماء....

قال موسى لله: «يا سيد الكون، إن العمل الشاق والجهد الذي كرّسته لجعل إسرائيل

١. المِسْحُ: تَوْبُ الرَّاهِب.

تؤمن باسمك واضح ومعروف لك، كما هو الحال مع المتاعب التي بذلتها لتعليمهم التوراة والوصايا. اعتقدت أنه كما شهدت متاعبهم، فسوف أشهد أيضاً حظهم السعيد. ولكن الآن وقد حان وقت الحظ السعيد لإسرائيل، فأنت تقول لي: [لَا تَعْبُرْ هَذَا الْأُرْدُنَّ^(١)] ! أنت بذلك تجعل شريعتك احتيالياً، لأنك كتبت فيها فيما يتعلق بالعمل المأجور: [فِي يَوْمِهِ تُعْطِيهِ أُجْرَتَهُ، وَلَا تَغْرُبْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، لِأَنَّهُ فَقِيرٌ وَلِئَلَّا حَامِلٌ نَفْسَهُ^(٢)]. هل هذه هي المكافأة التي أحصل عليها مقابل أربعين عاماً من العمل، والتي عملت خلالها بجد حتى تصبح إسرائيل أمة مقدسة ومؤمنة؟^(٣).

سمائيل يدخل على الخط: (كان «سمائيل» الملك الشرير، رئيس كل الملائكة المتهمين^(٣))، ينتظر موت موسى كل ساعة، قائلاً: «متى يحين وقت موت موسى، حتى أنزل وأخذ روحه منه؟». ليس هناك أحد من الملائكة المتهمين شريراً بقدر سمائيل، وليس هناك أحد باراً من الأنبياء بقدر موسى... لذلك كان سمائيل الشرير ينتظر موسى قائلاً: «متى يبكي الملك ميكائيل حامي إسرائيل وأضحك ملء فمي؟».

وقبل أن نكمل الاقتباس من المصدر، نتوقف قليلاً عند الملك سمائيل الشرير. ففي كثير من المصادر اليهودية، فإن سمائيل يوازي إبليس في التراث الإسلامي. ذكر سمائيل في سفر أخنوخ، وهو من الأسفار اليهودية غير القانونية (غير المعترف بها) إلى جانب ملائكة متمردين آخرين. في سفر أخنوخ الأول، كان سمائيل أحد الملائكة الذين نزلوا إلى الأرض لممارسة الجنس مع النساء من جنس البشر. وفي سفر الرؤيا

١. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٣١، ٢.

٢. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٢٤، ١٥.

٣. سنتحدث عن شخصية الملك سمائيل في التراث اليهودي بعد نهاية هذه الفقرة من الاقتباس.

اليوناني لباروخ، زرع سمائل شجرة معرفة الخير والشر التي أكل منها آدم، ثم نفاه الله ولعنه، فأغوى آدم وحواء بالخطيئة من خلال اتخاذ شكل الثعبان، فطرده الله من الجنة، وهذا يعني اتحاده مع إبليس، وهو ما يصرح به تفسير سفر الخروج حيث يقدمه كمتهم في محكمة السماء على أنه يجرّض على المعصية، وبأنه الشيطان، وزعيم الشياطين. وهكذا نجد وصفه في (مدراس بيركي دي رايب إيلعازر) بعنوان رئيس الملائكة الساقطين أي المعاقبين بالسقوط من السماء إلى الأرض والبقاء فيها، وأنه اعترض على خلق آدم ونزل إلى الأرض لإغرائه راكباً الثعبان، وهو من أقنع حواء بالأكل من الشجرة. وفي بعض المصادر يظهر سمائل بوصفه حاكم الجحيم وأنه الذي صار يعقوب، وهو الملاك الذي أمر إبراهيم بذبح ابنه.

نعود مجدداً إلى النص المترجم من المدراس: (وفي هذه الأثناء، لم يبقَ لموسى إلا ساعة واحدة من الحياة. فقال موسى للقدوس تبارك اسمه: «يا رب الكون، إن لم تسمح لي بدخول أرض إسرائيل، فاتركني في هذه الدنيا - خارج الأرض - حتى أعيش هناك ولا أموت»). قال القدوس تبارك اسمه لموسى: «إن لم أُمِتْكَ في هذه الحياة، فكيف أستطيع إحياءك في العالم الآتي؟ وفوق ذلك، إنك ستجعل شريعتي خديعة، لأن شريعتي المكتوبة بيدك تقول: [وَلَيْسَ مِنْ يَدَيِّ مُحَلَّصٌ^(١)]. فقال موسى لله: «يا رب الكون، إن لم تُدْخِلْنِي إلى أرض إسرائيل، دعني أصير مثل وحوش البرية التي تأكل العشب وتشرب الماء، وتعيش وتتمتع بالدنيا. كذلك فلتكن نفسي مثل واحد منهم». فأجابه الله: [كَفَاكَ! لَا تَعُدْ تُكَلِّمْنِي أَيْضًا فِي هَذَا الْأَمْرِ^(٢)].

١. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٣٢، ٣٩. أي: كل نفس ذائقة الموت.

٢. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٣، ٢٦.

ثم دعا موسى: «يا سيد الكون، دعني على الأقل أكون في هذا العالم مثل الطائر الذي يطير في كل اتجاه، ويجمع طعامه كل يوم، ويعود إلى عشه عند المساء. دع نفسي أيضاً تصبح مثل واحد منهم». فأجاب الله: «كفى!». ما معنى «كفى»؟ قال له الله: «لقد تكلمت بما فيه الكفاية». ولما رأى موسى أنه لا يوجد مخلوق يستطيع أن ينقذه من طريق الموت، صاح: [هُوَ الصَّخْرُ الْكَامِلُ صَنِيعُهُ. إِنَّ جَمِيعَ سُبُلِهِ عَدْلٌ. إِلَهُ أَمَانَةٍ لَا جَوْرَ فِيهِ. صَدِيقٌ وَعَادِلٌ هُوَ^(١)].

ماذا فعل موسى؟ أخذ مخطوطة وكتب عليها الاسم الذي لا يوصف.... في تلك الساعة قال القدوس تبارك اسمه لجبرائيل: «يا جبرائيل، اخرج وأحضر روح موسى». ولكن جبرائيل أجاب: «يا سيد الكون، كيف يمكنني أن أشهد موت من يساوي ستمائة ألف؟ وكيف يمكنني أن أتعامل بقسوة مع من يمتلك مثل هذه الصفات؟». قال الله لميخائيل: «اخرج وأحضر روح موسى». ولكن ميخائيل أجاب: «يا سيد الكون، كنت معلّمه، وكان تلميذي. لذلك لا يمكنني أن أشهد موته». قال الله لسمايل الشرير: «اخرج وأحضر روح موسى». فلبس سمايل على الفور الغضب، وتقلّد سيفه، ولقّ نفسه بالقسوة، وخرج للقاء موسى.

ولما رأى سمايل موسى جالساً ويكتب الاسم الذي لا يوصف، وكيف كان مظهره مشرقاً كالشمس وكان كملاك الرب القدير، خاف من موسى وقال: «من المؤكد أن الملائكة لا تستطيع أن تأخذ روح موسى».

قبل أن يظهر سمايل لموسى، علم موسى بقدمه، وعندما رأى سمايل موسى، استولى عليه الارتعاش والخوف، كما تفعل امرأة في مخاض، ولم يكن لديه الجرأة

١. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٣٢، ٤.

ليتحدث إلى موسى، حتى قال له موسى: «لا سلام للأشرار، هكذا قال الله. ماذا تفعل هنا؟». أجاب: «لقد جئت لأخذ روحك». سأله موسى: «من أرسلك؟». أجاب: «الذي خلق كل المخلوقات». فقال له موسى: «لن تأخذ روحي». عندها أجاب: «إن أرواح كل من يأتي إلى هذا العالم تُسلم إلى يدي». عندها قال موسى: «لدي قوة أكبر من كل من يأتي إلى هذا العالم». سأل سمائيل: «وماذا [يُظهر] قوتك؟» فأجاب موسى: «أنا ابن عمرام، خرجت من بطن أمي مختوناً. لم أكن بحاجة إلى الختان. في اليوم الذي ولدت فيه، وجدت نفسي قادراً على التكلم والمشي والتحدث مع أبي وأمي، ولم أكن قد رضعت حليب أمي بعد. وعندما كنت في الثالثة من عمري تنبأت وأعلنت أنني مقدّر لي أن أتلقى الشريعة من وسط لهيب النار. ذات مرة عندما كنت أسير في الشارع دخلت قصر الملك وخلعت التاج عن رأسه. وعندما بلغت الثمانين من عمري صنعت آيات وعجائب في مصر وأخرجت ستمائة ألف أمام أعين كل مصر. وقسمت البحر إلى اثني عشر جزءاً، وجعلت المياه المرة حلوة؛ صعدت إلى السماء لتلقي التوراة، وخضت معركة مع الملائكة، وتلقيت شريعة النار، وسكنت تحت عرش الله الناري. احتميت تحت عمود النار، وتحدثت مع الله وجهاً لوجه. تغلبت على مجتمع السماء، وكشفت أسرار الملائكة لأبناء البشر. تلقيت الشريعة من يمين الله، وعلمتها لإسرائيل. حاربت سيحون وعوج، العملاقين الوثنيين اللذين لم تصل مياه الطوفان إلى كاحليهما بسبب قامتهما العظيمة. جعلت الشمس والقمر يقفان في الأعلى، وضربت العملاقين بالعصا التي في يدي وقتلتهما. هل يوجد رجل آخر يستطيع أن يفعل الشيء نفسه؟ ابتعد من هنا أيها الشرير، ولا تجرؤ على مقارنتي بالرجال الآخرين. اذهب، اهرب من أمامي. لن أسلم روحي إليك».

رجع سمائيل على الفور، وأبلغ الله القدير. عندها أمر القدوس، تبارك اسمه، سمائيل، «اخرج مرة أخرى وأحضر روح موسى». فسحب سمائيل سيفه من غمده ووقف فوق موسى، فثار موسى على سمائيل في الحال، وأخذ العصا التي نُقش عليها الاسم الذي لا يوصف، وضرب سمائيل بكل قوته حتى هرب من أمامه. ركض موسى خلفه بالاسم الذي لا يوصف، وأخذ شعاعاً من الجلالة من بين عينيه وأعمى بصره^(١).

في هذه اللحظة حانت اللحظة الأخيرة لموسى. سمع صوتاً سماوياً يعلن: «لقد حان وقت موتك». قال موسى للقدوس، تبارك اسمه: «يا سيد الكون، تذكر اليوم الذي أظهرت فيه نفسك لي في العليقة^(٢)» وقلت لي: [فَالآنَ هَلُمَّ فَأَرْسِلْكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجْ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ]^(٣)؟ تذكر الوقت الذي وقفت فيه على جبل سيناء لمدة أربعين يوماً وأربعين ليلة؟ أتوسل إليك، لا تُسلمني إلى يد ملاك الموت». عندئذٍ سمع صوتاً سماوياً يقول له: «لا تخف، أنا بنفسى سأعتني بك وبدفنك».

في تلك الساعة قام موسى وتقدّس مثل «السرافيم»^(٤)، ونزل الله من أعلى السموات ليأخذ روح موسى. وكان معه ثلاثة ملائكة خدم، ميكائيل وجبرائيل وزقزقييل. فوضع ميكائيل سرير موسى، وبسط جبرائيل قطعة من الكتان عند رأس موسى، وزقزقييل عند قدميه. ووقف ميكائيل على جانب واحد وجبرائيل على الجانب الآخر. قال الله: «موسى، اطوِ جفنيك على عينيك». ففعل ذلك. ثم قال: «ضع يديك على صدرك». ففعل ذلك. ثم قال: «ضع قدميك بجانب بعضهما البعض». ففعل ذلك. ثم

١. نتذكر هنا رواية أبي هريرة في صحيح البخاري ومسلم والنسائي كيف فقأ موسى عين ملك الموت.

٢. شجرة العليقة. إشارة إلى بداية مبعثه عند جبل الطور حيث كلمه الله من الشجرة.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣، ١٠.

٤. يطلق هذا المصطلح على أعلى رتبة بين الملائكة.

استدعى القدوس، تبارك اسمه، روح موسى من وسط جسده، قائلاً لها: «يا ابنتي، لقد حددت مدة إقامتك في جسد موسى بمائة وعشرين عاماً. الآن قد حانت نهايتك. انصري دون تأخير». فأجابت: «يا سيد الكون، أعلم أنك إله كل الأرواح وكل النفوس، وأرواح الموتى والأحياء في حراستك، وأنتك خلقتني وصوّرتني ووضعتني في جسد موسى لمدة ١٢٠ عاماً. والآن، هل يوجد جسد في العالم أظهر من جسد موسى لم يكن فيه رائحة كريهة، ولا دودة ولا يرقات، ولا أي نوع من أنواع الحشرات؟ لذلك أحبه ولا أرغب في تركه». عندها صاح الله: «يا نفس، اخرجي، لا تتأخري، وسأرفعك إلى أعلى السماوات، وسأضعك تحت عرش المجد بجوار الكروبيم والسيرافيم وجنود الملائكة الآخرين». أجابت الروح: «يا سيد الكون، نزل ملاكان، عَزَّوَعَزَائِيل، من قُرب حضرتك الإلهية، وطمعا في بنات الأرض، وأفسدا طريقهما على الأرض حتى علّقتهما بين الأرض والسما. ولكن منذ اليوم الذي أظهرت فيه نفسك لموسى عند العُلَيْقة، لم تكن له أية علاقات زوجية مع زوجته، ولذلك فهو أعظم من الملائكة. أتوسل إليك: دعني أبقى في جسد موسى».

ثم قَبِلَ اللهُ موسى وأخذ روحه بقبلة من فمه. وبكى القدوس تبارك اسمه، وقال الروح القدس: [وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى^(١)]. وبكت السماوات وقالت: [قَدْ بَادَ التَّقِيُّ مِنَ الْأَرْضِ]. وبكت الأرض وقالت: [وَلَيْسَ مُسْتَقِيمٌ بَيْنَ النَّاسِ^(٢)]. وعندما بحث يشوع عن سيده ولم يجده، بكى أيضاً وقال: [خَلَصَ يَا رَبُّ، لِأَنَّهُ قَدْ انْقَرَضَ التَّقِيُّ، لِأَنَّهُ قَدْ انْقَطَعَ الْأُمْنَاءُ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ^(٣)]. وقال الملائكة

١. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٣٤، ١٠.

٢. الكتاب المقدس: سفر ميخا، الإصحاح ٧، ٢.

٣. الكتاب المقدس: سفر المزامير، الإصحاح ١٢، ١.

الخدامون: [يَعْمَلُ حَقَّ الرَّبِّ^(١)]. وقال إسرائيل: [وَأَحْكَامُهُ مَعَ إِسْرَائِيلَ^(٢)]. كان الجميع يقولون: [يَدْخُلُ السَّلَامَ. يَسْتَرِيحُونَ فِي مَضَاجِعِهِمْ. السَّالِكُ بِالْإِسْتِقَامَةِ^(٣)] [ذِكْرُ الصَّدِيقِ لِلْبَرَكَةِ^(٤)] [وتكون نفسه مقدرة للحياة في العالم الآتي^(٥)] (٦).

انتهى وصف مدرّاش سفر التثنية من بيان ما جرى في الساعات الأخيرة من حياة النبي موسى، وكيف سعى للفرار من الموت، إلى أن انتهى الأمر بالذات العلية لله «سبحانه» أن يتدخل بنفسه وينتزع روح كليمه بقبلة من فمه!

ولا أدري إن كانت هذه الأسطورة هي التي ألهمت البعض ليدّعي رفض ملك الموت انتزاع روح الإمام الحسين «عليه السلام» عند استشهاده، فتدخل الله بنفسه فانتزع روحه، ورووا عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» أنه: (بينما هو جالس مع أصحابه وذكر عاشوراء وماذا حدث للحسين إذ قال: أحدثكم بحديث يهتزّ منه عرش الجليل «سبحانه وتعالى»، عندما سقط جدي الحسين ولما خر صريعاً من على ظهر جواده إلى الأرض متعقراً، جلس الشمر «لعنة الله عليه» على صدر جدي الحسين وهو عطشان، وأكبّه على وجهه، وجعل يقطع أوداجه بالسيف وهو ينادي: واعطشاه! وبقي جسده الطاهر رميّة، فعند ذلك أوحى الله «تعالى» إلى جميع المخلوقات على الأرض والسموات أن انظروا إلى حبيب رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذه

١. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٣٣، ٢١.

٢. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٣٣، ٢١.

٣. الكتاب المقدس: سفر إشعياء، الإصحاح ٥٧، ٢.

٤. الكتاب المقدس: سفر الأمثال، الإصحاح ١٠، ٧.

٥. تثنية راباه ١١: ٥-١٠.

وهو صابر على نكبات الدنيا وأهوالها، فأوحى الله إلى ملك الموت أن اقْبِض روح الحسين، فقال عزرائيل: أعوذ بالله بأن تأمرني.. فلا أأتمر ولا ألي نداءك، وأنا متوقف حائر في أمر ابن حبيبك، أفكر يا رب، ولكن أتوسل إليك بحبيبك وصفيك ونبيك نبي الرحمة أن تقبل عُذري في قبض روح حبيبك وابن حبيبك الغريب العطشان المظلوم اللّهفان أبي عبدالله الحسين. فقال الجليل: لأي شيء تلتمس مني في ذلك يا عزرائيل؟ فقال: يارب، لم يبقَ عضوٌ سالماً للحسين حتى أقْبِض منه روحه، وأنا خجلان من رسول الله وأستحي من أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء، وتأمرني يا رب أن أقْبِض روحه؟! فصاح الرب: يا ملك الموت، من رأسه. فصاح ملك الموت: أنت العالم به أنه رُمي بسهم في عينيه. قال الرب: من فمه. فقال: آه واحسرتاه عليه، قد رُمي بسهم في فمه وتكسّرت أسنانه. قال الرب: من صدره. فقال: أصابته أربعة آلاف جرح في صدره فقطّعوا صدره. قال الرب: من جبهته. فقال: أصابه حجر في جبهته. قال الرب: من خاصرته. فقال: أصابته طعنة في خاصرته فانكَبَ من أجلها على وجه الثرى.

فأوحى الله «تعالى» إلى سكان السموات والأرض خطاباً بغضب: يا أيّها الأمة الطاغية الظالمة لابن بنت نبيها، وعزتي وجلالي إني أباهي بقتله وهو الذي فدى نفسه لأجلكم، اعلّموا أن ما من أحد بكى عليه أو زاره أو تباكى عليه واقتشعر بدنه وارتعدت فرائضه، فإني حرمت النار على جسده، وأدخلته جنّتي ولو أتى بوزر الثقلين من الإنس والجن^(١).

ثم قال الجليل: أنا بنفسي أقْبِض روح الحسين. يا ملك الموت، ويا ملائكتي، يا سكان السموات والأرض، ويا مالك خازن الأرض، ويا حملة العرش، انزلوا إلى

١. هذه المفردة أقرب إلى معتقدات المرجئة والنصارى.

أرض كربلاء، فإذا قبضت روح الحسين فعزّوا محمد المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء وابكوا وحثّوا التراب على رؤوسكم. فلما وصلوا إلى أرض كربلاء، وإذا بالشمر اللعين يحز رأس سيدنا الإمام الحسين، فأوحى الله إلى روحه: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۖ﴾^(١) فخرجت روح مولانا الحسين، فنادت الكائنات: وا إماماه وا حسيناه وا ذبيحاه وا غريباه^(٢).

هذا النص -بعد بحث بعض المختصين- لم يُعثر عليه في الكتب المعروفة والمصادر القديمة، ولا يُعلم مصدره ولا رواؤه، ولغته أقرب إلى لغة أصحاب المراثي، وأبعد ما تكون عن لغة أئمة أهل البيت «عليهم السلام» وبيانهم. ومن الغريب أن فيه مقاطع تقترب من مضمون ما في النص المدراسي حول وفاة النبي موسى «عليه السلام».

٥) تهذيب الأحكام بالسند عن محمد بن مسلم، عن أحدهما -الباقر أو الصادق- «عليهما السلام» قال: (الغسل في سبعة عشر موطناً.....، وليلة إحدى وعشرين، أي من شهر رمضان، وهي الليلة التي أُصيب فيها أوصياء الأنبياء، وفيها رُفع عيسى ابن مريم «عليه السلام» وقُبض موسى «عليه السلام»)^(٣).

٦) الكافي بالسند عن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: (قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: مات موسى كليم الله في التيه، فصاح صائح من السماء: مات موسى، وأي نفس لا تموت؟)^(٤).

١. سورة الفجر: ٢٧-٣٠.

٢. تجد هذا النص مبثوثاً على مواقع عديدة في شبكة الإنترنت.

٣. الطوسي: التهذيب، ج ١، ص ٣٢.

٤. الكليني: الكافي، ج ١، ص ٣١.

• موضع قبره:

(١) على جبل نيبو (الأردن). مرّ معنا عند عرض التوراة للأحداث الأخيرة من حياة النبي موسى «عليه السلام» أنه غادر موضع استقرار بني إسرائيل في الضفة الشرقية لنهر الأردن قبالة مدينة أريحا الفلسطينية، وكانت هذه آخر مرّة شوهد فيها بعد أن صعد جبل نيبو وأطلّ من هناك على أرض كنعان، ثم توفي دون أن يُحاط أحدٌ بذلك، وأنه اتُّخذ على هذا الجبل مقام يُعرف باسم (مقام النبي موسى) تخليداً لهذا الحدث، وكانت قد أقيمت كنيسة قديماً قبل إقامة هذا المقام من قبل المسلمين.

(٢) جنوب أريحا (فلسطين): مرّ معنا في بعض مرويات المسلمين أن قبره إلى (أو عند) جانب الطريق (الأعظم)، تحت الكثيب الأحمر، قال القرطبي: (يعني بالطريق طريق بيت المقدس)^(١) دون توضيح منه حول موضع هذا الطريق، ومن أي اتجاه هو نحو بيت المقدس.

ولكن الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٣٤ هـ) حدّد الموضع حيث نُقل عنه قوله: (وقد اشتهر أن قبراً قريباً من أريحا، وهي من الأرض المقدسة يُزار، ويقال أنه قبر موسى وعنده كثيب أحمر وطريق. وحدّثنا عنه غير شخص ممن رآه. وحدّثني الشيخ سالم التليّ قال: ما رأيت استجابة الدعاء أسرع منها عند قبر هذا المذكور. وحدّثني الشيخ عبد الله بن يونس المعروف بالأرموي أنه زار هذا القبر وأنه نام فرأى في منامه قبة في هذا الموضع ورأى فيها شخصاً أسمر فسلم عليه وقال: أنت موسى كليم الله - أو قال: نبي الله - قال: نعم، فقلت: قل لي شيئاً. فأوماً إلي بأربع أصابع ووصف طولهن. قال: فانتبهت فلم أدر ما قال، فجئت إلى الشيخ ذيال فأخبرته

١. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٦، ص ١٣٢.

بذلك فقال: يولد لك أربعة أولاد، فقلت: قد تزوجت امرأة فلم أقربها. فقال: يكون غير هذه، قال: فتزوجت أخرى فولد لي أربعة أولاد... والقبة المبنية على هذا القبر الشريف الآن بناها الملك الظاهر^(١) «رحمه الله» بعد سنة ستين وستمئة قطعاً، فقد رأى الشيخ عبد الله الأرموي القبة على هذا المكان قبل بنائها بأكثر من عشرين سنة، والله «سبحانه» أعلم^(٢).

وهذه القبة التي بناها الملك الظاهر تقع عند بلدة سيميا الفلسطينية جنوب مدينة أريحا على بُعد ٨ كم، وتقابل -جغرافياً- جبل نبو، ولكن على الضفة الغربية لنهر الأردن، والقبة تحولت إلى مقام كبير وملحقاته تبعد عن مدينة القدس ٢٨ كم باتجاه الشرق، وكانت متموضعة على طريق تتفرع منه شبكة الطرق والدروب التي تعبر إلى الجنوب من فلسطين، وتقود من هناك إلى جنوب الأردن، وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، إضافة إلى شبه جزيرة سيناء عبر ما عرف تاريخياً بـ (درب الحج) وبالطريق التجارية المؤدية من الشام إلى مصر، ناهيك عن طريق البريد.

وقد بني المقام في منطقة منعزلة قليلة الأشجار والأعشاب، كما ويرتفع فوق تلال صخرية كبريتية ورسوبية. ويُعد مقام النبي موسى من أهم المقامات في فلسطين بسبب ضخامة بنائه وشهرته الواسعة، وقد بُني في الصحراء الممتدة من البحر الميت التي اشتهرت بوجود أديرة للنصارى. وعند زيارة الظاهر بيبرس (ت ١٢٧٧م) هذه المنطقة، أمر بهدم هذه الأديرة، وإنشاء هذا المقام، ليخلد ذكرى موسى «عليه السلام». ويمتد المقام على مساحة تقارب خمسة دونمات، ويتشكل من ثلاثة طوابق،

١. الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (ت ٦٧٥هـ).

٢. العلائي: مجموع رسائل الحافظ العلائي، ص ٤٧-٤٨.

ويتوسطه مسجد ضخم مكون من خمس بلاطات، وغرفة ضريح واسعة تحوي القبر وتتوسط بناء المقام، ويحوي المقام مائة غرفة ما بين مفتوحة ومغلقة، وتدور حول المسجد -غرفة الضريح- ساحات مركزية تتسع لأعداد كبيرة من الناس. وترتفع مئذنة متوسطة الارتفاع، ويأمكن الصاعد إليها مراقبة المنطقة المحيطة بها؛ حيث يرى أريحا والبحر الميت وصحراء واسعة ممتدة وجبال شرق الأردن. [انظر اللوحتين ١١٣-١١٤]

قال المنهاجي الأسيوطي: (وقبره مقصود بالزيارة في القبة التي تقدّم ذكرها، والناس يتحملون مشقة الذهاب إليه فيبيتون عنده مشقة الإياب، ويبدلون الأموال في عمل المأكّل والمشرب، وتأجير الدواب يفعل ذلك الرجال والنساء من أهل بيت المقدس، وغيرهم الواردين عليه بقصد الزيارة لا يخلون بذلك حتى الآن)^(١).

وقد فُسّر بعد هذا الموضع عن موضع استقرار بني إسرائيل في الأردن -كما جاء في التوراة وفي بعض مرويات المسلمين- بأن الله «عزّ وجل» نقل جثمانه تفضلاً منه.

قال ابن جماعة المقدسي في كتابه (الدر النظيم في أخبار موسى الكليم) حول طلب النبي موسى أن يدنيه الله «عزّ وجل» بمقدار رمية حجر من الأرض المقدسة وليس لنفس بيت المقدس أو بجواره: (وقد سألتني بعض الفضلاء عن السرّ في كون موسى سأل الدنو من الأرض المقدسة ولو رمية بحجر، ولم يسأل نفس الأرض المقدسة ولا مكاناً مخصوصاً معروفاً عند الناس، فخطر لي في ذلك إنّ موسى «عليه السلام» إنما سأل الدنو منها لشرفها، وإنما لم يسأل مكاناً معروفاً خوفاً من أن يُعبد، وهذا الذي خطر لي رأيته في تفسير القرآن للقرطبي. ثم على القول إنّ قبر موسى في جوف الأرض

١. الأسيوطي: إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج ٢، ص ١٢٩.



اللوحة رقم ١١٣ : مقام النبي موسى جنوب أريحا



اللوحة رقم ١١٤ : مقام النبي موسى جنوب أريحا

المقدّسة وثبوت الدنوّ له ينافي الواقع، يجاب بأنه سأل الله شيئاً فأعطاه الله «تعالى» فوق ما سأل، وهذه صفات الكريم أن يُعطي فوق ما يسأل^(١).

والمقدسي يشير إلى رواية أبي هريرة أنه سأل الله «عزّ وجل» (أن يُدنيه من الأرض المقدّسة رميّةً بحجر)، وإلى قول القرطبي معلّقاً على ذلك: (فهذا نبينا «صلى الله عليه وسلم» قد علّم قبره ووصف موضعه، وراه فيه قائماً يصلي كما في حديث الإسراء، إلا أنه يحتمل أن يكون أخفاه الله عن الخلق سواه^(٢)، ولم يجعله مشهوراً عندهم، ولعل ذلك لئلا يُعبّد، والله أعلم^(٣)).

٣) إلى جانب الطور، قال القرطبي: (ووقع في بعض الروايات إلى جانب الطور مكان الطريق)^(٤). قال بدر الدين العيني في شرحه لصحيح البخاري: (ذكر ياقوت في كتاب المشترك أن الطور سبعة مواضع، منها: جبل بيت المقدس، يقال له طور زيتا، وفي الأثر: مات بطور زيتا سبعون ألف نبى قتلهم الجوع، وهو شرقي وادي سلوان، ومنها طور هارون، علّم لجبل عال مشرف من قبلي بيت المقدس، فيه -فيما قيل- قبر هارون أخي موسى «عليه الصلاة والسلام»، والظاهر أن الطور المذكور هو أحد الطورين المذكورين، ولكن الأقرب أنه طور زيتا، والله أعلم^(٥)). وطور زيتا هو الاسم الآرامي لجبل الزيتون الذي يمثل سلسلة التلال الجبلية في القدس الشرقية، شرق البلدة القديمة وملاصق لها.

١. ابن جماعة: الدر النظيم، ص ٢٩٩-٣٠٠.

٢. أي سوى رسول الله محمد.

٣. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٦، ص ١٣٢.

٤. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٦، ص ١٣٢.

٥. العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٥٠.

وقد يقال أن الطور إذا أُطلق فإنه ينصرف لطور سيناء، أي جبل حوريب، حيث كَلَّمَ الله «سبحانه» موسى «عليه السلام»، وحيث استقر عنده بنو إسرائيل قرابة السنة.

(٤) في مدين: قال أبو حاتم البستي: (قبر موسى بمدين، بين المدينة والبيت المقدس)^(١). وقد اعترض ابن جماعة على كلام البستي قائلاً: (وقول البستي -إن قبره بمدين- فيه نظر، وذلك أن موسى «عليه السلام» سأل ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، ومدين ليست قريبة من بيت المقدس ولا من الأرض المقدسة، وقد أنكر قول البستي الحافظ ضياء الدين المقدسي وقال: قد اشتهر قبره في الأرض المقدسة، وهو قريب من أريحا، ويقال إن ذلك القبر الذي اشتهر أنه قبر موسى فإن عنده كثيب أحمر وطريق)^(٢).

(٥) مدينة اللد الواقعة شمال غرب أريحا والقدس، وأشكل على ذلك بدر الدين العيني حيث قال: (قال الطبري: هو الصحيح. قلت: كيف يكون هو الصحيح وقد قال ابن عباس ووهب وعامة العلماء إنه بأرض التيه؟)^(٣).

(٦) في وادي في أرض موآب بين بصرى والبلقاء^(٤). ولكن أرض موآب لا تمتد في تلك الناحية المشار إليها، بل كانت تقع على الضفة الشرقية للبحر الميت، وجبل نيبو الذي ذكرناه من قبل ضمن أرض الموآبيين. وكونه مدفوناً في أرض موآب يتوافق مع النص التوراتي الذي مر معنا من قبل: (٥ فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبِ

١. ابن حبان، الصحيح، ج ١، ص ٢٤٣.

٢. ابن جماعة: الدر النظيم، ص ٣٠١-٣٠٣.

٣. العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٥٠.

٤. العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٥٠.

حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. ٦ وَدَفَنَهُ فِي الْجَوَاءِ^(١) فِي أَرْضِ مُوآبَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فَعُورِ^(٢).

(٧) ما بين عالية وعويلة. قال العيني: (ذكره الحافظ أبو القاسم في تاريخ دمشق فقال: وروي أن قبر موسى بين عالية وعويلة، وهما محلّتان عند مسجد القَدَم، ويقال: إن قبره رُئي في المنام فيها)^(٣).

(القَدَم) قرية كبيرة من أمهات قرى الغوطة، وتقع على بعد (١,٥) كم من دمشق. ويرجح البعض أن الاسم في الأصل كان (قُدُم)، وهو اسم بلدة باليمن، وعندما نزح أهلها مع الفتح الإسلامي واستوطنوا هذه البلدة القريبة من دمشق، سموها باسم بلدتهم اليمنية. وهناك قريتان صغيرتان اندثرتا اليوم نهائياً هما: عالية وعويلية، كانتا شرق القدم قرب (كوم القطائع)^(٤)، والقريتان هما المشار إليهما في العنوان. [انظر اللوحات ١١٥-١١٧]

(٨) دمشق، قال العيني: (ذكره الحافظ أبو القاسم عن كعب الأحبار)^(٥). [انظر اللوحة ١١٨]

تعليق: إن كل الآراء السابقة لا يعضدها دليل قوي ومحكم، وبعضها واضح الضعف كادعاء وجود قبره في مدين أو دمشق أو جبل الطور، والله وحده الذي يعلم أين دُفن النبي موسى، ومن الذي دفنه، وما هي ظروف وفاته، ولكن يبقى أن وفاته

١. الجواء: السهل.

٢. الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح ٣٤، ٥-٦.

٣. العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٥٠.

4. <https://www.okaz.com.sa/article/224850>

٥. العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٥٠.



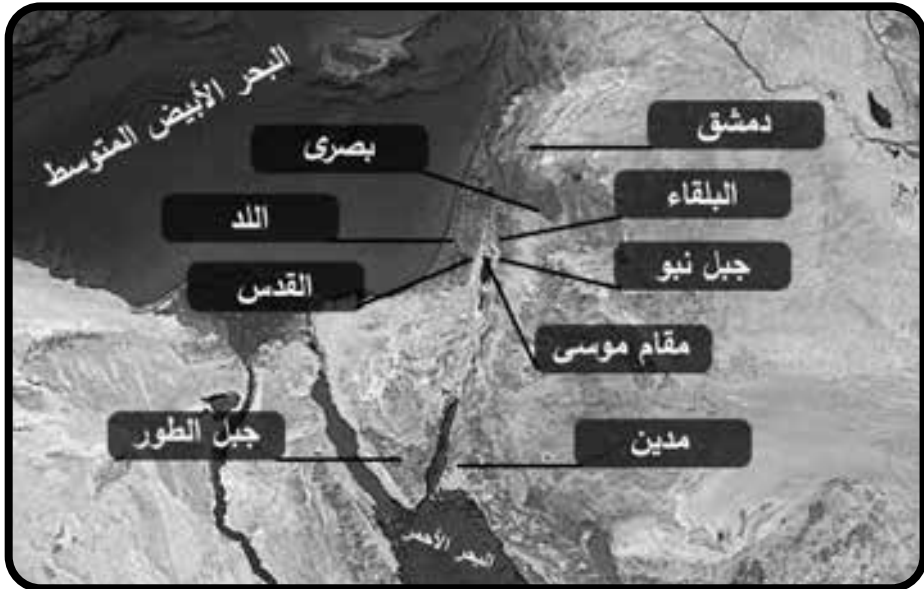
اللوحة رقم ١١٥ : جامع القدم الكبير جنوب دمشق



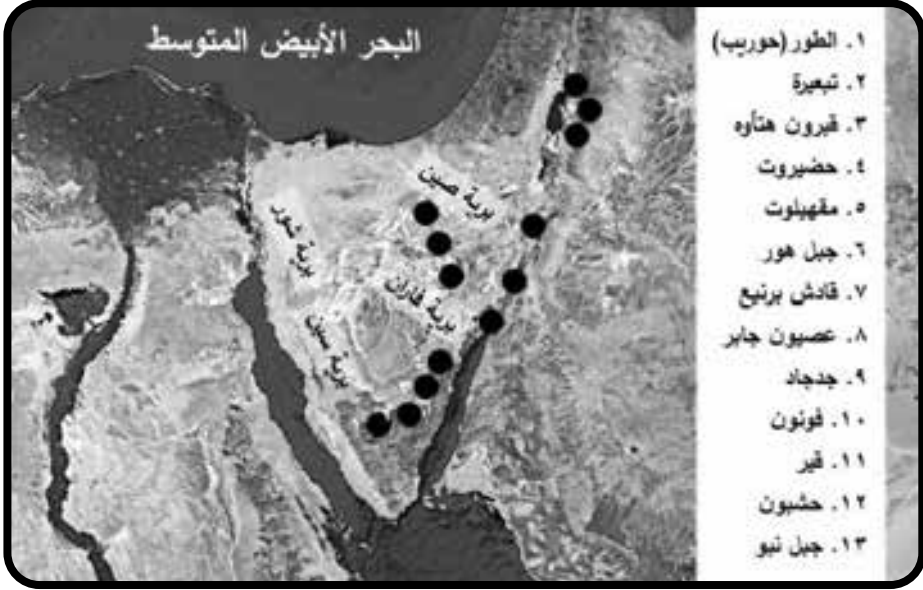
اللوحة رقم ١١٦ : واجهة جامع القدم الكبير جنوب دمشق



اللوحة رقم ١١٧ : موضع جامع القدم بالنسبة إلى الجامع الأموي بدمشق



اللوحة رقم ١١٨ : المواضع التي ادعي دفن النبي موسى أو بالقرب منها



اللوحة رقم ١١٨ : مسار محتمل لحركة بني إسرائيل من الطور إلى جبل نبو

بهذه الصورة، بعيداً عن قومه، ودون أن يعرفوا موضع دفنه، بعد أن قادهم على مدى أكثر من أربعين سنة، وواجه معهم في سبيل الله ومن أجلهم كل تلك التحديات الكبيرة التي فصلناها في الأجزاء الثلاثة من هذا الكتاب، يُعدُّ أمراً مثيراً للانتباه، ومن ورائه غاية أو أكثر:

١. قد تكون - كما ذكر القرطبي وغيره- دفعاً لاحتمال عبادة قبره بلحاظ جذور الوثنية المتأصلة فيهم والتي كانوا يحتنون إليها من حين إلى آخر.

٢. وقد تكون إشارة إلى الظلمات الكثيرة التي تعرّض لها من قبل قومه بعد كل تضحياته من أجلهم بحيث ابتعد عنهم في نهاية المطاف وأسلمهم إلى قدرهم مع وصيه يوشع بن نون.

٣. وقد تكون تتويجاً لحاتمة مسيرته التي بدأها في طفولته الأولى وحيداً في تابوت صغير في اليم، وأكملها هارباً -لوحده- إلى مَدِين من بطش فرعون وجلاوزته، ثم عودته لقيادة قومه للخلاص من فرعون وجنده مع أخيه هارون الذي غادر الدنيا قبله، فعاد موسى وحيداً في مواجهة التحديات، ثم انطلق -بعد أن أوصل قومه إلى مشارف الأرض المقدسة المباركة- بعيداً عنهم ليعود وحيداً، مُجَدِّداً لقاءه مع الله دون أن يُشركه في ذلك أحد، ولعله انطلق من جبل نيبو حيث ترك قومه متجهاً نحو بيت المقدس ليشهد الأرض التي طالما اشتاق إليها، وحرمة عناد قومه من دخولها، حتى إذا قرَّت عينه برؤيتها، أسلم الروح لبارئها بعد مسيرة طويلة من الدعوة في سبيل الله.

• نتائج الفصل وخلاصته:

- مع إحساس النبي موسى بقرب وفاته، أعاد تذكير قومه بشرائع الله ونصحهم بالتزامها بتمامها، وعلى رأسها توحيد الله.
- الإجراء الثاني الذي اتخذته النبي موسى تمثل في تعيين يوشع بن نون وصياً له.
- الإجراء الثالث: تدوين التشريعات التوراتية، والتي يُطلق عليها اختصاراً اسم (التوراة).
- رابع الإجراءات: إلقاء أنشودة (ابتهال) روحاني تضمّنت مجموعة من المفاهيم والأدعية وإعلان الشكر لله ووصف بعض الأحداث التي مرّت على بني إسرائيل في مصر وخارجها.
- الإجراء الخامس: دعاء النبي موسى لقومه دعاء توديع وفراق.

○ ابتعد النبي موسى عن مُستقرّ بني إسرائيل في الأردن، وصعد على جبل في الضفة الشرقية لنهر الأردن، وأطلّ على الأرض المقدسة المباركة التي قاد إليها قومه، وانقطعت بذلك أخباره، وعلم القوم -لاحقاً- بوفاته فأقاموا العزاء على مدى ثلاثين يوماً متواصلة.

○ خفي على الناس موضع قبر النبي موسى، ومَن الذي دفنه، وهناك آراء عديدة لا نملك تأكيد صحّة إحداها دون سائر الآراء.

○ تماهت بعض المرويات الإسلامية مع بعض النصوص اليهودية حول أسطورة تهرب النبي موسى من الموت، وتمسّكه بالحياة، بل واعتدائه على ملك الموت! واختلطت شخصية ملك الموت في التراث الإسلامي مع سمائل (إبليس) في التراث اليهودي.

مصادر الكتاب

المصادر العربية

١. القرآن الكريم
٢. الكتاب المقدس
٣. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله؛ شرح نهج البلاغة؛ القاهرة - مصر: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩ م.
٤. ابن بطة العكبري، عبيد الله بن محمد؛ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة؛ الرياض - السعودية: دار الراية للنشر والتوزيع، ١٤١٨ هـ، ط ٢.
٥. ابن تيمية الحراني، أحمد بن عبد الحلیم؛ بيان تلبیس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية؛ المدينة المنورة - السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦ هـ، ط ١.
٦. ابن جماعة، محمد بن إبراهيم الشافعي؛ الدر النظيم في أخبار موسى الكليم عليه السلام؛ بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٨ هـ، ق.
٧. ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، علي بن أحمد بن سعيد؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل؛ القاهرة - مصر: مكتبة الخانجي.
٨. ابن خزيمة النيسابوري، محمد بن إسحاق؛ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل؛ الرياض - السعودية: مكتبة الرشد، ١٤١٤ هـ، ط ٥.
٩. ابن خلدون، عبد الرحمن؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر؛ بيروت - لبنان: دار الفكر، ١٤٠١ هـ، ط ١.

١٠. ابن شَهْر آشوب، مُحَمَّد بن علي؛ مناقب آل أبي طالب؛ قم - إيران: مطبعة علامه، ١٣٧٩ هـ.ق، ط ١.
١١. ابن عاشور، محمد الطاهر؛ التحرير والتنوير؛ تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
١٢. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب؛ المنار المنيف في الصحيح والضعيف؛ حلب - سورية: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٣٩٠ هـ.ق.
١٣. ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمر؛ البداية والنهاية؛ القاهرة - مصر: مطبعة السعادة، ١٣٤٨ - ١٣٥٨ هـ.ق، ط ١.
١٤. ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمر؛ تفسير القرآن العظيم؛ بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ.ق، ط ١.
١٥. ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي؛ تفسير القرآن العظيم؛ الرياض - السعودية: دار طيبة، ١٤٢٠ هـ.ق، ط ٢.
١٦. ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي؛ تفسير القرآن العظيم؛ الرياض - السعودية: دار طيبة، ١٤٢٠ هـ.ق، ط ٢.
١٧. ابن ميمون القرطبي: موسى؛ دليل (دلالة) الحائرين؛ ميدان العتبة - مصر: مكتبة الثقافة الدينية.
١٨. أبو جعفر، محمد بن حبيب بن أمية؛ المحبر؛ حيدرآباد الدكن - الهند: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦١ هـ.ق.
١٩. أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا؛ معجم مقاييس اللغة؛ بيروت - لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩م.
٢٠. أبي النضر العياشي، محمد بن مسعود؛ التفسير؛ طهران - إيران: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤٢١ هـ.ق، ط ١.
٢١. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق؛ الإبانة عن أصول الديانة؛ القاهرة - مصر: دار الأنصار، ١٣٩٧ هـ.ق، ط ١.

٢٢. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق؛ مقالات الإسلاميين؛ فيسبادن - ألمانيا: دار فرانز شتاينز، ١٤٠٠ هـ ق، ط ٣.
٢٣. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء؛ مصر: مطبعة السعادة، ١٣٩٤ هـ ق.
٢٤. الإفريقي، محمد بن مكرم بن علي بن منظور؛ لسان العرب؛ تصوير وزارة الأوقاف السعودية عن طبعة الأميرية ببولاق، ١٣٠٠ هـ ق.
٢٥. الألوسي، محمود بن عبد الله؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ ق، ط ١.
٢٦. الأنصاري القرطبي، محمد بن أحمد؛ الجامع لأحكام القرآن؛ القاهرة - مصر: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ ق، ط ٢.
٢٧. البخاري، محمد بن إسماعيل؛ الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري)؛ مصر: دار التأصيل للبحث العلمي والترجمة والنشر مركز البحوث وتقنية المعلومات، ١٤٣٣ هـ ق، ط ١.
٢٨. بدر الدين العيني، محمود بن أحمد؛ عمدة القاري شرح صحيح البخاري؛ بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ ق.
٢٩. البلاغي، محمد جواد؛ الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة في نهج الهدى؛ قم - إيران: دفتر تبليغات إسلامي، ١٣١ هـ ق، ط ٢.
٣٠. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس؛ بريطانيا: ماستر ميديا، ١٩٩٧ م.
٣١. التلمود البابلي؛ عمان - الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط، ٢٠١١، ط ١.
٣٢. التميمي، محمد بن حبان بن أحمد؛ المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقلها؛ بيروت - لبنان: دار ابن حزم، ١٤٣٣ هـ ق.
٣٣. الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن؛ بيروت - لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ ق، ط ١.
٣٤. الجلال السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر؛ الدر المنثور في التفسير المأثور؛ بيروت -

- لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٢ هـ ق.
٣٥. الخازن؛ علي بن محمد بن إبراهيم؛ البغوي، الحسين بن مسعود؛ لباب التأويل في معاني التنزيل ومعه معالم التنزيل؛ بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ ق.
٣٦. الخشن، حسين؛ المرأة في النص الديني، قراءة نقدية في روايات ذم المرأة؛ بيروت - لبنان: دار الانتشار العربي، ٢٠١٧، ط ١.
٣٧. الدميري، محمد بن موسى بن عيسى؛ حياة الحيوان الكبرى؛ بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ ق، ط ٢.
٣٨. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان؛ العرش؛ المدينة المنورة - السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٤ هـ ق، ط ٢.
٣٩. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان؛ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام؛ بيروت - لبنان: دار الكتاب العربي، ١٤١٣ هـ ق، ط ٢.
٤٠. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان؛ سير أعلام النبلاء؛ بيروت - لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ ق، ط ٣.
٤١. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان؛ ميزان الاعتدال في نقد الرجال؛ بيروت - لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٢ هـ ق.
٤٢. ريجان، عبد الرحيم؛ سيناء ملتقى الأديان والحضارات؛ القاهرة - مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣ م.
٤٣. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني؛ تاج العروس من جواهر القاموس؛ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ ق، ط ١.
٤٤. الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل؛ القاهرة - مصر: دار الريان، ١٤٠٧ هـ ق، ط ٣.
٤٥. السبحاني، جعفر؛ أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم، طهران - إيران: نشر مشعر، ط ١.

٤٦. السبحاني، جعفر؛ رؤية الله في ضوء الكتاب والسنة والعقل؛ ١٤٤٠ هـ.ق.
٤٧. السيوطي، محمد بن شهاب الدين أحمد؛ إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى؛ القاهرة - مصر: الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٨٢ - ١٩٨٤ م.
٤٨. الشريف الرضي، محمد بن الحسين؛ نهج البلاغة؛ قم - إيران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٨ هـ.ق، ط ١.
٤٩. الشيباني الجزري، علي بن أبي الكرم محمد؛ الكامل في التاريخ؛ بيروت - لبنان: دار الكتاب العربي، ١٤١٧ هـ.ق، ط ١.
٥٠. الشيباني، أحمد بن حنبل؛ المسند؛ بيروت - لبنان: مطبعة الرسالة، ١٤٢١ هـ.ق.
٥١. الشيرازي، ناصر مكارم؛ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل؛ قم - إيران: مؤسسة البعثة، ١٩٩٢ م.
٥٢. الصدوق، محمد بن علي؛ التوحيد؛ طهران - إيران: مكتبة الصدوق، ١٣٨٧ هـ.ق.
٥٣. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين؛ عيون أخبار الرضا؛ قم - إيران: دار العلم، ١٣٧٧ - ١٣٧٩ هـ.ق.
٥٤. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين؛ كمال الدين وتمام النعمة؛ طهران - إيران: مكتبة الصدوق، ١٣٨٧ هـ.ق.
٥٥. الصفار، محمد بن الحسن؛ بصائر الدرجات في فضائل آل محمد؛ قم - إيران: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٤٠٤ هـ.ق.
٥٦. الطباطبائي، محمد حسين؛ الميزان في تفسير القرآن؛ إيران - قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٧ هـ، ط ٥.
٥٧. الطبراني، سليمان بن أحمد؛ المعجم الأوسط؛ القاهرة - مصر: دار الحرمين، ١٤١٥ هـ.ق.
٥٨. الطبرسي، الفضل بن الحسن؛ مجمع البيان في تفسير القرآن؛ بيروت - لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٥ م، ط ١.
٥٩. الطبري، محمد بن جرير؛ تاريخ الأمم والملوك؛ مصر: دار المعارف، ١٣٨٧ هـ.ق، ط ٢.

٦٠. الطبري، محمد بن جرير؛ جامع البيان في تأويل القرآن؛ القاهرة، مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ، ط ١.
٦١. الطوسي، محمد بن الحسن؛ تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد؛ طهران - إيران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٠ هـ.
٦٢. العسكري، الحسن بن علي؛ تفسير الإمام العسكري؛ قم - إيران: مهر، ١٤٠٩ هـ.
٦٣. العسكري، مرتضى؛ معالم المدرستين؛ طهران - إيران: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، ١٤٠٦ هـ.
٦٤. علي، جواد؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام؛ بيروت - لبنان: دار الساقى، ١٤٢٢ هـ، ط ٤.
٦٥. الخزاز القمي، علي بن محمد؛ كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر؛ قم - إيران: دليل ماء، ١٤٣٠ هـ، ط ١.
٦٦. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي؛ إحياء علوم الدين؛ بيروت - لبنان: دار المعرفة.
٦٧. الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن؛ التفسير الكبير؛ بيروت - لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١ هـ.
٦٨. الفراء، محمد بن الحسين؛ إبطال التأويلات لأخبار الصفات؛ الكويت: دار إيلاف الدولية، ١٤١٦ هـ، ط ١.
٦٩. فضل الله، محمد حسين؛ من وحي القرآن؛ بيروت - لبنان: دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٣.
٧٠. الفغالي، بولس؛ المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم؛ بيروت وجونيه - لبنان: جمعية الكتاب المقدس والمكتبة البولسية، ٢٠٠٩ م، ط ٢.
٧١. الفيومي، سعديا جاؤون بن يوسف؛ التوراة؛ التفسير الأصلي.
٧٢. قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله؛ قصص الأنبياء؛ قم - إيران: مؤسسة الهادي، ١٤١٨ هـ، ط ١.

٧٣. قطب الدين، سعيد بن هبة؛ قصص الأنبياء؛ قم - إيران: الهادي، ١٤١٨ هـ، ق، ط ١.
٧٤. القمي، علي بن إبراهيم؛ تفسير القمي؛ قم - إيران: مؤسسة الإمام المهدي ١٤٣٥ هـ، ق، ط ١.
٧٥. الكليني، محمد بن يعقوب؛ الكافي؛ بيروت: لبنان: منشورات الفجر، ٢٠٠٧ م، ط ١.
٧٦. المجلسي، محمد باقر؛ بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار؛ بيروت - لبنان: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣ هـ، ق.
٧٧. مجمع الكنائس الشرقية؛ قاموس الكتاب المقدس؛ بيروت - لبنان: مكتبة المشغل، ١٩٨١ م، ط ٦.
٧٨. مجموعة محررين؛ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس؛ المعادي - مصر: مساتر ميديا، ٢٠١١، ط ٢.
٧٩. محسني، محمد آصف؛ مشرعة بحار الأنوار؛ قم - إيران: مكتبة العزيزي، ١٤٢٣ هـ، ق، ط ١.
٨٠. مغنية، محمد جواد؛ التفسير الكاشف؛ قم - إيران: دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٦ هـ، ق.
٨١. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان؛ الإرشاد؛ النجف - العراق: المكتبة الحيدرية، ١٩٦٢ م.
٨٢. النسائي: أحمد بن شعيب؛ صحيح سنن النسائي؛ الرياض - السعودية: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩ هـ، ق، ط ١.
٨٣. النيسابوري، مسلم بن الحجاج؛ المسند الصحيح (صحيح مسلم)؛ الرياض - السعودية: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٦ هـ، ق، ط ٢.

المصادر الأجنبية

1. Carol Meyers, Exodus, The New Cambridge Bible Commentary, Cambridge: Cambridge University Press, 2005.
2. Georg Ebers, Durch Gosen zum Sinai, p. 226, Paul Pierret, Vocabulaire hiéroglyphique.
3. Kleinman Ed Midrash Rabbah: Megillas Shir HaShirim, Mesorah Publications Ltd. (March 18, 2014).
4. Metsudah Midrash Tanchuma, Metsudah Publications (June 14, 2006).
5. Midrash Tanhuma-Yelammedenu, Samuel A. Berman (Editor), KTAV Publishing House, Inc., 1996.
6. R. W. Thomson (with contributions from J. Howard-Johnson & T. Greenwood), The Armenian History Attributed To Sebeos Part - I: Translation and Notes, 1999, Translated Texts For Historians - Volume 31, Liverpool University Press.

مواقع الإنترنت

1. aish.com
2. albayanalqurany.com
3. alsunniah.com
4. biblehub.com
5. citysecuritymagazine.com
6. curiousjew.blogspot.com
7. images.shulcloud.com
8. islamqa.info
9. jewishlink.news

10. jwa.org
11. palinfo.com
12. static1.squarespace.com
13. st-takla.org
14. thebiblefornormalpeople.com
15. theheartofisrael.org
16. weekly.israelbiblecenter.com
17. www.alarabiya.net
18. www.bibleorigins.net
19. www.biblestudytools.com
20. www.chabad.org
21. www.encyclopedia.com
22. www.erfan.ir
23. www.jewfaq.org
24. www.jewishencyclopedia.com
25. www.jewishvirtuallibrary.org
26. www.messianicbible.com
27. www.okaz.com.sa
28. www.ou.org
29. www.sefaria.org
30. www.thetorah.com
31. www.torahclass.com
32. www.usefulbible.com
33. www.youtube.com

الكتب

١. آفاق الجمعة: روح وفكر... ٣ أجزاء
٢. أبو الأنبياء
٣. أبيض.. أسود
٤. أحبك يا ربي: كتيب للأذكار مخصص للأطفال
٥. أحكام الحدث الأكبر
٦. أحكام الدماء الثلاثة
٧. أحكام المريض والمصاب
٨. أخلاقيات الطب وآدابه
٩. أخلاقيات المهن الحقوقية وآدابها
١٠. إضاءات على فكر الفقيه المجدد السيد فضل الله
١١. أطلس واقعة الطف
١٢. إليك يا ابنتي (مترجم إلى اللغة التركية)
١٣. إليك يا ولدي (مترجم إلى اللغة التركية)
١٤. إمام ومأموم... حُكم الجماعة عند الاختلاف المذهبي
١٥. بسايتين الإيمان: ٤ كتب دراسية في التربية الإسلامية للمرحلة المتوسطة
١٦. تعليم الوضوء والصلاة: باللغتين العربية والإنجليزية
١٧. التفاحة الفاسدة
١٨. حروب الردة: الحقيقة والأساطير
١٩. الدرة الثمينة في أعمال مكة والمدينة

٢٠. الدليل: مرشد الزائرين للعتبات المقدسة في إيران
٢١. الدينار والدرهم.. دراسة تاريخية وفقهية
٢٢. رسالة المسجد
٢٣. زوجتي العزيزة
٢٤. زوجي العزيز
٢٥. زينة الحياة
٢٦. حدائق الإيمان: ٥ كتب دراسية في التربية الإسلامية للمرحلة الابتدائية
٢٧. السيرة العسكرية لأمر المؤمنين علي
٢٨. السيرة العسكرية لسيد المرسلين محمد
٢٩. الشعائر الحسينية
٣٠. شهداء على أرض فخر
٣١. صلاة الجمعة
٣٢. طريق سعادتي، صدر بثلاث لغات (العربية - الإنجليزية - الهندية)
٣٣. الغناء في ميزان الشرع
٣٤. الفتوحات الإسلامية... دراسة تاريخية وشرعية
٣٥. فراس: قصة للأطفال
٣٦. فك لغز الأسباط... صدر باللغتين، العربية والفارسية
٣٧. الكليم موسى بن عمران .. الجزء الأول والثاني
٣٨. لا فتى إلا علي
٣٩. للشباب فقط
٤٠. ليالي عاشوراء (١٠ أجزاء)
٤١. المآتم الحسينية... أهداف وتطلعات
٤٢. محطات في الفكر والسياسة والأدب

٤٣. المرأة والستر الشرعي
٤٤. المسيح عيسى ابن مريم
٤٥. المعجم المصور للمصطلحات الفقهية
٤٦. مفاهيم حركية من وحي القرآن (في مجلدين)
٤٧. من هدي الإمام المجتبي... صدر باللغتين، العربية والفارسية
٤٨. من هدي أمير المؤمنين... صدر باللغتين، العربية والفارسية
٤٩. من هدي الزهراء... صدر باللغتين، العربية والفارسية
٥٠. من هدي سيد الشهداء... صدر باللغتين، العربية والفارسية
٥١. من هدي النبي الأكرم... صدر باللغتين، العربية والفارسية
٥٢. المنبر الحسيني: أفكار ورؤى الفقيه المجدد السيد فضل الله
٥٣. منتقى الجمان من مفاتيح الجنان
٥٤. منتقيات (١٠ أجزاء)
٥٥. المنهج الرسالي في التفسير القرآني عند السيد محمد حسين فضل الله
٥٦. ميثولوجيا الخضر
٥٧. همسات. أوراق من الحكمة
٥٨. وداع الأحبة

